جدولی الدیه افندی کتبخانه‌سی

٢٦٥

نسخه البخاری لابی عبدالله

محمد ابن اسماعیل الجعفی

— ناقصدر —

MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM : V. Tarullah
ESKİ KAYİT : 265
YENİ KAYİT No.
TASNİF No.

٢٦٥

بهجة النفوس شرح البخاري لعبد الله بن سعد بن أبي جمرة

الحديث الرابع والستون بعد المائة

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعى الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبانا عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح ظاهر الحديث يدل على أن المرأة إذا لم تجب زوجها إذا دعاها إلى فراشها وغضب عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح والكلام عليه من وجوه منها قوله إلى فراشه هل هو على ظاهره أو هو من الكناية عن الجماع الظاهر أنه كناية عن الجماع ويقوي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر الولد للفراش أي للذي يكون وطئه في الفراش وفيه دليل على أن المستحسن في الشرع الكناية عن الأشياء المستقبحة وهذا فيه موجود كثير مثل قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وما أشبهه وهو كثير وهل هذا في الليل لا غير أو يكون ذلك سواء دعاها إلى حاجته المعلومة منها في الليل والنهار فمنعته كان الأمر على حد واحد في اللعنة لها ظاهر الحديث يدل على أن اللعنة مختصة بامتناعها ليلا وذلك والله أعلم لتأكد ذلك الشأن في الليل وقوة الباعث عليه وبالنهار قد تجب عليها مساعدته ولا يجوز لها امتناعها منه إلا أن يتأكد الأمر حتى تلعنها الملائكة ولو كان ذلك كان الشارع عليه الصلاة والسلام يقول ذلك في النهار أيضا وقد يقال إن الشارع عليه الصلاة والسلام إنما خص الليل بالذكر دون النهار لأنه مظنة لذلك الشأن فإذا وقع ذلك في النهار فلا فرق بل يكون بالنهار آكد في النهي لما ورد عنه عليه الصلاة والسلام بقوله من رأى منكم مراة تعجبه فليأت أهله ومعلوم أن ذلك إنما هو خوف الفتنة أن تقع ولا يمكن الاحتراز منها إلا بوقوع ذلك الشأن في وقته ذلك خشية على نفسه واحتراز لدينه فيكون على هذا في النهار أبلغ في الزجر والنهي والله أعلم وهل الملائكة التي تلعنها هم الحفظة أو غيرهم احتمل غيرا فيه دليل على قبول دعاء الملائكة من خير كان أو شر ولولا ذلك ما خوف سيدنا صلى الله عليه وسلم به وفيه بالضمن الإرشاد إلى مساعدة الزوجة زوجها في مرضاته وقد جاء هذا نصا منه عليه الصلاة والسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم جهاد المرأة حسن التبعل وفيه دليل على أن الصبر عن شهوة الجماع على الرجال ضعف مما هو على النساء يوخذ ذلك من حض الشارع عليه الصلاة والسلام لهن على مساعدة الرجال على ذلك لقوة صبرهن ولولا ذلك لكان الأمر

٢٦٥

بالعكس وفيه دليل على ان اقوى التشويشات على الرجل في دين داعية النكاح ولاجل ذلك حض الشارع
عليه الصلاة والسلام على مساعدة الرجال في ذلك وقال عليه الصلاة والسلام من استطاع الباءة فليتزوج
ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء ولم يقل ذلك للنساء وهل من شرط غضبه ان يكون دائما الليل
كله او بنفس الغضب وجبت اللعنة احتمل لان العرب قد تسمي الكل باسم البعض والبعض بالكل فاحتمل
قوله بات اي بات ليلته كلها واحتمل ان يكون بات اي عند النوم ما يبقى معه غضب ولا غيره
وهنا بحث لم علق لعنة الملائكة لها بالوصفين وهما امتناعها وغضبه والجواب والله اعلم قد يكون
دعاؤه لها من وجوه منها التطييب لقلبها لا لغرة فيها وقد يكون في حقها لانه يري منها ما يدل
على رغبتها في ذلك الشان او لحظ نفسه وليس له ذلك الباعث القوي وقد يكون لذلك الباعث
القوي فذلك هو الذي يوجب الغضب فمن اجل الاحتمالات قرنه صلى الله عليه وسلم بالغضب فتحتاج
المراة على هذا ان تعرف الوقت الذي يكون فيه الغضب من زوجها فتساعده وان جهلت فالمساعدة
لها اولي وهذا كله مع عدم الاعذار فان كانت هناك اعذار فاصحاب الاعذار لهم حكم خاص الا
انه يشترط ان يكون العذر شرعيا والا فليس بعذر وفيه دليل على ترك المنهيات وان لم يكن فيها
حد من الحدود لان الخطر فيها كبير يوخذ ذلك من كون هذا الموضع لاحد فيه والامر فيه خطر
لان لعنة الملائكة ما تعرف اين تبلغ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم وما نهيتكم فلا تقربوا وفيه
دليل لاهل الصوفة الذين يقولون اترك ما عندك لما عند اخيك فيتعدد الطريق الي حظوظ النفس
مرة واحدة لانهم راوا اكثر المهلكات منها وهنا اشارة لطيفة فكما مولاك لا يترك لك حقا من
حقوقك الا جعل لك من يقوم به وان لم تطلبه فمن المروة ان توفي انت حقوقها وهو قد طلبها
منك انظر من غضبة واحدة منك على عدم مساعدتك على شهوة من شهواتك جعل عز وجل
الملائكة الكرام تلعن مانعك من شهوتك لاري الله من لا يلاحظ الاحسان ولا يعرف قدر
الاهتمام لما اهتم بك وبحقوقك وهو لغني عنك اضعت حقه وانت المحتاج اليه ما اقبح الجفا
مع كثرة الاحتياج منك اليه وكثرة الاحسان منه اليك الجهل عمي عن عبد الله بن عمر قال قال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم فانه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي فان كان
من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار ظاهر الحديث والاخبار بان من
مات منا يعرض عليه مقعده اي موضعه بالغداة والعشي من اهل الجنة والنار والكلام عليه من وجوه
منها قوله منكم هل يعني من جنس ابن ادم كلهم المومن وغيره او يعني المومنين احتمل الوجهين
معا لكن الاظهر انه للجنس جميعا بدليل قوله تعالي في ال فرعون النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا وفيه بحث وهو ان يقال كيف قال عليه الصلاة والسلام بالغدو والعشي وليس في
الاخرة ليل ولا نهار والجواب والله اعلم ان يكون المراد قدرهما بين الغداة والعشي في هذه الدار
وكما قال تعالي ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال العلماء قدرهما بين الغداة والعشي في دار الدنيا
وفيه بحث آخر وهو ان يقال ما معني يعرضون هل هو بمعني الدخول او بمعني الرويا احتمل الوجهين
معا لانهم يقولون عرضت العود علي النار اي ادخلته فيها ويقولون عرضت الشيء علي الرجل
اي ريته اياه ومنه قولهم عرض القوم علي السلطان اي ابصرهم وعرفهم لكن الاظهر انه اريته
بدليل قوله عليه الصلاة والسلام في حديث احزان الميت اذا مات فتحت له كوة الي الجنة وكوة
الي النار فان كان مومنا قيل له من هذا عافاك الله يعرفون النار وتبقي التي الي الجنة وان كان غير
مومن فبالضد وهنا بحث اخر ايضا وهو من الذي يعرض عليه فعلي قول من يقول الروح والنفس شيء
واحد يكون علي الارواح وعلي قول من يقول ان الروح خلاف النفس فيكون علي الارواح او يكون علي
النفوس او علي الاجساد او علي المجموع احتمل لكن الاظهر انه علي الارواح فان الابدان لا تعذب
مع ارواحها مجتمعة بعد سوال القبر الي يوم القيمة بدليل ما جاء في ال فرعون وهو ان ارواحهم
في اجواف طيور سود تعرض علي النار غدوة وعشية وقد ذكر بعض الناس الذين يقولون ان
النفس شيء والروح شيء ثان ان النفس هي التي تبقي في القبر مع الجسد وانها من العالم الذي
لا يفني وانها هي التي تنتعم في القبر او تعذب وان الروح تلحق مما هي فيه نسبة ما وهي في موضعه
من عليين او من سجين وانه لا يكون عذابهما معا الا في يوم القيمة او نعيمهما ايضا والقدرة صالحة

وفيه بحث آخر اذا قلنا انه للجنس المؤمن وغيره هل هو على العموم او ليس الظاهر انه ليس على العموم بدليل
قوله تعالى في الشهداء احياء عند ربهم يرزقون ويقول سيدنا صلى الله عليه وسلم فيهم ان ارواحهم في حواصل
طير خضر تاكل من شجر الجنة وتشرب من انهارها فمن هو دائم في الجنة فكيف يعرض عليها غدوة
وعشية فيكون عاما في ما عدا الشهداء لكن يرد على هذا قوله عليه الصلاة والسلام نسمة المؤمن
طائر ابيض معلق في شجر الجنة حتى يردها الله الى اجسادها يوم القيمة فمن يكون في شجر الجنة كيف
يعرض على مقعده بالغداة والعشي والجواب انه قد يمكن الجمع بينهما من وجوه منها انه قد اخبر
صلى الله عليه وسلم عن الشهداء انهم سبعة ما عدا القتل في سبيل الله ووصف عليه الصلاة والسلام
الذين قتلوا في سبيل الله بان ارواحهم في اجواف طير خضر فقد يكون عليه الصلاة والسلام
الشهداء السبعة ارواحهم تعلق في شجر الجنة ويكون الفرق بينهم وبين الذين قتلوا في الجهاد الاكل
والشرب لا غير والفرق بينهم وبين غيرهم من المؤمنين دوام المقام في الجنة وغيرهم من المؤمنين يعرضون
عليها غدوة وعشية لان هذه الاخبار كلها صحاح والاخبار لا يدفعها نسخ واحتمل وجها اخر وهو ان
الارواح هي التي تعلق في شجر الجنة وان النفوس هي التي يعرض عليها مقعدها غدوة وعشية واحتمل
ان تعلق الارواح بشجر الجنة وليس يكون لها تصرف في الجنة الا غدوة وعشية تنظر لمنازلها وترى
فيزداد بذلك سرورها والقدرة صالحة ويبقى البحث في المخاط المسكين كيف حاله فالله اعلم انه قد
يكون له نصيب من هذا وقد تقدم الكلام عليه في حديث عذاب القبر بما فيه كفاية فاغني
عن اعادته وفيه دليل على عظيم قدرة الله تعالى يوخذ ذلك من هذه الاخبار بهذا البناء العظيم
وكيف هذا التصرف العجيب ويترتب عليه من الفقه الايمان به والتفكر فيما نحن اليه صايرون
والاهبة لذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا لانه اذا فكر في الموت وفيما بعده
من الانباء وشبهها حصل له فيها من الوعظ ما فيه كفاية لمن كان له عقل والقى السمع وهو شهيد
ومما يشبه مما نحن بسبيله يرغب بعض الاخوان من اخ له في الله يشتغل بعبادة مولاه ان
يقوم له بمعيشته فانعم له في ذلك فاتاه بقدح سويق فلما اتاه عذره لياخذ القدح وجده كما كان

فخاف انه اتهمه من طريق الكسب فجعل يبين له وجوه كسبه فقال له والله يا اخي ما مر ذكر بالي ولكن
كلما اخذت القدح لان اشرب تذكرت قوله يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويا تيه الموت من كل مكان
وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ فلما قدر ان اشربه حتى اصبحت على حالي فانظر رضي الله عنا
بهم كيف كان حالهم وفكرتهم هؤلاء الذين فهموا عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وليس غيرهم
ممن ادعى الفهم فهم يا من مات ليس كل من قاد الجياد يسوسها ولا كل من اجرى يقال له مجري
كلا بل هي دعاوٍ وحج عليه لا له من الله علينا بما به من على اهل الخصوص والتوفيق بفضله عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعقد الشيطان على قافية راس احدكم اذا هو نام ثلاث
عقد يضرب كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فان
توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث
النفس كسلان ظاهر الحديث الاخبار بان الشيطان يعقد على قافية راس النايم اذا نام ثلاث
عقد وانها لا يحلها الا تلك الشعائر المذكورة في الحديث والكلام عليه من وجوه منها هل ذلك العقد
هو في القافية بنفسها او هو في شيء اخر يجعله الشيطان على القافية وهل ذلك لكل نائم كان من
اهل الخصوص او ذلك العقد يتجدد في كل نوم ينامه بالليل وانه اذا استيقظ وذكر وتوضا
وصلى ثم نام عاد الشيطان فعقد ثانية او ثالثة كلما عاد الى النوم عاد هو الى العقد او انه
اذا فعل تلك الطاعات ثم نام بعد لا يعود الشيطان اليه وهل ذلك لكل مصل على حال كان
او ذلك لمن قبلت صلاته وكان من اهل التوفيق فالجواب عن الاول وهو قولنا هل العقد في
القافية نفسها ومعنى القافية هنا هي اخر الراس مما يلي الظهر او هو في شيء اخر الظاهر انه في شيء
اخر بدليل قوله على ولو كان فيها نفسها لقال فيها وزاد ذلك بيانا بقوله يضرب مكان كل
عقدة عليك ليل طويل لان هذه الصفة صفة ما يفعله السحرة اذا سحروا شخصا انما يفعلون
ما يفعلونه من السحر في شيء بايديهم ويعقدون فيه العقد ويسمون ما يشاؤن من انواع سحرهم
ولاحتمال الاخر لان من النائمين من ليس له شعر فيهم يربطون وهو الغالب من الناس والجواب عن

المدرسة السلمانية والمستوفى

الثاني وهل ذلك هو على عمومه في اهل الخصوص وغيرهم للفظ يعطي العموم لكن يخصصه الآي
والاحاديث اما الآي فقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان واما الاحاديث فمثل
قوله صلى الله عليه وسلم من قرا عند النوم سورة من القران كانت له حرزا من الشيطان حتى
يصبح ومن قرا اية الكرسي عند مسائه كانت له حرزا من الشيطان او كما قال عليه الصلاة
والسلام ومن قال كلما امسى واصبح لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير كانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي وليلته حتى يصبح او كما قال
صلى الله عليه وسلم والاحاديث في ذلك كثيرة فهذا يخصص عموم اللفظ وجاء الحديث مخبرا بما
يفعل من نسي التحرز من الشيطان اول ليله ولم يكن من الخصوص الذين لم يجعل للشيطان عليهم
سلطان كما اخبر صلى الله عليه وسلم انه ياكل مع من لم يسم ومن سمى لا ياكل معه وكذلك الشرب وكذلك
الجماع وكذلك دخول المنزل فهو صلى الله عليه وسلم قد نبه على مكايده كلها وجميع وجوه تسليطه
علينا وبين المخرج منها والتحرز منها ايضا فجزاه الله عنا خيرا ومما يوضح ما قلناه ان بعض العباد
جاء يدخل مسجدا في البرية وكان ممن اعطي شيئا من المكاشفات فراى شيطانين على باب المسجد
واحدهما يقول للاخر ادخل اغوي ذلك المصلي فقال لا اقدر ذلك لانه نائم يحرقني بنفسه فتعجب العابد
كيف يخاف الشيطان من النائم ولا يخاف من المصلي فلما دخل ابصر النائم ابراهيم بن ادهم فانظر
هل يعقد الشيطان على قافية مثل ذلك السيد شيئا وهو لا يقدر ان يقرب اليه وكما قال سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ما سلكت فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجك
فاذا لا يقدر ان يخطر في طريقه فكيف يعقد على ناصيته هذا محال والجواب عن الثالث وهو هل تنعقد
العقد كلما نام وان كان قد فعل ما ذكر امر لا ظاهر الحديث يقتضي انه اذا فعل ذلك لا تعود العقد
اليه يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام اصبح نشيطا طيب النفس والجواب عن الرابع
وهو هل ذلك لكل مصل كان حاله كيف كان لفظ الحديث يعطي الاحتمال لكن خصصه قوله عليه الصلاة
والسلام من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا فمن هذا هو بعيد من الله

اعاذنا الله

اعاذنا الله من ذلك بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كيف لا يعقد الشيطان عليه ويلعب به
كيف شاء بل هو في ذاته شيطان كما قال جل جلاله شياطين الانس والجن كيف حال من بات اكل
الحرام ظالما للناس مدمنا خمرا كيف لا يعقد الشيطان على هذا ومتى تصبح نفس هذا طيبة بل هذا
خبيث النفس في كل حال اعاذنا الله من ذلك بمنه ولا يقع على مثل هذا مصل حقيقة لانه في طبقة
للمبعودين الذين قال عليه الصلاة والسلام فيهم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد
من الله الا بعدا ومن اجل الجهل بحقيقة هذه الاحاديث اخذها بعض الناس على ظاهرها وعملوا عليها
وهم قد ضيعوا الاصول وظنوا انهم قد حصل لهم المقصود وهيهات هيهات ما اكثر الجهل والعما
ولذلك قال صاحب الانوار فيمن ارتكب هذا العمى وما شابهه فردوا الاصول فروعا والفروع اصولا
وفقه هذا الحديث واشباهه ان جميع الخيرات الواردة في الكتاب والسنة هي لاهل التوفيق
وذلك ان صحة البدن البشري هي الحمية والدوا واجمع ان الحمية للبدن انفع من الدوا فكذلك
الدين حمية ودوا فالحمية فيه انفع من الدوا ولا ينتفع بالدوا الا بالحمية او باكثرها والحمية في الدين
هي الوقوف مع الامر والنهي افعل كذا لا تفعل كذا كما يقول طبيب البدن كل كذا لا تاكل كذا ودوا
الدين مثل هذا الحديث واشباهه من قوله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا كان له كذا من انواع
التعبدات والخيرات فاذا فعلها بعد الحمية وهي اتباع الامر واجتناب النهي الذي جاء ما قيل له
وزيادة واذا فعلها دون الحمية المذكورة طلب ذلك فلم يجده فقال له لسان الحال فلهو من عند
انفسكم لانه ترك الاصل واخذ الفرع وهذه طريقة غير ناجحة لكن لا نقول لمن ضيع الحمية لا تاخذ
الدوا فلعل اخذ له واجره الى استعمال الحمية فيحصل المقصود كالذي يكون مالا غير طيب نقول
له ان تصدقت لا يقبل الا من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لا يقبل الله صدقة من
غلول ولا نقول له لا تتصدق لعله يندرج بالخير الذي هو الصدقة وان كانت غير مقبولة الى
التوبة والاقلاع وفيه دليل على ان بصحة الدين يصح البدن وينشرح الصدر يوخذ ذلك من قوله
عليه الصلاة والسلام الذي يقوم ويذكر الله ويتوضا ويصلي انه يصبح نشيطا طيب النفس ولا

يكون نشيطا طيب النفس الى مع صحة البدن وقد جاء ذلك نصا منه صلى الله عليه وسلم في قيام الليل
فانه عليه الصلاة والسلام قال ينقي الذنوب ويصح البدن وفيه دليل على ان الذنوب تمرض البدن
يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام والا اصبح خبيث النفس كسلان والغالب من خبائة
النفس لا يكون الا مع تعلم في البدن ويجد ذلك مشاهدا في اهل البطالة والمعاصي انهم يصبحون غير
طيبين في ابدانهم حتى يطلع النهار ويا خذون الاشرية والمعاصي ويعالجون ما بهم من الكسل في ابدانهم
هذا مشاهد منهم وفيه دليل على عظيم تسليط الشيطان على بني ادم وما جعل الله عز وجل له على ذلك
من القدرة يوخذ ذلك من كونه يعقد في شيء ويوثر ذلك العقد في بني ادم وفيه دليل على حرمة الطاعة
وحرمة من اهل العمل بها كيف لا يضرهم شيء من انس ولا من غيرهم يوخذ ذلك من حل العقد ووجود
النشاط في اليوم بعده زيادة في الخير فسبحان من جعل الخير في التوفيق ويسره على اهله جعلنا الله منهم بمنه عن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اما ان احدكم اذا اتى اهله قال بسم الله اللهم جنبنا
الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان ظاهر الحديث يدل على
ان من سمى الله تعالى عند اتيانه اهله وذكر ذلك الدعاء المذكور فيه فانه اذا قضى بينهما بمولود لا يضره
الشيطان والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معنى لم يضره هل ذلك مطلق طول حياته او عند
الولادة لان كل مولود يولد يطعن الشيطان في خاصرته فمن ذلك هو صراخ المولود عند وقوعه من بطن
امه الا عيسى عليه الصلاة والسلام فانه لم يقربه الشيطان واما سيدنا صلى الله عليه وسلم فعند ولادته
وقع عليه الصلاة والسلام معتمدا على يديه رافعا طرفه الى السما وتلقته الملائكة ورجمت الشياطين بالشهب
من السما وطفيت نار فارس واربع ايوان كسرى فظهر لصلى الله عليه وسلم نور سدا للفضا وظاهر الحديث
يعطي العموم وانه لا يضره طول حياته ويكون معنى قوله لا يضره الشيطان لا يقدر عليه باغواء ويكون من
قال الله عز وجل ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين فانظر الى هذا الخير العظيم
ما اعظمه وذلك بقليل من الفعل لكن مع ذلك ما اقل فاعله فما ينفع البيان اذا وقع الحرمان وهنا بحث
وهو متى تكون التسمية ذكر بعضهم انها تكون عند الايلاج وقد جاء من طريق احزان يسمي خاصة وانه

تكون

تكون الحماية للمولود مثل ما ذكر في هذا الحديث وفيه دليل على ان نجح الاسباب في وقع المضار في الدارين
ذكر اسم الله تعالى ما في هذه الدار فيما نحن بسبيله وما اشبه ذلك من الاي والاحاديث مثل قوله
صلى الله عليه وسلم ما عمل ادمي من عمل انجاه من عذاب الله من ذكر الله والاي والاثر في ذلك كثير
ومما يناسب هذا ما ذكر عن بعض المباركين وكان شيخا ضعيفا فبينما هو يوما في بعض اسفاره اذ خرج
عليه لص فيه شجاعة وكان معروفا بذلك ويلقى الجموع وحده وينال منهم ولم يقدر احدان ينال منه
فلما قرب من الشيخ صرعه الشيخ واراد ان يجهز عليه فناشده الله ورغبه في الاقالة فاقاله فلما
تباعد منه عظم الامر عليه لكونه شيخا ضعيفا وغلبه ولم يغلبه احد قبله فتعرض له ثانية ففعل به كما
تقدم ثم سأله ثالثة فساله بم لك هذه القدرة وانا فلان كما تعلم شهرتي وانت كما انت عليه من
الكبر والضعف فقال له ما قاتلت احدا قط الا بسم الله الرحمن الرحيم وكل من عارضني فعلت به
مثل ما فعلت بك فحينئذ تركه ولم يطمع فيه وعلم ان هذا ليس من قوة البشر نكتة موفية وهي
لما كان الجماع اكبر شهوات النفس وآثر هذا المتمثل ذكر اسم الله تعالى على حفظ نفسه اثمرت له هذه الفائدة
العظمى هذا في لحظة من الزمان فكيف بمن اثر ذكره دائما كيف يكون حاله وذلك جاء في التورية
قال الله جل مجده يكرمون من ذكري فانه لهم في الدنيا انس وفي الاخرة جزا او كما قال عز وجل وقال
عز وجل في كتابه العزيز الا بذكر الله تطمئن القلوب فلا يحصل الطمانينة والخير الا بذكره جل جلاله
وقد جاء في بعض الاثار ان رجلين على طريقين احدهما ينفق المال والاخر يتم الذكر لكان الذي يتم
الذكر ارفع والكر اجر وفيه ان من ادب الشريعة حسن الكنايات كما تقدم في الحديث قبل يوخذ
ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم في اهله فكنى عليه الصلاة والسلام بالاتيان عن الجماع وفيه دليل
على حسن بلاغته صلى الله عليه وسلم يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم فرزقا ولدا لم يضره الشيطان
وسكت عن حالها كيف يكون لانه اذا كان من اجل فعل الاب ذلك الخير وصلت العناية الى المولود
فمن باب احرى القابل وصاحبه كما قال عليه الصلاة والسلام في قارئ القرآن والديه يتوجان يوم القيمة
تاجين من ذهب يضيئ ان لاهل عالم تلك الدار كما تضيئ الشمس في بيوت اهل الدنيا او كما قال عليه

الصلاة والسلام فاذا كان يفعل بوالديه من اجله ذلك الخير فكيف يكون حاله هو فكلمت عليه الصلاة والسلام
عن حال الفاعلين لدلالة الكلام على حسن حالها وفيه دليل ان الولد يلحق في الدين بابيه يوخذ ذلك من
قوله عليه الصلاة والسلام اما ان احدكم اذا اتى اهله ولم يفرق بين الاهل ان تكون مسلمة او يهودية
او نصرانية لان هؤلاء مما ابيح لنا نكاحهن فلما ان كان الولد ملحوقا بالاب في دينه كان عمله يوثر فيه
وفيه دليل على الولد يطلق لغة على الذكر والانثى يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم فرزقا ولدا
وفيه دليل على اضافة الولد الى الوالدين بالفضل لا بالاستحقاق يوخذ ذلك من قوله صلى الله
عليه وسلم فرزقا ولم يقل كسبا ولا فعلا كما قال عز وجل في كتابه العزيز افرايتم ما تمنون ءانتم
تخلقونه ام نحن الخالقون افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون فانظر الى هذه القدرة
العظيمة والفضل العميم كيف باح عز وجل لنا التمتع بشهوة الجماع وتفضل علينا بالولد ثم اضافه الينا
واثنا بنا على ذلك وجعل لنا فيه المنفعة في الدارين ثم بين لنا ان الذي اضافه الينا من التسبب في الولد
واثبتا عليه انه في الحقيقة ليس من كسبنا وانه منحة ومنة منه عز وجل لنا لنقدر قدر النعمة ونتلقاها
بالشكر فتكثر الفائدة ونحذر من الطرف الاخر وهو ان نميل اليهم فتكون النعمة تشغل عن المنعم
قال عز وجل في كتابه يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك
فاولئك هم الخاسرون فمن فهم المقصود اشتغل بالمنعم فحصل له رضى المنعم وكثرة النعم كما
قال جل جلاله اعملوا ال داود شكرا وقليل من عبادي الشكور لكن وجود الغفلة اوجب حب النعم واشتغل
عن المنعم وحبك الشيء يعمي ويصم وفيه دليل على انه اذا صلح الاصل صلح الفرع يوخذ ذلك من قوله عليه
الصلاة والسلام اما ان احدكم اذا اتى اهله قال بسم الله فانه لما كان بمقتضى الحكمة على ما اخبر به الصادق
صلى الله عليه وسلم في غير هذا الحديث ان العظم والعصب الذي هو اصل هذه الخشبة هو من ماء الرجل وان
اللحم والشعر من ماء المراة فلما صلح حال الرجل الذي من مائه يكون اصل هذه البنية لم يلتفت الى حال
المراة لانها في حكم البيع وفيه دليل لمقتضى اللغة وهو انه اذا اجتمع المذكر والمونث غلب في الخطاب وفي الاخبار
المذكورة وان قل يوخذ ذلك من انه لما ان كان الولد من ماء الرجل والمراة غلب عليه الصلاة والسلام

التذكير

التذكير على التانيث واعطى الحكم للرجل فانه اذا فعل ما امر من التسمية حسن حاله وحال الولد ولم يكن
للمراة ذكر وفيه دليل على انه اذا صلح الراعي صلحت الرعية يوخذ ذلك من ان الرجل هو الراعي على اهله
وولده كما تقدم في الحادي قبل فلما صلح حاله بامتثال ما امر به من التسمية صلح حال المراة والولد
بعده ومن هنا فاق اهل التوفيق غيرهم لانهم نظروا الى الاصول فاصلحوها فصلحت لهم الفروع
والاصل عندهم هو حقيقة الايمان والمعرفة بالمعبود على ما هو عليه من الجلال والكمال فلما تحقق
بهذين الامرين حتى رجعاله حالا اتاه التوفيق فيما سوى ذلك وكذلك لما تحقق الامام علي رضي الله
عنه وعن الصحابة اجمعين كان من دعائه اللهم انك كما احب فاجعلني كما تحب فانظر الى هذا الكلام
العجيب من هذا الحبيب لان العبد انما يحب ان يكون مولاه غنيا كريما رحيما قويا محسنا عفوا غفورا ومولانا
جل جلاله جمع هذه الاوصاف وزيادة من اوصاف الكمال ما لا يحصى فهو كما تحب وهو القادر والعبد
الضعيف العاجز يرغب منه ان يجعله كما يجب من علينا بذلك بفضله عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب ولا تحينوا بصلاتكم
طلوع الشمس ولا غروبها فانها تطلع بين قرني شيطان او الشيطان لا ادري اي ذلك قال
ظاهر الحديث يدل على النهي عن الصلاة عند ظهور حاجب الشمس حتى تبرز وعند غروبها حاجبها
ايضا حتى تغيب والكلام من وجوه منها هل هذا النهي على عمومه في المكتوبة وغيرها او في النافلة لا غير
او هذا في النافلة مطلقا ما كان منها ما مورا به ومرغبا فيه او ما كان بنفل دون امر به وترغيب فيه
مثال المامور به تحية المسجد وما اشبهها والمرغب فيه مثل سجود التلاوة وما اشبه ذلك وهل
اذا بدت كلها تجوز الصلاة او حتى ترتفع فالجواب عن الاول وهو قولنا هل ذلك في المكتوبة او غيرها
اما المكتوبة فلا يخلوا ان يكون نسيها او نام عنها او غير ذلك فان كان تركها عن نوم او نسيانا
فليصليها متى ما ذكر في ذلك الوقت المنهي عنه وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاته
او نسيها فليصليها اذا ذكرها فذلك وقتها واما ان كان تاخيرها لعذر شرعي مثل الحايض تطهر
والغلام يحتلم فذلك وقت ادائها في حقها وما اشبههما من اهل الاعذار الشرعية وان كان تاخيرها

لذلك الوقت مع الذكر والقدرة فقد اختلف العلماء فيه فمنهم من قال انه مؤد وافتدى فيه لذلك بقوله صلى
الله عليه وسلم من ادرك ركعة من العصر قبل ان تغرب الشمس فقد ادرك العصر واما ان كانت الصحة
فقد خرج الوقت وهو اتم بلا خلاف ومنهم من قال انه في صلاة العصر مؤد اتم لقوله صلى الله عليه وسلم
يجلس احدكم حتى اذا اصفرت الشمس وكانت بين قرني الشيطان او على قرن الشيطان قام فنقر
اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا فتلك صلاة المنافقين فتلك صلاة المنافقين فتلك صلاة المنافقين وهو مشهور مذهب
مالك واما ابتداء نافلة من غير ان يعارض هذا الحديث امر كما تقدم او ندب فلا خلاف اعرفه فيه واما اذا كان
يعارضه ندب او ترغيب كما ذكرنا فاختلف العلماء في ذلك على قولين فمنهم من اجاز وهو مذهب الشافعي رحمه الله
ومن تبعه ومنهم من منع وهو مذهب مالك رحمه الله ومن تبعه الا ان في مذهب مالك رحمه الله في
الصلاة على الجنازة قولين من اجل الخلاف هل هي على الوجوب امر لا وكذلك في سجود التلاوة في مذهب
مالك رحمه الله قولان ايضا واما الجواب على جوازها ابدا الفرض كله فالظاهر من الحديث الجواز وقد
جاء في سنن ابي داود حتى ترتفع قدر الرمح وقد جاء في اثر اخر حتى ترتفع قدر عصاتين وعلى ارتفاعه قدر
الرمح هو العمل عند الفقهاء لان هذا الحديث جاء مجملا ولا نص تحديد الوقت فيكون الذي جاء فيه نص تحديد
الوقت مبينا لهذا على عادة اهل الحديث في ذلك وقوله عليه الصلاة والسلام ولا تحينوا بصلاتكم معنا
تتحروا بها وتقصدوا طلوع الشمس ولا غروبها وقوله عليه الصلاة والسلام فانها تطلع بين قرني الشيطان
او الشيطان الشك هنا من الراوي وفيه دليل على فضلهم وتحريم في النقل كما تقدم في غيرها موضع
وهنا يجب في قوله عليه الصلاة والسلام بين قرني الشيطان هل هذا على ظاهره او هو على معنى اخر وان
كان ظاهره كيف تكون الكيفية والشمس انما هي في السماء الرابعة والشياطين ممنوعون من سماء الدنيا
فكيف بالرابعة فالجواب والله اعلم ان قلنا انه على ظاهره فقد جاءت صورة الكيفية في ذلك وهو انه
ينتصب لها عند طلوعها وكذلك عند الغروب وكل شيء ينتصب للشمس في ذلك الوقت عند ظله على
الارض ثم يغوي للكفار الذين يعبدون الشمس فيسجدون لها فيكون قد سجد الظل قرنه وهو يقنع من
ابن ادم بما امكنه من اي وجه قدر ويغوي المومنين المصليين حتى يتحروا بصلاتهم ذلك الوقت

فيحصل

فيحصل له في عبادتهم مشاركة ما وقد قالت عائشة رضي الله عنها في قول مولانا جل جلاله اضاعوا الصلاة
واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا والله ما تركوها وانما اخروها عن وقتها وتشبيه مكيدته هنا كما فعل
نحوا حين حملت فخوفها مما في بطنها ثم قال سميه عبد الحارث لان اسمه الحارث ورجاها بكل خير اذا سمته
بذلك كما نص الله عز وجل على ذلك في كتابه حيث قال فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن
من الشاكرين فلما اتيهما صالحا جعلا له شركا فيما اتيهما فتعالى الله عما يشركون واحتمل ان يكون على
معنى ثان وهو انه لما كان هذا وقت تعبد الكفار وجميع تعبدات الكفار انما هي من الشيطان
فكان هذا الوقت مما يعبد فيه الشيطان وقد نهينا ان نتشبه باهل الكتاب فكيف بغيرهم واحتمل
الوجهين معا وفيه دليل على كثرة ما خص الله تعالى به هذه الامة من الخير بهذا النبي الكريم
صلى الله عليه وسلم الذي بنهينا على جميع ما يعبد دوننا بمثل هذا الحديث والاحاديث التي تقدمت
والتي بعد حتى لم يبق له مكيدة الا نبهنا عليها وبين لنا المخرج منها والحرز منها صلى الله عليه وسلم
افضل الصلاة والسلام وفيه وفيما تقدم من الاحاديث دليل على كثرة اشتغال هذا العدو بنا وانه
لا يغفل ويترتب على ذلك من الفقه التيقظ لذلك والاشتغال بقهره وزجره والاخذ فيما يقنطه
من الاقوال والافعال وتقطع ظهره اعاننا الله على ذلك بمنه وفيه دليل على عظيم لطف الله تعالى
بهذه الامة الذي جعل لها المخرج من ذلك كله بايسر الامور واقربها وهو ذكره عز وجل والتعلق
به يوخذ ذلك من قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم
ففي نفس الاستعاذة به عز وجل ذهب به جميل العدو كلها يا لها من نعمة لكن قل فاعلها الا ان صاحب الجميل
محروم لانه يتبع عدوه دون حجة ولا برهان ثم يوخذ يوم القيمة بقوله وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم فمن الحق مصاحبة العدو ومعاداة
الحبيب جعلنا الله من عادى عدوه وصحب حبيبه بمنه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ياتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق
ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله وليتفله ظاهر الحديث الاخبار باستدراج الشيطان بكلامه

لحديث التاسع والستون

بالحق او لالكن يضل به الى القاء الباطل ليقع بالاصغاء اليه الخلل في الايمان وهو اكبر مقصوده والكلام
عليه من وجوه منها ما ذكرنا في الحديث قبل من كثرة حيله علينا واشتغاله بنا ومنها ايضا كثرة
نصيحة سيدنا صلى الله عليه وسلم لنا وتنبيهه عليه الصلاة والسلام على عداوته ومكايده ومنها تعليمه
صلى الله عليه وسلم للناس كيف الخروج منها ومنها عظيم لطف الله بنا الذي جعل لنا المخرج من هذا
الامر العظيم بايسر الاشياء وهي الاستعاذة به عز وجل يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم
فليستعذ بالله وفيه دليل على ان مولانا جل جلاله منزه عن ان يكون من شيء يوخذ ذلك من قوله
عليه الصلاة والسلام حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ بالله اي ان هذا محال فليستعذ
بالله من ذكر المحال وقد تقدم الكلام على هذا في اول الكتاب من طريق العقل والنقل بما فيه كفاية
فاغنى عن ذكره هنا وفيه دليل على ان الخطرة من الشر لا يواخذ بها يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة
والسلام فاذا بلغه فليستعذ بالله اي اذا استعذتم بالله فلا تواخذون بتلك الخطرة ولا
تضركم ولذلك قالت الصحابة رضوان الله عليهم انا نجد في نفوسنا ما يتعاظم احدنا ان يتكلم به
فقال عليه الصلاة والسلام اوجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان اي في تعاظم الامر ودفعه
لا في نفس وجوده وهو مما يشبه هذا المعنى الذي نحن بسبيله وفيه دليل على ان اغوا العدو لا يكون
الا مع الغفلة يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام وليتنبه لانه لو كان منتبها لما اصغى
الى قول عدوه حتى استدرجه الى محض الباطل ولذلك يذكر عن عيسى عليه السلام انه لقيه اللعين
فقال له قل لا اله الا الله فقال له عيسى السلام كلمة حق ولا اقولها عن امرك هكذا يكون التحرز
من العدو لانه اذا ثبتت لعداوة فلا يطمع منه في خير اصلا وان كان ظاهر ما يقوله خيرا
فانه في الضمن شر وكذلك ينبغي ان يتحرز من اتباعه فانهم منه ومثله وفيه دليل على ان الايمان
الكامل لا يكون الا مع الانتهاء عن المنهيات يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام فلينتبه
فلو كان كامل الايمان كان منتهيا وقد نص صلى الله عليه وسلم على هذا حيث قال الملوسن كيس حذر
فطن وفيه دليل على ان اليقظة علامة الخير وانه لا يكون الا فيمن اراد الله تعالى به الخير يوخذ

ذلك

ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم فليستعذ بالله وينتبه وقد قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم
طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فجعل عز وجل ذلك من صفة المتقين والمتقون هم
اهل الخير والسعادة في الدارين وقد قال غفلت ومن غفلتي اتيت عن عمران بن حصين عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء واطلعت في النار فرايت
اكثر اهلها النساء ظاهر الحديث الاخبار بان اكثر اهل الجنة الفقراء وان اكثر اهل النار النساء والكلام
عليه من وجوه منها الكلام على هولاء الفقراء وهل هم كل من هو عديم لا مال له او هو بشرط زايد على
ذلك ومنها الكلام في النساء ايضا هل ذلك لعلة تعقل او اي نساء كن ومنها هل رويته عليه الصلاة
والسلام لدارين حقيقة او هو من قبيل التمثيل فاما الجواب عن الفقراء هل ذلك محمول على كل
من كان عديما من المال فليس الحديث على عمومه بدليل ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في حق
وصف الفقراء الذين لهم المزية على الاغنياء في قوله عليه الصلاة والسلام في حق وهان الفقراء يدخلون
الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام من اعوام الدنيا فقام اليه فقير فقال يا رسول الله
انا منهم قال له الك ثوبان اذا غسلت لواحد لبست الاخر قال نعم قال لست منهم فقام ثان
فقال يا رسول الله انا منهم وليس لمن تقدم اي ليس له الا ثوب واحد فقال له الك غذا وعشا
قال نعم قال لست منهم فقام ثالث فقال انا منهم وليس لمن تقدم قال الك بيت تاوي اليه
قال نعم قال لست منهم فقام رابع فقال انا منهم وليس لمن تقدم فقال اتصبح وتمسي وانت راض
عن الله قال انت منهم وكما قال عليه الصلاة والسلام وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنا
بكثرة العرض وانما الغنى غنى النفس وكذلك يلزم في الفقير من طريق النظر اذا كان الفقير لا يقوم بما
فرض الله عليه فكيف يدخل الجنة وقد قال صلى الله عليه وسلم اول ما يحاسب به العبد الصلاة فاذا قبلت
منه نظر في سائر عمله وان لم تقبل منه القي في النار او كما قال عليه الصلاة والسلام فاذا كان فقراء
تاركين للصلاة فكيف يدخلون الجنة حتى يكونوا من اكثر اهلها فدل بهذه الاحاديث ان الحديث
ليس على عمومه في جميع الفقراء وانما يكون معناه ان المؤمنين الذين ياتون بما امروا به اكثرهم فقراء

وكذلك جاء ان اول اتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام هم الفقراء لان الاغنياء تمنعهم من الاجابة
كثرة حطام الدنيا والاشتغال بها وان دخلوا في الاسلام قل ما يخلصون انفسهم من كثرة ما يترتب
عليهم من الحقوق الا من ايده الله تعالى منهم بمعونته والفقراء قل مونة وارق فئدة فيحتاجون يكونوا
اكثر اهل الجنة وقد روي الحسن البصري انه وقع نار في البصرة فاخرج مصحفا له وخرج وقال يا اهل
البصرة فار المخفون ما لي في بلدكم غير هذا يعني مصحفه يشير لهم الى هذا المعنى لانه بقلة دنياه نجا من نار
البصرة بنفسه وبكل ما معه فكذلك في الدار الاخرة وانتم يا اصحاب الاثقال والحطام كما وجدتم هنا بانفسكم
ولا تقدرون على التخلص من نار البصرة فكيف بكم في الدار الاخرة وقد قالت عائشة رضي الله عنها لعبد الرحمن
بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك تدخل الجنة حبوا وكان عبد الرحمن رضي الله عنه
حبيا كان من الفضل الله اذ كان اغنى اهل عصره لكثرة المال فوجب كثرة الحساب وكثرة الحساب يبطيء
بصاحبه عن الجنة وان كان يتخلص فلما سمع ذلك منها وكان قد اتته تمانون بعيرا من الشام بالمتاع وهي
والغلمان الذين كانوا اتوا بها وما كان عليها الكل له فقال رضي الله عنه هي في سبيل الله بكل ما عليها والذين
اتوا بها لعلي ادخلها مشيا وفيه دليل اكثر الصالحين الفقراء يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام اكثر
اهلها الفقراء وفيه دليل على ان الغالب على الاغنياء عدم التوفيق يوخذ ذلك من كونهم قليلين في الجنة
وفيه دليل للزاهدين الذين رفضوا الدنيا لكون حرامها عذابا وحلالها حسابا فلا راحة فيها لصاحبها
يوخذ ذلك من ان اكثر اهل الجنة الفقراء واما الجواب عن النساء وكونهم اكثر اهل النار فقد بين صلى الله
عليه وسلم علة ذلك في غير هذا الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام يكفرن العشير ويكفرن الاحسان
لو احسنت الى احدهن الدهر كله ثم رات منك شيئا قالت ما رايت منك خيرا قط وفيه دليل
على ان الاعمال سبب لدخول الجنة او النار لانه عليه الصلاة والسلام قد علل كثرة دخول الجنة
بالفقر والنار بكفر العشير وقد قال عز وجل بما كسبتم وبما اسلفتم والاي والاحاديث في ذلك كثيرة
وفيه بالضمن التحريض على حسن العمل والنهي عن سيئه واما قولنا هل راهم حسا او تمثيلا احتمل
الوجهين معا والقدرة صالحة لهما وفيه دليل لاهل السنة الذين يقولون بان الجنة والنار مخلوقتان

حسا وجودتان يوخذ ذلك من جعله صلى الله عليه وسلم لكل واحد منهما اهلا من بني ادم وبنوا ادم محسوسون
ولا يستقرون الا في محسوس ايضا وفيه دليل على ان الخير والصلاح في الرجال اكثر من النساء يوخذ ذلك من
ان اكثر اهل النار النساء وهذا الحديث منه صلى الله عليه وسلم تسلية للفقراء حتى يطيب لهم حالهم فانه اذا كانت
تلك الدار المباركة هم اكثر اهلها ارتاحت نفوسهم بذلك فما ارفقه صلى الله عليه وسلم بامته واكثر ايناسه
لهم فجزاه الله عنا خير جزاء بمنه والحمد لله رب العالمين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يمخطون ولا يتغوطون
آنيتهم فيها الذهب ومشاطهم فيها من الذهب والفضة ومجامرهم اللوالوة او اللولوة ورشحهم المسك ولكل
واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب
واحد يسبحون الله بكرة وعشيا ظاهر الحديث الاخبار بحسن اول زمرة يدخلون الجنة وما لهم من
النظافة وحسن ازواجهم والزمرة الجماعة والكلام عليه من وجوه منها لم شبه عليه الصلاة والسلام
صورهم بصورة القمر ليلة البدر وذلك لانه اجمل شيء في هذه الدار ولو كان شيء في هذه الدار
اتم جمالا منه لشبههم به وفيه بحث وهو لما قال عليه الصلاة والسلام صورتهم ولم يقل وجوههم
والجواب انه عليه الصلاة والسلام ما اراد من تمثيل صورتهم بصورة البدر انهم مثله ليس الا وانما
القمر هو نور وليلة البدر كمل نوره فيكون معنى التشبيه انهم نوريون في اتم ما يكون من النور
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لو ان رجلا من اهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما
تطمس الشمس ضوء النجوم وقال عليه الصلاة والسلام لو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت الى
الارض لاضاءت ما بين الدنيا وما فيها ولملات ما بينهما ريحا ولنصيفها يعني خمارها خير من الدنيا وما
فيها فاذا كان سواره يطمس ضوء الشمس فكيف يكون وجهه مثل البدر هذا مستحيل فبان
ما اشرنا اليه انه عليه الصلاة والسلام ما اراد الا تمام نورهم بحسب نور تلك الدار فكذلك شبه
عليه الصلاة والسلام بالصورة ولم يذكر الوجه ولا شيا من الحواس كما مثل مولانا جل جلاله فرسهم
فقال بطائنها من استبرق الذي هو اعلاها في هذه الدار ولم يخبرنا عن الوجوه لانه ليس في هذه

الحديث الحادي والسبعون بعد المائة

الدار شيء يشبهها وفيه دليل على ان حسن الخلقة من جملة النعم وفيه ايضا ما يقوي ما قلناه لانه اذا
كانت زوجاته يرى من احداهما مخ الساق منها الذي هو داخل العظم من وراء الجلد ومن وراء
سبعين حلة فكيف يكون وجهها فيرى الساق منها اجمل من القمر هنا فكيف لو جد وهنا بحث لهم
قال عليه الصلاة والسلام زوجتان وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اقل اهل الجنة منزلة يكون
له اثنتان وسبعون زوجة وثمانون الف خادم فاذا كان اقلهم منزلة باثنين وسبعين فكيف
باعلاهم والجواب والله اعلم ان حسن هاتين الزوجتين هو اعلا حسن الزوجات هناك ومن
اجل ذلك فضل هؤلاء بان اعطوا منهن اثنين ويكون ذلك مثل شراب اهل الجنة المقربون يشربون
من عين التسنيم ويمزج به شراب الغير كما اخبر الحق جل جلاله بقوله تعالى ومزاجه من تسنيم عينا يشرب
بها المقربون حتى يكون لهم التفضيل في كل شيء في الجمال والازواج والشراب وكذلك الفواكه كما اخبر
بقوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون وقال تعالى في اصحاب اليمين وفاكهة كثيرة ففي مثل هذا فليتنافس
المتنافسون وقد ذكر عن بعض المتعبدين انه راه بعض اخوانه قد اجهد نفسه في العبادة فاخذ
يندبه في الرفق قليلا فقال له لا قدر لاني رايت فيما يري النائم حورية من حور العين لها حسن
وجمال فقلت لها لمن انت فقالت لك وانا احبك واخاف ان تفتر في العبادة فافوتك فعاهدتها
على ان لا افتر حتى يجمع الله بيننا فلا يمكنني نكث العهد وقوله عليه الصلاة والسلام لا يبصقون
فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون اعلاما منه عليه الصلاة والسلام تنزيه تلك الدار عن الفضلات
المستقذرة وعن النجاسات بخلاف هذه الدار وفي ذلك دليل على عظيم قدرة الله يوخذ ذلك
من كون اهل تلك الدار ليس لهم غائط ولا بول ولا فضلة مستقذرة مع كثرة اكلهم لانه قد اخبر
صلى الله عليه وسلم انه يوتى المومن بقدائد في مائدة يكون عليها الف زبد يه من الفضة في كل زبدية
لون لا يشبه غيره يعني في الطعم وكما قال عليه الصلاة والسلام ياكل من اخرها مثل ما ياكل من
اولها وهنا اذا اكل زيادة يسيرة تخمت معدته وكثرت فضلاته فهذا دل دليل على عظيم القدرة
وان الاشياء هي بمقتضى الارادة لا بالعادة ولا بالالزام وقوله عليه الصلاة والسلام اينتهم

فيها

فيها الذهب فيه اخبار بالتمتع هناك بالذهب وهو هنا محرم وقوله انيتهم يعني على اختلافها من
الذهب وقد قال عليه الصلاة والسلام في حق الكفار هو لهم في الدنيا وهو لنا في الاخرة يعني الاواني
الذهب وفي اخباره عليه الصلاة والسلام بهذا دل دليل على سعة رحمة الله تعالى وغناه عن جميع
خلقه يوخذ ذلك من كونه عز وجل قد اعطى الكفار هنا ان يستمتعوا باواني الذهب والفضة مع كفرهم
حتى لا يحرموا منه بالكلية وكذلك جعل الله لهم حظا من النعم في هذه الدار وفيه ايضا دليل لاهل
الصوفة الذين يقولون ان اسماء الله عز وجل كلها لا بد ان يظهر من كل اسم اثر في العباد يدل عليه
فمن اسمائه عز وجل كلها الرحمن فاعطى من مدلول هذا الاسم نسبة للكفار في هذه الدار من التوسيع
كل بحسب ما شاء الله تعالى وما قسم وهنا بحث وهو ان يقال ما حاجتهم لاتخاذ الامشاط
وهم ليس معهم قذر ولا هوام ولا شيء يوذيهم فالجواب انه قد يكون اتخاذها على جهة التنعم
والترفه لانها مما يزيد بها الحسن وان لم يكن هناك قذر ولا هوام يوذي وفيه دليل على
كمال نعم تلك الدار وهو قوله عليه الصلاة والسلام ومجامرهم الالوة فيه دليل على فضل هذا
العود الذي منه مجامر اهل الجنة وهو ايضا مثل ما تقدم في الامشاط لان اتخاذهم المجامر
لغير ضرورة بل هي من جملة الترفيه وقوله عليه الصلاة والسلام ورشحهم المسك الكلام
عليه مثل الكلام على صورتهم صورة البدر لانه اجل المشمومات في هذه الدار وما بين ذلك
ما ذكره قبل من قوله عليه الصلاة والسلام وملات بينهما ريحا فان هذا من المسك لكن يكون
نسبة السائل ان عرقهم من اجل طيب تلك الدار كما ان المسك هنا من اجل الطيب في هذه الدار
وقوله عليه الصلاة والسلام لا اختلاف بينهم ولا تباغض الى اخر الحديث فيه من الفقه
ان من اكمل النعيم اتفاق العيال لانه من جملة سرور النفس ولذلك كان بعض السادات
اذا راى تغيرا في خلق اهله قال زلة وقعت مني فيرجع فينظر ما في النفس حتى يجد تلك الغفلة
التي وقعت منه لانه لا يكون مع الرضا والاستقامة تشويش وفيه دليل على توافق شهوا تهم
يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام قلوبهم قلب واحد وفيه دليل على ان سبب

الافتراق في هذه الدار ما في القلوب من التباغض والضغاين فلما طهرن هناك القلوب كما اخبر
جل جلاله بقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل جاء الود والسرور التام وفيه دليل على ان حال اهل تلك
الدار على حالتين تسبيح الله تعالى مرة ونعم اخرى يوخذ ذلك من كونه عليه الصلاة والسلام اخبر عن
تسبيحهم في الزمان بقدر ما اخبر مولانا جل جلاله عن قدره في اكلهم بقوله عز وجل ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا وقد جاء انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس فصح لهم نعيم دائم مختلف الوجوه
جعلنا الله منهم بفضله وصلى الله على سيدنا محمد الكريم واله عن انس بن مالك عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ظاهر الحديث
الاخبار بحسن ثم الجنة اذ ان الراكب يسير في ظل الشجرة الواحدة مائة عام لا يقطعها لانه كلما
كثر ظل الشجرة عظم حسنها والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما فايدة الاخبار بهذا وما يترتب
عليه من الفقه اما فائدة الاخبار ففيه وجوه منها الدلالة على عظيم قدرة الله تعالى لان خلقه عز وجل
لتلك الشجرة على ذلك القدر بلا معالجة احد دال على القدرة العظيمة التي ليس كمثلها شيء وفيه دليل
على اطلاعه صلى الله عليه وسلم على امور الاخرة فهو تقوية في الدلالة على رفع منزلته عليه الصلاة والسلام
عند تلك الدار وفيه تشويق السامع اذا كان من اهل التصديق والترغيب له في العمل عليها ويترتب
عليه من الفقه قوة الايمان وهو اعلى المراتب فهو اذا صدق الصادق صلى الله عليه وسلم فيما انبا اخبر
عظم قدر القادر في قلبه وذلك قوة الايمان ولا تبلغ بعمل لان زيادة ذوق في الايمان خير من عمل الدهر
لان المولى جلا له قد مدحهم بذلك حيث قال يومنون بالغيب وهنا بحث وهو ان يقال لم ذكر عليه الصلاة
والسلام الشجرة نكرة ولم يعرفها فالجواب انه لما كان المقصود ما ذكرناه من الفايدة على اختلافها
كان من الحكمة تنكيرها اتم في الشان بدليل ان شهوات الناس في الثمار المعينة مختلفة مثال ذلك قد يكون
بعض الناس يحب شجر التين ولا يحب شجر الجوز وبالعكس فقد كان يحصل لبعض زهادة في تلك الشجرة
فكان التنكير اولى وفي هذا دلالة على ما من الله عز وجل به على سيدنا صلى الله عليه وسلم من تمام المعرفة
بالاشيا وحسن رشاده لامته وحسن سياسته في شانه كله وفيه دليل على ان مسمى الراكب في الغالب

اكثر من غيره ولذلك مثل به عليه الصلاة والسلام وهنا بحث ايضا وهو ان يقال لم قال الراكب ولم يعين
اي راكب هو وما المركوب لان للركوبات تختلف في اجناس مثل الخيل والحمير والابل وكل جنس منها
تختلف في السرعة والابطا اختلافا كثيرا والجواب هنا كالجواب عن الشجرة سوا وقد يحتمل وجها اخر
وهو ان يوخذ بالوسط من ذلك حتى يكون فيه طريق لمعرفة قدرها وفيه دليل على ارتفاع هذه الشجرة
وعظمها لان ما يكون ظلها هذا القدر يكون ارتفاعها اكثر من ذلك وجاء ان المومن اذا اشتهى من جنا
ثمرة ما هو في علا الشجرة انه يتدانى له حتى ياخذه بيده والمومن على اي حالة كان عند اشتهائه
ذلك من قيام او قعود او اضطجاع فسبحان من هذه قدرته وابداع حكمته جعلنا الله ممن جعله من
سكانها بالامنة انه ولي حميد عن رافع بن خديج سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول الحمى من فور
جهنم فابردوها عنكم بالماء ظاهر الحديث الاخبار بان الحمى من جهنم والامر بابرادها عنا بالما
والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل هذا على العموم في الحميات كلها ام لا ان منها ما هي باردة
ومنها حامية سخنة وهل معنى ابردوها هو ما يعلم من هذه الصفة بالعادة وهو ضد الحر ويكون معناه
ان يلوها فيكون هذا على التداوي وكيف يكون الابراد بالما هل من الخارج او من الباطن او من مجموعها
والجواب عن الاول هو هل هذا على العموم في الحميات كلها او في السخنة منها فالجواب ان هذا الاخبار
منه عليه الصلاة والسلام هو على طريق الشفقة منه والرحمة من الله تعالى فينبغي ان يوخذ على
اتم المحتملات لانه ابلغ في الفائدة والذي يدل عليه حقيقة اللفظ والوجه الاخر وان كان
محتملا فليس بالقوي لانه يحتاج الى تقدير ضمير في الكلام وحمل الكلام على ظاهره اولى من ادخال
ضمير فيه سيما اذا لم يكن هناك معارض فكيف اذا كانت الفائدة اكثر مما يصدق هذا الوجه قوله عليه
الصلاة والسلام انها من فور جهنم وقد جاء في الحديث ان النار اشتكت الى ربها فقالت
يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لي بنفسين في كل عام نفس في الشتا ونفس في الصيف فما كان من شدة
الحر فمنها وما كان من شدة البرد فمنها فعلى هذا فجميع الحميات على اختلافها هي من جهنم فينبغي
تبريدها بالما لكن لمن يكون له تصديق بالحديث كما قال مولانا جل جلاله في العسل فيه شفاء للناس

وكان ابن عباس رضي الله عنه اذا رمدت عيناه يكتحل به ويتلو الاية فيبرا وكان ابن عمر رضي
الله عنه اذا طلع له نبت يطليه به ويتلو الاية فيبرا وقد جاء بعض المتاخرين واستعمله على تلك النية
فجعل له فيه شفاء لكل شيئ والحديث المانور الذي فيه قوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب
بطن اخيك في رجل اشتكى له عليه الصلاة والسلام جريان بطن اخيه فقال له عليه الصلاة والسلام
اسقيه عسلا ففعل ثم اتاه بعد ذلك يشكو اليه ان الامر على حاله فقال اسقه عسلا ثم اتاه الثالثة
او الرابعة كذلك ثم سقي به فقال عليه الصلاة والسلام صدق الله وكذب بطن اخيك وقول
قوله عليه الصلاة والسلام في الحبة السوداء شفاء من كل داء الا السام الباب في هذا كله واحد
فاهل التوفيق والتحقيق اخذوها كلها على العموم فوجدوها كذلك والاخبار في ذلك عنهم كثيرة ومما يقوي
طريقهم المباركة قوله جل جلاله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فينبغي ان تبقى الرحمة على عمومها
لانها من ارحم الراحمين للضعفاء المساكين وهو عز وجل يعلم ضعفهم واحتياجهم اليه واما الجواب
عن قوله ابردوها فيحتمل الوجهين على انفرادهما واحتمل مجموعهما وهو الاظهر للعلة التي قدمناها انفا
لانه من باب الرحمة فينبغي اخذ تم الوجوه وهو جمع الوجهين معا فيحصل له التبريد على بابه والشفاء
بمقتضى ما اصلناه اولا وهو الحق الذي لا ينبغي ان يشك فيه واما كيف يكون الابراد بها من خارج او
ضده او المجموع فقد جاءت الصفة عنه عليه الصلاة والسلام وهي حين حم في مرضه الذي توفي فيه صلى
الله عليه وسلم فقال خذوا الي ماء من سبع قرب لم تحل اوكيتهن بعد واسكبوه بعدي فدل بقوله عليه الصلاة
والسلام ان التبريد الذي هو للمداوي هذه صفته لان استعماله في الباطن صاحب الحمى بالعادة
يفعله مما في الغالب منهم لا يقدرون على الصبر عنه وفيه دليل على عظيم قدرة الله تعالى ويوخذ ذلك من
قوله عليه الصلاة والسلام انها من فور جهنم وقد اخرج الى هذه الدار منها ما ذكر في الحديث الذي
استشهد نا به من الحر الشديد والبرد الشديد وقد جاء ان الحمى حظ كل مومن من النار ويظهر في
ذلك من الحكمة على مقتضى هذا الحديث الذي ذكرناه على المومن تحلة القسم اذ هي حظه من النار
وانها للكفار تعجيل نقمة مما اعد له هناك وفي قوله عليه الصلاة والسلام فابردوها عنكم

بالما دليل على ان الحكمة تقتضي مداواة الشيئ بضده ما يكون حارا تكون مداواته بالبارد والبارد
بالحار ووافق في ذلك قول الاطباء في التجربة سواء بسواء وهنا بحث وهو ان الصادق صلى الله عليه
وسلم قد اخبر ان الحمى من فور جهنم والاطباء يقولون انها صادرة عن اخلاط في البدن فهل
يكون هذا من قبيل التعارض ويمكن الجمع بينهما الذي يظهر والله اعلم ان الجمع يمكن بينهما
بوجه وذلك ان الاطباء تكلموا على ما راوه بالتجربة مع مرور الازمنة وهي مقتضى الحكمة واخبر
الصادق عليه الصلاة والسلام بما هو الحق بحسب القدرة فتكون تلك الحمى التي هي من فور جهنم
اذا ارسلت على من شاء الله تعالى من عباده فسد مزاجه وتحركت تلك الاخلاط التي ابصرها
الاطباء فاخبروا ان تلك هي الحمى وسموها اسماء عديدة مثل المطبقة والحارة والربع والغب وغير
ذلك من اسبابها بحسب ما هو منصوص في كتبهم وجاء هذا مثل فعلهم القليل تراهم كثيرا
ما يسالونه هل يطيب له الطعام او لا فاذا ذكر لهم انه يطيب له الطعام فرحوا بذلك وبشروه
بامكان الصحة وان المرض قد ذهب وقد جاء عن الصادق صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه
وتعالى وكل بالطعام ملكا وبالشراب ملكا فاذا شاء الله مرض العبد امر عز وجل ملك الطعام وملك
الشراب ان يزيلا عن العبد طيب الشراب وطيب الطعام فيكون عند ذلك بقدرة الله تعالى
مرض العبد فاذا اراد الله عز وجل برءه امر ذينك الملكان ان يردا عليه طيب الطعام والشراب
فيكون عند ذلك بفضل الله وقدرته عافية المريض فلما راى الاطباء تلك العلامة بدوام التجربة
دال على عافية العليل نسبوها الى نجع طبهم وتاثير ادويتهم ففرحوا بذلك فسبحان من عطى عظيم
قدرته ببديع حكمته جعلنا الله ممن عافاه في الدنيا والاخرة بمنه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قيل يا رسول الله ان
كانت لكافية قال فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها ظاهر الحديث الاخبار
بعظيم قوة حر جهنم وان هذه النار جزء من سبعين جزءا منها والكلام عليه من وجوه منها
الكلام في معنى قوله عليه الصلاة والسلام انها جزء منها هل المراد ان جميع نار الدنيا من اولها

الى احرها هي جزء منها او الجزء الذي احرج للدنيا منها او نفس الحرارة التي خلقت لها والجواب
والله الموفق للصواب اما صيغة اللفظ فيحتمل الثلاثة وجوه على حد سواء واما اذا نظرنا من طريق
الفائدة فيبطل اثنان ويصح الوجه الواحد لانه اذا قلنا انها جميع نار الدنيا من اولها الى اخرها
فهذا لا نعلمه وما لنا طريق اليه فكيف نجعل لنا مثالا بما لا نعرفه هذا لا تقتضيه الحكمة ولا يعرف
من فصاحة العرب وكذلك الكلام على الوجه الاخر الذي هو مقدار الجزء الذي احرج للدنيا
منها فما بقي يصح الا قدر الحرارة التي لها فان هذا المقدار نعرفه بتحقيق الاختبار فعلى هذا يكو
التمثيل بها فائدة وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لوان اهل النار وجدوا مس نار كم
هذه لقالوا فيها وقد جاء ان هذه النار تستعيذ بالله تعالى ان تعاد الى تلك النار وفيه دليل
على ان من حسن الكلام ان يقدم المعلوم في التمثيل ثم الاخبار عن المجهول الغايب اذا اريد
التعريف قدر عظمها وفيه من الحكمة ان الفايدة تسبق للذهن به وفيه دليل على عظيم قدرة الله
تعالى يوخذ ذلك من كون هذه نار وتلك نار الاسم واحد وبينهما في الحرارة هذا التفاوت العظيم
وفيه دليل على ترك التلفظ بالكلام الذي فيه الفائدة اذا كان هناك ما يدل عليه يوخذ ذلك من
قول الصحابة رضي الله عنهم ان كانت لكافية ولم يذكروا فيما اذا علم به وهو العذاب وما يعتمن به
من انواع العذاب بها لان النار في الغالب هذا خلقت وفيه دليل على مراجعة المفضول للفاضل
يوخذ ذلك من قول الصحابة رضوان الله عليهم للنبي صلى الله عليه وسلم ان كانت لكافية
وهنا بحث وهو انه قد تقدم في غير ما موضع من الكتاب ان الصحابة رضوان الله عليهم لا يتكلمون
الا بما فيه فائدة فكيف كان كلامهم هنا في شيء قد فرغ من خلقه بمقتضى حكمة الحكيم فيشبه هذا
تحصيل الحاصل والجواب ان جوابهم بهذه الصيغة كان لفائدة فمنها ان يكون ذلك منهم طمعا
لعله صلى الله عليه وسلم يجاوبهم ذلك في حقهم وحق اخوانهم بامر خاص من التخفيف يوبد ذلك
تعلمهم معه صلى الله عليه وسلم في غير ما موضع مما يشبه هذا المعنى منها حين اخبرهم كيف يقال
يوم القيمة لادم عليه الصلاة والسلام اخرج بعث من النار من بنيك فيقول يا رب وما

بعث

بعث النار فيقول الله تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فبكت الصحابة
رضي الله عنهم عند ذلك فقال عليه الصلاة والسلام من يا جوج وما جوج تسعمائة وتسعة
وتسعون الى النار وواحد منكم الى الجنة فعند ذلك زال عنهم ما كان اصابهم من الرعب وكذلك
حين تلي عليهم قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقالوا ما اطوله من يوم فاخبرهم
عليه الصلاة والسلام انه يخفف على المومن حتى يكون عنده قدر ما توقع فيه الصلاة المكتوبة
او كما قال عليه الصلاة والسلام فزال عنهم ما كانوا وجدوا فهم في هذا الجواب على عادتهم المباركة
المفيدة وفيه ايضا انه عليه الصلاة والسلام افادهم فايدة بقوله فضلت عليهن بتسعة وتسعين
جزءا كلهن مثل حرها فافاد جوابه عليه الصلاة والسلام ان هذه النار ليست من تلك ردا
على من زعم انها منها وفيه دليل على اضافة الشيء لمن يتصرف فيه وان كان لا يملكه يوخذ ذلك
من قوله عليه الصلاة والسلام ناركم فاضافها اليهم وهي ليست لهم لان عين جوهرها لا يمكن
ملكه الا للذي خلقه غير ان ما يملك الشيء الذي يستخرجها منه وهو لا يدوم وهو ساعة وعاد
رمادا وما يويد ذلك قول مولانا جل جلاله افرايتم النار التي تورون انتم انشاتم شجرتها ام نحن
المنشوون فتلك الشجرة وهي التي تخرج من الزناد عند القدح به من يملكها او كيف يقدر احد على
جسها وفيه من الفايدة ان حرارة تلك النار كلها على حد واحد ويعارضنا في هذا الوجه ما جاء
انها سبع طباق وان ما سفل منها اعظم من الذي يعلوه وتنفصل عنه بان يقال ما بين تلك
الدار كات من عظيم الامر انما هو من اجل امر اخر منها سوا المحل وله مثال هنا مثل لو ان شخصا
يقد نارا على سطح في بيت واخر يقد مثله في مطمورة تحت البيت فنار الثلاثة في نفسها على حد
سوا فالذي اوقدها في السطح ما منعه من اذاها الا ما كان هناك من الهوا والذي في البيت وجد
من حرها ما لم يجد الذي في السطح لانحصاره في البيت وقلة الهوا فيه والذي اوقدها في المطمورة
اشدهم لانه انعكس عليها دخانها ولم يخرج عنه من جميع حرها شيء فالمحل الذي زاد في التعب
لسويه ثم ايضا زيادة اخرى كما اخبر عنهم انه يرسل عليهم التعابين والافاعي وقد جاء انه يوضع

على كل مفصل من مفاصل من قدر عليه بها سبعون نوعا من العذاب وكما قال فهذا وما اشبهه
ليس من نفس حرارتها بل هو لغير زايد فبحسب زيادة تلك الامور يكون سوء حال الشخص
منها ويترتب على الاخبار به من الفايدة وجوه منها الخوف ومنها ليكون ردعا عن موجبها لمن له
عقل والعمل بما شيأ المنجية منها والا اذا سمع مثل هذه الاخبار ولا يرجع ما معها عن موجبها
فلا يخلو من احد امرين اما ان لا يصدق او يصدق فان صدق ولم يرجع دخل تحت قوله
تعالى فما اصبرهم على النار قال اهل العلم معناه ما اصبرهم على الافعال التي يعلمون انها توجب
لهم النار فجاء التعجب على بابه اعاذنا الله من ذلك بمنه وان لم يصدق جاء ما هو اعظم وهو الكفر
لانه عز وجل قد قال افتكفرون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فليتنبه السامع ويتدارك
نفسه في زمان المهلة ايقظنا الله من سنة الغفلة عن اسامة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه في النار فيدور
كما يدور الحمار برحاه فيجتمع عليه اهل النار فيقولون يا فلان ما شانك اليس كنت تامرنا
بالمعروف وتنهينا عن المنكر قال كنت امركم بالمعروف ولا اتيه وانهيكم عن المنكر واتيه
ظاهر الحديث سوء حال هذا الرجل يدخل النار فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه بعد ما تندلق
اقتابه وهي الامعاء وما داربها والكلام عليه من وجوه منها ما فيه من الدليل على عظيم قدرة
الله تعالى يوخذ ذلك من كون ما على معائه من الجلد واللحم قد ذهب وهي باقية على حالها
ومنها البحث على قوله عليه الصلاة والسلام كما يدور الحمار برحاه هل ذلك بسايق يسوقه او بغير
سايق احتمل الوجهين معا لكن لفظ الحديث يعطي انه سوق عنيف وحالة سيئة يوخذ ذلك من
تمثيله بالحمار والمعلوم من الحمار انه لا يكون منه الدوران الا بالسوق والضرب ومن اجل
ذلك شبهه عليه الصلاة والسلام بالحمار ولم يشبهه بغيره من الدواب التي تراض وقد تدور
وحدها مثل البعير وغيره وليس في الدواب ابلد من الحمار وفيه تنبيه على ان صاحب المخالفة
يوصف بالبلادة وان كان عند نفسه متنبها لانه عليه الصلاة والسلام قد شبهه بابلد البهايم

وما

ومما يقوي ما قلناه قوله عليه الصلاة والسلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله لانه في الغالب لا يكون العجز الا مع البلادة فاذا اجتمعا هما سبب
الحرمان وفيه دليل على ان دخول النار لمن قدر عليه مهما لا يكون الا يوم القيمة يوخذ ذلك من قوله
عليه الصلاة والسلام يوم القيمة وفيه دليل على تصرف اهل النار فيها واجتماع بعضهم مع بعض
يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام فيجتمع عليه اهل النار ويعارضنا ما جاء ان اهل النار يعذ
الشخص منهم ولا يرى احدا حتى يظن انه لا يعذب في النار غيره ويجتمع الحديثان بان نقول النار هي
سبع طباق ولكل طبقة منها امر يختص باهلها فيكون ما اخبر به عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث
هي نار المومنين التي هي اخفها بدليل قوله عليه الصلاة والسلام فيقولون له كنت تامرنا بالمعروف وتنهينا
عن المنكر وهذا لا يكون الا صفة للمؤمنين ويكون الخبر الثاني عن الكفار ومن شاء الله منهم وفيه دليل
على بقاء التميز والمعرفة لاهل النار مع ما هم فيه من الامر العظيم يوخذ ذلك من اجتماع بعضهم مع بعض
وكلام بعضهم مع بعض ومراجعتهم وسوالهم وفيه دليل على ان دخول اهل النار النار يكون بعنف
دون اختيارهم يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار
ولو لا ما هو كذلك لقال يدخل النار وفيه دليل على ان اعظم اعمال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
يوخذ ذلك من تعجب اهل النار من دخول هذا الشخص النار وهم يعرفونه انه كان يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر لان اهل النار قد عاينوا الحساب وثواب الاعمال واي عمل انفع لصاحبه فلولا
ما راوا قدر رفع منزلة صاحب الامر بالمعروف والناهي عن المنكر كيف هي ما تعجبوا من دخول
هذا النار وهو على ما كانوا يعلمون انه من اهل ذلك الخير وصحح هولهم بحثهم بان فضح نفسه
بما كنت سريرته حتى تبقى القاعدة على ما هي عليه من الحق لان تلك الدار لا يمشي فيها الزور ولا
يصح وهنا بحث وهو ان يقال كان دخول النار بتلك الحالة من اجل ما كان يظهر شيأ وهو الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وينفعل ضده وذلك لما اكتسب من الاثام والمجموع ظاهر الامر
انه لها معا ولا يقع في النفس ما يقوله بعض الجهال انه لا ينهى عن منكر حتى يكون لا يفعله

ولا يامر بمعروف حتى يكون ممن يفعله والا لا يفعل فهذا جهل وعمى نعم ذلك هو صفة الكمال وانما
هو مكلف بالوجهين معا وهو ان يامر بالمعروف ويفعله فاذا ترك الامر به لكونه لم يوفق الى فعله
يكون عذابه على ذنبين وان امر به ولم يفعله يكون عذابه على ذنب واحد وكذلك في النهي عن المنكر
هو ايضا ما مور ان ينهى عنه وان لا يفعله في نفسه فاذا لم ينه عن المنكر وفعله عذب على ذنب واحد
والعذاب وبالله العياذ على ذنب واحد اقل من ما هو على ذنبين ومن هنا وقع ناس كثيرون في تضييع الاوامر
والنواهي يقولون لا تنه حتى تنتهي فيوجبون على انفسهم عذاب ذنبين ومثله في الامر بالمعروف وهو
غلط عظيم اللهم الا ان يكون مثل هذا المذكور الذي كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر انه جمع على نفسه
ذنبين وزاد لها الرياء لكونه اخفى وقوعه في المنكر وعدم فعل المعروف الذي كان يتظاهر بانه ممن يفعله
يوخذ ذلك من تعجب اهل النار منه لما كان يامرهم بالمعروف وينهيهم عن المنكر وهو يظهر انه مثل ما يقول
لهم فلو علموا منه انه كان حاله بخلاف ما كان يامرهم به ما كانوا يتعجبون من دخوله النار وفيه دليل على
ان الذي خلط عمله بالحسن والسيئ انه استحق دخول النار بمقتضى العدل يوخذ ذلك من كون هذا
كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذا من اكبر افعال الخير كما تقرر قبل لكن لما فعل مع ذلك الشر ولم
يفعل الخير استحق دخول النار وفيه دليل على انه من كان له عمل خير وعمل شر فانه يقدم له اولا الاخذ
بعمل الشر وحينئذ يتفضل عليه بما وعد من الخير يوخذ ذلك من كون هذا الشخص قد اجتمع عليه عمل خير وعمل
فقدم له المجازات على الشر والحكمة في ذلك والله اعلم انه لما كانت الجنة دار رحمة وانه من دخلها لا يرى
شيا يسوءه بعد فقدم للذي له العمل المختلط دار العقاب ويخرج منها بعد الى دار الرضى ولا يمكن العكس
بمقتضى الحكمة الربانية وفيه دليل على حياتهم في النار وهم فيها يتظاهرون يوخذ ذلك من كونهم يتكلمون
ويجتمعون ويعارضنا الحديث الذي ذكر فيهم انهم يموتون فيها حتى قال بعض العلما بظاهره وزعم ان
المومنين في النار موتى ولا يحسون من عذابها شيا وهذا الحديث رد على من زعم ذلك والجمع بين
هذين الحديثين كما تقدم في القيمة لانه مواطن مواطن وكذلك النار اهلها فيها على احوال يتلون تارة
على نوع وتارة على اخرى وقد يكون له وجه اخر وهو ان يكون تلك الامور التي اخبر بها في الاحاديث

وهي

١٥

وهي مختلفة ان كل حالة منها لقوم مختصين بها يشهد لهذا المعنى نفس الحديث الذي نحن بسبيله لانه
عليه الصلاة والسلام اخبر ان ذلك الشخص مشغول بدوران ليس ينفك عنه ما هو فيه من تلك
الحال وان غيره اتى يسال عن حاله لانهم قد اجتمعوا عليه وكذلك ما تعددت الاحوال على هذا
الاسلوب لان الاحاديث كلها صحاح التي قد جاءت في هذا الشان وهي كلها اخبار والخبر لا يدخله
نسخ فلم يبق الا الجمع بطريق التاويل نحو ما تقدم ويكون فايدة هذا الحديث التنبيه على
توفية ما يجب على الشخص من الواجبات في نفسه وغيره لانها هي الطريق المخلصة من الله عليها بافضله

عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا استجنح اوكان جنح الليل فكفوا صبيانكم فان
الشياطين تنتشر حينئذ فاذا ذهب ساعة من العشا فخلوهم واغلق بابك واذكر اسم الله
واوك سقاك واذكر اسم الله وخمر اناك واذكر اسم الله ولو تعرض عليها شيا ظاهر

الحديث يدل على خمسة احكام منها الاخبار بانتشار الشياطين اول الليل وكثرتهم
في ذلك الوقت والامر بكف الصبيان ذلك الوقت من التصرف والامر بغلق الباب وذكر الله
تعالى اذ ذاك والامر بتوكية السقا وذكر الله تعالى اذ ذاك والامر باطفا السراج وذكر الله تعالى
اذ ذاك والامر بتغطية الاناء وذكر الله تعالى اذ ذاك وان لم يجد ما يغطيها يعرض عليها شيا
والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل هذه الاوامر على الوجوب او الندب وما الحكمة
في ذلك وهل انتشار الشياطين في تلك الساعة لحكمة تفهم او ليس لنا سبيل الى ذلك وهل ما سمي
فيها من منع الصبيان يفهم ايضا له علة او ليس وهل ذلك خاص بالصبيان او يتعدى الى غيرهم وما
الحكمة في ذكر الله تعالى عند تلك الافعال وما يترتب عليه من الحكم وهل يتعدى الى غير ذلك
او ليس اما قوله استجنح او كان جنح الليل فهو شك من الراوي وفيه دليل على تحريهم
رضوان الله عليهم في النقل كما ذكرنا قبل واما قولنا هل الامر على الوجوب والندب فالظاهر
محتمل لكن الاظهر فيه الندب لانه ليس من طريق التعبدات وانما هو من طريق الارشاد الى ما فيه
الخير والسبب فيه وفي دفع الضرر لانا اذا استقرينا واحدة بان لك ذلك فمنها غلق

الحديث بعد المائة السادس والسبعون

اسم الله عند قوله ولو تعرض عليها شيئا لانه عطف على قوله واطف مصباحك واذكر اسم الله وما عطف
على الشيئ فهو مثله فلذلك سكت عنه اختصارا وقد قال بعضهم انه كان له اناء ولم يكن بما يغطيه
فعرض عليه عودا فلما اصبح وجد قد وقع على الاناء من هذا الحيوان ذوات السم ميتا فاحتبس على العود
ولم يكن ذلك العود من حيث ان يحبس ذلك الحيوان فهنا ظهر انه ما حبس ذلك الحيوان الا ما اشرنا اليه
من بركة اسم الله تعالى لا غير واما قولنا ما الحكمة في ذلك وذلك انه لما كان الليل وقت نوم وهو الوقت
الاصغر ان يفعل الامور التي يصلح فيها حاله وحال اهله وماله في حال نومه وغيبته لانه في النهار
متيقظ بنهار واهله كذلك وكل واحد يدفع عن نفسه بوضع الحيلة فلم يوكد عليه في هذه الاشياء
ويترتب عليه من النظر انه اذا كان يومه ان ينظر فيما يصلح به حاله وحال ماله كما تقدم في هذا الوقت
اليسير فمن باب احرى في الوقت الذي لا رجوع الى هذا العالم الدنيوي فالمومن كيس حذر فطن
فان غفلت تنبهت وان تنبهت وعملت افلحت واما قولنا هل لذلك الحكمة تعرف امر لا فان قلنا نعرف
بالنص عليها فلم يات في ذلك شيئ فيما اعلم وان قلنا بالاستقرا من طريق النظر في حكمة الحكيم وكيف
رتب هذا الوجود وجدنا لذلك اثرا من الحكمة ظاهرا وذلك لوجهين احدهما ان الله سبحانه وتعالى جعل
حضور الشياطين ووسواسها انما يكون مع الغفلة كما ان حضور الملائكة وكثرتهم انما تكون مع
العبادة والحضور والاشتغال فيما يرضي الله تعالى فلما كان اول الليل الغالب على الناس فيه الغفلة
والنوم وكذلك جميع الليل هذا الغالب فيه لكن اوله في ذلك اكثر لان الناس قد فرغوا اذ ذاك من
نسيانهم وكدهم فيها ولذلك جاء في الصلاة التي بين العشائين من كثرة الاجر ما فيها وسميت
صلاة الاوابين لكونه وقت غفلة فلما اشتغل هذا بالعبادة في ذلك الوقت عظم اجره ووجه آخر
وهو انه لما اراد الحق سبحانه بمقتضى حكمته خلق الثقلين وهما الانس والجن وجعل الليل والنهار
فخص الانس بكثرة الانتشار بالنهار وخص الجن بكثرة الانتشار بالليل ليكون لكل فريق وقت
يستريح فيه بكل بحسب حاله حكيم وهنا اشارة وهي انما تحسن شدة الامور الا عند اوليها من خير
او ضده فلما كان الليل وقت غفلة ونوم وزيادة انتشار الشياطين فيه الذين هم عون على ذلك

الباب لان فيه تحصنا من العدو الذي يريد ضررك في مالك وبدنك وتوكيته السقا وهو من باب التحفظ
على النفس والماء والوعاء لانه اذا لم يوك السقا قد يتعلق فيه حيوان موذي ويخلفه فان هوام الارض كلها
تنتشر بالليل اكثر منها بالنهار وقد يخلف حيوان فيموت فيه او يبقى بالحيوة فمن اتى لاستعمال الماء
اما يدخل في جوفه واما يناله من سمه ومن هذا الباب نهي عليه الصلاة والسلام عن الشرب من فم
السقا خيفة ان يكون هناك شيئ يتاذى بسببه واطفاء المصباح من جهة الاحتياط على المال
والنفس وقد نبه عليه الصلاة والسلام في حديث اخر حيث قال وان الفويسقة تضرم البيت
على اهله نارا او كما قال عليه الصلاة والسلام وهي الفارة تاتي المصباح وتاخذ طرف الفتيل فتحرقه وهو موقود
فتحرق البيت وما فيه وقد يكون نوم اهله ثقيلا فيحترقون بالنار ويترتب على هذا من الفقه انه
لا ينبغي لاحد ان ينام ويترك مصباحه موقودا فان تركه قد يطرا عليه منه ضررا فيتعلق العتب
عليه لانه خالف السنة وتسبب فيما كان به ضرر اللهم الا ان كان له عذر من مرض وما يشبهه
فصاحب العذر معذور واما تغطية الاناء فهو من باب توقي الضرر لانه قد جاء ان ليلة في السنة
ينزل بلاء من السماء فكل اناء وجده مكشوفا حل فيه وتلك الليلة مجهولة وايضا قد ياتي من الحيوان
الذي فيه السم والضرر فيشرب من ذلك الماء ويقع سمه في الاناء ويقع هو بنفسه فيلحق لشاربه بشرب
ذلك الماء ضرر في نفسه كما تقدم وقوله عليه الصلاة والسلام ولو تعرض عليها شيئا هنا بحث وهو
ان يقال كيف يقوم مثلا عود او خيط اذا عرضته على الاناء مقام تغطيته كله لان شيئا يقع على القليل
والكثير فتكون هذه الاشيا هنا تبيين فائدة قوله عليه الصلاة والسلام واذكر اسم الله فان المانع
للضرر كله والجالب للخير كله هو ذكر اسم الله تعالى فامر عليه الصلاة والسلام باظهار الحكمة في عمل الاسباب
من غلق الباب وتوكية السقا غيرها وجعل من شرطها ذكر الله تعالى عند الفعل لانه سبحانه هو الواقي
لانه عز وجل يقول في محكم التنزيل قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وذكر الله تعالى هو الحصن
الاعظم والنجا الاكبر فلما لم يجد للحكمة سبيلا وهي تغطية الاناء بقيت القدرة ظاهرة فقال عليه الصلاة
والسلام ولو تعرض عليها شيئا فافاد ذلك ان اسم الله تعالى هو الواقي ولم يصد عليه السلام ذكر

تجد النفوس تلك الوحشة عند اوله واكثر ما يجد ذلك المرضي لانه اذا قرب الليل يزداد عليهم المرض
والغم ولما كان الصبح اول النهار الذي هو السعي وتكثر في الوقت الملائكة لان الحفظة يجتمعون
في ذلك الوقت حفظة الليل والنهار تجد النفوس اذ ذاك نشاطا وانشراحا واكثر ما يجد ذلك
المرضي في الغالب منهم تدبير مدبر حكيم واما قولنا هل ما امر به من التحرز على الصبيان عن الانتشار
ذلك الوقت وذلك انه لما كان الصبيان ذوي عقول ضعيفة ليست تحتمل التخيلات ومن الشياطين
من قد يتشكل في صورة مفزعة فقد يراها الصبيان مع ضعف عقولهم فيخاف عليهم ان يقع في
عقولهم او ابدانهم خلل وفي هذا دليل للقول بسد الذريعة وفيه دليل على ان ينظر لكل انسان
بحسب حاله يوخذ ذلك من انه لما كانت عقول الصبيان كما ذكرنا وهم لا يعقلون في الغالب الوصية
امر اولياءهم ان ينهوهم من التصرف وفيه رد على اهل الطب الذين يقولون ان جسد الانسان
في جسد وانما يظهر من صاحب الجنون انما هو خلط تحرك عليه وفيه دليل على نصحه صلى الله عليه وسلم
لامته يوخذ ذلك من كونه عليه الصلاة والسلام لم يغفل عن حق صبي ولا كبير ولا ماك ولا شيء من
الاشياء التي نبه صلى الله عليه وسلم على المصلحة فيه كما امر العقلاء ان يحبسوا النفس من اجل
منعها عن كثير من تصرفاتها واشدها امرا في ذلك عند اول الغفلة او الشهوة لان كليهما
ظلمة تغلب على الباطن ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انما الصبر عند الصدمة الاولى ولذلك قال
عقلك عند اوائل الامور مجربه فان تخ سعيه والا فانت سعيه واما قولنا هل يتعدى الى غير الصبيان
فان قلنا تلك العلة التي ذكرنا فمن وجدنا فيه عدينا له الحكم وقد رايت بعض المباركين كان لا يحتمل
ان يقعد وحده لانه كان يذكر انه اذا كان وحده تتراءا له الجن ولا يحتمل ويتهم فلا تراه ابدا وحده
ولو يكون معه صغيرا واما قولنا ما الحكمة في الامر بذكر الله تعالى عند فعل تلك الافعال المامور بها
فقد ذكرناه عند قوله عليه الصلاة والسلام ولو تعرض عليه شيئا لكن بقي فيه بحث وهو ان لا يخاطب
بحال التحقيق الا اهله واما الغير فيحملون على مقتضى الحكمة يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام
واذكر اسم الله وفيه دليل على بركة هذا الاسم الجليل الذي جعل ذكره لكل طالب خير فيه ينال ويحكم

وللرافع

١٧

وللرافع كل سر فيه يدفعه وفيه اشارة الى ان لا يخلا اهل الحكمة بشيء من الحقيقة وان لم يعرفوها
وتمرح لهم بشيء من الحكمة من اجل ان لا تفوتهم بركتها وبهذا نطق التنزيل بقوله افرايتم ما تحرثون
ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون من اجل ان يعملوا الحكمة ويتفكروا في حقيقة الامر ما هو ومثله
فعل سيدنا صلى الله عليه وسلم حين قال لهم في تذكير النخل ما اراه يجدي شيئا فتركوا التذكير فلما جاءت
السنة غير طيبة قالوا له انت امرتنا بان لا نذكر فابقاصم على مقتضى الحكمة بان قال لهم انتم اعرف بامور
دنياكم وما اخبرتكم به عن الله فصدقوني فيه او كما قال عليه الصلاة والسلام فكان معنى قوله عليه
الصلاة والسلام لا اراه يجدي شيئا في حقيقة الامر لا كما في زعمكم لان التذكير للنخل سبب من
الاسباب والله عز وجل يخلق عنده ما يشاء ان شاء والا فلا فائدة له وكم سنة يذكرون فيها ولا يجيء منها شيء ولا يقولون شيئا ويقولون قدر الله لانهم قد عملوا الحكمة الجارية عندهم فلم ينقدوا
على القدر وسلموا الامر لصاحبه فلما كانت هذه السنة من السنين التي قدر الله عز وجل ان يفسد فيها
النخل ولم يعملوا عادتهم من حكمة التذكير نسبوا ذلك لكونهم تركوا تلك العادة فعذرهم لكونهم لم يفهموا عنه
واضرب لهم عن الاخذ بالحقيقة شفقة على ايمانهم وردهم الى اثر الحكمة فلو كانت تلك السنة تجيء طيبة ما بقي
احد منهم يلتفت لحكمة التذكير فكان يؤول الامر بهم الى تضييع اثر حكمة الحكيم والشريعة ما جاءت الا
بالجمع بين اثر الحكمة والقدرة وهي الحقيقة كما بينا في غير ما موضع من الكتاب وفيه اشارة صوفية
لان اهل التصوف يقولون انت سفينة الوجود وسفينة نوح عليه السلام كان اجراها وارساها
كما اخبر الحق سبحانه في كتابه بقوله بسم الله مجراها ومرسيها وقد ارشدت الشريعة المحمدية ان
يكون جميع تحركك وسكونك بذكر الله تعالى وتفصح ببسم الله فمنها عند نومك تقول بسم الله وعند
يقظتك كذلك وعند اكلك وشربك وخروجك من منزلك ودخولك فيه ولباس ثوبك وتجريده
وكذلك عند استفتاح كلامك بذكر الله ايضا وعند نكاحك وعند سفرك وعند ايابك الى اهلك
وعند قعودك وقيامك كذلك فان كنت في حالك محميا ارست سفينتك على جودي السلامة وان
تخلفت عنه لم يكن لك عاصم من امر الله وتمزقت في طوفان المهالك ولم تشعر انك هالك فتيقظ من

١٨

الصوم عن الطريق التي تبلغه الى جهنم والمجموعهما وهو الاظهر بدليل انه قد جاء يا مالك اغلق
ابواب جهنم فهذا خاص وقد جاء في الصوم انه وجاء اي يمنع من الفاحشة وهي الزنا وقد قال الله
جلاله واستعينوا بالصبر والصلاة فذكر العلما ان الصبر هو الصوم لانه تمرون على العبادة فصح ما قلنا
ان مجموعهما هو الاظهر وقوله عليه الصلاة والسلام وسلسلت الشياطين هل هو على عمومه ام لا
اللفظ عام وقد جاء مخصصا في حديث اخر وصفدت مردة الشياطين وهل هذا عن كل الناس عموما
ام لا اللفظ عام لظاهر العموم وليس كذلك بدليل قوله ولا ناجل جلاله شياطين الانس والجن فمن
هو شيطان في نفسه كيف يمنع منه شيطان وكذلك اذا دخل رمضان من كان مثلا مكاسا باقي
على مكسه او ظالما وباقي على ظلمه لم يدخل في هؤلاء بل هو من جملة الشياطين اليس قد قال عليه الصلاة
والسلام فان سبك او شتمك فقل اني صائم او كما قال فمن لم يحترم لا يحترم فمن اجل اطلاق الناس
هذه الاحاديث على عمومها وقع لهم الاغترار لكن ينبغي ان يقيم الانسان لسان العلم على نفسه
حتى يعرف من اي الفريقين هو وفيه دليل على ان شيطان الانس ملازم لا يزول لانه لا يسلسل
وفيه دليل على ان الشياطين لهم ابدان محسوسة يوخذ ذلك من قوله وسلسلت فان السلسلة
لا تكون الا في جسم محسوس وفيه دليل على ان الاعمال هي التي ترفع صاحبها او تضعه يوخذ ذلك
من كون اهل الصوم يعتنى بهم هذا الاعتنا العظيم وقد جاء انه من اكثر الصوم صيغت عليه لنا راي انه
لا يدخلها وقد قال ان اردت عزا بلا نفس فبالتقي فاعتزي والا فيكفي بحقيقة الذلي ولذلك كان اهل
المعاملات الحميدة حالهم في الدارين حميدة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو ان احدكم اذا اتى اهله وقال جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني فان كان
بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه ظاهر الحديث الاخبار بان المرا اذا اتى اهله وقال
جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط
عليه والكلام عليه من وجوه منها انه قد جا في الحديث قبله بزيادة التسمية وقوله اللهم وهنا ليس
فيه التسمية مذكورة ولا قوله اللهم فيحتمل ان يكون سكت عن التسمية لكونها قد تقرر الامر بها

الحديث السابع والسبعون بعد المائة

سكرة هواك تجدد وحك في قارورة شهوتك غارقا في فضلة معاصيك ذكر ان ابن نوح حين تخلف
عن ركوب السفينة اتخذ قارورة من زجاج قد ربا تحمله وصعد على الجبل فلما بالغه الما دخل فيها
واغلقها على نفسه فارسل الله عليه ادرار البول حتى مات غريقا فيه فاكسرها بحجر عزمة التوبة وناد بلسان
حالك انقذني يا منقذ الغرقا فاني ذاهب لعل حنين صوت اضطرارك يشفع فيك امن يجيب
المضطر اذا دعاه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل رمضان فتحت
ابواب السماء وغلقت ابواب جهنم وسلسلت الشياطين ظاهر الحديث الاخبار بهذه
الثلاثة احكام وهي فتح ابواب السما وغلق ابواب النار وتسلسل الشياطين عند دخول رمضان
والكلام عليه من وجوه منها الدليل على فضل هذا الشهر يوخذ ذلك من كونه خص بهذه الاشيا
على غيره وقد جاءت زيادة في حديث اخر وخرفت الجنان وفيه دليل على ان ذلك العالم له
بقدرة الله تعالى تاثير في هذا العالم يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام وغلقت ابواب جهنم
فلو لا ان ذلك العالم له تاثير بمقتضى الحكمة في هذا العالم ما غلقت ابواب جهنم وهنا بحث وهو
ان يقال لم قال ابواب جهنم ولم يقل غيرها من اسماء النار لان للنار سبعة اسماء اولها جهنم فالجواب
انها لما كانت هذه خاصة للمومنين من جميع طبقات النيران خصت بالغلق والكف عن المومنين
لانهم الذين خصوا بصوم هذا الشهر دون غيرهم وفيه دليل على عظيم القدرة ايضا يوخذ ذلك
من اخباره عليه الصلاة والسلام وان السماء لها ابواب تفتح وتغلق وفيه دليل على ان كثرة فتح باب
السماء دالة على خير اهل الارض وقد اخبر عز وجل بما يدل على ذلك في كتابه حيث يقال لا تفتح لهم ابواب
السماء ولا تفتح ابواب السماء الا لمن يرحم ويدخل الجنة ومن غلقت دونه فلا يرحم ولا يدخل الجنة
وهنا بحث هل ذلك لكل الصائمين او ذلك مخصوص ظاهر اللفظ يقتضي العموم والاخبار تخصصه
منها قوله صلى الله عليه وسلم رب صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش من ليس له من
صومه الا الشقا ولا يقبل منه كيف تفتح له ابواب السما وهنا بحث في قوله عليه الصلاة والسلام
وغلقت ابواب جهنم هل ذلك حسا او معنى ومعنى حسا غلقها في ذاتها والمعنى اي منع بركة

الصوم

مطلقا ومقيدا ويحتمل ان يكون هذا الحديث للتسمية ولا قوله اللهم تخفيفا لغفلة بعض الناس عند ذلك
الحال لغلبة الشهوة عليهم فيكون ذلك الحديث اكمل في الفعل ويكون هذا الجزي ولا اقل من ذلك ويحتمل
ان يكون هذا الحديث لمن نسي التسمية حتى اوج فيكون هذا اللفظ مجزيا منه ويحصل به المقصود من
بركة الاتباع كما قال علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن نسي التعوذ عند قضاء الحاجة حتى شرع في الفعل
انه يتعوذ اذ ذاك بقولها عوذ من الخبث والخبائث تنزيها لاسم الله تعالى ان يذكر في ذلك المحل وتحفظا
على الاتباع ان يتركوه حتى يستيقظوا اليه فهذا مثله والله اعلم وفيه دليل على ان من حسن ادب الشريعة
الكناية عن الاشياء التي يستحيى منها وان كانت مما ابيح يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام
اتي لانه كنى عن ذلك بالاتيان وفيه دليل على ان لفظ الولد يقع على الذكر والانثى وقد اختلف العلماء
فيمن حبس شيأ على ولده وولد ولده هل يدخل في الحبس ولاد البنات ام لا على قولين وفي هذا الحديث
حجة للذين قالوا يدخلهم في الحبس يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام فان كان بينهما ولد
واما قوله جنبني الشيطان فمعناه انه لا ينكح معه فانه قد جاء ان المرأ اذا نكح ولم يذكر الله تعالى
عند ذلك كان الشيطان ينكح معه كما انه اذا اكل او شرب ولم يسم الله اكل الشيطان وشرب واما
قوله عليه الصلاة والسلام ما رزقتني فيه دليل على ان الاولاد من جملة ما ينعم الله تعالى به على بني
ادم لانه عليه الصلاة والسلام جعلهم من جملة ما يرزقون بقوله رزقتني وفيه دليل على ان حقيقة تاثير
الاسباب انما هو بالقدرة لا بذواتها يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام فان كان بينهما
ولد وقد لا يكون والسبب واقع الذي هو النكاح فلم يكن السبب يوثر الا عند ارادة القادر والالم
يكن شيأ وهذا مشاهد في عالم الحس لان المرأ يجامع اهله مرارا ولا يرزق مولودا وقد يكون ذلك
الفعل مرة واحدة ويوجد معه الولد فحقيقة التاثير هو بالقدرة وهذا حكم متعد في الاشياء كلها
لا يقصر على هذا الموضع وحده فالاسباب اثر الحكمة والتاثير بها اثر حقيقة القدرة فاخفا القدرة في
اثر الحكمة من عظيم القدرة ليضل من يشاء حكمة بالغة وهنا بحث وهو ان يقال لما قال بينهما ولم
يقل كان لها او غير ذلك فيه وجوه منها ان يكون المعنى بينهما مما خرج منهما من الماءين فانه

قد جاء

قد جاء ان العظام والعصب من ماء الرجل وان اللحم والشعر والجلد من ماء المراة وجد اخر وهو بيد لطيف
وهو ان حقيقة الخلق الذي فيه تنويع من كبد وقلب ومصران وجوارح على ما هي عليه هذه الصورة
الادمية من الترتيب البديع ليس ذلك من الماء الذي خرج اين الشبه الذي بينهما وانما هو بقدرة
القادر الذي جعل من تلك النطفة اليسيرة انواعا مختلفة كما قال تعالى في ثمر الشجر انظروا الى ثمره اذا
اثمر وينعه معناه حتى ينتهي طيبه ان التشبيه التي بين عود الثمرة من الحلاوة التي في ثمرها والحموضة
او الحمرة او الصفرة او السواد او الخضرة او غير ذلك من الالوان العود كله على حد واحد في اللون
والطعم والثمر مختلف ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى الروح
والحياة اللذين بهما حقيقة الانسان ان ذلك ليس منهما من طريق اصل ولا فرع ولا مما جعله القادر
فيما خلق مما كان بينهما ولذلك قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر يعني عند نفخ الروح جاء خلقا اخر ليس من جملة تلك التطويرات
التي كان بعضها اصلا لبعض بل هذا خلق اخر بقدرة قادر ليس كمثله شيء يوديه قوله تعالى ويسالونك
عن الروح قل الروح من امر ربي اي من امر الله تعالى لا عن سبب وان كان الغالب في الاشياء انها
موجودة عن الاسباب فكل ذلك انما هو صادر عن قدرة الله تعالى كما تقدم البحث قبل لكن هذا بالقدرة
الظاهرة دون تاثير الحكمة ولا يحيط بعلمها الا مخترعها جل جلاله واحتمل ان تكون هذه الاشارة الى خلق النفس
على قول من يقول ان النفس شيء والروح شيء اخر لانه قد ذكر العلماء القائلون بهذا ان النفس خلق يوجد
مثل خلق بني ادم لها يدان ورجلان وعينان وجوارح مثل بني ادم سواء سواء وانها من العالم اللطيف
وانها تنزل في جسد بني ادم فيكون جسد الطيفا البس عليها كثيفا وهي المفارة التي خلقت من
ذلك الماء المهين وهي عين النفس التي اعطيت الميز والفهم وهي التي تتنعم وتتالم وتحزن وتفرح الى
غير ذلك مما يشبه هذه المعاني وانما الروح لحياة الجسد ليس الا ولا تفهم ولا تتنعم ولا تفرح ولا
تحزن واما النفس فانها من العالم الذي لا يفنى وانها تبقى في القبر مع الجسد وقد يفنى الجسد

الاعجب الذنب وهي لاتفني ولم يذكر احدانها مخلوقة من الما المذكور وانما هي بقدرة الله تعالى
كما ذكر من العالم الروحاني فسبحان من هذه بعض اثار قدرته التي حارت فيها العقول واحتمل
مجموع ما ذكر في هذه العبارة اكبر دليل على ما خص به سيدنا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة
واعجاز في كلامه لكونه اتى بلفظة تحتوي على جميع ما ذكرنا وزيادة على ذلك اذا امعن فيها
النظر وفيه دليل اعني في هذه اللفظة وما تحتوي ان العلم الذي هو الفهم لحديثه صلى الله عليه
وسلم وما فيه من الفوائد انه من جملة مواهب الله تعالى لمن يشاء يشهد لذلك قوله عز وجل
ومن يوتى الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال العلما انه الفهم في كتاب الله تعالى وكذلك حديثه صلى
الله عليه وسلم من الله وعن الله اما بالواسطة او بالالهام وقد تقدم الكلام على هذا والكتاب
وقوله عليه الصلاة والسلام لم يضره الشيطان فلم يسلط عليه هل هاتان اللفظتان لمعنى واحد
او هما لمعنيين احتمل لكن الذي استقر من الشريعة انهما لمعنيين احدهما انه قد اجز الصادق صلى الله
عليه وسلم بما معناه ما من مولود الا والشيطان يطعن في خاصرته فذلك هو الضرر المشار اليه هنا
والله اعلم واما التسليط فهو ما ذكره الله عز وجل في كتابه حيث يقول واجلب عليهم بخيلك ورجلك
وما جعل الله عز وجل له من التسويل والاغواء لبني ادم لقوله من بين ايديهم ومن خلفهم وعن
ايمانهم وعن شمائلهم فهذا هو معنى الاشارة الى قوله عليه الصلاة والسلام ولم يسلط عليه اي لم
يكن يقدر على ضرره عند الولادة بان يطعن في خاصرته ولا يقدر على ضرره بالاغواء والتسويل كما ذكرنا
ويكون من يدخل تحت قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وفيه دليل على ان الحكم بالشرع
للاخذ بسد الذريعة يوخذ ذلك من قوله وجنب الشيطان ما رزقتني ذريعة ان يكون لها ولد قد
لا يكون فابقى القول لها احتياطا من اجل توقع الولد فهذا هو سد الذريعة بعينه وفيه دليل على الحكم في
الشرع بعطي الغالب يوخذ ذلك من امره صلى الله عليه وسلم بهذا عموما ومن الناس من يكون عقيما
لا يلد له فلما كان نادرا لم يجعل له حكم وفيه من الفقه ان الاصل اذا كان طيبا جاء الفرع طيبا
يوخذ ذلك من انه اذا كان الاب طيبا باتباعه السنة وفعل في هذا الموضع ما احكمته السنة وامتثل

الامر

الامر باجتناء الفرع وهو الابن من اهل الخصوص كما ابديناه آنفا وفيه دليل على ان الخير كله انما هو في كتاب
الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يوخذ ذلك من انه من لم يعرف الكتاب والسنة لم يعرف مثل هذا
الخير وما فيه وكان نكاحه بهيميا شهوة ليس الا وكذلك في جميع امره وفيه من الفقه ان فضيلة العلم انما
تكمل بالعمل لانه عليه الصلاة والسلام قال اذا اتى اهله ولم يقل علم رزقنا الله فهم كتابه وسنة نبيه صلى
الله عليه وسلم والعمل بذلك ممنه عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا نودي للصلاة
ادبر الشيطان وله ضراط فاذا قضي اقبل فاذا نودي بها ادبر فاذا قضي اقبل حتى يخطر
بين المرء ونفسه وقلبه فيقول اذكر كذا واذكر كذا حتى لا يدري ثلاثا صلى اما اربعا سجد سجدتي السهو
ظاهر الحديث اخبار بهروب الشيطان عند النداء بالصلاة وله ضراط وهروبه ايضا كذلك من التثويب
بها وهو اقامتها لكن بغير ضراط واقباله بعد رجوعه الى المصلي حتى يوسوسه والكلام عليه من وجوه منها
ان يقال ما الحكمة في هروبه عند الاذان والاقامة وعدم هروبه عند الدخول في الصلاة والتلبس بها
وهي اعظم من الاذان والاقامة فان الصلاة فرض واما الاقامة فليست بفرض والاذان فيما هو
فرض وفيه ما هو سنة وفيه ما هو مستحب على ما نبينه في موضعه من الكتاب ان شاء الله تعالى
ورجوعه الى المصلي هل ذلك على عمومه في كل مصل امرا وما الحكمة في ضراطه عند الاذان وهل تركه ذلك
في الاقامة لانه لا يكون منه عند الهروب منها او سكت عنها لما تقدم ذكره عند الاذان قبل فاما الجواب
على ما الحكمة في كونه يهرب من النداء والاقامة ولا يهرب من الصلاة بذكر تلك الالفاظ المامور ولذلك
يجوز على طهارة وعلى غير طهارة فلما وفينا ما امرنا به لم يطق الشيطان حمل ذلك لان توفية الامر على
ما امر به تقطع ظهره والصلاة من مشروعيتها التوجه والاخلاص والحضور كما قال صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله عمل امرئ حتى يكون قلبه مع جوارحه وقد ورد في الاذان ان الموذن له من الاجر
بقدر مد صوته على ما بيناه في موضعه قبل وقال في الصلاة يكتب له نصفها او ربعها الى عشرها
وورد اذا لم يات بها على وجهها تطوي مثل الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول له ضيعتني
ضيعك الله او كما ورد فلعدم توفية الشروط التي طلبت منا في الصلاة وجد الشيطان طريقا

الى الدخول لصاحبها فلو وفى ما طلبت منه فيها ما قربه شيطان وكذلك سائر الاعمال من وفى فيها دخل
فى حزب المفلحين الذين لم يكن للشيطان عليهم سلطان لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
واما قولنا هل ذلك على العموم لكل مصل امر لاظاهر الحديث يحتمل وما قدمناه من قوله جل جلاله ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان يخصص ذلك فانه من لم يكن له عليه سلطان كيف يقربه فى صلاته
او غيرها هذا ما لا يتعقل واما الحكمة فى ضراطه احتمل والله اعلم وجوه منها انه لا يحمله حتى يخل قعاه
فتسترخي حواسه ومفاصله فيخرج منه الريح بغير اختياره كما حكي عن فرعون انه لما رأى الريد فى
عصي موسى عليه الصلاة والسلام حين رجعت حية انه ولي هاربا وباطنه قد انطلق وغايطه يسيل
لا يقدر ان يملك من نفسه وكثيرا ما يوجد ذلك من بعض الضعفاء لكثرة فزعهم وقد يكون من سوء طبع
اللعين ان يقابل الشيء بضده كونه يسمع الاذان الذي هو دليل على الصلاة وهي مبنية على الطهارة
لقوله عليه الصلاة والسلام الطهور شطر الايمان فيكثر من الحدث وهو نقض الطهارة وقد يكون لوجه اخر
وهو ان يشغل سمعه عن الاذان بذلك الفعل الذميم واحتمل مجموعها واما قولنا لم لم يذكر ذلك عند
الاقامة هل لعدم وقوعه فى ذلك الوقت او اختصره لكونه صلى الله عليه وسلم ذكره مع الاذان احتمل
الوجهين والله اعلم لكن الاظهر انه بغير ضراط وهو ان الاذان اكثر الفاظا لانه مثنى كله وبعضه مربع
والاقامة مفردة وبعضها مثنى فلزيادة تكرار الالفاظ المباركة يكون منه زيادة فى المخالفة وايضا
فان فائدة الاذان اكثر فانه اعلام بالوقت ويسمعه من هو حاضر ومن هو بالبعد وهو اعلا صوتا
وهو يدعو الناس كلهم الى الطاعة والاقامة انما هي للحاضرين ان يتاهبوا للدخول فى الصلاة ولا يتعدى
الى غيرهم فكانت عليه اخف فانه كلما كانت الطاعة اكثر كان الامر عليه اشد ويؤيد ذلك ما اخبر عنه
الصادق صلى الله عليه وسلم انه لم ير احقر منه ولا ازل فى يوم عرفة يحيي التراب على راسه او كما
قال عليه عليه الصلاة والسلام وذلك لما فى تلك الطاعة فى ذلك الوقت من الترفيع والخير فيلحقه
بتلك النسبة ذلك التحقير والهوان وقوله عليه الصلاة والسلام حتى يخطر بين المرء وقلبه اي انه يشغل
قلبه فان مدار الانسان على قلبه فاذا اشتغل قلبه بالوسواس فكانه حال بينه وبين قلبه لان القلب لا يراد لذاته

الصنوبرية

الصنوبرية وانما يراد لحضوره عند فعله ما تعبد به ليوفي ما عليه فى ذلك وفيه دليل على ملازمته
لبني ادم حتى يعلم كلما يتصرفون فيه ويجري عليهم يوخذ ذلك من قوله اذكر كذا لانه لا يذكره
الا بشيء قد وقع ونسيه الا دبي والعدو اللعين كان قد عرفه ولا يكون ذلك الا لمن هو معك
ملازمك وفيه دليل على عظيم قدرة الله تعالى الذي هذا خلق يقدر ان يصل الى قلوبنا ونحن
لا نعلم به وفي هذا دليل على الولي لا تدركه العقول ولا يتميز ولا يشبه شيء يوخذ ذلك من ان
هذا خلق من خلقه مدرك ونراه يصل الى قلوبنا ونحن بعقولنا معنا وادراكاتنا من جميع حواسنا
ولا نعلم به وبخواتر وصوله ولا نحس بذاته ولا نشعر بها فكيف يطمع احد ان يعرف ويصل
الى من هذا بعض مخلوقاته وبالقطع ان الصنعة لا تشبه صانعها وفيه دليل على ان ميل النفس
بالشريعة الى ما يعرفه اكثر مما لا نعرفه يوخذ ذلك من قوله اذكر كذا فلو لا علمه بذلك لكان
يقول لها لا تعلمين ما يكون فى كذا لامر لا تعلمه وقد لا يحصل له منها ذلك الميل الكلي الذي يذهلها
عن الصلاة فلم معرفته بها اخذها من الوجه الذي هو اقرب لفايدته وقد روي عن بعض اهل
الفقه وقد كان من ينتفع به الناس فى دنياهم واخرتهم لما من الله به عليه من العلم والنباهة
انه ضاع لبعض التجار صرة دراهم لا يدري اين رفعها فحزن لذلك فقيل له ليس لك الا ذلك
السيد فلما جاءه واخبره بحاله امره ذلك السيد بان يصلي ركعتين لا يحدث فيهما نفسه بشيء
ويانيه ويخبره بماله اين هو ففعل ذلك التاجر الي ناحية فى المسجد واحرم ودخل فى تلك الركعتين
فراه الشيخ فى الركعة الثانية قد خففها فقال لاخوانه قد تذكر ماله اين هو فلما سلم واتى الشيخ
قال له الشيخ تذكرت مالك اين هو قال له نعم يا سيدي فقال له اذهب فخذ مالك واشكر الله
فرغب منه اصحابه لما مره بتلك الصلاة واي نسبة بين الصلاة والقضية فقال لهم ان الشيطان انسيه
اين رفع ماله لكي يحزنه ولوقت ما من الزمان من اجل العداوة الاصلية فامرته بالركعتين ولا يحدث
فيهما نفسه لانه قال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه دخل الجنة فلما تلبس
بالصلاة عازما ان لا يحدث نفسه راي العدو ان يذكره بماله ولا يتركه يتم عملا يدخل به الجنة

فمن اجل ذلك امرته بالصلاة وقوله عليه الصلاة والسلام حتى لا يدري ثلاثا صلى ام اربعا
فاذا اريد ان لا يدري اثلاثا صلى ام اربعا سجد سجدتي السهو فظاهر اللفظ يعطي ان سجدتي السهو تجزيه
عن تمام صلاته وان كان ما صلاه ثلاثا وليس كذلك لانه قد جاء ذلك مفسرا في حديث اخر
وهو قوله عليه الصلاة والسلام اذا شك احدكم في صلاته فليبن على اليقين ثم يسجد سجدتي
السهو تجزيه عن تمام صلاته وان ما صلاه ثلاثا واليقين هو الاقل وقد تعلق بعض اهل الظاهر
بظاهر هذا الحديث وما قدمناه عليه الجمهور واستمر عمل الخلفا والعلما الى هلم جرا وهنا
بحث في قوله ثلاثا ام اربعا هل هو مقصور على هذا الموضع او هو على طريق ضرب المثال
اذا تردد الخاطر بين الاقل والاكثر فيكون عمله على اقل العددين مما ذكر وفيه دليل على انه لا يجزئ
العدول الا بزيادة الطاعة يوخذ ذلك من ان الشيطان لما جاء للمصلي ليفسد عليه صلاته بتشكيكه
في عدد ركعاتها احكمت السنة بفضل الله تعالى الامر بزيادة ركعة احتياطا تم زيادة اخرى وهي
سجدتا السهو لينقلب العدو مهزوما خائبا مما امله وقد بين ذلك صلى الله عليه وسلم في غير هذا
الحديث حيث قال فانها ترغيم للشيطان يعني السجدتين للسهو وفيه دليل لاهل الصوفة
لانهم اخذوا بدوام الاشتغال وعدم الالتفات الى حديث العدو بما ذكره به ومثيله اليه وقد
ذكر عن بعضهم انه كان في اول رياضته اذا مر به خاطر غير الرباني ضرب نفسه بعصي او قضيب
فلربما كان يكسر على نفسه في اليوم الواحد الحزمة والحزمتين من القضبان حتى استقام له
خاطره بدوام الاقبال على مولاه من الله بذلك علينا بمنه وقد قال اذا كنت ملتفتا الى سواه فجانبك
ذلك عن ان تراه ولن تحظى بحضرة قدسه حتى لا ترى الا اياه عن عائشة قالت سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن التفات الرجل في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان
من صلاة احدكم ظاهر الحديث الاخبار بان التفات الرجل في صلاته نقص ياخذه الشيطان
منها والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل هذا خاص بالرجال وذلك سوا للرجال والنساء
ولم قال يختلسه الشيطان ولم يعبر بسرقه او يغصبه او غير ذلك مما يشبه هذه الالفاظ

وهل

وهل يعني بالالتفات الحسي ليس الا او الحسي والمعنوي معا او ايهما كان فهو خلسة فالجواب
عن الاول هل هو خاص بالرجال ام لا فليس خاص بالرجال دون النسا بدليل ان النسا شقايق
الرجال في جميع التعبدات لكنها سالت عن الرجال لكون الرجال اكثر في المدين في الغالب فيكون
من باب الاخبار بالاعلى على الادنى فاذا كان ذلك في الرجال فمن باب اولى في النسا واما الجواب
عن قوله خلسة ولم يذكر غيرها من الالفاظ فان المختلس هو الذي يخطف المال من غير غلبة
ولا قوة ويعتمد الهروب وذلك مع معاينة المالك له والسارق ياخذ في خفية والظالم ياخذ بقوة
فلما كان الشيطان يشغل هذا عن صلاته بان يلتفت الى غيرها وعقله معه بلا حجة اقامها له
على ذلك اشبه المختلس الذي ياخذ الشيء بالحيلة والناس يبصرونه ولذلك يقول يوم القيمة
كما اخبر عنه سبحانه في كتابه العزيز وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم وفيه دليل على التعبير على المعاني بمثل ما يعبر عن المحسوسات
ويوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام يختلسها والشيطان لم ياخذ شيئا محسوسا من صلاة
المصلي وانما اخذ منها معنى من معانيها في زمان ما وهو عدم حضوره حين التفاته وفيه دليل
على ان من حصل له شيء من الاشياء حسا كان او معنى بحيلة غير محققة انه يصدق عليه اسم مختلس
ويوخذ ذلك من كون الشيطان احتال على المصلي حتى وقع له الخلل في صلاته وهو مقصود العدو
فسماه سيدنا صلى الله عليه وسلم مختلسا ومنا سوال وهو ان يقال لم جعل في السهو في الركعات جبر
كما تقدم في الحديث قبل ولم يجعل لهذا الالتفات جبرا فالجواب والله اعلم لما كان شكه في عدد الركعات
نسيانا من اجل ما احتال عليه الشيطان بتذكيره له ما قد كان جرى من الامور والله سبحانه ونعالى
قد تفضل علينا بان لا يواخذنا بالنسيان جعل لنا البدل مما وقع من الخلل ولما كان هذا الالتفات
بالقصد من المصلي وعقله معه لم يجعل له بدل منه تغليظا وتحريضا على التزام الادب في العبادة
ومما يشبه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اسوا السرقة الذي يسرق صلاته قالوا وكيف يسرق
صلاته يا رسول الله قال لا يتم ركوعها ولا سجودها واما قولنا هل اراد بالالتفات الحسي او

المعنوي ومجموعهما فظاهر الحديث يعطي انه الحسي فالمعنوي معه لازم وبقي الكلام على المعنوي
فاذا نظرنا الى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث غيره ان الله لا يقبل صلاة امرأ حتى يكون قلبه
مع جوارحه فيكون الالتفات المعنوي مثل الحسي ونعني بالمعنوي ما يكون في القلب من الالتفات
الى غير ما هو بسبيله وقد قال بهذا جماعة من العلما لانهم يقولون ان دوام الحضور في الصلاة فرض واجب
وهو عدم الالتفات والجمهور على ان دوام ذلك شرط كمال وانما الفرض فيه في اول العمل واخره على
قول وفيه دليل على ان كل ما يكون من الخلل في الصلاة انه من تسويل الشيطان يوخذ ذلك من الحديث
الذي قبله هذا مع هذا الحديث اذا جمع اليه لانه في الذي قبله شغله بالحديث حتى انساه وهنا لم
يتعرض له الى الحديث فكان اصل المكيدة خفية حتى اخبر بها الصادق صلى الله عليه وسلم وعلى
هذا فكلما تجد في الصلاة من خلل تعلم انه من العدو علمنا سببه اما لم نعلمه وفيه دليل على ما من
الله به على سيدنا صلى الله عليه وسلم من كثرة اطلاعه على عوامض كثيرة من الغيوب ولولا ذلك
ما كان عليه الصلاة والسلام يخبر عن مثل هذا واعداد من امثاله وفيه دليل على كثرة لطف الله تعالى بنا
يوخذ هذا من ارسال هذا السيد صلى الله عليه وسلم رسولا الينا حتى يخبرنا بهذه الفوائد كلها حتى
نعرف كيف نحترز من عدونا وكيف الخلاص من مكايده جعلنا الله ممن خلصه منها بفضله لا رب سواه

عن ابي قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرويا الصالحة من الله والحلم من الشيطان
فاذا حلم احدكم حلما يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ من شرها فانها لا تضره ظاهر الحديث

يدل على حكمين احدهما الاعلام بان الرويا الصالحة من الله تعالى والاخر الاخبار بان الحلم من الشيطان
وتعليم المخرج منها والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معنى قوله من الله وما معنى الصالحة
وما معنى الحلم والكلام على كيفية الاستعاذة منها وما الحكمة في البصاق عن اليسار فاما الجواب
عن قوله عليه الصلاة والسلام اي هي حق لا شك فيها لان كل ما هو من عند الله لا شك في انه حق
ولذلك قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واما قوله عليه الصلاة والسلام
الصالحة فكل ما فيها خير فهي صالحة في غالب الحال كما قال شعيب عليه الصلاة والسلام لموسى عليه الصلاة

والسلام

والسلام ستجدني ان شا الله من الصالحين اي لا تراني مني لا شيا تسربه وفيه صلاح لك واما قوله الحلم
فالحلم ما فيه تهويل للنفس وتخويف وهو على قسمين ما فيه تهويل وتخويف على النفس وليس يدل بوصفه على
شيء يضر ومن اجل ذلك ما قال صلى الله عليه وسلم بعد يخافه ليفرق بين ما يدل على ضرر وبين ما لا
يدل على ضرر ولذلك قالوا للعزيز اضغاث احلام ويلزم على هذا من الفقه ان يكون الذي راي
الرويا عارفا بالتعبير والا قد تكون الرويا في نفسها مهولة وهي تدل على خير مثال ذلك ان ترى شخصا
يضرب اخر بالسوط ويوجعه ضربا فان الضارب يولي للمضروب معروفا على قدر ضربه من شدة او
لين وقد يكون بالعكس معناه فتكون حسنة في نفسها وهي تدل على ضد ذلك مثاله ان ترى شخصا
يعمل لشخص عرسا او وليمة ويطعمه حلاوة وطعاما بالحرسمين فان المطعم الطعام يفعل بالذي اطعمه
او فرحه سرا بقدر حسن الحلاوة وطيب اللحم فكلما كثر الحسن في ذلك كثر القبح في الشر الذي ينال
منه وما اراد الشارع صلى الله عليه وسلم بالحسن وضده الا المعنى الذي يتضمنه نفس الواقع في
النوم بوضعه فقيه من لا يعرف في التعبير شيئا ان يتعوذ مما لا يعرف لها معنى من اجل ان تكون
مما تدل على مكروه فان كانت تدل عليه فيندفع ذلك المكروه باتباعه الامر وهذا من باب سد
الذريعة لان الاحتياط كله من هذا الباب وهو اولى ولا يجوز له ان يعبر الرويا بغير علم لانها
من النبوة وما كان من النبوة فلا يجوز ان يهزا به لان الحكم بغير علم هزو وتجر على ما لا يجوز
ولذلك كان سيدنا صلى الله عليه وسلم كل يوم اذا صلى الصبح يدور بوجهه الى الصحابة رضوان الله
عليهم ويقول هل راى احد منكم الليلة رويا فمن راى منهم ذكره وفسره لهم ليعلمهم علم التعبير وكما
قال يوسف عليه الصلاة والسلام ذلكما مما علمني ربي يعني به علم تعبير الرويا وقد يكون من الرويا
النفس وهو حق فقد قال العلما انه اذا كانت حقا وامتثل الراي ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم
فانها لا تضره ويصرف الله تعالى عنه ببركة السنة تلك الامور المشوشة لانه صلى الله عليه وسلم ما بعث
الا رحمة وهو عليه الصلاة والسلام يعلم ان في الحلم وهو كل ما فيه تهويل وتشويش على النفس ما هو حق
فحملها كلها عليه الصلاة والسلام مجملا واحدا وجعلها من الشيطان لكون هذا هو الغالب

في جميع الامور رحمة من الله تعالى وتوسعة على عبيده فجعل المخرج من الكل واحدا وهو الاستعاذة
بالله وهنا بحث لطيف ايضا في كونه صلى الله عليه وسلم جعل اعني الحلم من الشيطان لان اصل كل ما
يصيب المرأ من البلاء والمحن في الغالب انما هو مما اجترى به الشخص على نفسه فان الله تعالى
يقول وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقال عز وجل ولو يواخذ الله
الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة واصل المخالفات انما هي من وسواس الشيطان وتسويله
لان الله عز وجل يقول في كتابه الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة
منه وفضلا فقام ذكر الله في هذا الموضع مقام التوبة والاضطرار فالتوبة تجب ما قبلها والمضطر
يستجاب له بمقتضى الوعد الجميل وهو قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه رحمة من الله تعالى
ونعمة لمن قبلها فلذلك قال عليه الصلاة والسلام لاتضره واما الجواب عما الحكمة في ان يبصق
عن يساره فلان فيه خزيا للشيطان لان جانب الشيطان هو مقعده ووجه اخر لان ريق المومن
شفاء وفيه ايضا احراق للشيطان لانه لا يحمله فيكون بصاقه ينشا عنه تالم للشيطان وطرد له
من اجل ان لا يعود الى تخويفه ثانيا وقد يكون للجموع وزيادة والله اعلم وفي قوله عليه الصلاة
والسلام وليتعوذ بالله من شرها دليل على ما قدمناه من ان المقصود من الرويا ما تدل عليه لا تفسر
الرويا وهنا بحث وهو ان يقال هل هذا على عمومه ام لا الظاهر يعطي التخصيص لانه اذا كان المراي
شيطانا في نفسه كيف يفر منه الشيطان ومما يويد ما اشرنا اليه قوله منكم يعني من هو على طريقكم
الذي تقتضيه حقيقة الايمان فلو كان عليه الصلاة والسلام عنى بقوله منكم جنس بني ادم لكان
الكفار والمنافقين يدخلون تحت هذا ولا قايل به فما بقي الا التخصيص بان يعني به المومنين
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في حديث اخر الرويا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له
ولا يعترض علينا ببعض مراي راها بعض الكفار ورويت عنهم وخرجت والا انفصال عنه ان
نقول ذلك نادر والنادر لا حكم له وفيها وجه اخر انه اذا تاملت ذلك المراي التي رويت عن بعض
الكفار بمكة قبل خروجهم الى قتال سيدنا صلى الله عليه وسلم هي من جملة النعمة لهم والظهور لسيدنا

صلى الله عليه وسلم وكذلك تجد كل واحدة منها الخير فيها للمومنين وفيه دليل على عظيم قدرة الله تعالى
يوخذ ذلك من كون المراي ترى فيها تماثيل واشكال تدل على اشياء وتخرج في عالم الحس كذلك
وقد قال اهل العلم بهذا الشان انه لا يقع لاحد شيا في هذا العالم الا وقد راه في النوم عقله من عقله
وجهله من جهله قال تعالى سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق والحمد لله رب العالمين

عن ابي هريرة رضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له
مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي
ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما
الاخبار بان من قال لا اله الا الله مائة مرة كان له هذا الاجر العظيم وهو ثواب عشر رقاب ومائة
حسنة زائدة على ذلك ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك والحكم
الاخر الاخبار بان ذلك ارفع الاعمال ولا شيء من الاعمال ارفع منه الا الزيادة على ذلك العدد
والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما الحكمة ان جعل هذا الثواب محدودا بهذا العدد هل يكون له
مفهوم او مما لا يفهم له معنى ومنها الكلام على قوله حتى يمسي ما هو حد المساء ومنها ما فضل
هذا العمل على كل الاعمال من حج وجهاد وصوم وصدقة وغير ذلك من افعال الخير وهل من قال
بعض العدد مثل النصف واقل والاكثر هل يكون له من الثواب بتلك النسبة ام لا فالجواب على
قولنا ما الحكمة بان جعل هذا الاجر العظيم منوطا بهذا العدد المسمى وهي المائة مرة فان قلنا
تعبدا فلا بحث وان قلنا له وجه من الحكمة فما هو فنقول والله اعلم انه لما اخبرنا الصادق
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل الرحمة في مائة جزء فاخرج منها الى الدنيا واحدة
وادخر بفضله التسعة والتسعين للمومنين في الاخرة فمن جملة الرحمات بالمومنين في تلك الدار
النجاة من النار ودخول الجنة والتنعم بها وعافيها فانه من عوفي من النار ودخل الجنة لا محالة
لقوله صلى الله عليه وسلم ليس بعد الدنيا دار الا الجنة او النار ومن جملة ما من عليهم في هذه الدار

ان عوفوا من الشيطان لانهم اذا عوفوا من الشيطان فقد دخلوا في ضمن قوله تعالى ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان فجعلهم من اهل الخصوص وهم رفع الناس وقد اخبر الصادق صلى الله عليه وسلم
ان الحسنة بعشر امثالها فاذا قالها مائة مرة كانت له بالف فبكل مائة التي هي مبلغ عدد اجزآء الرحمة
المتقدم ذكرها وجب له بالفضل ما تضمنته تلك الاجزاء على ما تقدم البحث وهو النجاة من النار
والنجاة من النار من لازمها دخول الجنة كما تقدم وذلك ما تنتهي اليه المومنين جميع تلك
الاجزآء التي قسمت عليها الرحمة اعني في الدنيا والاخرة منتهاه دخول الجنة وعبر عليه الصلاة
والسلام عن ذلك بعتق الرقبة لانه صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه من اعتق رقبة اعتق الله بها
من النار بكل عضو منها عضوا من معتقها وزاده من فضله محو المائة سيئة وزيادة مائة
حسنة وعصمه يومه ذلك من الشيطان لانه عز وجل يقول وهو اصدق القائلين ويزيدهم
من فضله بعد ما اخبر بالتضعيف في الاجر اخبر انه يزيدهم بحسب فضله والكل من فضله
من الله علينا به بفضله واما ما احد المساهنا فهو محتمل ان يريد به وقت اخر المساء وهو مغيب
الشمس واحتمل ان يريد به اول وقت المساء وهو زوال الشمس لان العرب تسمي من زوال الشمس
الى غروبها وقد تسمي الكل بالبعض والبعض بالكل لكن قد جاء في حديث اخر ما يدل على انه الى اخر المساء
وهو غروب الشمس وانه عليه الصلاة والسلام قال وان قالها في ليلة لم يضره الشيطان حتى يصبح
ولا يقال الصبح حتى يطلع الفجر فكما يكون في الليل الى اخره فكذلك يكون في اليوم الى اخره وهو غروب
الشمس ويعطي ذلك ايضا قوة الكلام لانه جاء على طريق المن والافضال وما هو على هذا الوجه
لا يكون الا على اكمل ما ينطلق عليه اللفظ وبوجه اخر وهو اذا كان الحد من جنس المحدود كما في
حد كما تقول بعتك هذا الثوب من الطرف فالطرفان داخلان في البيع واما قولنا لم فضل هذا العمل
على ما عداه من اعمال البر من صوم وصلاة وحج وغير ذلك من افعال البر لانه صلى الله عليه وسلم
قد نطق بقوله لم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك يعني اكثر من المائة مرة
عددا ففيه الفضيلة عما سواه اثبت الفضيلة له فالجواب ان اللفظ عام ومعناه الخصوص فتكون

في النوافل

في النوافل لما غير لقوله صلى الله عليه وسلم اخبارا عن ربه عز وجل لن يتقرب الي المتقربون باحب من
اداء ما افترضت عليهم ثم لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه وقوله صلى الله عليه وسلم
في الصلاة فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد ان يدخله
الجنة وجعلها فرقا بين الكفر والايمان والاي والاحاديث في ذلك كثير فيخصص عموم اللفظ
بما ذكرناه وبقي هذا خاص بابه افضل المندوبات واذا كان ذلك كذلك فيحتاج البحث فيما العلة
في تفضيل هذا الذكر الخاص على جميع المندوبات من انواع افعال البر فنقول والله الموفق لما كان اعلا
الواجبات وتاكدها قول لا اله الا الله والاقرار له سبحانه وتعالى بالوحدانية ونفي الضد والند والشريك
والصاحبة وجميع النقائص ووصفه بجميع اوصاف الكمال والجلال على ما يليق بجلاله تبارك وتعالى
علوا كبيرا وجاءت جميع كل المفروضات كلها تابعة لها بعد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله معناه على الحد الذي طلب منهم فيها كما تقدم ووصفه ولما كانت
في الفرائض مريات احدها افضل منها لانها بهذه الصيغة المذكورة في الحديث تضمنت ما اشرنا اليه من
اوصاف الكمال لجلاله سبحانه ونفي ضدها وتكرارها مائة مرة تاكيد على تاكيد وتاكيد ووصف الجلال
زيادة جلال وان كان جلاله سبحانه لا نهاية له لكن هذا بحسب ما نعرفه من جهة التخاطب بيننا
وبذلك تعبدنا فبان ما قاله الصادق صلى الله عليه وسلم انه لم يات احد بافضل مما جاء به الا من
جاء بزيادة على العدد المذكور فانه زيادة في التاكيد فهو زيادة في الترفيع كما تقدم واما قولنا من
قال بعض العدد هل يكون له بنسبة ذلك من الاجر المذكور فاعلم ان الاجور في الاعمال والعقاب
على الذنوب لا يوخذ بالعقل ولا بالتقدير لانه ليس لعلة عقلية ولا عادية كما قدمنا اول الكتاب فكلما
ليس فعله لعلة فلا يدخله قياس تقدير ولا يحكم عليه بالقياس وانما هو متوقف على الشارع صلى الله عليه
وسلم فبعد تحديده عليه السلام فينظر هل تفهم العلة فيه امر لا فان فهمنا ها بدليل شرعي شكرنا الله على ذلك
والا قلنا تعبدا لا يعقل له معنى وهنا وقفت العقول وحارت الاذهان وزلت الرقاب وان كان
قد جاء في الاحاديث من قالها اقل من هذا فمنها قوله صلى الله عليه وسلم فيمن قالها مرة واحدة كان

له اجر عتق رقبة وكتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات وكانت له حرزا من الشيطان
يومه ذلك حتى يمسي او كما قال عليه الصلاة والسلام فصح باختلاف الاحاديث ان ذلك لا يمنع يوخذ
بالتقدير ولا بالعقل انه قد جعل في الواحدة عتق رقبة واحدة وفي المائة عتق عشر رقاب فلا نسبة
لها من جهة العقل ولا من جهة القياس بل هو فضل عز وجل يؤتيه من يشاء كيف يشاء جل جلاله وفيه
دليل على تفضيل اهل الصوفة يوخذ ذلك من جعل هذا الاجر العظيم لمن قال هذا القول مائة مرة فكيف
بمن يومه كله هكذا لا يفتر الا عند اداء فرضه او ضرورة البشرية فان طريقهم مبني على دوام الذكر والحضور
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهم في ذلك متبعون لسنة سيدنا صلى الله عليه وسلم لانه جاء
في وصف حاله عليه السلام انه كان طويل الصمت كثير الذكر وعلى هذا بنوا طريقهم وقد قال صلى
الله عليه وسلم ما عمل ادمي من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله وهذا الذكر الذي يبلغ به
العبد هذا الحال انما هو بعد اداء الفرض لان ما نحن بسبيله هو كل من باب المندوب وجميع المندوب
كله لا يقوم بفريضة واحدة فكيف بالمتعددة وكذلك ما ياخذ القوم في مثل هذه المندوبات حتى الحمقى
فروضهم التي هي الاصل في الدين وحينئذ اخذوا فيما ذكرنا وقد وقع بعض الناس في العكس بالسوا
فسمعوا مثل هذا الحديث وشبهه فاكثروا من المندوبات وضيعوا كثيرا من الواجبات فصاروا كما قال
صاحب الانوار ردوا الاصول فروعا والفروع اصولا معناه انهم حافظوا على المندوبات كما حافظ اهل
التوفيق على الواجبات وزهدوا في الواجبات وتعلقوا في ذلك برجاء فضل الله تعالى وقد قال جل جلاله
ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله وقال عز وجل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فنسال الله جل جلاله التوفيق الى اداء فرضه
والاجتهاد في اعمال ما ندبنا اليه وقبول ذلك والسعادة بمنه لا رب سواه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
قال اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اقول والله لاصومن النهار ولاقومن الليل ما عشت فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الذي تقول والله لاصومن النهار ولاقومن الليل ما عشت قلت
نعم قد قلته قال فانك لا تستطيع ذلك فصم وافطر وقم ونم وصم من الشهر ثلاثة ايام

فان الحسنة بعشر امثالها وذلك مثل صيام الدهر فقلت فاني اطيق افضل من ذلك يا رسول
الله قال فصم يوما وافطر يوما وذلك صيام داود عليه السلام وهو اعدل الصيام فقلت
اني اطيق اكثر من ذلك يا رسول الله قال لا افضل من ذلك ظاهر الحديث اخباره صلى الله عليه
وسلم بان افضل صوم التطوع ان يصام يوم ويفطر يوم واخباره بانه كان صوم داود عليه السلام
والكلام عليه من وجوه منها انه لا يجوز الحكم على الامر الذي لا يحتمل التاويل يوخذ من ذلك من انه لما
اخبر صلى الله عليه وسلم بما قال عبد الله انه يصوم النهار ويقوم الليل ما عاش لم يخبره عليه السلام
بعدم طاقته على ذلك ولا بما هو الافضل في الصوم الا استفسره بان قال له انت الذي تقول والله
لاصومن النهار ولاقومن الليل ما عشت فلما اعترف عبد الله له بذلك حينئذ اخبره بما هو الافضل وفيه
دليل على انه من السنة ايصال اخبار الرعية الى راعيها يوخذ ذلك من كون سيدنا صلى الله عليه وسلم اخبر مقالة
عبد الله فلولا ما كان ذلك عندهم معلوما ما قال له صلى الله عليه وسلم ذلك ويترتب عليه من الحكم ان
يستعمل ذلك في كل من له رعية على احد صغيرا كان او كبيرا وفيه دليل على جواز اليمين على ما يريد المرء ان يفعله
من المندوبات يوخذ ذلك من قول عبد الله والله لاصومن النهار فلما بلغ ذلك سيدنا صلى الله عليه
وسلم لم يعنفه على ذلك وسكت عن كونه حلف وسكوته عليه السلام دال على جوازه وفيه دليل على جواز
التذكير بين الاخوان بانواع العبادات وان يبدي الشخص لهم ما وقع عزمه على فعله من اي انواع
العبادات شيئا يوخذ ذلك من ذكر عبد الله ذلك حتى بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبره ولم يقل له في
ذلك شيئا فدل على جوازه وفيه من الفائدة ان ذكر ما عزم المرء عليه من افعال البر بين اخوانه هو من باب
التذكير بالخير والتعاون عليه لان عند ذكره العزم على ذلك قد تنبعث نفوس الغير الى مثل ذلك او الى
ما يقرب منه فيدخل في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى الا انه يشترط ان يكون الاخوان يعلم منهم
ذلك لان الصحابة رضي الله عنهم كان ذلك شانهم جميعين وفيه دليل على فضل الصحابة رضي الله
عنهم اجمعين وعدم تملقهم في الكلام وقصدهم الفائدة لا غير يوخذ ذلك من انه لما سال سيدنا صلى
الله عليه وسلم عبد الله بان قال انت الذي تقول لاصومن النهار لم يزده في الجواب ان قال له قد قلته

بلا زيادة من اعتذار ولا تملق وقوله صلى الله عليه وسلم انك لا تستطيع ذلك هنا بحث هل هذا خاص بعبد
الله لما يعلم صلى الله عليه وسلم من حاله او هذا لجنس البشرية احتمل الوجهين معا والاظهر والله اعلم انه
لجنس البشرية لقوله عليه الصلاة والسلام ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى ولقوله عليه السلام عن معاذ
بن جبل لصاحبه هو افقه منك وقد تقدم ذكره في غير ما موضع من الكتاب وفيه دليل على ان الامر بما فيه
راحة للنفوس اذا كان عونا على الطاعة يوخذ ذلك من قوله عليه السلام افطر ونم فانهما عونان على القيام
والصيام وفيه دليل على ان صوم تطوعا بعشرة ايام يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم صم من الشهر ثلاثة
ايام فان الحسنة بعشر امثالها وذلك مثل صيام الدهر وفيه دليل على ضرب المثال بممكن لا يقع ليعلم
بذلك المثال فايدة ما يوخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام وذلك مثل صيام الدهر ومن المعلوم قطعا
ان من الدهر ما لا يجوز صومه مثل ايام الاعياد وايام التشريق ومنه ما لا يصام تطوعا اصلا وهو رمضان
وما يترتب من طريق النذر والكفارات الواجبات شرعا هي مثل الفرض لا يمكن صومها تطوعا اصلا وقد
اطلق صلى الله عليه وسلم على الجميع الدهر في المثال فيكون التقدير فيه ان تاتي صومه او ما عدا ما فرض صومه
فلا بد فيه من ضمير تخصيص عمومه وفيه ان السنة في الراعي ان يحمل رعيته على الارفق في الامور يوخذ
ذلك من ان سيدنا صلى الله عليه وسلم لم يامره اولا الا بالاقل من الصوم لانه ارفق ويقدر عليه القوي والضعيف
وفيه دليل على جواز مراجعة المسترعي راعيه بطلب الزيادة في المجاهدة اذا علم من نفسه اهلية لذلك يوخذ
ذلك من قول عبد الله اني اطيق افضل من ذلك ولم يقل اني افعل اكثر مما قلت وانما اخبر بما يطيقه وبقي ينظر
بما ذا يومر ويترتب عليه من الفقه ان يكون ذلك في سائر الامور يخبر راعيه بما هو الاصلح له بحسب حاله
حتى يرى بما ذا يامره راعيه وفيه دليل على ان الدين مطلوب بفرضه ونديه يوخذ ذلك من ان النبي صلى
الله عليه وسلم قد امر عبد الله بالصوم من كل شهر ثلاثة ايام ثم درجه الى الشطر فكفى بذلك دليلا
على طلبه وفيه دليل على المنع من التغالي في الدين يوخذ ذلك من منعه صلى الله عليه وسلم ما زاد على الافضل
وهو صوم شطر الدهر بقوله عليه السلام لا افضل من ذلك فاجاز له ما كان اقل من الشطر لانه راعى
الاهلية في ذلك ولما بلغ الافضل وادعى ان فيه الاهلية للزيادة على ذلك منعه عليه السلام بقوله لا افضل

من ذلك

من ذلك فان الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا اذا سمعوا منه صلى الله عليه وسلم لا افضل يزيدون على
شيا على ذلك وانما كان قصدهم الافضل في الاعمال فقام قوله عليه السلام لا افضل مقام المنع من ذلك
وفيه دليل انه اذا انعقدت القاعدة الشرعية وعلمت لا يحتاج الى تكرارها يوخذ ذلك من انه لما اخبر النبي
صلى الله عليه وسلم بحلف عبد الله ان يقوم الليل ويصوم النهار اخبره صلى الله عليه وسلم بفعل الافضل
وهو ضد ما حلف عليه ولم يقل له كفر عن يمينك لان هذه القاعدة عندهم قد ثبتت فلم يحتج الى ان
يذكر له ذلك وفيه دليل على ان الفضيلة في الاعمال بحسب ما جعلها الشارع صلى الله عليه وسلم
لا بحسب العقل يوخذ ذلك من قول عبد الله لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم صم يوما وافطر
يوما قال له اني اطيق افضل من ذلك لما تقدم له ان الزيادة على الثلاثة فراى ان الزيادة على الشطر
افضل فاخبر الشارع صلى الله عليه وسلم بان الزيادة نقص لا فضيلة فيها بقوله عليه السلام لا افضل
من ذلك فذهب هنا ما قاسه عبد الله وفيه دليل على ان عظم الاجر في العبادات ليس بكثرة التعب
يوخذ ذلك من كون عبد الله ظن ان زيادة المجاهدة وهي زيادة الصوم على شطر الزمان افضل
فمنع صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله لا افضل من ذلك وفيه دليل على ان الحكم لاستصحاب الحال
حتى يرد ناسخ من الشارع صلى الله عليه وسلم يوخذ ذلك من ان عبد الله لما راى الزيادة عن
الثلاثة افضل استصحب ذلك الحكم حتى جاوز شطر الزمان فمنع الشارع عليه السلام ذلك ونسخه
بقوله لا افضل من ذلك وفيه دليل لمن يقول ان شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد عليه ناسخ يوخذ ذلك من
قوله صلى الله عليه وسلم وذلك صيام داود عليه السلام وفيه دليل على فضل السنة واتباعها حتى يدخل
فيها القوي والضعيف يوخذ ذلك من تدريج سيدنا صلى الله عليه وسلم صوم التطوع من العشر في الزمان
الذي هو ثلاثة ايام في الشهر الى النصف فيه وهو صوم وافطار يوم وما بين هذين الحدين توسعة كبرى
يتسع فيها جميع الناس على جميع احوالهم وفيه دليل على التسوية بين ايام الشهر بلا فضيلة بينهما يوخذ ذلك
من قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام من كل شهر بغير تعيين وجعل الاجر فيها سواء وفيه دليل على ان نفر بقيها
اعني ايام الصوم في الشهر وتتابعها في الاجر سواء يوخذ ذلك من قوله ثلاثة ايام من كل شهر ولم يذكر فيها

تابعا ولا تقريقا فدل ان الامر في ذلك سبان عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب الصيام الى الله عز وجل صيام داود عليه السلام وكان يصوم يوما ويفطر يوما واحب
الصلاة الى الله صلاة داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ظاهر
الحديث الاخبار بدل على حكمين احدهما الاخبار بان احب الصيام الى الله صيام داود عليه السلام والآخر
الاخبار بان احب الصلاة الى الله صلاة داود عليه السلام ايضا وتبيين صفاتها والكلام عليه من وجوه منها
ان يقال ما معنى قوله احب وما معنى الحكمة في ذلك حتى كانت هذه الصفة احب ومنها تعارض صوم
صلى الله عليه وسلم لهذه الصفة اذا صح عنه عليه السلام انه كان يصوم حتى يقال انه لا يفطر ويفطر حتى
يقال انه لا يصوم وما استكمل شهرا بالصوم قط الا رمضان وقد جاء عنه عليه السلام ان من دام الصوم
ضيقت عنه النار وكيف الجمع بين هذه الاحاديث وهل يكون ذلك تعارضا ام لا اما قوله صلى الله عليه
وسلم احب الصيام الى الله فقد تقدم الكلام على هذه اللفظة في غير ما حديث وهي كناية عن فضيلة
العمل وكثرة الثواب عليه فان الحب هو الولوع في الشيء وهو في حق الله مستحيل فان هذا من صفات
المحدثات والحق سبحانه وتعالى منزه عنها وانما يعني بالحب ما يصدر عن الكرام اذا احبوا الشيء
واعجبهم من كثرة احسانهم وافضالهم على فاعلمه هنا يكون الشبه لا غير وفيه تحقيق لما قدمناه
في الحديث قبل من ان الاجور على الاعمال ليست موقوفة على كثرة التعب والمشاق وانما هي بحسب ما تفضل به
المولى سبحانه واما قولنا هل تفهم الحكمة في تفضيل هذه على غيرها وان كثر التعب فيها فقد نص الكتاب العزيز
على معنى العلة في ذلك وهو قوله عز وجل ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقال تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فبهذه الاية علمنا ما الحكمة في ذلك وهي ان الحكمة الربانية قد
اقتضت انه لا بد لكل دعوى من حقيقة تبينها فلو كان الدين والقرب من الله سبحانه وتعالى بمجرد الدعوى
ارعاه الناس كلهم فلما جعلت المجاهدات في العبادات جاءت مبينة لحقيقة تلك الدعاوي فمن جاهد
وصبر كان ذلك تحقيقا لما ادعاه وجعل له الفوز العظيم والاجر الكبير يدل على ذلك قوله تعالى الم احسب
الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فاقتضت صفة الرحمة الرفق بفضله عن وجل بعبيده

بقوله

بقوله عز وجل ما يفعل الله بعذابكم فما كان من المجاهدات فوق ما يطيقه وصف البشرية منعه عز وجل
بعد بالثواب الجزيل عليه وجعل المجاهدة التي يحملها البشرية بوضع خلقها ولا كبير مشقة عليها افضلها
لانه عز وجل غني عنهم فيما يتيدهم به فما كلفهم منها الا بقدر ما تصح لهم الدعوى بالانقياد لما امروا به وذلك
قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقد قال جل جلاله لا يكلف الله نفسا الا وسعها رحمة منه عز وجل
بعباده الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير واما كيف الجمع بين تلك الاحاديث وهل هو تعارض ام لا
اما الذي جاء عنه صلى الله عليه وسلم من انه كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال انه لا يصوم
فظاهره التعارض واذا حققت النظر فيه فليس بتعارض بل فعله صلى الله عليه وسلم اشارة الى التوسعة
وابقاء للفضيلة على الحد الذي اجرى عن داود عليه السلام ويكون معنى صومه عليه السلام انه كان
يصوم حتى يقال انه لا يفطر ويفطر حتى يقال انه لا يصوم فوصل الصوم بعضه ببعض ووصل الاكل
ببعض ويكون يحفظ عدد الايام في الصوم والاكل ان تكون سواء بسواء ولذلك نعت عائشة رضي الله
عنها الاكل والصوم بنعت واحد وهو قولها حتى نقول انه لا يصوم وحتى نقول انه لا يفطر فيكون صومه شطر
الدهر واكله شطر الدهر فكان عليه السلام يراعي في ذلك فقه الحال بما راه ارجح فعله فجاء فعله عليه
السلام مع فعل داود عليه السلام سواء في مشاطرة الدهر في الصوم وزاد صلى الله عليه وسلم في ذلك
فوائد منها التوسعة على امته لان كثيرا من الناس لا يمكنهم صوم يوم وفطر اخر فمنهم من عدم القدرة
ومنهم من له ضرورة لا يتاتى معها ذلك فان الضرورات كثيرة واحوال الناس مختلفة فكان يفوت
لبعض الناس الذين لهم همة في الدين تلك الفضيلة ومنها اغتنام نشاط النفس في العمل وهو فقه الحال
لانه اذا راى الشخص من نفسه نشاطا في العبادة يحتاج ان يغتنمها او خلو من شغل فيغتنمه ايضا او عونا
تاتي على تلك العبادة من وجه ما فيغتنمها وصحة في البدن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا
قبل خمس فراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وحياتك قبل موتك
وغناك قبل فقرك ومنها ان يلحق في ذلك اصحاب الاعذار بغيرهم حتى لا تفوتهم تلك الفضيلة مثل
ذلك الحائض لو كان صلى الله عليه وسلم يصوم مثل داود عليه السلام ما قدرت حائض ممن لها همة في

الدين تبلغ ذلك ابدا وعلى ما اشرنا من فعله عليه السلام تقدر على ذلك فان ايام حيضها شطر الدهر
وهو خمسة عشر يوما في الشهر فتكون تصوم ايام طهرها وهو نصف الدهر وتفطر ايام حيضها وهو
شطر الدهر وفيه فوايد كثيرة من هنا لمن تامله لانه عليه السلام جاء بالتيسير في الامور كلها فالحديثان
مفترقان في الظاهر مجتمعان في المعنى فلا تعارض بينهما واما قوله عليه السلام من ادام الصوم
ضيقت عليه النار يحتمل ان يكون معناه المحافظة على تلك العبادة حتى يموت على ذلك الحال
فذلك الشخص الذي تضيق عليه النار اي انه لا يدخلها واحتمل ان يكون من ادام الصوم على ظاهره
ويكون ثوابه ان تضيق عليه النار ولا يلزم من كونه تضيق عليه النار ان يكون افضل من الذي
يصوم يوما ويفطر يوما بل يكون الذي يصوم يوما ويفطر يوما ارفع واعظم اجرا لانه عليه
السلام قد وصفه بصفة لم يصف بها هذا وهو قوله احب ويكون مثل هذا كما قال عليه السلام
يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب وهم الذي لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى
ربهم يتوكلون هذا هو ثوابهم وقد يكون من يسترقى اعلا منهم كمثل الشهداء قد جاء انهم يشفعون
وكذلك جاء في العلماء العاملين انهم يشفعون ومن منزلته انه يشفع في غيره اعلا ممن يدخل الجنة
بغير حساب فان خيره مقصور على نفسه والاخير خيره متعد فدل على علو منزلته وقد جاء ان من هذه
الامة من يشفع في مثل ربيعة ومضر وهذا من اعلا الناس درجة بعد الانبيا عليهم فلا تعارض
ايضا وانما ذكرنا هذين الحديثين لانه وقع بجملة من اهل العلم ومن ينسب اليه اشكال الفاردنا
ازالة ذلك وفيما بيناه كفاية في ازالته بفضل الله تعالى وفيه دليل على حسن الدعا الى الخير يوخذ ذلك من
اخباره صلى الله عليه وسلم بخير الوجوه في الصوم وفي الصلاة بالليل ولم يقل بعزيمة افعلوا كذا وساقه
في طريق الاخبار عن من تقدم من الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين في ارشاده عليه السلام في هذا
الحديث بذكر احوال من تقدم من الانبيا عليهم السلام مثل القصص في القران وقد قال علماونا ان كانت
القصة تدل على عمل خير فقد طلب منا بالضمن وان كانت تدل على ترك شر فقد طلب منا تركه بالضمن
ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها في صفته عليه الصلاة والسلام كان خلقه القران اي انه كان يمشي

في شانه

يعد ذلك فيكون معناه

في شانه كله على ما دل عليه القران وعلى اسلوبه وفيه دليل على ان كلما تقدم من الشرايع الصوم والصلاة
مشروعات فيه وفيه دليل على التاسي بمن تقدم من الانبيا عليهم السلام يوخذ ذلك من قوله عليه
السلام واحب الصلاة الى الله وبين انها الصفة التي كان داود عليه السلام وكذلك الصوم ويقويه
قوله تعالى حين ذكر الانبيا ثم قال فبهداهم اقتده اي طريقتهم اتبع وهنا بحث لو كانت الصلاة التي
صفتها ان ينام نصف الليل ثم يقوم ثلثه ثم ينام سدسه هي افضل من غيرها فنقول والله الموفق لما
كان المطلوب من العبادة الحضور فيها ومن المستحب الاشتغال بها عند غفلة الناس وفي الازمنة
التي اتخذها الناس للواجبات غالبا فكان قيامه بهذا نصف الليل الاول فذلك الوقت الذي اشد
ما يكون الناس فيه من الغفلة والنوم غالبا فكان التلبس بالعبادة في ذلك الوقت مما يستحب ولانه
ايضا الوقت التي يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيه بفضله ويقول هل من داع فاستجيب له هل من
مستغفر فاغفر له هل من تايب فاتوب عليه لان العلما قد اختلفوا متى يكون ذلك هل في الثلث الاوسط
من الليل او في الثلث الاخير منه فاذا كان القيام بعد النصف الاول فقد اخذ من ثلث الليل الوسط
نصفه واخذ من الثلث الاخر نصفه فحصل الفضل في الزمان فكانت صلاته احب ويترتب على هذا
من الفقه انه اذا كان عمل الشخص يوفاق بين العلما كان افضل من الذي فيه الخلاف ونومه السدس
الاخر يزول عنه تعب العبادة وتجم النفس وينشط لصلاة الصبح فان الحضور في الصلاة لا يكون
غالبا الا مع نشاط النفس وعدم تعبها ولذلك كان سيدنا صلى الله عليه وسلم يقول في اذان بلال
وكان اذانه قبل الفجر ان بلال يوقظ النايم لان من كان في تعبه مثل داود عليه السلام فذلك وقت
نومه ومن غلبه النوم او كان له عذر فلم يبق له لتاخر التهجد وقت فذلك وقت قيامه لورده والا فاته
فضل قيام الليل وقد قال وردك فحافظ عليه ولا تكسل وفضل قيام الليل فلا تجهله وبما استغفار اسحاره
فاغسله وسخ ذنوب قد اثقل محمله وناد بالهاد من يثربه وقل فليس على المضطر سوال من فضله

عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اولا قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال ثم
المسجد الاقصى قلت كم كان بينهما قال اربعون ثم حيث ما ادركتك الصلاة فصل والارض لك مسجدا

جعلت لم

ظاهر الحديث الاخبار بثلاثة احكام الواحد منها ان المسجد الحرام اول مسجد للصلاة والثاني ان المسجد
الاقصى وضع بعده وبينهما اربعون والثالث جعل الارض لنا مسجدا وطهورا وحيثما ادركتنا الصلاة
نصلي والكلام عليه من وجوه منها الدليل على فضل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وامته على من تقدم يوخذ ذلك
من تيسير العبادة عليهم ان جعلت الارض مسجدا وطهورا ولم يكن ذلك لمن تقدم ومنها ان يقال ما معنى
قوله مسجدا اي موضع ايقاع الصلاة لان كل موضع يصلى فيه فهو مسجد اي موضع السجود وكانت الامم
قبل لا يفعلون الصلاة الا في المواضع التي بنيت لها وفيه دليل على ان تخصيص الاشياء ليست باستحقاق
وانما هي بحسب ما جرت حكمة الحكيم يوخذ ذلك من ان الصلاة قبل هذه الامة لم يكونوا يوقعونها الا
في مواضع مخصوصة وجعلت جميع الارض لهذه الامة محلا لفعلها فيه وفيه دليل على ان من حسن النية في
السوال تعقب خير على ما قصده يوخذ ذلك من كون هذا الصحابي رضي الله عنه لما سال سيدنا صلى الله عليه
وسلم ان يخبره عن اول مسجد وضع اولا فراده عليه السلام بان اخبره بهذا الخبر العظيم وهو جعل
الارض لنا مسجدا وطهورا وفيه دليل على ان للعالم ان يجاوب باكثر مما سئل عنه يوخذ ذلك من كون
السائل سال عن اي المساجد وضع اولا فجاوبه صلى الله عليه وسلم على ذلك وزاده الاخبار بجعل
الارض مسجدا وطهورا وفيه دليل على ان من فصيح الكلام الاختصار في الالفاظ بشرط ان لا يخل
بالمعنى يوخذ ذلك من قوله عليه السلام حيث ما ادركتك الصلاة فصل والمقصود حيث ما ادركك
وقت الصلاة فان الصلاة فعل المصلي فكيف يدركه فعله هذا مستحيل فلما لم يكن هذا الامر يمكن
فيه الناس اختصره ولعلمه ايضا بان المخاطب فهم عنه والا كان يزيد بيانا وفيه دليل على المحافظة
على اوقات الصلوات يوخذ ذلك من قوله عليه السلام حيث ما ادركتك الصلاة فصل اي
لا توخرها فيدل هذا بضمنه على المحافظة على الصلاة ويدل ايضا على التحضيض على المعرفة باوقات
الصلوات لانه من اللازم انه لا يعلم وقتها حتى لا يكون له بذلك علم وفيه دليل على ما خص الله
عز وجل به سيدنا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة يوخذ ذلك من كون لفظة منه عليه السلام تحتوي على
احكام عديدة مثل ما نحن بسبيله من هذا الحديث والله الموفق والحمد لله رب العالمين

عن ابي

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى وكان في بني
اسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي جاءته امه فدعته فقال اجيبها او اصلي فقال اللهم
لا تمته حتى تريه وجوه المومسات وكان جريج في صومعته فتعرضت له امراة فكلمته فابى
فاتت راعيا فامكنته من نفسها فولدت غلاما فقالت من جريج فاتوه فكسروا صومعته
وانزلوه وسبوه وصلى ثم اتى الغلام فقال من ابوك يا غلام فقال الراعي فقالوا نبني
صومعتك من ذهب قال لا الا من طين وكانت امراة ترضع ابنا لها من بني اسرائيل فمر بها رجل
ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها واقبل على الراكب فقال اللهم لا تجعلني
مثله ثم اقبل على ثديها يمصه قال ابو هريرة كاني انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم يمص
اصبعه ثم مر بامة فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها وقال اللهم اجعلني
مثلها فقالت لم ذلك فقال الراكب جبار من الجبابرة وهذه الامة يقولون سرقت
زنت ولم تفعل ظاهر الحديث الاخبار بكلام اولئك الثلاثة في المهد فيمن تقدم من الامم والكلام
عليه من وجوه منها ان فيه دليلا على ان افضل العبادات بر الوالدين يوخذ ذلك من كون جريج
ما يشغله عن اجابة امه الاشتغاله بالعبادة ومع ذلك عوقب بذلك الهوان وفيه دليل على اجابة دعا
الوالدين يوخذ ذلك من ابتلائه بما دعت عليه امه لما لم يجبها وفيه دليل على ان صاحب الخدمة
ان جرا منه امر يرفق به ولا يكون عقابه مثل غيره يوخذ ذلك من كون امر جريج لم ينطلق على لسانها
في الدعا بالعقاب الا بروية وجوه للومسات ولولا اللطف به لنطقت في الدعا بوقوع الفاحشة او
سلب الايمان او الضرب او القتل الى غير ذلك وفيه دليل ان صاحب الصدق في معاملته مع الله تعالى
ان ابتلي يلطف به ويجعل عاقبته خيرا يوخذ ذلك من كون المولود انطق ببرآئه وفيه دليل على اجابة مولانا
سبحانه وتعالى للمضطر اذا دعاه يوخذ ذلك من انه لما اضطر جريج اليه عز وجل في تبرئته مما رمي به انطق
عز وجل له المولود بما يدل على ذلك وفيه دليل على ان صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن وان جرت
عليه لا تزيده الا ترفيعا وخيرا يوخذ ذلك من انها لما تعرضت تلك المراة الى جريج والنسا اكبر الفتن على

الرجال وقد قال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة هي اضر على الرجال من النساء عصم منها ثم
ادعت عليه حتى هدمت صومعته لم يضره ذلك وجعل الله عز وجل له خير مخرج حتى رغبوا ان يبنوا
صومعته من ذهب وما ذلك الا لما كبر قدره عندهم وفيه دليل على ان النساء في بني اسرائيل كن يصدقن
فيما يدعين على الرجال من الوطئ وتلحق به الولد بغير بينة ولولا ذلك ما كان يحتاج الى تبرئته بكلام
الطفل فانه لو كان في شريعتنا حدت له ثمانين حد الفرية ولم يصدق عليه وقد جاء عن بني اسرائيل
ان ذلك كان شانهم حتى ان الباغية منهم اذا حملت ادعت به على من شاءت ممن تعرف وتلحق به
الولد وتقول يا فلان كان بيني وبينك كذا وكذا في اليوم الفلاني ومثل هذا المولود فيقبل قولها
وتلحقه بنفسه وفيه دليل على ان صاحب الصدق مع مولاه عند الضرورة يطلب النصر من مولاه
بخرق العادة بصدقه وادلال على فضله تعالى وان الله عز وجل يفعل معه ذلك يوخذ ذلك من اتيانه
جريج بعد الركعتين الصبي يساله من ابوه فانطق الله عز وجل له المولود لكونه قصده موقنا بقوة الرجا
في فضله تعالى وقد اوحى الله عز وجل في الزبور لداود عليه السلام قل لبني اسرائيل من ذا الذي سالني
فلم اعطه وفيه دليل على ان صاحب الصدق مع الله تعالى عند النوازل لا يخرج ولا يفزع بل يقوى يقينه
لثقته بمولاه عز وجل يوخذ ذلك من كون جريج لما فعل به ما فعل لم يهله قولهم ولا فعلهم وقرع
باب مولاه وهو جريج ذو الفخر قوة رجائه في كشف ما به ابتلاه فاسرع عز وجل له بلطفه الجميل بنطق الطفل
بكشف غمته انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكذلك قال موسى حين قال له قومه انا لمدركون
قال كلا ان معي ربي سيهدين لقوة رجائه في مولاه ففاق عز وجل له من حينه البحر تصديقا لدعواه لانه
جل ثناؤه يقول ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي اني كافيه ومن اصدق من الله من حديثا وفيه
دليل على ان حقيقة النصر في جميع الامور انما هي بفضل الله عز وجل لا تتوقف على سبب حكمة ولا
غيرها فتارة تكون معطاة باثر الحكمة وتارة تكون بيد القدرة بارزة لا معطاة بحكمة كمثل ما نحن
بسبيله في قصة عيسى عليه السلام ومن ذكر معه في الحديث فمجاء النصر لام عيسى عليه السلام والخروج بالبراز
قدرة القادر لا غير وفيه دليل على ان خرق العادة تكون للانبياء عليهم السلام في ذلك ولغيرهم وقد

تكون
تقدم

٢١

تقدم الكلام على الفرق بينهما في ذلك يوخذ ذلك مما جرى لعيسى عليه السلام من خرق العادة وهو من
الانبياء والرسل وخرق العادة التي جرت لجريج وجرت للمراة التي ليست من الانبياء ولا من العباد
اعني ان خرق العادة كانت على صفة واحدة لكنها في الانبياء تسمى معجزة وفي حق الاولياء كرامة
وفيه دليل على ان من ادب السنة الكناية عن الامور الفاحشة يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه
وسلم انه امراة فكلمته فابى وللعني طلبت منه ايقاع الفاحشة فكني صلى الله عليه وسلم عن ذلك
بقوله فكلمته وفيه دليل على ان من ادب اهل السنة اظهار اهل الخير وان كانوا قد ماتوا والستر
على اهل المخالفات يوخذ ذلك من كونه صلى الله عليه وسلم سمى العابد باسمه لتشهد له فضيلته
ولم يذكر اسم المراة ستر اعليها فجاله صلى الله عليه وسلم لصدق مقاله لان مقاله عليه السلام المومن
يحب لاخيه ما يحب لنفسه وكل منا يريد ان يستر عليه زلاته ويجب ان يكون قدوة لاهل
الخير وقد نص الكتاب العزيز على ذلك بقوله عز وجل واجعلنا للمتقين اماما ولا يكون اماما
يوتم به في الخير حتى يكون مشهورا به فكذلك فعل صلى الله عليه وسلم هذا اشهر صاحب الخير وستر
على صاحب الشر وكذلك في قوله فاتت راعيا فلم يسمه باسم من اجل الستر عليه ويترتب على ذلك من
الفقه انه اذا علمت من احد فعل شر ان تخبر عن ذلك الفعل ولا تسمي صاحبه وان ذلك ليس بغيبة
وقد ذكر ذلك بعض العلماء على ان صاحب المعاصي لا حرمة له يوخذ ذلك من انه لما نسبت المراة
الفاحشة الى جريج لم يبق له عندهم حرمة وهدموا صومعته وسبوه وفيه دليل على ان المومن عند
اللحن بالصلاة حسنة يوخذ ذلك من انه لما فعلوا به ما فعلوا لما جاءهم وتوضا واقبل يصلي
فالهم لطريق الخلاص وقد قيل ان الصلاة كهف المومن وفيه دليل على ان ابناء الدنيا وقوفهم
مع الحبال الظاهر وان اصحاب الاطلاع وقوفهم مع حقيقة الباطن يوخذ ذلك من ان امر الصبي
التي كانت ترضعه لما رات صاحب المشارة تمنت ان يكون ابنها مثله ولما من على الطفل بمعرفة
الباطن استعاذ منه كما اخبر سبحانه عن قارون بقوله فخرج على قومه في زينته قال الذين
يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا

(الاولى ان يقول صاحب بدعة فيشمل كل مشهر بها لان ذلك من)

العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون وفيه دليل على ان نفوس اهل الدنيا تعاف تسوا الحلال فيها وان اهل الاطلاع والتحقيق لا يبالون بذلك اذا كانت السيرة حسنة يوخذ ذلك من كون ام المولود لما رات سوء حال الامة استعاذت بالله من ان يكون لولدها مثل حالها ولما اعطى الصبي الاطلاع على حسن حال باطنها تمنى ان يكون مثلها وكذلك قصة يوسف عليه السلام مع اخيه لما اجتمع معه فقال له بخلس معك ولا نقدر ان نفارقك فقال له لا امكن ذلك حتى تصبر بان تقر على نفسك في الظاهر باسم السرقة فهان عليه قبح ما نسب اليه في الظاهر لحسن ما امله في الباطن فجعل الصاع في حمله وكان من امرهم ما قصه الله عز وجل في التنزيل وقد قيل في حبك خلعت عذاري ٭ فلا ابالي بما ارتكبت به من الاخطار

وفيه دليل على ان البشرية طبعت على ايثار الاولاد بالخير على نفوسها يوخذ ذلك من ان المراة ما طلبت الخير الا لابنها ولا طلبت دفع الشر الا عنه ولا تبال بنفسها وفيه دليل على ان من السنة التشبه باهل الخير يوخذ ذلك من كون سيدنا صلى الله عليه وسلم لما اخبر عن رجوع المولود بمص ثدي امه اخذ صلى الله عليه وسلم يمص اصبعه تشبها به لانه من اهل الخير بدليل ان الله تعالى قد اطلعه على صغره على حقيقة ذينك الشخصين وانطقه به واختار لنفسه ما هو الاقرب الى الله تعالى فتشبه صلى الله عليه وسلم بذلك الطفل لكونها الدال على انه من اهل الخير ارشادا منه الى ذلك وقد قيل ان التشبه بالكرام فلاح وفيه دليل على اهل الصوفة يوخذ ذلك من انهم ايثروا جانب الحق ولم يبالوا بظواهر الامور وما الاقوا في ذات الله تعالى لمثل صهيب وبلال مع كونهم مسرورين بذلك وكما اخبر مولانا سبحانه عن امراة فرعون وقد قال طريق الخير فارتكب تشبه باهلها ولا تعدل عن ذلك فتهلك والتشبه بالكرام فلاح كلمة عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلا حضره الموت فلما يئس من الحياة ظاهر الحديث يدل على ان الخشية لله من موجبات المغفرة والكلام عليه من وجوه منها ان يقال كيف فعل هذا بنفسه ما فعل وظن ان ذلك صح له من الله عز وجل فاذا كان هذا الشخص غير مومن فليس تتناوله الرحمة وقد نالها وان كان مومنا فكيف يجتمع هذا الذي

فعل

فعل مع الايمان وقد جاء في رواية اخرى لان قدر الله ليعذبني عذابا شديدا فالجواب ما ان يكون غير مومن فلا ان الحديث يدل على ايمانه لانه قد ايقن بالحساب وان السيات يعاقب عليها وهذا علامة المومن واما كونه فعل هذا ذلك بنفسه فلعله كان في شريعتهم جايزا ومثله لمن اراد التوبة مثل ما فعل بنو اسرائيل الذي لم تقبل توبتهم حتى قتلوا انفسهم واحتمل ان يكون ذلك جهلا منه ببعض الصفات وقد قال العلما ان الجهل ببعض الصفات لا يخرج صاحبه عن الايمان وقد يكون ذلك عن حال خوف غلب عليه حتى اخرجه عن حال التميز وهو اظهرها والله اعلم لان عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي سماه سيدنا الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل من اجل ان يوم اسلامه اظهر الله تعالى به الاسلام وعبد الله جهرا وكان اذا ورد عليه الخوف ياتي حذيفة في الليل ويقول ناشدتك الله انا ممن عدني النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين فيقول حذيفة والله ما انت منهم فيقول له انك عندي لصادق ولكن عملي يشبه عملهم فيرجع الى بيته فيبكي على نفسه حتى يصبح وربما التزم من ذلك الفراش حتى يعوده اصحابه وهو ممن يشهد له سيدنا صلى الله عليه وسلم بالجنة لكن عند الخوف وقوته كان لا يلتهم لشيء من ذلك ويخاف على نفسه اشد الاشياء وهو النفاق واخر الحديث يصدق ذلك لكونه حين سال جل جلاله لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب فصدق الله تعالى مقالته وغفر له وفيه دليل لاهل الاحوال الذين يقولون الحال حامل لا محمول لان صاحبه لا يبقى له معه اختيار والذلك قال صلى الله عليه وسلم لو وزن رجاء المومن وخوفه لاستويا فمن احد وجوهه انه ربما اتصف بلغ مثل ما بلغ به صاحب القسم الاخر وقد قيل لبعض الفقرا في بعض احواله ان جئتنا بالخوف امناك وان جئتنا بالرجا بلغناك ويحتمل ان يكون المراد بقوله لان قدر الله علي بمعنى لان ضيق الله علي باقامة علة سبحانه وتعالى فيكون مثل قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه وكذلك قوله تعالى فقدر عليه رزقه اي ضيق عليه وهذا هو الظاهر والله عز وجل اعلم وفيه دليل على عظيم قدرة الله عز وجل يوخذ ذلك من جمع ذلك الشخص بعد ما فعل بنفسه مثل ذلك الامر واظن انه قد جاء من طريق اخر ان جمعه كان في مثل لمحة الطرف فسبحان

من لا تعجزه قدرة عن شيء اراده وفيه دليل على جواز تسمية الشيء بما قرب منه يوخذ ذلك من قوله حضره
الموت ولم يعين بذلك الا قرب ذلك بالعلامات الدالة عليه لان عند حضوره الذي هو وقوعه لا يمكن
ذلك الوقت وصية ولا غير ذلك وقوله يوما رايحا اي كثير الريح وقوله في اليم اي في البحر وقد جاء
من طريق ضعيفة في اليم ونصفه في البر وفيه دليل على فضل هذه الامة يوخذ ذلك من كونها اطلعت
على اخبار من قبلها مثل هذا وامثاله ولم يطلع احد على اخبارها لانها اخر الامم ومن فوائد
ما يترتب على الاخبار بهذا الحديث ان نعلم قدر ما من الله تعالى علينا به من قبول التوبة في مثل هذا
الوقت الذي فعل هذا الشخص هذا الامر العظيم فيه بنفسه من تلك الوصية لقوله صلى الله عليه وسلم ان
الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اي تبلغ الروح الحلقوم وهذا عند معاينة ملك الموت من الله علينا
بشكرها من نعمة ومن علينا بقبول التوبة قبل الغرغرة بفضله وقد قال داود بالتوبة جريح ذنبك فبرها
اسرع من طرفة عين واحتمل في جميع اسبابك لعل ميسر الامور بفضله ييسرها عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء الحديث ظاهر الحديث يدل على
ثلاثة احكام احدها الاخبار بكثرة انبياء بني اسرائيل وانهم كانوا يسوسون بني اسرائيل
كلما هلك نبي خلفه نبي والثاني الاخبار بكثرة الخلفاء والامر بحفظ بيعة الاول والوفاء بحقوقهم
وترك الحقوق الذي عليهم لله حتى يسالهم عنها والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معنى
تسوسهم فاما معنى تسوسهم اي تهديهم الى طريق النجاة وتلطف بهم في الحمل كما يسوس الرابط الدابة
ويحملها على الطريق الحسنة ويعلمها الخلق الجميلة واما الحكمة في الاخبار بهذا فهي اشارة الى انكم بعدي
ليس لكم من يسوسكم فلا تغفلوا عن سياسة انفسكم وحافظوا على ما هديتم اليه وقد جاء هذا المعنى مبينا
في احاديث كثيرة منها قوله عليه السلام تركت فيكم الثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وعترتي
اهل بيتي معناه ان هذان يقومان لكم مقام الانبياء لبني اسرائيل وقوله عليه السلام في حديث اخر
في حديث اخر علماء امتي كانبياء بني اسرائيل معناه ان علماء هذه الامة تسوسهم وترشدهم الى الطريق
الحق كما كانت انبياء بني اسرائيل من هذا الوجه يكون الشبه بينهم لان احدهن بني آدم تكون درجته

مثل درجة نبي من الانبياء عليهم السلام فان الانبياء عليهم السلام ارفع الناس درجة واعلاهم منزلة ويوخذ
ذلك من قوله عن بني اسرائيل ان جميع انبيائهم كانوا يسوسونهم والسياسة لا يمكن توفيتها الا من قد
طبع على احسن الخلق وفيه دليل على قطع الوحي من الارض وتكذيب من ادعى من تلك شيئا بعد وفاته صلى الله
عليه وسلم يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي وفيه دليل على فضل علماء امته محمد صلى الله عليه وسلم
يوخذ ذلك من الحديث الذي استدللنا به وهو قوله عليه السلام علماء امتي كانبياء بني اسرائيل فالدليل منه
على فضل علماء امته عليه السلام ان جعلهم في الهدي والسياسة لامته كانبياء بني اسرائيل وفيه دليل على
تقديم اكد الحقين اذا تعارضا يوخذ ذلك من قوله عليه السلام اعطوهم حقوقهم فان الله سائلهم
عما استرعاهم معناه لا تمنعوهم انتم حقوقهم لكونهم يمنعوكم حقوقكم فاعطوهم ما لهم من الحقوق واتركوا
انتم حقوقكم فان الله ينصفكم منهم لما تعارض حق الملك اكد لانه يترتب عليه حق منعه قدم في
المستعجلي لان الخبر فيه مقصور عليه وهو لا يفوته اما ان ياخذه في هذه الدار واما ان ياخذه في الدار
الاخرة فقدم الاولى وهذه قاعدة مطردة اذا تعارض امران قدم ايهما انفع وفيه دليل على ان الله سبحانه وتعالى
لا يغادر من حقوق عباده صغيرة ولا كبيرة يوخذ ذلك من قوله عليه السلام فان الله سائلهم عما
استرعاهم يدخل تحت ذلك الدق والجل ومما يقوي ذلك قوله عز وجل وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين اي لا يغادر ذرة ولا اقل ولا اكثر منها وفيه دليل على ان كل من له حق يوتى
له يوم القيمة وان لم يكن يعلم لان كثيرا من الناس لا يعلم قدر الحق الذي له على الخليقة فاذا كان
الله سبحانه وتعالى يحاسب عما استرعاه فلا شك انه يوفي لصاحب الحق حقه وان لم يكن يعلم صاحب
الحق به وفيه دليل على عظيم قدرة الله وانه سبحانه ليس كمسئلة شيء يوخذ ذلك من اخباره عليه السلام
بانه عز وجل يسال جميع الخلفاء عن كل ما استرعاهم عليه واحدا واحدا وكم على كل خليفة من العالمين تداخل
الحقوق بعضها على بعض فيما اخذوا فيه هذا في الخلفاء ليس الا وفيما بين الناس ويكون الفراغ من هذا الحساب
العظيم وهذه المناقشة العظيمة في قدر ما يفعل صلاة واحدة من المفروضات وقد جاء قد ركعتي الفجر وكذلك
كان سيدنا صلى الله عليه وسلم يخففهما رجاء في تخفيف الحساب على امته هذا لا يقدره العقول ولا

تمت بحمد الله وحسن توفيقه الاجزاء الاربعة من كتاب اكمال اكمال المعلم بفوائد مسلم ويليه الجزء الخامس
وكان الفراغ من نسخه يوم الاحد الثالث عشر من شهر ربيع الاول سنة ١٠٧٣

تمت الاجزاء الاربعة من كتاب اكمال اكمال المعلم بفوائد مسلم ويليه الجزء الخامس
وكان الفراغ من نسخه يوم الاحد الثالث عشر من شهر ربيع الاول سنة ١٠٧٣

قد ورد حديث اخر علماء امتي كانبياء بني اسرائيل اتفقوا على ان هذا الحديث بهذا اللفظ موضوع وان كان معناه ثابتا لقوله النبي صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء
والعجب من هذا المصنف اورده بهذا اللفظ
ابو عبد الله ولد المؤلف حفظه الله

مثل

تحيط به الاوهام ولا يمكن ان يكون هذا من صفة من يحد او يكيف فان هذا لا يدخل تحت هذه الحدود
ولا تحت حد محدود تعالى علوا كبيرا وفيه دليل لاهل الصوفة الذين يرون تبرئة ذممهم ولا يعبون بما لهم
لعلمهم بانه عز وجل لا يغادر من حقهم شيئا فاراحوا انفسهم من اجل التصديق بهذا الخبر وسلموا فاستراحوا
وافلحوا اذا علمت انك كافلي فلا ابالي ما ضيعت من امري وفيه دليل على تقديم اهل الدين على غيره
يوخذ ذلك من تقديم حق الراعي على حق رعيته لان حق الراعي به صلاح الدين لانه صلى الله عليه وسلم
قال ينتزع الله بالسلطان ما لا ينتزع بالقرآن وفيه دليل على ان تاخير الحق لا ينقصه يوخذ ذلك من قوله
عليه السلام فان الله سائلهم عما استرعاهم فالتاخير لم يبطله اذا كان الله سايلا عنه وفيه اشارة من طريق
القوم الذين يقولون تحمل الاذى وارخاء السرور يوخذ ذلك من قوله عليه السلام اعطوهم حقوقهم ولا
سرور اعظم من اعطاء الحقوق لاهلها وعمل الاذى فلا عمل اذى على النفس من ان يكون لك حق وعليك حق
فتعطي ما عليك وتترك ما لك لا تطلبه فهذا عدم النصرة لها وهو غاية التسليم والمجاهدة وهو اعلا حوال
القوم واما ذكر حق الراعي وحق المسترعي ما هو فقد ذكرناه اول في حديث البيعة عن ابي سعيد ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن الذين من قبلكم الحديث ظاهر الحديث يدل على اتباع اليهود
اليهود والنصارى والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معنى اتباعهم وفيما ذا يكون الشبه من سننهم
هل على العموم او في بعضها وان كانت في بعضها فما هو معنى شبر بشبر وذراعا بذراع فاما الجواب
عن الاول فقد يكون سننهم يعني طريقهم لان السنة بمعنى الطريقة كقوله تعالى سنة الله التي قد خلت
في عباده اي الطريقة التي عادته عز وجل لا يخلفها لهم ولا فيهم واما الجواب على سنن من قبلكم
هل على العموم في جميع طرقهم وعلى الخصوص احتمل لكن الظاهر العموم بدليل الحديث نفسه
بقوله عليه الصلاة والسلام حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه واما من خارج فقد جاء ذلك احاديث
كثيرة تبين ذلك فان طريق من تقدم اختلافهم كما اخبر بذلك صلى الله عليه وسلم في امته وهو قوله صلى
الله عليه وسلم افترقت بنو اسرائيل على اثنين وسبعين فرقة وستفترق امتي على ثلاثة وسبعين فرقة
كلها في النار الا واحدة ومنها انهم بدلوا الاحكام وقد اخبر صلى الله عليه وسلم بذلك في امته

حيث

حيث يقال صلى الله عليه وسلم ويعود الحكم معزما وقال عليه السلام يحل عرى الاسلام عروة عروة كلما
حلوا حلوا عروة تشبثوا بالتي تليها فاول عروة تحلونها الاحكام واخر عروة تحلونها الصلاة
او كما قال ومنها التحاسد بينهم وقد اخبر صلى الله عليه وسلم بذلك في امته بقوله عليه السلام تاتي
في اخر الزمان اقوام اصدقاء العلانية اعداء السريرة وما كان فيهم من نقص الكيل والربا وعمل
قوم لوط والكذب والمنكر فقد ظهرت في هذه الامة وما كان من التكالب على الدنيا والفساد
في الارض فقد ظهر ايضا وما كان فيهم من الارتداد بعد الهدى قد اخبر صلى الله عليه وسلم انه يكون
في هذه الامة وهو قوله عليه السلام عند ذكر الفتن يصبح الرجل مومنا ويمسي كافرا او يمسي كافرا
ويصبح مومنا يبيع دينه بعرض من الدنيا ولو لم يكن فيهم الا ردة الرجال لكانت كافية وهي واقعة
حق وكل ما كان فيهم مما يشبه هذا اذا تتبعتها تراها قد ظهرت او قد اخبر الصادق صلى الله عليه وسلم
فهي ستظهر لا محالة اعاذنا الله من الجميع بجاهه عند الله صلى الله عليه وسلم وما كان من المسخ فيهم
فقد اخبر الصادق صلى الله عليه وسلم انه في هذه الامة الا انه في القلوب فبركته صلى الله عليه وسلم
ستر على امته الصورة الظاهرة وبقي في القلوب كما اخبر به عليه السلام فترى الشخص صورته
باقية وهو قد مسخ قلبه صورة كلب وهم السرط والجنادر وشبههم تراهم طول يومهم يرعون
الناس ويعيطون في وجوههم ومنهم من يمسخ قلبه صورة خنزير وهم اهل القذارة والبلادة
فهكذا اتبع بنظرك صفة كل شخص في خلقه تستدل بذلك على مسخ قلبه ما هو وقد يبقى متحيرا
لا مسخ في قلبه الا ان قلبه قد مات وقد اخبر بذلك الصادق صلى الله عليه وسلم انه ياتي زمان
يموت فيه قلب المرء كما يموت بدنه او كما قال عليه الصلاة والسلام لان القلب اذا لم تبق فيه تلك
الحرارة الغريزية حتى يفقه مصالحه ان يكون حسيا او يكون معنويا فانه اذا لم ينتفع بقلبه في النوع
الذي اريد منه وتوالت عليه الشهوات حتى لا يرى الا هي فذلك موت لان الفايدة التي في حياة القلب
معدومة عنده ولذلك شبه صلى الله عليه وسلم الذاكر لربه بالحي والغافل بالميت واحتمل ان يكون
موته حسيا كيف شاء سبحانه وتعالى كما يبس عضو من اعضاء الشخص مثل يده او رجله او غيرهما

من الجوارح وباقي بدنه صحيح القدرة صالحة ومن سنن من قبلنا انهم بدلوا كتبهم كما اخبر الله عز وجل عنهم
بقوله تعالى يحرفون الكلم من بعض مواضعه وقد اخبر عز وجل عن هذه الامة مثل هذا في قوله تعالى
فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله والاي والاحاديث في هذا كثيرة فيكون
فايدة الاخبار بهذا الحديث التحرز عن مثل هذا نصحا منه صلى الله عليه وسلم لامته واختصارا في
اللفظ وابلاغا في الانذار لان الاي والاحاديث في هذا كثيرة كما قدمنا وكثير من الناس من لا يعرفها
وان عرفها لا يقدر ان يحصيها فجاء هذا الحديث من ابداع البلاغة وفي الانذار والتحذير عن كل
ما تضمنته الاي والاحاديث فجزاه الله عنا افضل ما جزا نبيا عن امته وجعلنا من صالحي امته
آمين واما قوله عليه السلام شيبتني هود واخواتها فمعناه انكم لا تتركون منها شيئا الا فعلتموه
زيادة كما ذكرناه ايضا وكذلك قوله عليه السلام حتى لو سلكوا جحر ضب مبالغة في الاتباع وفيه
دليل على الاخبار بالعام والمراد به الخاص يوخذ ذلك من قوله عليه السلام لتتبعن سنن الذين من
قبلكم وهو عام ولم يرد من قبلنا الا قوما مخصوصين وهم اليهود والنصاري وفيه دليل على مراعاة
العالم ازا بقي في كلامه على السامع احتمال يوخذ ذلك من قول الصحابة رضي الله عنهم له صلى الله
عليه وسلم اليهود والنصاري سوال استرشاد وتثبت فان حسن السوال نصف العلم فاستهموا
لزوال الاحتمال وفيه دليل على جواز مخاطبة البعض بلفظ الكل يوخذ ذلك من قوله عليه السلام
لتتبعن سنن الذين من قبلكم وهو عليه السلام يخاطب الحاضرين وهم البعض من امته وخطابه عليه
السلام لجميع الامة وفيه دليل على جواز ان يضاف للشخص ما يفعله من هو مشترك معه في وصف ما من
الاوصاف وان كان المخاطب ليس فيه من ذلك البعض شيا يوخذ ذلك من خطابه صلى الله عليه وسلم
لهولاء السادة وهم بالقطع ليس فيهم من هذه الاوصاف التي ظهرت بعدهم ولا من التي لم يظهر لنا
بعد شيا فلما كان اسم الامة يقع عليهم خاطبهم بذلك من اجل متضمن الاسم وفيه دليل على ان من
حسن الكلام الاختصار في اللفظ اذا فهم المعنى يوخذ ذلك من جوابه صلى الله عليه وسلم لهم حين
قالوا اليهود والنصاري قال فمن ولم يزد على ذلك شيا لانهم فهموا بهذه الاشارة انه عليه الصلاة

والسلام

والسلام لم يرد غيرهم واختصر به طول الكلام والتطويل وفي ذلك من الجنس كل بديع وفيه دليل على
التحذير عن حال المجاهرين بالمناكر وليس ذكرهم بذلك على هذا الوجه بعينه يوخذ ذلك من تحذيره
عليه السلام عن عيوب اهل الكتاب وفيهم من المسلمين المتبعين بمقتضى شرعهم كثير فلما اظهروا المناكر لم يكن
ذكرهم بها والتحذير عنها غيبة وما يويد ذلك ويقويه قوله عليه السلام لا غيبة لفاسق وفيه دليل على كثرة
شين المعاصي يوخذ ذلك من سوء الثنا عليهم وتحذيره صلى الله عليه وسلم عنهم وعن طريقهم بعد موتهم
فشوم المعصية اورثت سوء الثنا كما ان بركة الطاعة اورثت حسن الثنا في الحيوة وبعد الموت ولذلك قال
ان اهل الخير وان ماتوا احياء بين الانام فان ذكرهم بحسن الثنا احيا لتلك الرمم بحسن قبلي والدعا لهم في
كل حين حسن عن اسامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجس ارسل على طايفة من بني اسراييل
الحديث ظاهر الحديث الاخبار ان الطاعون رجس ارسل على طايفة من بني اسراييل ثم بعد ذلك
يدل على حكمين احدهما من سمع ان الطاعون بارض فلا يدخلها والاخر النهي لمن كان بارض ووقع
الطاعون بها فلا يخرج فرارا منه والكلام عليه من وجوه منها قوله على بني اسراييل او على من كان
قبلكم الشك هنا من الراوي في ايهما قاله سيدنا صلى الله عليه وسلم وهذا دال على تحريهم في النقل وصدقهم
قوله رجس اي عذاب وهنا بحث في قوله عليه السلام لا تقدموا عليه ولا تخرجوا فرارا منه هل هو تعبد
لا يعقل له معنى او له وجه من الحكمة يعقل اما قوله فلا تقدموا عليه فوجه الحكمة فيه قد نبه الكتاب
العزيز عليها بقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فان الدخول الى موضع النقم تعرض للتهلكة
فليجتنب من ذلك وليتاد ب باداب الحكمة وهذا تنبيه منه صلى الله عليه وسلم من اجل ما ياتي بعد
ويستعمل هنا متضمن قوله تعالى لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا فمنع عليه السلام ان يعارض هنا متضمن
الحكمة وهو الفرار من المهالك بالقدر فانه من باب التجربة والعبودية لا تجرب المواليه ومثل ذلك قال عيسى
السلام حين لقيه اللعين وهو في سياحته على قنة جبل فقال له اللعين تردين من قنة هذا الجبل وما
عليك لانك تقول لن يصيبك الا ما كتب الله لك فقال له عيسى عليه السلام ان المولى يجرب عبده وليس
العبد يجرب مولاه ويترتب على هذا من الفقه التزام الادب مع الربوبية واستعمال الحكمة حيث امر بها

اوعلى من كان فلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه وما
وانا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ٥

واستعمال القدر حيث امر به وفي هذا دليل لاهل السنة فان هذه طريقتهم خلافا للقدرية والجبرية
ولا يعارض احوال القوم الذين عملوا على ان يلتفتوا في مواضع المهالك الى شيء من الاشياء ويجوزوا منها
ولم تضرهم فان الانفصال عنده انهم لم يفعلوا ذلك الا بغلبة الحال الذي ورد عليهم حتى لم يروا في
الوجود الا صاحب الوجود والحال حامل المحمول ولهم في ذلك الاقتداء بسيدنا صلى الله عليه وسلم حيث
قال عليه السلام فر من المجذوم كما تفر من الاسد ثم اكل صلى الله عليه وسلم مع المجذوم في صفحة واحدة
وقال بسم الله ثقة بالله لنا فالامر الاول سنته صلى الله عليه وسلم والفعل بعده طريقته
صلى الله عليه وسلم فمن كان له حال صادق فليتبع سنته عليه السلام في طريقته ومن لم يكن له حال
صادق فليتبع سنته عليه السلام ولا يدخل في اتباعه في حاله لانه عري عن الوصف الذي هو شرط
فيها فيكون القي بيده الى التهلكة لانه اتى السيئ من غير وجهه الا تري الى قوله عز وجل وتزودوا
ثم قال فان خير الزاد التقوى فاذا كان معك خير الزاد سر حيث شئت وان لم يكن معك منه
شيء يكفيك فلا تتحرك الا بالزاد المحسوس المبلغ على العادة في ذلك والا كنت عاصيا وفيه دليل
على الاخذ بسد الذريعة الذي تدل عليه قواعد الشريعة في غير ما موضع ان تسال ولا عن خبره
حتى تعلم علي ما اذا تقدم هل يجوز لك ام لا قدام عليه امر لانه قد يكون بالقرب يجوز لك دخوله وقد
يكون لك في الرجوع مفسدة او دينك فتقع بين محذورين ويكون سبب ذلك تفريطك في السوال
عن ذلك الموضع والمفرط نادم وهنا بحث وهو ان يقال هل هذا النهي يقصر على الطاعون ليس الا
او يتعدى ذلك بالعلة وهي حيث يعلم موضع ضرر لا يقدم عليه لاسيما اذا كان متحققا او يكون غالبا
في الدين فالنظر يعطي تعديه من اجل وجود العلة كما عدوا بذلك احكاما كثيرة ويقويه قوله تعالى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وهو لفظ عام واما الحكمة في قوله عليه السلام واذا وقع بارض وانتم
بها فلا تخرجوا فرارا منه فهو اعلام بالقدر اذا نفذ لا ينفع اثر الحكمة فيه ولا يرده فان الله عز وجل
يقول وكان امر الله قدرا مقدورا اي انه لا يرد وهو نافذ لا محالة فكما امرنا قبل لا تعارض الحكمة
بالقدر كما تقدم الكلام عليه ارشدنا هذا الى ان لا تعارض القدر بامر الحكمة وان نلتزم الادب

في

في الطريقين والتسليم لما اختاره من له الخلق والامر سبحانه وتعالى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا تتمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال
السيوف معناه الزموا في كل وقت فيما اقمتم فيه بحسب ما شرع لكم وفي هذا دليل لطريق القوم
الذين يقولون اشغل وقتك بما وجب عليك او ندبت اليه ولا تلتفت الى ما قبل ولا ما بعد
تفز بريح الدارين اي بخيرهما وفيه وجه اخر من طريق النظر والتحقيق وهو انه اذا ارسل ذلك العذاب
على تلك البقعة التي كان الناس بها فالمقصود بالعذاب اولئك الناس لا البقعة نفسها فمن كان
نفذ حكم الله تعالى فيه باصابة ذلك البلاء فين ما فر فامر الله لا يفارقه حيث كان فهروبه زيادة
في التعب وان كان ممن لم يقدر عليه بشيء من ذلك فيحصل في قعوده اذا كان صابرا محتسبا
اجر شهيد كما ذكر في الحديث بعد هذا وراحة بدنه بعد هذا وهو صلى الله عليه وسلم بالمومنين رحيم
فلما علم ما اشرنا اليه ارشدهم الى ما فيه نفعهم وهو قعودهم حيث كانوا وفيه دليل على تحقيق
نصحه عليه السلام ورفقه بامته يوخذ ذلك من قوله فرارا منه حتى يبقى الناس على تصرفهم الذي
كانوا عليه قبل هذه النازلة بحسب ما تقتضيه ما عهد وامن عادتهم في مصالحهم وتصرفاتهم في ذلك
بقدر ما ظهر لهم فيه فانه لو لم يرد النهي بهذه الصفة لكان الناس اذا وقع لهم ذلك الامر زادتهم
الشدة لمنعهم من تصرفهم في منافعهم على عادتهم وفيه دليل لمذهب مالك في الذي يكون له مال تجب فيه
الزكاة ان كان ذلك المتصرف خوفا من الزكاة لا ينفعه وتوخذ منه الزكاة وان كان لمصلحة في ماله
سقطت عنه الزكاة مثاله ان يكون له نصاب من المال فاذا قرب الحول اشتري به عرضا او حيوانا مما
تسقط الزكاة عند حلول حول النصاب وان كان ذلك لمصلحة ظهرت له ولم يقصد الهروب
من الزكاة عومل بحسب ما يقتضيه حاله وقته من تاخير الزكاة او غير ذلك على حسب ما هو مذكور في كتب
الفروع وفيه دليل على ان الاصل في الاعمال بحسب النية فيها يوخذ ذلك من كون الخروج الذي
ليس بنية الهروب مما نزل لم ينه عنه والذي هو نية الهروب نهي عنه ويويد ذلك قوله عليه السلام
الاعمال بالنيات وبقي هنا بحث وهو انه عليه السلام قد نهينا ان نتسبب في دفع ما قدر بالخروج

وامرنا بالتسبب في دفع البلايا باسباب الطاعات وهو قوله عليه السلام ادفعوا البلايا بالصدقة وقوله جل
جلاله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا فدل انهم لم يتسببوا بالدعا والضراعة عند نزول البلا لرفع
عنهم والجمع بينهما بقوله عليه السلام لا ينال ما عند الله الا بطاعة الله وما عند الله للعبيد اما خير
يطلبونه منه او شر يدفعونه عنهم فلا ينال واحد منهم الا بطاعة الله عز وجل فان التسبب في ذلك
بغيرها لا ينفع ويويد ذلك قوله تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين اي ان اردتم الخير
والسلامة من الشر ففروا الى الله والفرار الى الله سبحانه وتعالى انما هو بامتثال امره
واجتناب نهيه ولذلك قال ما الي سواك عدة فكن لي وان لم تكن لي فمن لي وقال بالطاعات
فتحصن ان كنت لبيبا وبالله فثق ان كنت منيبا وعلى الله فتوكل يكن لك حسيبا عن عائشة
قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون ان عذابا يبعثه الله على من يشاء الحديث
ظاهر الحديث الاخبار يدل على ثلاثة احكام الواحد ان الطاعون عذاب يصيب الله به من يشاء
والاخر انه رحمة للمومنين وان كان في نفسه بلا لكن بما يترتب عليه للمومن من الرحمة اذا ارسل عليه
عاد الامر رحمة لان الحكم للعاقبة ولذلك اذا كان يوم القيمة يوتى باكثر الناس بلا في الدنيا
فيغمس في النعيم غمسة فيقال هل رايت بوسا قط فيقول لم ار بوسا قط ولذلك ما نظر
اهل العقول والسلوك الى عواقب الامور هانت عليهم انفسهم وحلاهم ما حملوه من التعب والمجاهدات
عرفوا فصبروا فرجوا هناهم من اعطاهم والحق في الخير العاجز منا فاجزاه وجياه وارضاه
لا رب سواه والوجه الثالث الاخبار بانه ليس من احد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا
محتسبا يعلم انه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل اجر شهيد والكلام عليه من وجوه
منها ان يقال ما معنى قوله صابرا فمعناه ان يوطن نفسه على الصبر على ذلك البلا ان لحقه منه شيء
ومعنى محتسبا يحتسب نفسه على الله تعالى ومع ذلك يكون موقنا بان لا يصيبه منه شيء
ويترتب على ذلك من الفقه وجوه منها ان الاسباب وان ظهر لها تاثيرا انها لا تضر
ولا تنفع الا بحسب ما سبق في علم الله تعالى من نفي واثبات ومنها العلم بان كل كائنة

تقع

تقع في الوجود من خير او شر دقت او جلت عمت او خصت انها في كتاب مسطور ومما يقويه قوله
عز وجل ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله
يسير فتكون فائدة تلك قوة الايمان وهو اعلى المراتب وعدم الفزع من الحوادث فانه لا يندفع
به ما يلحقه ومنها الصبر على ذلك وهو ما جور عليه لقوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب ومنها ما يحصل من الثناء الجميل عليه وتمايهون عليه المرا كثر ما يكون على غيره وفيه
بحث وهو ان يقال لم قال في هذا الحديث انه بلا يرسله الله على من يشاء وقال في الذي قبله
انه ارسل على من كان قبلكم فالجواب ان فايدة الحديث الذي قبل في المعنى التسلي والتانيس لانه
باخباره عليه السلام انه ارسل على من كان قبل ذهب من القلوب خوف عظيم وهو ان يكونوا
هم قد خصوا بهذا البلا العظيم فيكونون يخافون انهم من غضب عليهم ولعله يوول الى الخسارة
الدائمة فلما علموا انهم لم يكونوا مخصوصون به وقد تقدم لغيرهم ذهب ذلك الخوف العظيم وبقي
من جملة بلايا الدنيا يصيب به من يشاء وهذا الحديث الذي نحن بسبيله فيه وجهان من البشارة
احدهما انه من اصاب منه شيا من هذه الامة فهو رحمة له فيهون عليه ما يحمله منه لما يرجو
فيه من رحمة الله تعالى ولذلك ذكر عن سعد رضي الله عنه انه مات بالطاعون فكان اذا
اشتد عليه يغمى عليه فاذا افاق يقول اللهم اشدد عني خنقك فانك تعلم ان قلبي يحبك هكذا
حتى قضى نحبه رحمه الله والوجه الثاني الاعلام بتفضل هذه الامة على غيرها من تقدمها يوخذ
ذلك من ان الطاعون كان لمن قبلهم بلاء وهو لهم رحمة ووجه ثالث وهو ان الذي يصيبه الله
من هذه الامة ليس من اجل ذنب وقع منه يوخذ ذلك من قوله يصيب به من يشاء لا عن شيء
يوجب ارساله عليه بل بتخصص المخصص له بذلك فيدخل به في قوله صلى الله عليه وسلم ان من امتي
لمن يساق الى الجنة بالسلاسل وهم اهل المصائب في الدنيا من الله علينا بها كرامة بلا محنة
بفضله وفيه ارشاد الى التادب مع القدرة وهو ان لا يتحكم عليها بتفضيل العباد عندها من
اجل ما يرى عليهم من النعمة يوخذ ذلك من جعل هذا البلا العظيم رحمة فمن باب اولى ما هو

اقل منه وقد انهي الله عز وجل علي لسانهما اذا وفي كل واحد منهما ما امر به فقال في اهل البلا الذين اذا اصا بتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
وقال عز وجل في اهل النعما لئن شكرتم لازيدنكم وقال اعملوا ال داود شكرا وقليل من عبادي الشكور
وذم عز وجل من رجح المال الحسنة عنده من اجل اظهار نعمائه وذم ضدها بقوله تعالي فيقول رب اكرمني
ويقول رب اهانني وفيه دليل علي ان كثرة الاجور في الاعمال انما هي بقدرة قوة اليقين والايمان
يوخذ ذلك من انه عليه السلام اول الحديث جعله رحمة ثم قال في اخره صابرا محتسبا يعلم انه
لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل اجر شهيد فالزيادة التي بين الدرجتين انما هي من اجل
قوة الايمان الذي وصل به الي انه لا يصيبه الا ما كتب الله له يشهد لذلك قوله عليه السلام
ما فضلكم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره وهنا بحث وهو ان يقال لم قال
مثل اجر شهيد ولم يقل له شهادة ما عظم قدرها لامن اجل ما نال صاحبها من الاجر والشهادة امر اخر
زايد علي الاجر فظاهر الامر ان الشهادة كثرة الاجر وامور اخر زوايد علي ذلك منها انهم لا يحاسبون
وانما يقومون من قبورهم الي قصورهم ومنها انهم يشفعون في غيرهم واشيا من انواع الاكرام عديدة
وقد جاء ان الطاعون شهادة الا انه اذا وقع بشخص وهو علي الحالة المتقدم ذكرها من الصبر
والاحتساب فيكون الجمع بينهما بانه من صبر واحتسب ولم يصبه منه شيء كان له مثل اجر
شهيد فان اصابه منه شيء وهو صابر محتسبا كان شهيدا والله اعلم كما جاء انه من طلب الشهادة
من الله تعالي صادقا ولم يقض له بها انه يكون له اجر شهيد فليس وقوع الحال المتمنية بينهما درجة
وهنا بحث وهو ان يقال في قوله له مثل اجر شهيد هل ذلك تفضل من المولي سبحانه وتعالي علي
العبيد لا يعقل له معنى من الحكمة او بينهما مناسبة من جهة الحكمة اما النسبة التي من جهة
الحكمة فظاهرة وهي ان الذي يخرج للجهاد انما فعل فعلا شانه ازهاب النفوس والسلاقة
فيه ايضا انما هي للقدرة التي لا يغلبها غالب وهو يخرج لذلك الامر صابرا محتسبا موقنا انه لا يصيبه
الا ما كتب عليه فاشبه الذي يجلس في بلده بعد وقوع الطاعون محتسبا يعلم انه لا يصيبه الا

ما كتب

ما كتب الله له فان الطاعون امر بعد الموت فان اصابه لا محالة ولا منجا منه الا بالقدرة التي ليس
لها مثال فالشبهة واقع والاجر في الوجهين جميعا بمجرد الفضل لكن لا ننظر حكمة الحكيم الذي ليس كمثله
شيء لا بعد وقوع الفعل واثبات الحكم فيه منه والا القياس هنا ك ممنوع وهنا دليل علي ان الحق
في الامور الطريق الوسط حال بين حالين واصله التادب وعدم الاعراض يوخذ ذلك مما تقدم
في هذا الحديث وغيره فتارة يومر بالنظر والتدبير وحمل الامور علي ما جرت به العادة غالبا وتارة
يومر بالتسليم وعدم الالتفات الي شيء من الاشيا الا مجرد التسليم وعبودية محضة فالذين
اراد وا ان يحملوا الامور علي طريق واحد ويتسلطوا بعقولهم علينا في غاية الحمق والجهل لانه من ليس
كمثله شيء كذلك حكمته ليس مثل حكمة الحكيم ولا نسبة بينهما لكن الشان ما اخذته اهل السنة
وهو الوقوف مع الامر والنهي علي ما هو بلا اعتراض ولا زيادة ولا نقص وهو الذي يعطيه طريق العقل
لمن حققه جعلنا الله منهم بلا محنة بمنه وكرمه وعن عائشة ان قريشا اهمهم شان المراة المخزومية الحديث
ظاهر الحديث يدل علي منع الشفاعة في حد من حدود الله تعالي والكلام عليه من وجوه منها انه ينبغي
ان يختار في الشفاعة من له ادلال علي الذي يشفع عنده وحرمة يوخذ ذلك من قولهم من يكلم فيها
رسول الله صلي الله عليه وسلم فلم يرجحوا جميعهم الا من كان اكثرهم ادلالا علي النبي صلي الله عليه وسلم وله عنده
حرمة وهو اسامة بن زيد لانه كان خادمه عليه السلام وبالقطع ان ابا بكر وعمر وجميع الخلفا واعمامه
عليه السلام ارفع عنده من اسامة بن زيد واكثر حرمة لكن لم يدل له خصوصية اخري وفيه دليل علي
ان الخديم اكثر ادلالا علي مخدومه من غيره وله حرمة الخدمة ايضا وكذلك كان اهل الصوفة اكثر
ادلالا لكثرة لزوم خدمتهم وكثرة وقوفهم بالباب ومن هناك الربح الحقيقي وقد روي عن بعضهم
انه كل ليلة كان ياتي في باب الملك الذي كان في بلده مقيما وكان من عادة ذلك الملك ان كل من يخدم
له وجه من وجوه مصالحه وضروراته ياتي بابه ويدفع له جارية اجرتهم يوما بيوم علي قدر عمله فكان
ذلك السيد ياتي خازن الملك كل ليلة مع اولئك الخدام فيقول له الخازن لو خدمت كنت تاخذ كما
ياخذ من خدم فما ياخذ الاجرة الا من يخدم فيقول بذلك امرت فيقول لنفسه اسمعي من يخدم ياخذ

ومن لا يخدم لا ياخذ فان خدمت اخذت والا ياخذ غيرك ولا تاخذي انت شيئا فكان يوذب نفسه
كل ليلة بهذا ويحملها على دوام الخدمة وفهموا فهموا وعرفوا فعرفوا وفيه دليل على ان ترك الحدود وذ
للهلاك يوخذ ذلك من قوله عليه السلام انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف
تركوه وفيه دليل على انه لا يكون المامور مطيعا لامره حتى يوفي جميع ما به امر وان ترك البعض ووفي
فعل البعض سمي عاصيا واستحق العقاب يوخذ ذلك من اخباره عليه السلام ان من كان قبلنا كانوا يقيمون
بعض الحدود فانهم اذا سرق عندهم الضعيف اقاموا عليه الحد فتراهم فعلوا بعض ما امروا به فلما لم
يقيموه على الغني اسقطوا بعضه فوقع العقاب عليهم فاهلكوا وفيه دليل على ان الحدود على جميع الناس
كلهم على حد سواء يوخذ ذلك من انه عليه السلام لم يذكر اسمها في التمثيل الا على وجه الترفيع ولو كان
فيهم رضي الله عنهم ارفع لذكره يشهد لذلك قوله عليه السلام في حقها فاطمة بضعة مني وهذا لم يخص
به غيرها وفيه دليل على ان القدر جاز على الرفيع والوضيع يوخذ ذلك من انه عليه السلام اخبره عن من
كان قبلنا ان ذلك كان فيهم في الشريف والضعيف وهذا ايضا متعارف الى هلم جرا ان المعاصي تحر
القدر بها على من شاء من رفيع ووضيع وفيه دليل على ان وجوب الحكم في الشيء يسقطه عن ضده
يوخذ ذلك من ان الهلاك فيمن تقدم كان بتركهم الحدود فبتوفيتها تكون النجاة وقد جاء ذلك
صريحا في الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل
اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم والاي في هذا كثيرة واما السنة فقوله صلى الله عليه
وسلم لان يقام حد من حدود الله تعالى في بقعة خير لهم من ان تمطر عليهم السماء ثلاثين يوما ومن
طريق اخر اربعين يوما والاثار فيه كثيرة ايضا وفيه دليل على هيبة النبي صلى الله عليه وسلم عند الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين وكثرة حيائهم منه يوخذ ذلك من قولهم ومن يجتري عليه وقد روي عنهم
رضوان الله عليهم انهم كانوا يتمنون ان يسالوا النبي صلى الله عليه وسلم فلا يقدرون على ذلك
مع كثرة تواضعه صلى الله عليه وسلم لهم ورحمته بهم حتى كانوا يتمنون ان يجي من البادية من
يساله فيسمعون جوابه عليه السلام للسائل وفي هذا دليل على قوة ايمانهم وكثرة تقواهم رضي الله

عنهم

عنهم لان الله عز وجل يقول ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب واي شعائر اعظم من
اكرامه صلى الله عليه وسلم وترفيعه وفيه دليل على جواز القسم من السيد لمن هو دونه تاكيدا في التصديق
فان كان صادقا في نفسه فانه لا يقطع بالصدق قسمه الا من هو صادق في قوله حسن في حالة يوخذ
ذلك من قوله عليه السلام وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وفيه دليل على انه حكمه
حال المعصية ازلو كانت تقع ممن ليس لها اهلا ويسمي باسمها ان ذلك ليس ينقص فيه ولا يلحقه منه سوء
ولا معرة يوخذ ذلك من قوله عليه السلام لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها فلو كان
في ذلك شيء مما ذكرنا او ما يشبهه لم يقله صلى الله عليه وسلم في احد من الخلق فكيف في هذا السيد
التي قال عليه السلام في حقها يريبني ما رابها وفيه دليل على ان تعليقك فعلا بوجود شخصا بشرط ان يقع
منه موجب له ليس بقبيح ولا فيه تغيير للنفوس يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم لو ان فاطمة
بنت محمد سرقت لقطعت يدها الان قطع اليد مما يؤلم لكن لما جعل الشرط فيه وقوع شيء من
الشخص يوجبه له وهي السرقة لم يضره ذلك ولا يتوش عليه وانما التشويش بالحقيقة المخالفة اذا وقعت
ولذلك قال لا تبكين لوقوع ذنبك انما يبكيك موجبه وعليه فاندم عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه و
قال بينا رجل يجر ازاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيمة ظاهر الحديث
الاخبار بخسف الذي جر ازاره خيلاء وانه في جوف الارض لم يستقر له قرار الى يوم القيمة والكلام
عليه من وجوه منها التحذير عن ارتكاب هذا الامر الخطر ومنها بيان فضل هذه الامة على من تقدم
يوخذ ذلك من ان من تقدم كانوا اذا وقعوا في الذنوب لم يوخر لهم عقاب مثل ما فعل بهذا
والاحاديث في هذا المعنى كثيرة وكانوا اذنب احد منهم صبح على باب داره تسمية الذنب الذي
فعله وما هو المخرج منه وهذا اخزا عظيم وقد من الله بفضله على هذه الامة ببركة نبيها صلى الله عليه
وسلم ان عافاهم من هاتين الخصلتين اما الكتب فما وقع منه في هذه الامة شيء واما الخسف فعوفوا
منه الا قليل من بعض المتمردين في بعض الازمان وذلك نصرة الدين وقد قال صلى الله عليه وسلم
في شان جر الازار خيلاء من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة وفيه دليل على عظيم قدرة

الحديث
والتسعون بعد المائة

الله تعالى وانها لا تجري الا على قياس يوخذ ذلك من كون الذي خسف به لا يستقر له قرار
الى يوم القيمة وهذا الزمان وطوله في مقدار الارض وهو خمسمائة عام وفيه دليل على حسن طريق
القوم يوخذ ذلك من ان كبر نفس هذا الشقي هو الذي رمي به الى هذا الامر العظيم واهل الطريق قد
عملوا على ذلها وهوانها لان ضد المذموم هو مشكور فلما ذم الله تعالى كبر النفس وجعل من اجل ذلك
لصاحب الخيلاء هذا العقاب الاليم فضد ذلك محمود عنده وقد نص الشارع صلى الله عليه وسلم
على ذلك بقوله اوحي الي ان تواضعوا ولا يفخر بعضكم على بعض وقال عليه السلام المومن هين لين
وقال عليه السلام الا اخبركم من يحرم النار عليه تحرم النار على كل قريب هين سهل والاخبار في هذا
كثيرة وفي هذا دليل على ان هذا الذنب من اكبر الذنوب يوخذ ذلك من انه اذا كان يفعل به هذا الامر العظيم
حتى الى يوم القيمة كيف يكون حاله يوم القيمة لا تقدره العقول من شدته ولا تتوهمه الاذهان ولذا قال
بالفقر فاستغن تكن لبيبا وبالتواضع تكن حسيبا وبالتقوى فتزود تكن جيبا وبالله فاستعن تكن لبيبا
عن عائشة انها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما الحديث
ظاهر الحديث اخذه عليه السلام بايسر الامرين اذا خير بينهما وبعده عليه السلام من الاثم وهل
هذا التخيير على عمومه اعني تفضيله عليه السلام الايسر من الامرين اذا خير على العموم موجود كما استقرى
من سنته عليه السلام ويحتاج الى تقسيم لانه لا يخلو ان يكون ما يخير فيه من امور الدنيا او امور الاخرة
فان كان من امور الدنيا فاللفظ على عمومه ما خير صلى الله عليه وسلم بين شيئين من امور الدنيا
الا اخذ ايسرهما وكفى في ذلك ان خير صلى الله عليه وسلم ان يكون ملكا نبيا ويكون له مثل جبال
تهامة فضة وذهبا تسير معه حيث سار ويكون نبيا عبدا فاختار عليه السلام ان يكون نبيا
عبدا فقال اجوع يوما واشبع يوما وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه اوتي يوما بثوب يلبسه فطالت
كماه على يديه الكريمتين فاخذ يقطعها فلم يجد في الوقت الا سكينا فجمعها وقطعها بالسكين ولم يكلف
احدا ان ياتيه بمقص وبقي دورة الاكمام دخلات وخرجات وربما تساقطت الخيوط من بعضها
ولم يعد لها بعد ولا عمل لها عطفا حتى تقطع الثوب وهو على ذلك الحال واما امر الاخرة فما كان

يختار

يختار فيه فيما يخصه عليه السلام الا الارفع والاقرب الى الله تعالى كما فعل عليه السلام في تعبده الذي
قام حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله تفعل ذلك والله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر فقال صلى الله عليه وسلم افلا اكون عبدا شكورا واذا كان الامر في حق امته اخذ عليه السلام لهم
ما هو الايسر والاقرب رحمة بهم كما فعل صلى الله عليه وسلم في قيام رمضان حتى كثر الناس فقاموا
معه فجعل يقعد ثم قال لهم انما قعدت لئلا يكتب عليكم فلا تطيقون او كما قال عليه السلام وكما
فعل عليه السلام في شان الرجال الذي كان ينهيهم عنه ويواصل عليه السلام حتى كان يربط على بطنه
ثلاثة احجار من شدة الجوع والمجاهدة فقيل له تنهى عن الوصال وانت تفعله فقال اني لست كهيئتكم
اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وكان عليه السلام يقول لهم اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله
لا يمل حتى تملوا والاحاديث في هذا الشان كثيرة فعلى هذا فيكون عاما فيما كان من امور الدنيا
ويكون خاصا فيما كان من امور الاخرة وقد يحتمل ان يكون عاما في امور الاخرة بوجه ما وهو مثل
ان يخير بين عملين احدهما يكون في الوقت الوصول اليه قريب والذي الوصول اليه ابعد يكون ارفع
فيختار الايسر اعتناء منه عليه السلام للطاعة والمبادرة للخدمة وخوف الفوت انه لا يدرك الذي هو
ارفع فان ادركه لم يتركه كما كان ابو بكر رضي الله عنه يفعل في وتره يقدمه اول النهار وقد صح سنة
ان الافضل في الوتر اخر الليل وكان ابو بكر رضي الله عنه فهم عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الذي اشرنا
اليه فامره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال له اخذت بالحزم وهي المبادرة وفي هذا اشارة الى
طريق القوم الذين يقولون الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك معناه عندهم اذا لم تقطعه بالعمل
قطعك بالتسويف والاشتغال بتعمير الوقت وترك الالتفات الى الماضي والمستقبل فايدة ربح
الدنيا والاخرة من الله علينا بفضله وفيه دليل على حسن فهم هذه السيدة لانها فهمت مع صغر سنها
من حقيقة طريقته عليه السلام ما فهم ابوها على كبر سنه ورفعة في قوة ايمانه وصدقه حتى قال صلى
الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره فبحسن اصلها
نجح فرعها وفيه من الفقه ان كلام المرء عنوان على عقله وافعاله دالة على تحقيق حاله ولذلك قال

على كرم الله وجهه حين قيل له في كم تعلم حال الشخص فقال ان تكلم فمن حينه وان صمت فمن يومه فمن
اشتغل بتخليص صحته حسن حاله وحسن حاله ومقاله عن جابر بن عبد الله قال الما حفر الخندق
رايت النبي صلى الله عليه وسلم خمصا فانكفت الى امراتي الحديث ظاهر الحديث يدل على تحقيق
بركة النبي صلى الله عليه وسلم وعظم معجزته الذي اطعم عليه السلام من صاع شعير وداجن الفا حتى شبعوا
وانصرفوا وبقي اللحم كما كان لم ينقص منه شيء والعجين كذلك والكلام عليه من وجوه منها كثرة
تواضعه عليه السلام يوخذ ذلك من كونه عليه السلام كان يعمل في الخندق معهم بيده الكريمة
كانه واحد منهم ومنها ان من السنة التحصن من العدو بكل ممكن يوخذ ذلك من حفرهم الخندق
احتياطا من اجل ان يغلب العدو عليهم فيكون معهم ما يتحصنون منه وفيه دليل على ان من السنة
التسهر للشباب لم يخدم يوخذ ذلك من ان جابرا راه عليه السلام خمص البطن ولولا التسهر
ما راى منه ذلك وفيه دليل على ان كشف البطن من ذوي الهيئات ليس بمكروه يوخذ ذلك
من رؤية جابر بطنه صلى الله عليه وسلم وفيه دليل لاهل الصوفة الذين يرون بالمجاهدة لان البطن
لا يكون خمصا الا بها وفيه دليل على ما طبعه الله عليه صلى الله عليه وسلم من كمال الخلقة والقوة يوخذ ذلك
من كونه عليه السلام كان خمصا شديدا وهو مع ذلك يخدم في اشق الاشياء وهو حفر الخندق وفيه
دليل على ان عمل الاسباب لا يخل بمنصب اهل الفضل يوخذ ذلك من خدمته صلى الله عليه وسلم
في الخندق وفيه دليل على عظيم سيره صلى الله عليه وسلم وسعة صدره المبارك يوخذ ذلك من جمعه عليه
السلام المجاهدة مع الخدمة مع تبليغ ما امر به ومع دوام العبادة فبالليل قائم يصلي حتى تورمت
قدماه وبالنهار في الخدمة مع شدة المجاهدة ومع توفية التبليغ وحسن المسايسة لهم ولا يكون
ذلك الا مع الصبر العظيم والحمل الرباني وفيه دليل على ما كان الصحابة رضوان الله عليهم من تقليل
حطام الدنيا يوخذ ذلك من كون جابر لم يعرف لنفسه شيئا حتى سال عنه عياله هل عندها شيء ام لا
فلم يجد الا صاعا من شعير وفيه دليل على عظيم فضلهم رضوان الله عليهم وكثرة ايثارهم يوخذ
ذلك من كونهم لم يكن لهم غير الصاع من الشعير والداجن فخرجوا عنه ولم يبق لهم شيء غيره
وطحنت فقرعت الي عناقي وقطعتها في برمتها ثم وليت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
لي فضيحتك بك وبك فقلت قد فعلت الذي قلت فاخرجته عجينا فنفث فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا

فهم كما قال عز وجل ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وفيه دليل على كثرة حبهم
في رسول الله صلى الله عليه وسلم يوخذ ذلك من كونهم ايثروه بكل ما ملكوا من الطعام الذي به
يقوم حالهم ورضاهم بحمل المجاهدة به لامته وفيه دليل على ان جهم له عليه السلام تساوي فيه الرجال
والنساء يوخذ ذلك من اخبار جابر امراته حين سالها هل عندك شيء واخبرها بحال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكونه خمصا شديدا فلو لا علم انها موثرة لجانبه عليه السلام كما هو ما اخبرها
بذلك فلو كان غير ذلك لكانت تخفي عنه ما عندها او بعضه لكي توثره اولادها فهم رضي الله
عنهم فهموا قول مولانا جل جلاله النبي اولى بالمومنين من انفسهم فاتخذوها حالا فبذلك
حصل لهم السبق وقوله بهيمة داجن الداجن هي التي تربى في البيت وفيه دليل على تنافسهم في
الخدمة يوخذ ذلك من قوله ففرغت الي عناقي فذلك يدل على بذل كل واحد منهما جهة في الشغل الذي اخذ
فيه وفيه دليل على ان متاع البيت يضاف الى المراة لانها هي المتصرفة فيه وان كان ملكا
لصاحبه كما تقول سرج الدابة وليس لها فيه ملك فلما كان لا يستعمل الا لها اضيف ملكه اليها
يوخذ ذلك من قوله وقطعتها في برمتها وفيه دليل على ان السنة ان يعمل في الامور على جرى
العادة وان كان الذي تعامله ممن له خرق العادات يوخذ ذلك من قولها لا تفضحني برسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن معه لان الجمع الذي كانوا معه كثير وطعامهم يسير والعادة الجارية
ان الطعام اليسير ليس فيه كفاية للجمع الكثير وبالقطع ان سيدنا صلى الله عليه وسلم هو صاحب
المعجزات وخرق العادات وفيه دليل على ان من السنة ان تخبر من تضيفه بمقدار ما اعددت
له يوخذ ذلك من اخبار جابر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمقدار طعامه الذي عنده وهو قوله
ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير كان عندنا وفيه دليل على ان من الادب جواب الواحد
دون الجماعة يوخذ ذلك من قوله فسارر تها اي تكلمت معه سرا وفيه دليل على ان من الادب
عند اعلام ذوي الفضل بمقدار الشيء الذي اباح لهم التصرف فيه هل يكون تصرفهم فيه على
جرى العادة او على خرقها يوخذ ذلك من قولها اعلمه صلى الله عليه وسلم بقدر الطعام

فقال له فتعال انت ونفر معك والنفر يكون قليلا ويكون كثيرا فتادب معه بعدم حصر عدد
الذين يمشون معه وفيه دليل على جواز اضافة الصانع الى صنعته يوخذ ذلك من قوله صلى الله
عليه وسلم يا اهل الخندق فاضافهم الى الخندق لكونهم هم الذين صنعوه وفيه دليل على جواز
رفع صوت ذوي الفضل بين اخوانه واصحابه ليخبر جميعهم بالذي يريد يوخذ ذلك من قوله
فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق وهم كما اخبر اخر الحديث وفيه دليل على ان صاحب
المنزلة الرفيعة تحمله الثقة بمولاه عند الضرورة على ان يعمل على ما عوده سيده من خرق العادة
له فيجده حيث امل وما لا يوخذ ذلك من انه لما راى النبي صلى الله عليه وسلم قلة طعام جابر
وانكسار خاطره في كونه من اجل ان الطعام لا يكفي من هناك من كثرة الجمع عمل صلى الله عليه وسلم
على جبر خاطره ثقة من مولاه ان يخرق له العادة في تكثير الطعام حتى يجبر قلب جابر ويدخل
السرور على جميع اهل الخندق باكلهم كلهم معه صلى الله عليه وسلم فصاح بالجميع واخبرهم بتقليل
الطعام بصيغة لفظه وادلال حاله يخبر بتكثيره فصدقه صلى الله عليه وسلم بالقال والحال لانه
كنى عن الطعام بالسور والسور من الطعام والشراب هو ما بقي في الاناء وصدقه في الحال
لانهم شبعوا وبقي الطعام على حاله وتلك حقيقة الكثرة في الطعام ومن هنا اخذ اهل المعاملات
مع الله على طريق السنة اذا كانوا عند الضرورة تخرق لهم العادات ببركة نبيهم صلى الله عليه
وسلم لانهم يقولون كل كرامة للولي فانها معجزة من معجزات نبيه لان بحسن اتباعه
له عادت عليه تلك البركة وذكروا رضي الله عنا بهم انه من اجري الله تعالى له خرق عادة في شيء من
الاشياء ان ذلك لسان العلم في حقه ولا ينبغي له ان يعدل عن ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم
من رزق من باب فليلزمه فالتزامه ذلك الحال من ادب العبودية وفيه دليل على الاجابة للدعوة
الطعام اذا كان ابتغاء وجه الله تعالى يوخذ ذلك من اجابة سيدنا صلى الله عليه وسلم جابرا لانه
ما يكون للنبي صلى الله عليه وسلم الا ما يراد به وجه الله وفيه دليل على فصاحته صلى الله عليه وسلم
وعذوبة لفظه يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم فحيهلا بكم لما فيها من البلاغة

والاختصار

والاختصار وقوله عليه السلام لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجي هنا اشارة بان اوايل
الامور هي التي يحتج في اظهار البركة مثل ما فعل عليه السلام في عين تبوك الذي اوصى ان لا يتناول
احد منها شيا حتى ياتي فلما سبق ذلك الشخصان ولم يعلما بمقالته انتزحها وسبهما لانهما
عدلا عن مقتضى الحكمة ثم ان بركته عليه السلام عادت عليه وفيه دليل على ان من السنة
ان السيد يقدم قومه يوخذ ذلك من قوله يقدم قومه الناس فياله من سيد ويالهم من ناس
فيا ليت وجنتي تراب لاقدامه ولاقدامهم ولعل داء سقمي يشفي بحسيس انارهم وفيه دليل على ان
من حسن الصحابة اخبار العيال بما جرى وجواز عتب العيال بعلها لكن ذلك يكون بادب
دون سب لانه يفضي الى الترداد وحسن الصحبة وذلك من الايمان يوخذ ذلك من قوله
فجئت امراتي فقالت بك وبك معناه فاخبرتها بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم واهل الخندق
معه فعتبته على ذلك بقولها بك وبك لان هذا كناية من العتب ولم صيغة اللفظ الذي
به عتبته وهذا من حسن سجاياهم وفيه دليل على جواز استعطاف الرجل عياله يوخذ ذلك
من قوله قد فعلت الذي قلت يعني لم فيما اشرت وانما هذا امر اخر من النبي صلى الله عليه وسلم
فرضيت هي اخرا كما رضي هو اولا وعلما ان الخبر حق كما ظهر اخرا وهو شبعهم جميعا وبقي الفضل
بعد ذلك وفيه دليل على بركة كل ما كان منه عليه السلام من خارجه وفضله لانه لولا علم عليه
السلام ببركة ذلك البصاق ما فعل وقوله وبارك اي دعا بالبركة فجاءت البركة في ذلك الطعام
من وجهين من بصاقه عليه السلام ودعائه وقد كانت واحدة منهما تكفي لكن جمع الخير وتعداده
ارفع وفيه من الفقه انه مهما امكن الاخذ بالزيادة في الخير لا يقتصر على البعض وفعل عليه السلام
في العجين مثل ما فعل في البرمة وفيه دليل على جواز المشاركة في انعال البر يوخذ ذلك من قوله
عليه السلام ادع خابزة فلتخبز معك لان تصرفها في هذا العجين وخبزها له من اكبر افعال البر
وفيه دليل على جواز التعاون في اطعام الجمع الكثير لانه مما يتيسر له به المعروف يوخذ ذلك من
قوله عليه السلام ادع خابزة وفيه دليل على جواز القسم عند الاخبار فانه تاكيد للصدق يوخذ ذلك

من قوله اقسم بالله وفيه دليل على ان من صدق الله تعالى في المعاملة ربح في الحال والمال
يوخذ ذلك من قوله لاكلوا حتى تركوه يعني فضل لهم الطعام ولم يقدروا على اكله وزيادة على ذلك
بقوله وان برمتنا لتغط اي تغلي كما كانت مملوءة لحما وقوله ان عجيننا ليخبز اي لم ينتقص من
العجين شيئا لما خرج اولا عن كل ما ملكه من الطعام لله تعالى ربح الاخرة ان اكل طعامه
سيد الاولين والاخرين وجميع اهل الخندق ولم يكن ذلك في قدرته وربح الدنيا اي بقي له
طعامه كما كان وزيادة ما فضل لهم وما حوى ذلك الطعام من زيادة البركة في نفسه
لما خالطه من بصاق النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه فتلك تجارة رابحة وفيه دليل لاهل
الصوفة لانهم يقولون بايثار جميع ما يملكون وهذا يقويه قوله عز وجل لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون فلما اثروا اوثروا من جاد فعلى نفسه بالخير جاد ومن بخل فعلى نفسه
بالخير بخل فباي الوصفين عاملت فعليك منه عايد وانت له حامل عن ابي سعيد الخدري
وابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا على خيبر الحديث ظاهر
الحديث يدل على منع التفاضل بين النوعين من التمر والكلام عليه من وجوه منها ان يقال
هل هذا خاص بالتمر او هو في كل مطعوم اذا كان من جنس واحد لان العلة التي في التمر
اذا اختلفت اجناسه موجودة في غيره من المطعوم اذا كان من جنس واحد لان
الاسم يجمعها فالتفاضل فيها ممنوع مثل الزبيب احمره واسوده وجيده ورديه
الاسم يجمعه فلا يمكن التفاضل بين اجناسه وكذلك غيره من المطعومات اذا كان من
جنس واحد لوجود العلة فيه وفيه دليل على ان الشيئ الفاسد اذا وقع ولم يعرف
صاحبه لا يفسخ يوخذ ذلك من نهيه عليه السلام فيما يستقبل ان قال له لا تفعل
ولم يامره برده لانه قد جمعه من مواضع مختلفة واختلط الجميع وبقي الاحتمال في
انه لا يعرف ما صنع به فما فيه الفساد فلا يتناوله عليه السلام منه شيا والظاهر
تفريقه للمساكين وقد قال عليه السلام للسعديين حين باعا ابنه من قصته من

الغنم

الغنم مثلا بثلاثين درهما لان صاعهما كان معروفا فالفسخ ممكن فامرهما به وفيه دليل
على ان من وظيفة الامر ان يسال عماله عن تصرفهم حتى يعلم كيف هو وكذلك يلزم كل من استاثر
احدا يتصرف له في شيئ حتى يعلم هو برآءة ذمته يوخذ ذلك من قوله عليه السلام حين اتوه
بالتمر ما كان يعلم بهذا الفاسد الذي وقع وفيه دليل على ان اكل الطيب لا يقدح في الزهد يوخذ
ذلك من ان سيدنا صلى الله عليه وسلم ازهد البرية وهذا عامله قدم اليه الطيب من التمر ولم ينهه
عن ذلك وانما نهيه عن الربا وزاد في ذلك تاكيدا اعني في جواز اكله ان قال له عليه السلام بع الجمع
بالدراهم جنيبا فامره ببيع الطيب وفيه دليل على ان تنفيذ الحاكم لا يكون الا بعد تحقق موجبه
يوخذ ذلك من سوال عليه السلام لعامله قبل نهيه بقوله اكل تمر خيبر هكذا وهو يعلم صلى الله
عليه وسلم ان تمر خيبر ليس على صفة واحدة فلم يقتنع بعلمه في تمر خيبر حتى سال من اجل الاحتمال
لعل العامل باع ذلك على وجه يجوز واشتري هذا او غير هذا من الاحتمالات وفيه دليل على ان رؤية
ما يعرف على صفة لا تعرفها توجب السوال عن موجب التعيين يوخذ ذلك من ان سيدنا صلى الله
عليه وسلم راى التمر على خلاف ما يعرف سال وفيه دليل على ان حسن السوال من السنة يوخذ ذلك
من قوله عليه السلام اكل تمر خيبر هكذا فهذا اختصار في اللفظ غاية في حقيقة كشف الامر وفيه دليل
على جواز القسم في درج الكلام وهو الذي يسميه بعض العلماء اللغويين يوخذ ذلك من قوله
لا والله يا رسول الله ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وفيه دليل على ان ذكر اسم العالم عند
رد الجواب عليه عن ما سال من الاكرام له يوخذ ذلك من قوله لا والله يا رسول الله فقد حصل بقوله
لا والله رد الجواب وما بقي ذكر النبي عليه السلام الاعظاما له وتبركا به نطقي بذكر كم الشيئ ورويتكم
بغيتي ملتمسا ويحلو لفظي بكتابكم والصلاة عليكم من الله رحمة لنا عن ابن عباس قال تزوج النبي صلى
الله عليه ميمونة وهو محرم الحديث ظاهر الحديث يدل على جواز نكاح المحرم وانما ذكر
اهل العلم في هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم وكل وهو حلال من يعقد نكاحها معها
رضي الله عنها فانها كانت خرجت برسم الحج قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم وكان توكل

النبي صلى الله عليه وسلم لمن يعقد نكاحه معها وهو بالمدينة قبل خروجه الحج ايضا فخرج من وكله
على ذلك وعقد النكاح بعد احرام النبي صلى الله عليه وسلم فالذي راي ذلك روي ما راي
ولم يكن عنده علم بالتوكيل في ذلك وهذا ليس بقدح في الرواية لانه روي بما روي كما فعل في احرامه
صلى الله عليه وسلم فبعض الناس روي انه عليه السلام احرم في المسجد وبعضهم روي انه احرم
حين استوت به راحلته وبعضهم روي انه احرم حين توسط البيداء واختلف الناس في ذلك
فقال ابن عباس وهو راوي هذا الحديث انا ازيل لكم هذا الاشكال كنت معه عليه السلام فاخر
من المسجد فمن كان هناك روي ما سمع فلما خرج وخرجت معه فلما استوى على راحلته
لبى فمن كان هناك روي ما سمع ثم مشى ومشيت معه فلما توسط البيداء والناس امامه
وخلفه ويمينه ويساره مد البصر لبى فمن كان هناك روي ما سمع فالكل قالوا حقا وفيه دليل
على ان الشاهد انما يشهد بما راى او علم ولا يلزمه علم ما خفي من الامر يوخذ ذلك من كون الصحابي
روي ما راى ولم يكن له علم بما بطن من الامر كما ذكرنا يويد هذا قوله تعالى وما شهدنا الا بما علمنا
وما كنا للغيب حافظين وهنا بحث وهو ان يقال ما الفائدة من اخباره بانها ماتت بسرف وهو
موضع بين مكة والمدينة وهو ايضاح حال ليكون تصديقا لما به اخبر فانه اخبر بزواجها ودخول
الرسول عليه السلام بها وهو حلال وموتها بسرف فمن يعرف هذه الجزويات فهو صادق فيما اخبر به
ويترتب عليه من الفقه انه ينبغي للمخبر بالاشيا ان ياتي من الدلائل على تصديقه بما امكنه فان ذلك
دال على تحرزه في النقل والاخبار وارفع لتهمة المعترض السيئ الظن وفيه دليل على جواز الزواج
في السفر والدخول بالاهل فيه يوخذ ذلك من اخباره انه عليه السلام دخل بها وهو حلال وذلك
في غير سفره عليه السلام ورجوعه منه قبل دخول المدينة عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل رجلا من الانصار الحديث
ظاهر الحديث يدل على ان لا طاعة للامر علي من امر الا فيما طاعة والكلام عليه من وجوه منها ان السنة
ان لا تخرج سرية حتى يكون عليها امير يوخذ ذلك من قوله واستعمل رجلا من الانصار وامرهم

ان

ان يطيعوه وفيه دليل على جواز الكلام للامير والكلام في حال الغضب لكن لا ينفذ منه المامور به الا
ما وافق لسان العلم ويرد ما عدا ذلك يوخذ ذلك من ان امير هذه السرية تكلم في حين غضبه باشيا
فبلغ جميع ذلك كله النبي صلى الله عليه وسلم فمنع منها ما خالف لسان العلم وسكت عن الباقي وسكوته
عليه السلام دال على جوازه فان كلام الامر ذكر ما فيه ما هو حق وهو قوله اليس امركم النبي صلى الله عليه
وسلم ان تطيعوني وهذا قول حق في اخره الغضب ثم امر بشيئ من قبيل الجائز وهو جمع الحطب وقد
النار والجائز يوث فيه الغضب لانه ياتي على حاله من الجواز ثم امرهم بدخول النار وهو ممنوع
شرعا فهذا هو الذي منع النبي صلى الله عليه وسلم من جميع قوله وهو ممنوع في كل حال وفيه دليل على
ان الغضب يغطي على ذوي الاحلام الخفي في بعض الامور لان هذا الامير الذي امر النبي صلى الله عليه
وسلم على السرية لم يامرهم حتى كان فيه دين زائد وفضل ولولا ما الحقه من الغضب بالحقد ما امر جمعا
من المسلمين ان يحرقوا انفسهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت لان كلامك
في حال الغضب وان قال حقا فلا بد له من شيئ ما يقع فيه وقد جاء من طريق اخر ان الغضب من الشيطان
فمن اصابه فليتوضا فانه يذهب عنه وقد روي مثل هذا عن معاوية حين قال له بعض الناس وهو على
المنبر ما اعطا الناس عطايا هم فان المال ليس من كسبك ولا من كسب ابيك ولا من غزل امك فقال على
رسلكم فنزل ودخل منزله فخرج وعليه اثر الماء فقال اما بعد فانه لما قال الرجل مقالته اعضبني واني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر الحديث الذي ذكرناه آنفا وقد زال عني الغضب وصدق
الرجل ليس المال من كسبي ولا من كسب ابي ولا من غزل امي واذا كان في غد تاخذون عطايا كم ولاهل
الطريق في مثل هذا السبق العظيم فيما ذكر عن بعضهم انه كان له غلام وعمل الغلام على ان يغضبه فبقي يروم
ذلك زمانا فما عمل شيئا يوجب الغضب عليه حلم عليه وعفى فلما كان يوما قال له ائتني بالدابة مسرعا
لضرورة لي فابطا عليه فمشى هو بنفسه الى حيث كانت الدابة فاذا بالغلام قد عرقبها وهي ملقاة بالارض
والغلام قاعد ينظر اليها فساله من فعل هذا قال له انا قال له وما حملك على هذا قال اردت ان اغضبك
فانك منذ اشتريتني اروم ذلك منك وما قدرت عليه فقال له اني ان شاء الله لا اغضب من اغواك

ازهق فانت حر لوجه الله وفيه دليل على ان المنجي من النار هو الايمان يوخذ ذلك من قوله فررنا الى
النبي صلى الله عليه وسلم من النار فاذا الفرار الى النبي صلى الله عليه وسلم فرار الى الله تعالى والله عز وجل
يقول ففروا الى الله والفرار اليه سبحانه هو اتباع اوامره واجتناب نهيه وفيه دليل على ان الطاعة
للامير لا تنفع صاحبها الا اذا كانت موافقة للسان العلم والا هي معصية يوخذ ذلك من ان بعض
اهل تلك السرية اراد وان يدخلوا النار اتباعا لامر اميرهم يقصدون بذلك القربة الى الله سبحانه
ثم اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه انهم لو دخلوها ما خرجوا منها فدل ذلك انها لو كانت
لكانت من الكبائر وفيه دليل على ان من السنة رد اخيك المسلم عن ما يضره بالقوة اذا لم يقبل
بالقول يوخذ ذلك من كون الذين اراد وان يدخلوا النار ولم يسمعوا من قول اخوانهم فررنا الى
النبي صلى الله عليه وسلم من النار حبسوهم بالقهر حتى خمدت النار يقوي ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فنصر الظالم ان ترده عن الظلم باي وجه قدرت
وفيه دليل على ان اهل الفضل ليس المعصوم منهم الا من شاء الله تعالى يوخذ ذلك من ان فضل
اولئك الناس كلهم لا شك فيه وقد غلط بعضهم بان ظن ان دخول تلك النار اتباعا لامر اميرهم
طاعة ولم يكن كذلك وفيه دليل على ان الجمع من هذه الامة لا يجتمعون على غلط يوخذ ذلك من كون
تلك السرية انقسموا قسمين منهم من هان عليه دخول النار فظنه طاعة ومنهم من لم يظهر له ذلك
فكان خلافهم سببا لرحمة الجميع وفيه دليل لمن يقول اختلاف العلماء رحمة وقد قال صلى الله عليه وسلم
لن تجتمع امتي على ضلالة وفيه دليل على ان من كان صادقا مع الله تعالى لا يقع الا في خير وان
قصد شرا واراده فان الله يصرفه عنه يوخذ ذلك من انه لما كان الذين اراد وان يدخلوا وظنوا
انه طاعة الله تعالى فبصدقهم مع الله جعل الله اخوانهم حبسوهم عن ذلك حتى نجوا من هذا الامر
العظيم ومن كلام اهل التحقيق من صدق مع الله وقاه الله ومن توكل على الله كفاه الله وهداه جعلنا
الله منهم بمنه لا رب سواه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يقرا القران الحديث
ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما ان الذي يقرا القران ويعمل به هو مع الملائكة والثاني ان

الذي

٤٥

الذي يتعاهده بالتلاوة وهو عليه شديد له اجران والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معنى
قوله مع الملائكة وهم السفرة كما اخبر عز وجل عنهم بقوله تعالى بايدي سفرة كرام برره وبين الاجر
الذي لقاري القران ومنه تبين تضعيفه لانه لا يتبين التضعيف الا بعد معرفة الاصل فمعنى قوله
عليه السلام مع السفرة الكرام الذي اشرنا اليهم وهم الملائكة لانه يحصل له السلامة في الدنيا والاخرة
اما في الاخرة فيدل على ذلك قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون نحن اولياوكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة واما في الدنيا فيدل على ذلك يا ايها الذين امنوا
هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى قوله تعالى نصر من الله وفتح قريب ومن الحديث
قوله عليه السلام في الذي حفظ القران كانما ادرجت النبوة بين كتفيه والانبيا عليهم السلام
لهم خير الدنيا والاخرة والفرق بين حفظه والمحافظة عليه لان حفظه يحصل بالدرس وقد يحفظه
البر والفاجر وقد قال صلى الله عليه وسلم من علامة الساعة ان يفتح للناس في حفظ القران فيحفظه البر
والفاجر يجادلون به المومنين ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله او كما قال عليه السلام والمحافظة
عليه التي هي العمل به لا يكون الا للخصوص من المومنين اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون
الذي نهم مع الملائكة السفرة الكرام البررة لان المحافظة على الشيء الاعتناء به وعمله على ما يجب كقوله
تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وفيه دليل على ان اعلا الاحوال حفظ القران
والعمل به وفيه دليل ايضا ان يقول ان الملائكة ارفع من بني ادم الصالحين يوخذ ذلك من كون اعلى
ما رفعت درجة هذا ان جعل مع الملائكة واما الكلام على اجر من قرا القران بالاشارة عليه فقد جاء
ان له بكل حرف عشر حسنات لا اقول الم حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقد جا
ان من قرا القران في الصلاة قائما كان له بكل حرف مائة حسنة وان كان قاعدا خمسون
وان كان في غير صلاة على طهارة خمس وعشرون وان كان على غير طهارة عشر حسنات
وقد جا ان من قرا القران وهو يعرف لم رفع ولم نصب كان له بكل حرف سبعمائة حسنة فعلى
مقتضى هذه الاشارة اذا تعاهده على وجه وهو عليه شديد كان له ضعفان من ذلك الاجر المسمى

وفي مقتضى هذه الاخبار دليل على انه ليس في جميع النوافل ارفع من قرآة القران الا انه يجب ان
تكون القراءة كما نذكر بعد في الكتاب وهو قوله عليه السلام اقرؤا القران ما ائتلفت عليكم قلوبكم
فاذا اختلفتم فقوموا عنه ويكون خالصا لله عز وجل لا من اجل اجرة توخذ عليه ولا ان يجعل صنعة
ليتوصل به الى شيء من حطام الدنيا وان كان بعض الوجوه في اخذ الاجر عليه خلاف فجواز اخذ الاجر
ليس من هذا الباب لان هذا باب تعبد وذلك باب ما يجوز من انواع التكسبات وما لا يجوز
فلا يجتمعان لان الله عز وجل يقول في انواع التعبد وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين والاخلاص ان يكون لله عز وجل لا يخالطه غيره وقد جاء ان يوم القيمة يقول الله سبحانه
وتعالى خط في عملك مع الله غيره انا اغنى الشركاء اذهب فخذ الاجر من غيري وقد قال بعض اهل
المعاملات مع الله تعالى بالصدق والاخلاص ان قراءة القران بالتدبر حياة النفوس وانه غذاء
الارواح فمن فهمها وعلم حتمه تاه وظن انه يحسن صنعا احيا الله ارواحنا به وجعلنا من حزبه عنده وكرمه
عن ابن مسعود قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ بالايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه
ظاهر الحديث اجزاتة من قيام الليل وصح له اسم التهجد والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل هي بنفسها
تجزي يعني فيها خاص او هل هي على طريق التمثيل انه من قام بايتين يكون طولها كهاتين كفتاه وان
كانتا اقل لا يكفاه او هل يكون معنى الكلام ان من قام بهما او بان ايات تحوي من المعاني مثل
ما حوت كان له في ذلك كفاية وان كان اقل من ذلك لم تجزه فالجواب اللفظ نفسه محتمل لكن
من خارج يقع التخصيص فمنها انه قد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قام بالايتين من اخر ال
عمران كفتاه او كما قال عليه السلام وقد قال الله جل جلاله ومن الليل فتهجد به ولم يخص اية دون
اية وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم لم يخص ايضا ايات بل ما من شيء من الكتاب العزيز
الا وقد قال عليه السلام به وقد كان يتنفل بعض مراره في قيامه بقراءة هاتين ثم يتنفل بعدهما
بما شاء ثم مرارا يقوم ويقرا غيرها ولا يقراهما فلما كان قيام الليل في المستحسن والمستحب وجاء
التمثيل بهاتين الايتين والتي في اخر ال عمران على طريق التمثيل لكن هاتان الايتان اللتين في اخر ال

عمران

٤٦

عمران فان كان هذا الحديث هو المتقدم فيكون ذكر التي في سورة البقرة تحقيقا ونحن لا نعلم المتقدم
فان اخذنا بالاحوط فنعمل على الحديث الذي في اخر سورة ال عمران ويكون التي في اخر سورة البقرة
على الرجاء وان اخذنا باحدي الوجوه التي ذكرها الفقها عند تعارض الادلة وعملنا على التي في اخر ال عمران
فلنا وجه في الفقه والوجوه التي ذكرها الفقها عند التعارض الادلة هي اربعة وقد ذكرناها فيما تقدم
من الكتاب وفيه دليل على ان قيام الليل مطلوب شرعا وبقي البحث على اي وجه هو هل على الوجوب او على
الندب واختلف العلماء في ذلك فالجمهور على انه على الندب ونص الكتاب ينبي بهذا وهو قوله تعالى
نافلة لك ومنهم من قال هو على الوجوب واقل ما يجزي فيه قدر فواق ناقة وهو والله اعلم يدل على
هذا الحديث بطريق ما لان مالكا رضي الله عنه يقول كل ما يكون فرضا فلا بد ان يكون محدودا
بالكتاب او بالسنة وما ليس بمحدود بكتاب ولا بسنة فليس بفرض وهذه السنة في هذين
الحديثين تحده قدر فواق الناقة التي قد حدها الذي جعلها فرضا وهو قدر ما يقام بهاتين الايتين
وفيه دليل على حسن تعظيمه صلى الله عليه وسلم لمن اخذ ذلك من تحديده عليه السلام بهاتين الايتين
وكثير من الناس في الطول مثلها فخصصهما بالتحديد لما فيهما من معنى الدعا وفي ذكرا ياهما ارشاد
منه صلى الله عليه وسلم الى سنته ومن سنته عليه السلام اذا مر باية رحمة بكا واذا مر باية عذاب
استعاذ واذا مر باية تنزيه لله سبحانه سبح وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه من قرا الايتين
من اخر سورة البقرة فاذا ختم السورة فليقل امين فيحصل له الدعا لان كل هو من داع وفيه
دليل على ان اجل الاخوان في الصلاة قوة الايمان يوخذ ذلك من تحديده عليه السلام بهاتين الايتين
وبالتي في اخر ال عمران لان قراءة احداهما فمنها لمن تدبرها قوة في الايمان وقد رمنا كيف كان حاله
عليه السلام في قيامه انه كان يكسوه من كل اية يقراها حال تناسب معنى تلك الاي وكذلك ينبغي
ان تكون تلاوة القران والا يكون تاليه كالحمار يحمل اسفارا وفيه دليل على الارشاد في القيام الى
الاستكانة والخضوع والافتقار يوخذ ذلك من تحديده عليه السلام بهذه الاية لان تدبرها يوجب
الخضوع لله تعالى والافتقار اليه لانه اذا تذكر القاري ذنوبه اوجبت له الذلة والمسكنة واذا

طلب المغفرة منها اوجب له صدق اللجا الى مولاه الكريم والافتقار اليه وفيه دليل على ان من
اجل صفات المصطفى حسن ظنه بمولاه يوخذ ذلك من ان من طلب النصرة على عدوه انما
يكون بصدق مع الله وحسن ظنه به والله عز وجل يقول على لسان نبيه عليه السلام انا عند
ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وفيه دليل على ان المرغب فيه في القراءة مع القيام التدبر مع
القراءة وان قلت وهو خير من كثرة القراءن بلا تدبر يوخذ ذلك من تحديده عليه السلام هذه
الاية لانها بنفس الاوقها يفهم معناها فيحصل القاري بها قراءة وتدبر ومعرفة بمعنى الاية
لان فايدة التدبر هو ان يعرف معنى ما يتلوه من الاي ولها تان بنفس التلاوة يحصل
الفهم بمعناها فيكون التالي بهما في تهجد على اكمل الاحوال وهو التلاوة مع الفهم وفيه دليل
على ما اعطى الله سبحانه له عليه السلام من البلاغة وحسن الادراك يوخذ ذلك من تمثيله
عليه السلام بهاتين الايتين اللتين جمعتا جملا من المعاني الحسان كما ابديناه بتوفيق الله تعالى
واذا تاملت وجدت اكثر وابدع فان عجايبه لا تنقضي وفيما ابديناه دليل على ان الفهم في كتابه
عز وجل وسنة نبيه عليه السلام لا تنال الا بالفضل وان طالب ذلك من غير هذا الوجه متقن
وبهذا جي الاشارة بقوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله فارشدنا عز وجل الى عمل البساط لذلك
والنهي له باستعمال التقوى وان التعليم انما هو منه عز وجل وما هو منه فطريقه الفضل لانه
سبحانه لا حق عليه واجب وفيه دليل لاهل المعاملة مع الله تعالى لانهم ما فعلوا طريقهم في كل الاشياء
الا بتقواه عز وجل والوقوف ببابه من الله علينا جميعا ممن عليهم في الدارين بفضله وكرمه
عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة الحديث
ظاهر الحديث ان من سنته صلى الله عليه وسلم التحصن عند النوم بقراءة قل هو الله احد
والمعوذتين مع مسه بريقه المبارك يفعل ذلك ثلاث مرات والكلام عليه من وجوه منها ان
يقال ما الحكمة في فعله عليه السلام هذا هل هو تعبد لا يعقل له معنى او هو معقول المعنى
فان قلنا غير معقول المعنى فنقول هذه سنته عليه السلام ولا يقبل لها معنى وان قلنا انه

معقول

٤٧

معقول المعنى وهو الاظهر فما الحكمة فنقول احتمل والله اعلم وجوها منها ان يكون عليه السلام تعوذ
من الشيطان وان كانت ذاته المباركة محروسة من الشيطان فيكون ذلك على طريق التعليم لنا
والارشاد اذ ذاته المباركة محروسة من الشيطان وهو يفعل هذا فكيف بالغير فيكون من قبيل
التاكيد كما فعل عليه السلام في تاكيده على التوبة والاستغفار بقوله عليه السلام اني استغفر الله في
اليوم سبعين مرة واتوب اليه في اليوم مائة مرة ويحتمل ان يكون على وجه التبرك بكتاب الله عز وجل
لانه قد جاء من قرا سورة من كتاب الله عز وجل عند نومه بات تحرسه ويترتب عليه من الفقه في
حقنا التحصن بايات الله وكتابه من كل سوء يتوقع ومما يقوي هذا ما روي عنه صلى الله عليه وسلم في يوم
الاحزاب انه كان تحصينه بقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط
لا اله الا هو العزيز الحكيم والدعا المذكور بعدها وهو ما روي عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا يوم الاحزاب شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة الى اخرها وقال
اني اشهد بما يشهد الله به وشهدت به ملائكته واستودع الله هذه الشهادة وهذه الشهادة
وديعة لي عند الله يوديها الي يوم القيمة اللهم اني اعوذ بنور قدسك وعظيم ركنك وعظمة طهارتك
من كل افة وعاهة ومن طوارق الليل والنهار الا طارق يطرق بخير اللهم انت غياثي بك استغيث
وانت ملاذي بك الوذ وانت عياذي بك اعوذ يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له
اعناق الفراعنة اعوذ بك من حربك ومن كشف سترك ونسيان ذكرك وانصرافي عن شكرك انا في حرزك
ليلي ونهاري ونومي وقراري وظعني واسفاري وحياتي ومماتي ذكرك شعاري وتناول دثاري
لا اله الا انت سبحانك وبحمدك تشريفا لعظمتك وتكريما لسحاب وجهك اجرني من خزيك
ومن شر عبادك واضرب علي مراد قات حفظك وارخلني في حفظ عنايتك وجد علي بخير منك
يا ارحم الراحمين واما حكاية الشافعي في تخصيصه بهذه الاية المذكورة مع الدعا المذكور بعدها مما
خافه فان الخليفة وجه اليه مغضبا عليه ليوقع به نكالا فلما جاءه الرسول توضا وخرج وهو يحرك
شفتيه فلما دخل على الخليفة اجلسه الى جنبه واحسن له في القول ودفع له حملة مال فخرج من

بخير خروج فاتبعه الرسول الذي وجه اليه فقال له ناشدتك الله ما كنت تقول حين كنت تحرك شفتيك
فازال الله به غيظ الخليفة وابدله رضا واحسانا فذكر له هذا الدعا الذي رواه مالك عن نافع عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا يوم الاحزاب شهد الله انه لا اله الا هو الي تمامه واحتمل انه
لما كان سبب نزولها عليه السلام من السحر الذي سحره اليهود وشفي بها استصحب الحكيم تاديبا مع اثر
حكمة الله تعالي وقد قال صلى الله عليه وسلم من رزق من باب فليلزمه وهو عليه السلام ما يرشد
بشيئ الا وهو اشد الناس حرصا على عمله ويترتب على ذلك من الفقه لنا ان يلزم الشخص الاشياء
المنجية من الاسوآء التي هي على مقتضى الكتاب والحكمة وان كان من الوقت معافا في نفسه فانه لا امن
ما في الغيب ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وفيه دليل على ان اتخاذ الفراش لا ينافي الزهد
وهو من السنة لانه عليه السلام ازهد الناس وقد اتخذ الفراش ولانه مما اليه حاجة البشر وفيه دليل
على ان النوم وما تدعوا اليه الضرورة كله اجرة لانه عون عليها يوخذ ذلك من كونه عليه السلام
كل ليلة لا بد له من النوم في فراشه وانما الشان في كيفية الفراش كيف يكون وفيه دليل على ان بقدر
رفع المنزلة يكون الخوف يوخذ ذلك من دوامه صلى الله عليه وسلم على ذلك كله ليلة مع كونه عليه السلام
معافا محفوظا مبشرا بخير الدنيا والاخرة لكن مع علو منزلته عليه السلام كان شدة خوفه وقد
صرح عليه السلام بهذا حيث قال اني لاخشاكم لله واعلمكم بما اتقي وقد قال انما يخشى الله من عباده
العلمآ وهو عليه السلام اعظم العلما بالله وكذلك كان علي رضي الله عنه الذي قال عليه السلام
في حقه انا مدينة العلم وعلي بابها اذا كان وقت الامن والعافية دين عليه اثر الخوف واذا كان
وقت الشدائد والمخاوف رؤي عليه اثر السرور والاستبشار فقالوا له في ذلك فقال الدنيا لا تبقي
على حال ما من شدة الا وبعدها فرج وما من فرحة الا بعدها ترحة فهذا مقام العلما حقا ان
يكون حالهم على مقتضى ما دلت عليه الايات والاثار وفيه دليل على ان طمانينته عليه السلام انما كانت
بالله يوخذ ذلك من فعله عليه السلام ذلك عند دخول الفراش وحينئذ ياتيه النوم لان النوم
لا يجتمع مع الخوف مذهب له فاذا تلا كتاب الله تعالي وسمع باثره ذلك الجسد المبارك ذهب

عنه

عنه ذلك الخوف الشديد واطمانت تلك النفس المباركة فاتاه النوم وقد قال عز وجل الا بذكر الله
تطمئن القلوب ولا يطمئن بذكر الله الا القلوب الخائفة منه عز وجل واما غير هؤلاء
فانما يكون طمانينة قلوبهم الا بحسب عاداتهم مثل الملوك ما تطمئن قلوبهم الا بحسن جيوشهم
وكثرتها والتجار بكثرة مالهم وتدبيرهم واهل كل نوع بما جرت به عاداتهم في ذلك واهل التقوي
انما يكون اطمئنان قلوبهم بذكر مولاهم وسيدنا صلى الله عليه وسلم راسهم واصلهم وفيه
دليل على دوام حاله عليه السلام متردد ابين الخوف والرجا يوخذ ذلك من دوامه عليه
السلام على ذلك كل ليلة وهي حالة اولها يدل على الخوف واخرها يدل على الرجا واما كونه عليه
السلام يفعل ذلك ثلاثا فذلك دليل على انه ليس على الارقا ولا التداوي بدليل ما جاء عنه عليه
السلام في الاثار ان الاشيا التي كانت عليه السلام يفعلها على طريق التداوي والرقا يعيدها
سبعا والذي يفعلها لغير هذين الوجهين يكون لها اعتنا وتكون في ذاتها لها بال يعيدها ثلاثا
واحتمل ان يكون فعله عليه السلام ذلك عند النوم لما ان كان النوم الموتة الصغري فجاء هذا
النوع من الابلاغ في التعبدات والاستكثار من اثر بركة الله تعالي حتى انه بعد ما يتعبد
وياوي الى الفراش حيث يكون الراحة تحوي العادة غالبا يجعل فيه تعبدا ولذلك التعبد
اثر يبقي على بشرية بدنه المبارك بعد النوم وهو اثر ذلك التمسح بذكر الله تعالي والريق
المبارك وفيه وجه من التشبه بالموت الحقيقي كما ان الميت يظهر حتى يكون قدومه على مولاه
باثر عبادة على يديه كذلك في هذا وجعلها وتراكما هو غسل الميت وترا وقد جاء ان الذي ينام
على حب سيدنا صلى الله عليه وسلم والتعبدات يوخذ ذلك من كثرة اشتغاله عليه السلام بها
على انواع مختلفة وهي لم تفرض عليه مثل هذا وما اشبهه واذا تاملت وتتبعت اثره صلى الله عليه
وسلم تجده كذلك لان من احب شيا اكثر منه وفيه دليل على فضل ما جاء به عليه السلام يوخذ
ذلك من كونه ما من شيئ من اوصاف البشرية الا ظهرت عليه حتى يحقق ذلك ومع ذلك الصفات
الملكية قد تخلا بها لم تخل منها دوام العبادات وتنويعها مثل ما نحن بسبيله من هذا الحديث

ولم يكن عليه السلام يتحرك حركة الا بذكر الله عز وجل ولا اكل ولا شرب ولا جماع ولا لبس ثوبا الا بذكر
الله تعالى عند ذلك كله ويجد للطاعة حلاوة ويتنعم بها وقد صرح عليه السلام بهذا المعنى بقوله
عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة وبقوله عليه السلام ارحنا بها يا بلال وقد وصفوا صفة
حيث قال كان كثير الذكر كثير الفكر لا يضحك الا تبسما فهذه اوصاف ملكية قد اجتمعت فيه وله الكمال
في اوصاف البشرية وما من صفة من اوصاف البشرية الا وله عليه السلام فيها التقدم وكذلك
في التجلي بالاوصاف الملكية صلى الله عليه وسلم وجعلت للحرمية من صالح امته عن عبد الله بن مغفل
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته او جمله وهي تسير به وهو يقول يقرا
سورة الفتح او من سورة الفتح قراءة لينة . . . يرجع ظاهر الحديث يدل على جواز
قراءة القران للراكب وهو يسير والكلام عليه من وجوه منها قوله على ناقته او على جمله شك من الراوي
وفيه دليل على صدقهم وتحريهم في المنقل وكذلك قوله سورة الفتح او من سورة الفتح قراءة لينة اي
فيها ترتيل وتطويل وهو احسن انواع التلاوة وهو النوع الذي يمكن معه التدبر وقد جاء في صفة
قراءته صلى الله عليه وسلم لو شئت ان تعد حروفها لعددتها وهي حالة تدل على الوقار والهيبة
لما هو يتلو وما تقوله يرجع فضيل الترجيع ترديد القراءة وقيل هو يقارب ضروب الحركات
في الصوت وهو في صحيح البخاري كيف كان ترجيعه فقال آ آ آ ثلاث مرات وهذا انما حصل
منه صلى الله عليه وسلم لانه كان راكبا فجعلت لناقة تحركه فتحصل هذا من صوته وقد جاء
في حديث اخر انه كان لا يرجع قبل لعله لم يكن راكبا فلم يلجا الى الترجيع وليس ذلك كترجيع الغنا
وقد قال عليه السلام زينوا القران باصواتكم ذكر فيه غير واحد من العلما ان معناه زينوا اصواتكم
بالقران وفي بعض طرقه زينوا اصواتكم بالقران والمعنى اسعوا اصواتكم بالقران والهجوا قراءته واتخذوه
شعارا وزينة وليس ذلك على تطريب الصوت وقال اخرون لا حاجة الى القلب وانما معنى الحديث
الحث على الترتيل الذي امر به في قوله تعالى ورتل القران ترتيلا فكان الزينة للمرتل لا للقران
كما يقال ويل للشعر من رواة السوء فهو راجع الى الراوي لا الى الشعر فهو حث على ما يزين من

الترتيل

الحديث الثاني بعد المائتين

الترتيل والتدبر ومراعات الاعراب وقيل اراد بالقران القراءة اي زينوا قراتكم باصواتكم وقوله
عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقران قيل في ذلك معان فمن جملة معانيه ان يجعله مجيرا له
وتسلية نفسه وذكر لسانه في كل حالاته كما كانت العرب تفعل ذلك في الشعر والحداء في قطع مسافاتها
وحروبها فيجد القاري من الانس وانشراح النفس بتلاوة القران كما يجده اهل الغنى بغنائهم ولا
يفهم من ترجيعه عليه السلام ان يكون كترجيع الغنا لانه صلى الله عليه وسلم قد نهى عن ذلك بقوله اقروا
القران بلحون واصواتها واياكم ولحون اهل العشق ولحون اهل الكتاب وسياتي بعدي اقوام
يرجعون بالقران ترجيع الغنا والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم
شانهم واللحون جمع لحن وهو التطريب وترجيع الصوت وهذه القراءة المنهي عنها لا يمكن معها فهم
ولا تدبر وهي منافية للخشوع وهذه الصفة ليست مقصورة من التلاوة وفيه دليل على اظهار التعبد
وهي السنة يوخذ ذلك من قراته عليه السلام وهو يسير على ناقته لانه صلى الله عليه وسلم لما كان
شانه دوام التعبد وجاء ت ضرورة السير لم يترك القراءة التي كان عليه السلام يفعل سرا لانه في
النوافل افضل فعلها الان جهرا افضل من اجل تقعيد هذه القاعدة الشرعية ويترتب عليه من الفقه
لاهل الاعمال السنية وكل الافضل فيما اخفاه ما لم يكن يوضعه لا يمكن غيره لاخفاه كالجهاد وتدريس العلم
وما اشبه ذلك فان لم يقدر على الاخفا فيه فاظهاره وهو الاولى لانه ان لم يكن اظهار آل الامر
الى الترك وفيه دليل على ان الجهر في التلاوة اولى من طريق الافضلية يوخذ ذلك من كونه صلى الله عليه
وسلم جهر بها في هذا الموضع وفيه دليل على انه اذا تعارض في العبادة امران اخذ بالاعلى يوخذ ذلك
من انه لما تعارض هنا لسيدنا صلى الله عليه وسلم فضل الجهر بالقراءة وفضل اخفا العبادة وينبغي عند
الاظهار ان يزيل عن قلبه حب الميل الى المدح لان ذلك هو اكدر الفعال وقد نصر اهل التوفيق ان
طلب المدح مفتاح فقر الا بداعا نا الله من ذلك بمنه وكرمه عن جندب بن عبد الله قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم اقروا القران ما ائتلفت عليه قلوبكم فاذا اختلفتم فقوموا عنه ظاهر
الحديث يدل على ان لا يقرا القران الا بجمع القلب على قراءته واذا كان القلب على تخالف لما

الحديث الثاني بعد المائتين

انت تتلوه فلا تتلله والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل هذا الامر هنا على الوجوب وعلى الندب
وما حد ائتلاف القلب المجزي في ذلك وهل هذا عام في اقراه فيه واجب ومندوب ولا فما قولنا
هل الامر على الوجوب والندب فاللفظ محتمل لكن اقل ما يكون ندبا وفيه دليل على ان الاعظام لجناب
الربوبية هو ارفع العبادات يوخذ ذلك من طلبه عليه السلام حضور القلب عند التلاوة واجتماعه
على ذلك وهذه حالة الاعظام والاجلال وقد نص عليه السلام على ذلك بقوله ان الله لا يقبل
عمل امرئ حتى يكون قلبه مع جوارحه فعلى هذا الحديث فيكون الامر هنا على الوجوب فيترتب
عليه من الفقه ان الاجور التي جاءت لمن يتلو الكتاب العزيز انها ما تصح الا لمن يتلوه على هذه
الصفة ويبقى البحث هل من يتلوه على غير هذه الصفة يكون ماثوما او لا لقوله عليه السلام فاذا
اختلفتم فقوموا عنه فان حمل هذا الامر الثاني على الوجوب فيكون ماثوما وان حملناه على
الندب فيكون مكروها وهو اقل الوجوه والظاهر في الموضع عدم الاثم وذلك راجع الى ما نفعله
بعد ان شاء الله تعالى فنقول هل ذلك النهي يتناول من قصد ذلك النهي من قصد ذلك النهي ومن
لم يقصده اعني انه يقرا وهو يقصد التفكر في شيء اخر والذي لم يقصد هو الذي يدخل بنية القراءة
ثم تطرا على قلبه الغفلة والخروج الى الفكرة في شيء اخر ليستدرجه العدو في ذلك او النفس اما الذي
يدخل بنية انه يقرا ويفكر في شيء اخر فلا شك ان ذلك مكروه من الفعل مثاله اذا كان انسان يكلمك
فترد ظهرك اليه وهو يخاطبك فهذه هي تلك الحالة وليس هذا من الادب ويخاف عليه واما الذي
يدخل بنية الادب في التلاوة وتعرض له الغفلة او الفكرة فلا يخلو اما ان يدفع ذلك او يتمادى
معه فان دفعه فيرجى ان لا يضره لقوله تعالى اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون وقد قال اهل التوفيق انما نحن مكلفون بدفع الخواطر لا بان لا تقع ويويد ما قالوه سيدنا
صلى الله عليه وسلم حين قالت له الصحابة رضي الله عنهم انا نجد في نفوسنا ما يتعاظم احدنا ان
يتكلم به قال وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان يعني في دفع ذلك الشيء وتعاظم ان تكلم
به فان تمادى مع تلك الخواطر فلا يخلوان يكون تماديه بغفلة ونسيان او تعمد فان كان بغفلة ونسيان

فيرجع

فيرجع عنه استضاقته لذلك ويرجى ان لا شيء عليه لقوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطا
والنسيان وان كان تماديه بالقصد والذكر فهو الذي دخل بالنية المتقدمة سواء وما يشبه
ذلك الذي يكون يعمل شغلا وهو يقرا فان كان قلبه مجتمعا على القراة فلا يضره عمل الشغل لان
يده فيه عارية وقلبه مشغول بعبادته وذلك بشرط ان يكون الشغل مما ليس فيه قذارة ولا نجاسة
ويكون المحل طاهرا ولا يكون فيه لغط ولا شيء مكروه وان قلبه متعلقا بالشغل فممنوع
له القراءة والمنع على احد الوجوه المتقدم واما حد ائتلاف القلب المجزي في ذلك فاقله ان تسمع بقلبك
ما تتلوه بلسانك كانك تسمع لغيرك يقرا عليك واعلاه ان تتفكر في معناه حتى تفهم ما انت
تتلوه ويكسوك من معنى ترد عليك حالا مينا سببه تاسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم في تهجده كان اذا
مر باية رحمة سال واذا مر باية عذاب استعاذ واذا مر باية تنزيه سبح واذا مر به
اية مثل تدبر واعتبر فمن كل اية يتلوها تصدر عنه عليه السلام حالا مينا سببها واما قولنا هل هذا على
عمومه فيما هو قراة القران فيه واجب ومندوب كالصلاة الواجبة مثلا وصلاة النافلة والتلاوة
في غير صلاة فالاحتمال واقع لكن الاظهر انه في صلاة الفرض اشد لا سيما مع الحديث الذي اخرجه ابو داود
وهو انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة واسقط من قراءة السورة التي قرا فيها بعض ايات فلما سلم سال
بعض الصحابة هل اسقطت من هذه السورة شيئا فقال لا اعلم ثم اخر ذلك فاما في الثاني والثالث
قالوا هنا ابي قالوا نعم قال هو لها فجيء بين يديه فساله هل اسقطت من هذه السورة شيئا فقال نعم
اية كذا وكذا فقال لم لا فتحتني قال ظننت انها نسخت فقال صلى الله عليه وسلم يقرا كتاب الله بين
اظهركم ولا تعلمون ما قري وما لم يقرا هكذا كان بنو اسرائيل حتى ازال الله الخشية من قلوبهم
ان الله لا يقبل عمل امرئ حتى يكون قلبه مع جوارحه او كما قال صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله
عليه وسلم ليس لامرئ من صلاته الا ما عقل منها او كما قال عليه السلام فيكون المعنى هنا والله اعلم كما قال
مالك رضي الله عنه حين سال عن الركعتين بعد الطواف افرضهما امر لا فقال هو من جنس الطواف
ان كان فرضا فهي فرض وان كان ندبا فهي ندب وفيه دليل لاهل الصوفة الذين يجعلون

الحرمة اكراما لهم حتى انه ذكر عن بعضهم انه دخل المسجد وقعد فوجعته رجله فجاء ان يمدها ثم قبضها واستغفر الله تعالى فقال له بعض اصحابه يا سيدنا ليس في هذا شيء فقال لكن ليس لكرامتي وانا فلا يمكنني ذلك اخاف على نفسي من العقاب وكان بعضهم ياخذ رجليه فاذا نظر اليه يبكي ويستغفر فسأل عن ذلك فقال كان جراح له بها فغلبني شدة الوجع حتى رقيتها فشفيت من حيني فجعلها من جملة الذنوب كونه لم يصبر ويرضى بجري القضاء فتلك الحرمة والاحترام اوجبت له الحرمة والاكرام فهنالهم من اعطاهم والحقنا بفضله باعلاهم لارب سواه عن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله اني رجل شاب وانا خائف على نفسي العنت ظاهر الحديث يدل على نفوذ القدر الذي جف به القلم ولا ينفع معه حيلة من الحيل والكلام عليه من وجوه منها ان من السنة شكوى الشخص بما به وما يتوقعه من الاذى لمن يرجى بركته يوخذ ذلك من شكوى ابي هريرة ما يخاف على نفسه من العنت الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المستحب عليه ان يشكو ما به الى راعيه وفيه دليل على ان النكاح لا يتعين الا عند القدرة على الصداق يوخذ ذلك من قوله ولا اجد ما اتزوج به وفيه دليل على جواز تكرار الشكوى للراعي ثلاثا وكذلك لذوي الفضل ممن يرجى بركتهم وفيه دليل على ان سكوت ذوي الفضل عن الجواب دليل على عدم نجح ما قصده فيما شكاه له فان اجتزا السائل بذلك السكوت في اول مرة او ثانية والا جابه المسؤول في الثالثة يوخذ ذلك من شكوى ابي هريرة الى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا فسكت عنه عليه السلام في الاولى والثانية وجاوبه في الثالثة لان من خلقه عليه السلام الحياء وهو من شعب الايمان فلما لم يكن له عنده ما سال مخرجا اعرض عنه في الاولى لعله يقنعه ذلك وكذلك في الثانية فلما بلغ الثالثة جاوبه من اجل تقرير الحكم وفيه دليل على ان من الادب ان يقدم طالب الحاجة عذره قبل طلب الحاجة يوخذ ذلك من ذكر ابي هريرة عذره اولا وهو قوله اني رجل شاب والشاب هو اشد في شهوة النكاح من غيره ولذلك جاء تعجب ربك من الشاب والشاب ليست له صبوة لقوة الدواعي عليه في ذلك وهنا بحث وهو ان يقال لم امر عليه السلام ابا هريرة بالتوكل والاستسلام للقدر وامر غيره بعمل

السبب

السبب في هذا الشان نفسه حين امر عليا السلام بالصوم لما لم يطق النكاح وقال هو له وجاء والجمع بينهما هو انه صلى الله عليه وسلم طبيب الدين يعطي لكل انسان ما يصلح به كما يفعل طبيب الابدان لما كان الذين امرهم بالصوم فيه فائدة وقمع لتلك الشهوة الردية امرهم به ولما كان الغالب على ابي هريرة الصوم لانه كان من اهل الصفة وقد كان كما اخبر عن نفسه انه يغشى عليه من الجوع ولا يعرف احدا به وهذه الحالة باشد ما يكون من المجاهدة في الصوم ولم تزل عنه الشهوة الباعثة امره بالتوكل الخالص ويترتب عليه من الفقه انه مهما امكن المكلف عمل شيء من الاسباب الذي هو اثر الحكمة بشرط ان يكون على لسان العلم فلا يتوكل الا بعد علمها ولا يتوكل ويترك اثر الحكمة فانه مخالف للحكمة الشرعية واذا لم يقدر على شيء من اثر الحكمة فليتوكل على مولاه وليوطن نفسه على الرضى بما جرت به الاقلام ولا يتعب نفسه في ان يعمل شيئا من الاسباب ولا بد ويرى ان ذلك فتح له مما يخافه او مبلغ له لما يرجوه فان ذلك مخالف للسنة نعوذ بالله من ذلك وهذا القسم هو الذي اهلك كثيرا من الناس وفيه دليل على ان اقوى الاسباب واكثرها اذا لم يكن بموافقة القدر لا ينفع يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم فاختصر على ذلك اوذر لان اقوى الاسباب في منع النفس من ان يقع الشخص في العنت الذي هو الزنا ان يقع الجارحة التي يقع بها الفاحشة لان الفحل من البهائم اذا خصي لا يمكن له نكاح ثم مع ذلك لا يمنعه من الوقوع ما قدر عليه من ذلك وفي هذا تسلية عظيمة للعاجزين عن الاسباب فيما يرجون نيله او يخافون وقوعه وقوة في الايمان بان الله على كل شيء قدير وان الامور تجري بمقتضى ارادته باسباب او بغير اسباب كيف شاء لا تتوقف ارادته على شيء يلزم فعله او تركه بل ارادته تنفذ كيف شاء وفيه دليل على ان ما جبل عليه طبع المكلف ليس بعذر له في ترك ما امر بتركه وفعل ما امر بفعله يوخذ ذلك من ان ابا هريرة شكى ما طبعت عليه البشرية في حين شبيبتها عسى يكون له في ذلك عذر فلم يعذر فيه لانه اخبر ان ما قدر عليه يلحقه فان قدر عليه الوقوع فلما نهي عنه وجب عليه الحد الذي حده نعوذ بالله من شر ما جبلنا عليه بمنه وكرمه عن عائشة قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم

ظاهر الحديث ان المرض عذر يجوز للحاج ان يتحلل في احرامه حيث صابه ولا شيئ عليه وفيه حجة
لمن يقول بذلك من العلماء اختلفوا في معنى قوله عز وجل فان احصرتم فقال بعضهم لا يكون
الحصر الذي يكون عذرا ان يكون بعدو كما فعل سيدنا صلى الله عليه وسلم حين منعه اهل مكة الدخول
وصالحوه ان يدخلها العام القابل ومنهم من قال ان الحصر يكون بالعدو والمرض لا غير وله في هذا
الحديث الذي نحن بسبيله حجة ومنهم من قال العذر اي عذر كان عدوا او مرضا او غير ذلك
من جميع الاعذار فهو حصر لكن حصل له الاتفاق على ان العدو حصر وبقي الخلاف بينهم فيما
عدا ذلك وكذلك اتفقوا ايضا انه ان كان ضرورة لم يحج فعليه حجة الاسلام وهنا بحث وهو انه
لا يخلو هذا الحديث قبل الاية فتكون الاية ناسخة للحديث على مذهب الجمهور ان الناس اختلفوا
في هذه الاية هل نزلت بعد امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه ان يفسخوا على قولين الحج في العمرة
كما امر الله سبحانه وتعالى في وادي العقيق حين قال عليه السلام اتاني الليلة ات من ربي وقال
لي صلي في هذا الوادي المبارك وقل على قولين وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ان اتمام الحج هو ان
يفسخ في عمرة ونهى عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وان كان الحديث جاء من طريق انه صلى
الله عليه وسلم دخل عليها وهي تبكي فمن اجل ذلك سالها وفيه دليل على جواز الحكم على الشخص بقرينة
الحال يوخذ ذلك من سوالة صلى الله عليه وسلم لها ما ظهر له من حالها مما كان بكاوها الفوات الحج
من اجل ما الحقها من كونها وجعة او غير ذلك ليتحقق ما ظهر له من حالها وفيه دليل على فضل الصحابة
رضوان الله عنهم اجمعين يوخذ ذلك من انهم لما كانت همتهم الا الدين عليه كان بكاوهم وبه
كان فرحهم ويقوي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان المومن يسره حسناته ويسوءه سياته او كما قال
عليه السلام فهم كانوا اكثر الناس بعد نبيهم عليه السلام ايمانا وكذلك كان فرحهم بالايمان وحزنهم
على ما فاتهم منه مع العذر فما الك بغير العذر واليوم على الضد سواما نجد الفرح الا بزيادة
الدنيا ولا الهم الا على نقصها في الغالب لاهل التوفيق وقليل ما هم فانا لله وانا اليه راجعون
على ضعف الدين وفيه دليل على ان مساق اليمين في درج الكلام لا شيئ فيه اذا كان بابا

في يمينه

في يمينه يوخذ ذلك من قولها في الاوجعه واقرها النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ولم يقل لها
في ذلك شيا وفيه دليل على انه ما يكون من الاشياء بغير واسطة اثر الحكمة ينسب الى الله سبحانه
وتعالى يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم قولي اللهم محلي حيث حبستني فلما كان
حبسها بالمرض وليس لاحد فيه من اثر الحكمة شيئ وهو التسبب بسبب الحبس به الى
الله تبارك وتعالى وفيه دليل على ان من فصيح كلام العرب تسمية بعض الشيئ بالكل
يوخذ ذلك من قول سيدنا صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي ولم يعين عليه السلام الا
احرمي بالحج فسمى الاحرام وهو ركن من اركان الحج وجزء منه حجا وهنا بحث وهو ان
يقال ما فايدة اخبار الراوي عنها انها كانت تحت تعداد والجواب ان فيه من الفقه ان
المراة لا تستامر زوجها في الحج لان النبي صلى الله عليه وسلم قال حجي واشترطي ولم يامرها
بان تشاور زوجها فدل ذلك على انه ليس له ان يمنعها من الحج ولذلك نص العلماء على انه ليس
للزوج ان يمنع زوجته من الحج اذا كانت ضرورة وفي منعها من التطوع خلاف ولاهل
الصوفة اسوة في الصحابة رضي الله عنهم لان ما فرحهم الا بالدين ولا همهم الا على ما فاتهم
منه وقال من كان فرحه للدنيا فمن قريب عاد الفرح هما عن جابر بن عبد الله قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم يكره ان ياتي الرجل اهله طروقا الحديث ظاهر الحديث يدل على ان
كراهية النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتي الرجل اهله على غفلة وهم لا يعلمون بمجيئه وذلك اذا
كان في سفر والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل هذه الكراهية لحكمة تعلم مرادا ومن
فعل ما كرهه النبي صلى الله عليه وسلم هل يكون على بابه من ان فاعل المكروه لا شيئ عليه
والتارك له ما يجوز ام لا وهل يتعدى ذلك اذا فهمنا العلة ام لا فاما الجواب على قولنا
ما الحكمة فقد بينها صلى الله عليه وسلم في غير هذا الحديث فقال حتى تمتشط الشعثة
وتستحد المغيبة لانه صلى الله عليه وسلم كان ينظر لكل ما فيه صلاح وتواد بين امته فيرشدهم
اليه فلما كانت غيبة الرجل عن اهله توجب لهن ترك التطيب وترك التزين في الغالب

من عاداتهن والطيب لبعض النسوة اذا لم يفعلن منه شيئا يبدو منهن شيئا لا يعجب الزوج وربما
يكون من اجلها الفراق بينهما او تقع في النفوس من كراهية وربما تسوء العشرة بينهما من اجل ذلك
فارشد صلى الله عليه وسلم الى ما فيه ستر العيوب وسبب الى التوادد وحسن العشرة التي هي من الايمان
وهنا بحث وهو ان زينة المراة لزوجها لا تكون الا بما هو على لسان العلم من التطيب بالطيب المشروع
لهن وتحسن الثياب على قدر حالهن من حدة او غيرها ولا يكون بتغير خلق الله تعالى ولا بمكروه
ولا بتدليس فان ذلك كله ممنوع شرعا ومن حاول امرا بمعصية فهو ابعد له مما يرجوه واقرب اليه
لما يكرهه واما قولنا هل على من فعل ذلك المكروه شيء فقد روي ان بعض من كان في زمانه صلى الله
عليه وسلم وسمع تلك الكراهية انه لما قفل من بعض اسفاره حمله الشوق الى اهله اذا تاهم طروقا
فوجد مع عياله غيره قد خلفه فيهم واشتهرت قصتهم وافتضحوا في المدينة قال العلما هذا عقاب له
لمخالفة السنة اعاذنا الله من مخالفتها بمنه ولا عقاب اشد مما جرى على هذا المذكور مع العذر
فكيف حال من يفعله دون عذر واما قولنا هل يتعدى الحكم فهذه العلة التي ذكرناها حيث وجدنا
وجها من الوجوه يكون فيه سبب الى الثواب وحسن العشرة او ستر العيوب ولا يكون فيه مخالفا للسان
العلم نذبنا الى فعله ومن هذا الباب نص الفقها على لا يدخل الرجل بيته حتى تنخع او يتكلم او يعمل حركة
ينبئ بها اهله انه داخل عليهم من اجل ان تكون على حال لا تريد ان يراها زوجها عليها ومما يقوي ذلك
انه جاء بعض الصحابة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال يا رسول الله
وانا اخذ مها فقال له صلى الله عليه وسلم يحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن عليها اذا
ومن طريق النظر فان البشرية لها ضرورة وبعضها لا يحب احد ان يطلع عليه وهو فيها وفيه
دليل على ستر العيوب ما كانت يوخذ ذلك من كونه عليه السلام كره دخول الرجل على اهله طروقا
وقد جعل بين الزوجين من المكاشفة ما بينهما واطلاع بعضهم على جميع جزويات صاحبه
باطنه وظاهره ما لا يخفى بها على احد حتى لا يمكن ان يخفا عليه من عيوب صاحبه في الغالب شيء فكيف به
في الغير فذلك من باب احرى فالسان ان يكون المرا شانه ستر عيوبه في الدنيا والاخرة ومن الحمق

ان يستر ها في الدنيا ويفضح نفسه في الاخرة وقد قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن
عيوب الناس فان شغله بعيبه هو اهتمامه بزواله وتغطيته في الدنيا والاخرة وطوبى شجرة في الجنة من
احسن شجرها وفيه دليل لاهل السلوك الذين يقولون انما الصديق الذي يهدي ليك عيوبك اي ينبهك
عليها فتصلحها ومثل ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يكتب لعماله رحم الله
من اهدى الينا عيوبنا فكتب اليه انه بلغني انك لبست ثوبين واكلت بارامين فقال له اما ما كان
من الثوبين فلبرد اصابني واما الارامان فكان خلا وزيتا ولا اعود وجزاك الله خيرا فذوا لهم
السنية والفحولية العلية نسجوا على منوالهم واستنوا بسنتهم واخوا التحنيث باعنده من حال
القوم وازع ولا بريعة من حسيس عن ابن عباس ان زوج بريرة كان عبدا يقال له مغيث
كاني انظر اليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عباس الا تعجب من حب مغيث بريرة الحديث ظاهر الحديث على اعذاره صلى الله عليه وسلم
لذوي الابتلاآت وشفاعته لهم والكلام عليه من وجوه منها جواز شفاعة الحاكم لمن يحب شفاعته
اجابته والشفوع عنده بالخيار في قبول الشفاعة وردها بعذر يكون به خلاف الحكم فانه ليس فيه
اختيار على اي حال كان يوخذ ذلك من قولها اتامرني فقال لها صلى الله عليه وسلم انما اشفع فلم تقبل
الشفاعة لما كان لها من عذر سدة بغضها له وبعلمها بشفقة النبي صلى الله عليه وسلم على الجميع
على حد سوا وفيه اشارة الى ان الشافع بنفس الشفاعة يحصل له الاجر وليس من شروط ذلك قضا الحاجة
يوخذ ذلك من قوله عليه السلام انما اشفع فقوة الكلام تعطي ان ما كان قصده عليه السلام الا نفس
الشفاعة لا غير وقد بين ذلك الكتاب العزيز والسنة الواضحة بالتصريح اما الكتاب فقوله تعالى
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ولم يشترط فيها قبول الشفاعة واما السنة
فقوله صلى الله عليه وسلم اشفعوا توجروا ويخلق الله على لسان نبيه ما شا وفيه ايضا دليل على
ان يشفع الفاضل عند المفضول يوخذ ذلك من ان سيدنا صلى الله عليه وسلم هو الفاضل وقد شفع
عليه السلام عند ابة معتقة وفيه دليل على ان من حسن الصحبة تنبيه صاحبك على ان يعتبر

في ايات الله تعالى واحكامه ليحصل له من قوة الايمان ما حصل لك يوخذ ذلك من قوله صلى الله
عليه وسلم يا عباس الا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا وفيه دليل على ان
نظره صلى الله عليه وسلم كله كان بحضور وفكرة يوخذ ذلك من تنبيهه عليه السلام العباس
على ما كان من بريرة ومغيث وفيه دليل على ان ما خالف العادة من اي الوجوه كان فانها اية
ينبغي التعجب منها والاعتبار فيها يوخذ ذلك من انه لما كان العرف بين الناس من احب شخصا
واكثر من خدمته فان نفسه تميل اليه وقد يكون من اجل ذلك المحب له وقد قال صلى الله عليه وسلم
جبلت القلوب على حب من احسن اليها والاحسان عام من وجوه فقد يكون بالمحسوس
من حطام الدنيا وقد يكون بالتخدم او حسن الكلام واما ما يكون به ادخال سرور ما على النفس فانها
بذلك تميل الى فاعله وقد تميل بمجرد المدح لها فلما كان حب مغيث بريرة وتخدمه لها وبكاوه
عليها ومشيه خلفها وذلك كله مما تستمال له النفوس لا تزيد فيه بذلك الا بغضا كان موضعا للتعجب
والاعتبار في قدرة الله تعالى ولذلك قال بعض اهل التوفيق اذا كانت حسناتي سيآتي فيما ذا القرب
ومن ههنا اعتبر اهل التوفيق وخافوا مع ما هم عليه من حسن الحال ان يقال لهم لا اقبل منكم شيئا اعاذنا
الله من ذلك بمنه وكرمه وفيه دليل على حسن ادب جميعهم احرار وعبيد يوخذ ذلك من حسن جوابها
في مراجعته عليه السلام بان ابت عذرها بقولها فلا حاجة لي فيه ولم تفصح برد الشفاعة بعد ان
سالت هل ذلك امر امرك ويترتب عليه ان من حسن الادب التماس العذر لاهل الفضل ولا ترد لهم
شفاعة مواجهة بل يكون بدل ذلك تبيين العذر المانع لقبول شفاعتهم وفيه دليل على ان كثرة الحب
تذهب بالحيا من الغير ولا يرى الا ما هو فيه يوخذ ذلك من حال مغيث كونه يمشي خلف بريرة وهي
تسيل ولا يخفى ذلك من هناك ولا من ينظر اليه مما غلب على قلبه من كثرة حبها وهذه الطريقة
اعني كثرة الحب يميز اهل الدنيا والاخرة فلما ان كان اهل الدنيا قد غلب على قلوبهم حبها لم ينفعهم
ما تليت عليهم من الايات والمواعظ ولا ما جاءهم من البلايا فيها كل ذلك قد تعاموا عنه ولم يروا
ما هم بسبيله اعاذنا الله من ذلك بمنه ولما ان كان اهل الاخرة قد حصل لهم من المعرفة بها وحبهم

لمولاهم

٥٤

لمولاهم ما حصل لم يروا من الدنيا شيئا وان كانوا فيها مع اهلها ومما يذكر عن بعض سادة اهل السلوك
انه كان ما دام مع اصحابه على بعض الجبانات ونسوة ينحن على ميتهن فترك اصحابه ودخل معهم
فتعجب اصحابه وتركوه وانحرفوا عنه حتى راحت النسوة وبقي هو في حاله في ذلك الموضع فاتاه اصحابه
وجعلوا يعتبونه على ما وقع منه فقال لهم ما رايت مما تقولون شيئا وانما رايت قوما يبكون على ذنوبهم
فدخلت البكي معهم على ذنوبي وخلفوني وراحوا فتعجب القوم من غلبة حال الخوف حتى لم يبق له الا
ما كان فيه وكذلك يروى عن رابعة العدوية في قولها فيما غلب عليها من حب مولاها

احباك حبين حب الهوى ... وحب لانك اهل لذاكا ... فاما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بك عن من سواكا
واما الذي انت اهل له ... فكشفك لي الحجب حتى اراكا ... فلك الحمد في ذا وذاكا ... وليس لي الحمد في ذا وذاكا

وقال صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم فكان شتان ما بين المحبين من سره ان لا يرى ما يشوه
فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا فكل ما سوى مولاه مفقود وهو سبحانه الواحد الموجود في كل حال جعلنا
الله من اهل محبته في الدارين بفضله عن عمر بن الخطاب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيع
نخل بني النضير ويحبس لاهله قوت سنتهم ظاهر الحديث يدل على ادخار قوت العيال سنة والكلام
عليه من وجوه منها ادخار قوت العيال سنة لا يخرج فاعله من طريق الزهد لان سيدنا صلى الله عليه وسلم
راس الزاهدين وسيدهم وكان عليه السلام يعطي لعياله قوت سنة بسنة ولان اعطاء قوت العيال
هو من باب اعطاء الحقوق التي عليه وفيه دليل على عائلة الغير وان كانوا اقرب الاقربا انما تكون بمقتضى
الحكمة اذا قدر عليها يوخذ ذلك من فعله صلى الله عليه وسلم لانه لما ان فتح الله عليه بنخل بني النضير
واجرى الله حكمته ان النخل لا يستغل الا مرة في السنة كان اذا جاء وقت غلتها يعمل في حق ...
وان كانوا اقرب الناس اليه وهم عياله صلى الله عليه وسلم على مقتضى الحكمة فكان عليه السلام يعطيهن
نفقتهن الى مثلها من قابل فذلك سنة وكان عليه السلام يعطي كل واحدة منهن ثمانين وسقا من تمر
وعشرين وسقا من شعير وكان عليه السلام في خاصة نفسه المكرمة لا يدخر شيئا وكن رضي الله عنهن
يقدمن منها الاخر فالاخر وقيل نخل بني النضير كان هو وهن جميعا صلوات الله عليه ورضي عنهن

على حسب ما يفتح الله تعالى لهم فكان يوتر بما يفتح عليهن حتى انه قد ذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه اتى له
بكبش فغرقه وما حبس لعياله الا الراس راسه فقالت احداهن ذهب الكبش كله الا الراس فقال عليه السلام
محاوبالها بل بقي كله الا الراس هو الذي ذهب وكما ورد ويترتب عليه من الفقه انه لا يحمل الراعي من ند عليه
رعاية على الزهد بالجبر ولا بان يحبس له من حقه شيئ لعله يزهد بل يوفي له حقوقه ويندبه بعد الى الزهد
ويرغبه فيه ويكون في خاصة نفسه يحملها في ذلك على ما تختاره وفيه دليل على ان الزهد من شرطه
خروج المال عن اليد وانما الزهد فيما يرضي به ربه يوخذ ذلك من مسك سيدنا صلى الله عليه وسلم محل بني
النضير ولم يخرج عنها حتى مات وبقيت هذه وكان تصرفه فيها كلها على ما يرضي ربه ويقربه اليه
وقد زاد ذلك بيانا بقوله عليه السلام في حديث عن هذا ليس الزهد بتحريم الحلال وانما الزهد بان
تقطع الاياس مما في ايدي الناس وتكون بما في يد الله اوثق بما في يدك او كما قال عليه السلام وقد
قالت السادة رب تارك وهو اخذ ورب اخذ وهو تارك لان مدار الادب على ما تحويه القلوب
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وفيه دليل على ان
التصرف ايضا في مصالح المال لا ينافي الزهد يوخذ ذلك من بيعه صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير لان البيع
من جملة التصرف في المال وقد كان عليه السلام يبعث من تخرص عليهم وينظر فيما يصلحهما وقد
قال اهل المعاملات المحققين ان اعلا المراتب الذي يشارك الناس في الظاهر على لسان العلم ويكون
فيما بينه وبين مولاه على حالة الكمال من حسن الزهد والخدمة للمرضية وان الخروج عن العادة
الجارية بين الناس هو من الضعف في الحال لان المخالطة خيرها متعد وهو في ذلك متبع للسنة
وهي اعلا الطرق ولكن بشرط ان يقدر على ذلك فان وجد ضعفا فالهرب بالكلية اولا يكون لا يجد كيف
يمشي في ذلك على لسان العلم فالهرب الهرب ويبقى كما اخبر سيدنا صلى الله عليه وسلم حين اخبر عن المفتن
فقال له بعض الحاضرين ما تامرني ان ادركني ذلك الزمان قال الزم امام المسلمين وجماعتهم قال فان
لم يكن لهم امام ولا جماعة قال اعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض باصل شجرة حتى يدركك الموت وانت
على ذلك وكما قال عليه السلام وفيه دليل على ان ما زاد على ادخار قوت السنة للعيال فليس من التوكل

ويكون

ويكون من باب الجزع يوخذ ذلك من كونه لم يحي عنه عليه السلام في هذا الحديث ولا في غيره انه زاد عياله
على قوت السنة شيأ وفيه دليل على ان اتخاذ العيال لا يخرج عن الزهد بل هو عون على الطاعة اذ اكثر من
الطاعة التوفيق يوخذ ذلك من اتخاذه عليه السلام العيال وقد زاد ذلك بيانا بقوله عليه السلام
النكاح من سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني وكان عمر رضي الله عنه يقول اني لا اتزوج
النساء وما الي اليهن حاجة رجاء ان يخرج من صلبي من يكثر به محمد صلى الله عليه وسلم الامم يوم القيمة
لكن بشرط ان يقدر على القيام بحقهن والا فلا يجوز له ذلك ووظيفة التعفف والصبر والصوم
والصون حتى يلطف الله تعالى به ويكون نيته ان قدر على الزواج انه يتزوج اتباعا لسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم فيكون ماجورا على نيته عن الاسود بن يزيد قال سالت عائشة رضي الله عنها ما كان
النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في البيت الحديث ظاهر الحديث يدل على دوام محافظة النبي
صلى الله عليه وسلم على اوقات الصلوات والكلام عليه من وجوه منها ان في هذا دليلا على ان خلقه
عليه السلام وسيرته على مقتضى القران لان الله عز وجل يقول ان الصلاة كانت على المومنين كتابا
موقوتا اي ملزومة بذلك الوقت فلا يوخرها عنه فكان حاله عليه السلام بمقتضى هذا الحديث
كذلك وفيه دليل على ان الضرورات مع اوقات الصلوات لا يلتفت اليها وانما يشتغل بالصلاة
يوخذ ذلك من قولها كان في مهنة اهله فاذا سمع الاذان خرج اشتغل اذ ذاك بالخروج لم يلتفت
عليه السلام الى شغل ولا غيره وفيه دليل على حسن خلقه عليه السلام وتواضعه يوخذ ذلك من اشغاله
عليه السلام بنفسه الكريمة في بيته بمهنة اهله وفيه دليل على ان من السنة التواضع مع الاهل والتصرف
لهن ومعهن في الاشياء الممتهنة وان حقروها فان ذلك تطييبا لنفوسهن وفيه دليل على جواز السوال
عن بواطن احوال الفضل لمن يعلمها لان يقتدي في ذلك بهم ويوخذ ذلك من سوال الاسود بن
يزيد عائشة رضي الله عنها وفيه دليل على فصاحتها ونبلها يوخذ ذلك من حسن جوابها بان قالت
كان في مهنة اهله لان هذا لفظ يعبر جميع انواع ما تحتاج البشرية اليه مما يحسن قوله ومما
يستباح ذكره فابدعت في حسن الجواب وفيه دليل على من عرف من احوال بواطن اهل الفضل

شيئا ويسأل عن ذلك يخبر به لانه من الدين الا انه يحتاج الى ادب ومعرفة في الجواب مثل
هذه السيدة حتى تحصل الفائدة للسائل ولا يكون فيما يذكره الى ما ان لو كان الشخص حاضرا لم يكره ذلك
وفيه دليل على ما فضل الله تعالى به سيدنا صلى الله عليه وسلم من القوة في الدين وسعة الصدر لذلك
وحمله ذلك على الدوام يوخذ ذلك من كونه عليه السلام اذا خرج اما الصلاة كما اخبرت هنا او لما
يصلح لاصحابه ولا مته على ما تقرر من نقل احواله عليه السلام فانه لم يجئ عليه السلام انه خرج
سدا ولا فعل شيئا عبثا فكان عليه السلام في بيت حيث يستريح الناس مشغولا بمهنة اهل بيته
كما اخبرت هنا وبالليل في التهجد فهذه مجاهدة دايمة لا يحملها وضع البشرية الا ارادة ربانية وفي هذا
دليل لاهل الطريق الذين جعلوا طريقهم دوام المجاهدة وان لا فترة لا باطنا ولا ظاهرا فعم ما به
اقتدوا فسمعوا وسمعنا ففهموا ما عنه تجزنا فاحسنوا فيما قالوا وفعلوا فمن اجل هذا فضلوا علينا البخاري
قال النبي صلى الله عليه وسلم اذكروا اسم الله وليا كل كل رجل مما يليه الحديث ظاهر الحديث والامر
بذكر الله تعالى عند الاكل والامر ايضا بان ياكل كل رجل مما يليه والكلام عليه من وجوه منها ان يقال
هل هذا الامر ان على حد سواء في الوجوب والندب ام لا وقوله باسم الله هل هو اسم مخصوص او اي اسم
ذكر من اسماء الله عز وجل اجزاء وهل من شرط الاسم ان يكون متصلا بالكلام لا قوله مما يليه هل في
كل الاطعمة فيكون الامر عاما في جميع انواع الاطعمة ام لا واذا كانت الاطعمة مختلفة هل يجزي فيها
تسمية واحدة او لكل طعام تسمية وهل هذا الامر يتناول الرجال دون غيرهم وهو للرجال وغيرهم على
حد سواء اما قولنا هل الامران على حد سواء في الوجوب والندب فليسا على حد سواء في الطلب لان التسمية
على الطعام عند الاكل سنة والامر بان ياكل مما يليه مندوب والتسمية على الطعام مما شرع في هذه
الامة المحمدية بمقتضى هذا الحديث واحاديث كثيرة وهو من السنة الابراهيمية وقد قال عز وجل ملة
ابيكم ابراهيم وذكر عن الخليل صلى الله عليه وسلم انه جاءه ملكان على صورة ضيوف يختبرانه بما ذا اتخذه
الله خليلا فقدم اليهما الطعام فتوقفا عن اكله فقال لهما كلا فقالا لا نا كل اما بالثمن فقال لهما
ان تسميا الله تعالى عند ابتدائه وتحمداه عند فراغه فنظر احدهما الى الاخر وقال يحق ان يتخذ

خليلا وقد قال سيدنا صلى الله عليه وسلم ما امر بالتسمية عند الاكل والشرب فيمن لم يسم اكل
الشيطان منه وشرب معه قال تعالى ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا واما قولنا هل
هذا الاسم الذي يذكر على الطعام او الشراب وهو اسم مخصوص او اي اسم ذكر من اسمائه سبحانه
اجزا ظاهر اللفظ لا يعطي تخصيصا فاي اسم ذكر من اسمائه سبحانه اجزا واما الذي جرا
الاستعمال به فذلك بسم الله ومن زاد الرحمن الرحيم فهذه جملة اسما فقد اتى بما امر به وزيادة والزيا
من الخير خير ولم ار احدا ينكر ذلك الا عند الريح لانك تذكر الرحمة وتضيق بما امر البهيمة العذاب
وليس ذلك من خلق الايمان لان الله عز وجل يقول يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون
ولا تعتقد ايضا ان ذكر الرحمن الرحيم في التسمية على الطعام مما امرت به فتزيد في الدين ما ليس فيه
وهو لا يجوز فان زدتها تبركا فلا باس لانه لو لا رحمته عز وجل ما اطعمك وسقاك ولا سيما مع المخالفة
لامره وارتكاب نهيه فما بقي ما به من عليك من ذلك الا من طريق الرحمة والفضل والقوام منها
ايضا بدعة وانما الشان ان اردت اتباع السنة ان تقول كما جا عنه صلى الله عليه وسلم انه كان
عند الاكل يقول اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وحينئذ تاكل فتحصل لك بركة الاسم الاعظم وبركة
السنة المحمدية واما هل من شرط التسمية ان تكون متصلة بالاكل ام لا فظاهر الحديث يعطي ذلك
لانه اتى بالواو التي تعطي رتبة والنقل من سلف الى خلف على ان العمل على اتصالها الا ان كان نسيانا
فلا يواخذ به لقوله عليه السلام رفع عن امتي خطاها ونسيانها الا انه قد احكمت السنة في الذي
ينسى التسمية عند اكله او شربه اذا ذكر ان يقول عند ذلك بسم الله اوله واخره فانه قد روي ان
شخصا اكل بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ونسي التسمية فلما ذكر قال كما قدمنا فتبسم النبي صلى الله
عليه وسلم وقال رايت الشيطان اكل معه فلما قال بسم الله اوله واخره قاء الشيطان كل ما اكل
واما قوله وليا كل كل رجل مما يليه هل هو في كل الطعام اي نوع كان فظاهر اللفظ يقتضي العموم لكن
قد قال العلما ان ذلك في الثريد وما اشبهه لانه كله سوا واما اذا كان الطعام على غير ذلك وفيه
انواع مختلفة فلك ان تجيل يدك حيث تريد لكن بادب مع الاخوان لان الادب من السنة واما

ان كان الطعام يابسا مثل التمر والفواكه فلك الخيار ان تاخذ من حيث شئت وان كان مائعا
فلا يخلو ان يكون على صفة واحدة ام لا فان كان على صفة واحدة فحكمه حكم التريد تاكل مما يليك او غير
وان كان فيه اختلاف فالك ان تجيل فيه الا انه بادب وقد جاء انه قدم له صلى الله عليه وسلم لحم فيه
دباء فجعل عليه السلام يميل الدباء في القصعة واما قولنا ان كان الطعام يختلف فيه اي يوتى بطعام
بعد طعام هل يجزئ فيه تسمية واحدة ام لا فلا يخلو ان تكون تعاينه وتعلمه والاكل متصلا فتسمية
واحدة تجزي ما لم تعين نوعا واحدا من ذلك تفرزه من غيره كما تفعل عند رميك على الطير اذا كانوا
جماعة او الظبا او عينت الجميع فاي شيء اخذت منها تناولته بتسميتك وان قصدت واحدا
بعينه واخذت غيره لم تتناوله تسميتك وقد نص الفقها انك اذا دخلت حديقة وفيها انواع من
الثمار ونوبت عند دخولك ان تاكل ثمرة لقيت وسميت بهذه النية اجزاتك التسمية عن كل ما تاكل
في تلك الحديقة في وقتك ذلك وان كانت انواعها متباعدة بعضها من بعض وذلك يقتضي تعيين
الاكل ايضا وان انت لم تسم عند دخولك الا على الثمرة التي لقيت ولم تعين غيرها فتومر اذا انتقلت
الى غيرها ان تسمي عليها واما قولنا هل هذا الامر خاص بالرجال لا غير او الرجال موجهون بالخطاب
وهو متناول للكل في جميع الاوامر الا ما دل دليل على تخصيصه ولا دل على التخصيص فهو عام في الكل
وفي هذا الحديث واشباهه دليل على بذل جهده صلى الله عليه وسلم في النصح والتعليم ويترتب على
ذلك من الفقه فيما يخصنا ان من علامة السعادة للشخص ان يكون معتنيا بمعرفة السنة في
جميع تصرفه والذي يكون كذلك دائم في عبادة في كل حركاته وسكناته وهذا هو طريق اهل الفضل
حتى انه ذكر عن بعضهم انه بقي سنين لم ياكل البطيخ فقيل له في ذلك فقال لم يبلغني كيف السنة في
الاكل حتى اعلم كيف ذلك وكيف لا والله سبحانه يقول في حقه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله الاتباعية الكاملة انما تصح بان تكون عامة في كل الاشياء جعلنا الله من اهلها في الدارين
بمنه وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم تسليما عن عامر بن سعيد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر ظاهر الحديث يدل على

من اكل

من اكل في يوم سبع تمرات عجوة لا يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر والكلام عليه من وجوه منها ان يقال
هل هذه العجوة من اي بقعة كانت سواء او هي من بقعة معينة وهل تكون من حين طراوتها
او اي وقت اكلت كانت طرية او مدخرة وهل يحتاج في اكلها الى نية وهل تعرف الحكمة في كونها خصت
بالنفع في هذين الشيئين ام لا وهل هذا عام في المومن والكافر والطايع والعاصي او ذلك خاص بالمومنين
لا غير فاما قولنا هل ذلك العجوة تكون من بقعة مخصوصة ام لا فالجواب انه قد جاء حديثان احدهما
انها المدينة والاخر انها العوالي فان حملنا هذا الحديث المطلق الذي نحن بسبيله على هذين الحديثين
فتكون من عجوة العوالي والمدينة وان قلنا ان لكل حديث حكما فتكون مطلقة من حيث كانت تنفع
فيجي النفع اذا كانت من العوالي والمدينة بالاسك ويبقى النظر اذا كانت من غيرها واما قولنا هل يكون
اكلها عند جناها او اي وقت كان احتمل والظاهر اي وقت اكلت لان الاسم تناولها واما قولنا
هل يحتاج في ذلك الى نية ومما يدل على قول الله سبحانه وتعالى وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا لان المومن اذا اخذ ما امر به موقنا بذلك وجد
الفائدة كما وعد من زيادة واذا اخذ بغير نية فقد يبطي الامر قليلا فيقع له تردد فيحصل في بحر التلف
ومما روي مثل هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج مرة الى غزوة من غزواته فامر الصحابة رضي الله عنهم
بالتزود فتزود بعضهم وعجز البعض ولم يجدوا ما يتزودون فامر صلى الله عليه وسلم ان ياخذوا
زواحلهم ويخرجوا معه فخرجوا فلما بلغوا الى احد الاودية وهو كثير الحنظل امرهم ان يتمازوا
منه فكلهم فعلوا ما امرهم به الا شخصا واحدا فقال في نفسه وما جانبا الى الحنظل وما عسى ان
افعل به فلم ياخذ منه الا خمس حبات ورجعوا الى المدينة وكان الشخص الذي لم ياخذ غير خمس
حبات من الحنظل غلام تركه بالمدينة في ضرورته فلما سمع برجوعهم الى المدينة خرج لان يعين سيده
فوجد الناس محملة رواحلهم وليس لسيده حمل فساله عن ذلك فقال له ما جرى فقال له الغلام امرك
وبقي عندك شك وكيف وضع ذلك وما اخذت منه شيئا قال ما اخذت الا خمس حبات وقد ذهب مني
بعضها في الطريق فقالها تها فاعطاه اياها فاكل الغلام منها فاذا هي مثل السهد سواء فقال

كل نزي ما حرمت فاكل فوجد مثل ما وجد فندم ندامة الكسعي والحديث الثالث في ذلك حين
جاء بعض الصحابة فشكى للنبي صلى الله عليه وسلم ان اخاه به بطن فامره بان يسقيه عسلا فسقاه
ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو اليه ثانية فامره ان يسقيه عسلا كذلك في الثالثة
والرابعة فقال له عليه السلام صدق الله وكذب بطن اخيك اسقه عسلا فسقاه فشفي اخيه واما
قولنا هل تعرف الحكمة في كون ينفع هذين الشيئين فالجواب انه لا طريق لنا الى ذلك بل الله يخص
من يشاء بما يشاء من جماد ونبات وحيوان الى غير ذلك من جميع خلقه فمنها ما يعلم من طريق التجربة
مثل صنعة الطبيب فقد يخيب ويصيب ومنها ما هو من طريق اخبار الرسل صلوات الله عليهم
وهذا لا يختلف اصلا لكن الغالب على الناس انهم قد ركنت انفسهم الى قول الاطباء بالتاويل وقد
عاينوا منهم في الغالب عدم النجح وهو الذي لا شك فيه لانه من طريق الرحمة للعباد لقوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فقليل منهم من يقبله وذلك علامة للحرمان فسالة العافية وبعضهم يتاول ويقول
هو حق لكن لا نعرف التاويل في كيفية العمل وهذا جيد عن الصواب لانه لو كان في احد الاشياء
التي اخبر بها صلى الله عليه وسلم وجه من الوجوه في الكيفية في عمله ما ترك عليه السلام بيانه الا
اخبر به قل اباالله وايات ورسله كنتم تستهزون واما قولنا هل ذلك خاص بالمومنين او عام في المومن
والكافر اما صيغة اللفظ فتعطي العموم واما ما قدمناه من قوله عز وجل وننزل من القران ما هو
شفاء ورحمة للمومنين فتعطي الخصوص وفيه دليل على ان السحر حق يوخذ ذلك من قوله عليه السلام
لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر وفيه دليل على عظم قدرة الله تعالى وانها لا تدركها العقول
يوخذ ذلك من كون عليه السحر منفصل عن الشخص لا يراه ثم يصل اليه منه ضر حتى يجد ذلك الضرر
في بدنه محسوسا ومما يزيد ايضاحا قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وبقي بحث
من قوله عليه السلام لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر هل يكون معناه العموم او الخصوص فمعنى
العموم ان الذي استصبح بالعجوة لا يضره سم ان شربه في ذلك اليوم ولا سحر ان سحر فيه ولا سم تقدم
شربه على ذلك اليوم ولا سحر تقدم على ذلك اليوم عمله فتكون تلك العجوة توقف عنه ضرر ذلك السم

الذي

الذي تقدم شربه في ذلك اليوم وكذلك السحر ايضا وتحميه عن ضرر ما يفعل فيها في هذا اليوم ومعنى
الخصوص انه كل سم او سحر يكون في ذلك اليوم بعد اكلة تلك العجوة لا يضره احتمل الوجهين معا لكن
الاظهر الخصوص من طريق انه اقل الاحتمالات فهذا مقطوع به ومن طريق النظر الى ان هذا ورد من طريق
الرحمة من الله تعالى ببركة هذا النبي العظيم صلى الله عليه وسلم فيكون الاظهر العموم لانا نرى
الترياق الكبير الذي هو من تاليف الاطبا الذي طريق التجربة يدفع من السموم ما قد حصل
منها في البدن وما ياتي بعده فكيف بما هو طريقه طريق الرحمة والفضل الا انه لا بد في ذلك من قوة
يقين ونية حسنة كما ذكر عن عمرو بن العاص انه جاءه رسول من العدو ببيده قارورة فلما
دخل عليه ساله عن تلك القارورة التي هي ببيده فقال له سم ساعة فقال وما عسيت ان تفعل به
فقال له اني رسول لقومي لم يوجهوني قط في امر الا جئتهم بما يحبون وهم قد وجهوني اليك لتخفف
ان لا تسعفني فيما طلبوا فجئت بهذا السم فان لم تسعفني بما طلبوا شربته فاموت ولا ارجع اليهم
بما يكرهون فقال له ناولنيه اياه فاعطاه القارورة وقال رحمه الله بسم الله لن يصيبنا الا ما كتب الله
لنا وشرب ذلك السم فعرق من جبينه ساعة ثم افاق وما به باس فرجع الرسول الى قومه وقال
لهم اسلموا عن اخركم فان هذا رجل ما طاقة لكم به شرب سم ساعة فلم يضره فبتسمية بتحقيق النية
ظهر ذلك الخير عليه ولذلك كل من قصد الله تعالى صادقا وجده حيث املاه وزيادة لانه يقول جل
جلاله وعلى الله فليتوكل المومنون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين ومن يتوكل على الله فهو
حسبه ومن اصدق من الله قيلا ومن اصدق من الله حديثا لكن من غير بقية حقا شيء
لا يستطيع ان يبصر عين شمس الهدى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون من غرا قلبه
بالحرام لا يبصر الا ظلاما في ظلام ظلمات بعضها فوق بعض اعاذنا الله من الحرمان ومن كسب
الاثام بمنه عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اكل احدكم فلا يمسح يده حتى يلعقها
ظاهر الحديث عن ان يمسح احديه اذا اكل طعاما حتى يلعقها او يعطي غيره يلعقها والكلام عليه من
وجوه منها ان يقال هل هذا من كل الطعام وهل هذه العلة مفهومة او تعبد لا غير وهل ذلك خاص بالمسح

اوعام بالمسح اوعام بالمسح والغسل وقوله بلعقها هل يكون ذلك من جنسه لا غيره او من جنسه وخلاف جنسه ان امكنه ذلك وفي المسح كيف يكون وفيما يكون فاما قولنا هل من كل طعام فليس على عمومه لان من الطعمة ما يتعلق بيد الاكل منها شيئ واما ما لا يتعلق منه شيئ ولا يحتاج الى مسح فلا يحتاج الى ان يلعق واما قولنا هل هو تعبد او لعلة معقولة اللفظ لا يفهم منه ذلك لكن قوة الكلام تعطي انه لعلة مفهومة وهي حرمة الطعام والتعظيم لنعم الله تعالى لانه صلى الله عليه وسلم قد رشد في هذا الباب الى تعظيم نعم الله تعالى واحترامها كثير وقد ورد ان ترك ذلك سبب الى زوالها وقل ما زال الله تعالى نعمة من قوم فردها اليهم وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا اكل في اهله وسبعوا تركوا القصعة حتى ياتي من يلعقها وقد حكي ابو هريرة انه كان يوما به جوع شديد فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له اراك شديد خلق الغم فقال نعم فامره عليه السلام ان ياتي معه الى منزله فلما دخل اخرج له قصعة ليس فيها الا لعقا قال فقلت في نفسي وما اذا تغني هذه فلعقتها وشبعت كما قال عليه السلام ان القصعة تستغفر للاعقها او كما قال والاحاديث في هذا النوع كثيرة وفي هذا دليل لاهل الصوفة الذين يفرغون من الاكل ويغسلون ايديهم ثم يشربونه تعظيما لنعم الله وتبركا باثار شيئ اكل عونا على طاعة الله تعالى واما قولنا هل ذلك خاص بالمسح او عام فيه وفي الغسل فالجواب انه اذا كان في المسح الذي ينتقل الطعام الذي تعلق باليد الشيئ الممسوح فيه تكيف بالماء الذي يذهب عين الطعام فهو من باب اولى وفيه دليل على ان السنة المسح من الطعام وانما الغسل من فعل الاعاجم اعني اذا كان اليد نظيفا فالغسل اذ ذاك من فعلهم وان كان قد جاء ان الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم ويصح البصر فيكون الجمع بين هذين الحديثين باحد وجهين احدهما ان يكون الغسل الموجب له قبل الطعام تكون اليد غير نظيفة والذي بعده يكون الطعام مما فيه دسم كثير لا يزيله المسح او رائحة تكون فيها تاذ وذلك مكروه ان يصلي به او يكون فعله ذلك نبا لا يتخذه دائما فانه يخالف للسنة او يكون الغسل لعدم الشيئ الذي يمسح فيه والشان ان يخرج في التشبه باهل الكتاب الذي قد نهينا عن التشبه بهم واما قولنا هل بلعقها من جنسه او من خلاف جنسه اذا فهمنا ذلك العلة كما قدمنا وهي

امكن ذلك فاذا

من اجل

من اجل حرمة الطعام فكل من يجوز لنا ان نعطيه طعاما ياكله وياتي منه اللعق على وجه جاز لنا ذلك اعلا اهل الملل واما قولنا فيما ذا يكون المسح وكيف يكون اما فيما ذا ففي كل شيئ طاهر لا حرمة له واعني بقولي لا حرمة له تحرزا من الخبز والكتاب وما اشبه ذلك او مال الغير فان مسحك فيه ممنوع الا باذن مالكه وقد جاء انهم كانوا يمسحون تحت اقدامهم واما الكيفية فان يكون الفعل برفق بحسب حالة الشيئ الممسوح فيه وانما ذكرنا الرفق فيه لقوله صلى الله عليه وسلم ما كان الرفق في شيئ الا زانه حتى يكون فعلك اثر من لمسة لان الشان في هذا جعلنا الله من اهله بفضله لا رب سواه عن ابي ثعلبة الخشني قال قلت يا نبي الله انا بارض قوم اهل الكتاب فنا كل في انيتهم ظاهر الحديث يدل على ثلاثة احكام احدها جواز الاكل في اينة اهل الكتاب بعد الغسل اذا لم يوجد غيرها والثاني جواز اكل ما صدته بنفسك او بكلبك المعلم اذا ذكرت اسم الله تعالى اذا ركت ذكاته اولم تدركها والثالث ما صدت بكلبك غير المعلم فلا تاكل منه الا ما ادركت ذكاته والكلام عليه من وجوه منها التنزه عن استعمال اواني اهل الكتاب مع وجود غيرها الثاني اذا لم يجد غيرها جاز استعمالها بعد غسلها بالماء يوخذ ذلك من انه صلى الله عليه وسلم لم يبح له الاكل في اينة اهل الكتاب بعد الغسل الا عند الضرورة وهو عدم غيرها واهل الضرورات لهم حكم خاص بهم وقد اختلف العلماء في الاينة المتنجسة ما عدا الزجاج فانه لا يدخله مما جعل فيه شيئ فالغسل يطهره وما عداه من الاواني الذي قد تختلط ما جعل فيها ببعض اجزائها مثل اينة الخشب والحنتم وما اشبههما على ثلاثة اقوال قول بانها لا تطهر وبانها تطهر وبالتفرقة بان يطول مكث الماء في الزمان الطويل فتطهر وان كان قليلا لا تطهر وفيه دليل على ان الحكم في الامور للغالب عليها يوخذ ذلك من انه لما كان الغالب من احوال اهل الكتاب ان النجاسة تحل في اوانيهم اعطى حكم النجاسة يوخذ ذلك من قوله عليه السلام فان وجدتم غيرها فلا تاكلوا فيها ويلحق هذا في الحكم اهل البطالة وتحمل امرهم على النجاسة لانها الغالبة عليهم في كثرة احوالهم وقد عد الفقها هذه العلة في ثياب سائر الحمر انه لا يصلي بها حتى تغسل ومنها وجوب التسمية على الصيد يوخذ ذلك من تكرارها في كل نوع من انواع الاصطياد وافصاحه عليه السلام في جميع الانواع بقوله وذكرت اسم الله ومنها قوله

بقوسه واباح عليه السلام اكل ما صاده اذا ذكر اسم الله عليه ادرك ذكاته او لم يدرك وهل هذا خاص
بالقوس دون غيره من السلاح او يحمل جميع السلاح عليه فاذا قلنا يتعدي الحكم بوجود العلة في جميع السلاح
المحددة التي تفري وتهرق الدم يجوز ذلك بها مثل الرمح والسيف والسكين وما اشبه ذلك وقد نص
على جواز ذلك اهل الفقه في كتبهم على ما هو هناك مذكور وكذلك نقول في قوله عليه السلام وما صدت بكلبك
غير معلم فادركت ذكاته فكل يتعدي الحكم الى غير الكلب المعلم وكذلك ما صيد بالالة التي ليست
محددة مثل الحجر والعصي وما اشبه ذلك اذا صيد بها ما يدرك ذكاته من ذلك اكل وان لم يوكل منه شيء
وفيه دليل على ان الحكم اذا نيط بعلة فعدمت ارتفع الحكم يوخذ ذلك من قوله عليه السلام في الكلب
غير المعلم لانه لا يوكل ما صيد به الا ان ادرك ذكاته وفيه دليل على ان من حسن جواب السائل
ان تعيد صيغة لفظه فيما سالك عنه وتجاوبه على كل نوع على حدة يوخذ ذلك من تكرار سيدنا
صلى الله عليه وسلم بلفظة ما سالة السائل عنه وجاوبه على كل نوع منها على حدته بقوله عليه السلام
اما ما ذكرت من انية اهل الكتاب الى اخر الحديث وفيه دليل على ان ما لم يتحقق نجاسته
يكره استعماله من غير ضرورة ويجوز استعماله عند الضرورة بلا كراهية يوخذ ذلك من كون سيدنا
صلى الله عليه وسلم منع الاكل في انية اهل الكتاب مع وجود غيرها الا ان تلك الانية التي اكل فيها الميت
النجاسة متحققة فيها بل هي مظنونة فمنع عليه السلام استعمالها مع وجود غيرها واباحه عند الضرورة
وهو عام غيرها وفي هذا الوجه دليل لاهل الصوفة لانهم يظنون في انفسهم كل مكر وخديعة فلا
يستعملون ما يثيرية عليهم شيا الا ان كان موافقا للكتاب والسنة بعد ما يلجون في ذلك الى
مولاهم خوفا ان يكون تحت ذلك من وجه مما ذكر عن بعضهم ان نفسه رغبته في الجهاد ووكد
ذلك عليه فقال لها هذا عندي محال ان يكون منك على وجهه لان الجهاد من اقرب القرب فما فعل ذلك
حتى اسال الله تعالى في امرك فسال مولاه سبحانه ان يطلعه على ما ابطنته فقيل له في المنام
انها قد سئمت من القيام والصيام فارادت ان تموت في الجهاد لكي تستريح من التعب ويبقى لك حسن
الثنا بعد الموت فقال لها ما لي جهاد لم فيك ولا ازال قتلك بالقيام والصيام حتى تموتي لانهم

سمعوا

سمعوا فيها قول مولاهم حيث قال تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فمن رحمته عز وجل بهم
ان الهمهم مخالفتها وتهمتهم لها الا حيث جاء الامر بالنظر اليها في وجه ما فنظروهم لها في ذلك الوجه
ليس لها وانما هو من اجلال الامر بذلك فمن اتم الشجاعة والرجولية مقابلة العدو ومن ادب الجهاد
قتال من يليك من الاعداء واقربهم اليك نفسك وهواك ففيها فجاهد ان كنت ذا باس وشطارة
والا فوصف الجبونية بك اولى عن اسماء قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه ظاهر الحديث يدل على جواز اكل لحم الخيل بغير كراهية والكلام
عليه من وجوه منها ان السنة في ذكاة الخيل هو بالذبح لا بالنحر يوخذ ذلك من قولها ذبحنا
وقد جاءت رواية نحرنا فعلى هذا يجوز اكله بالذبح والنحر وقولها ونحن بالمدينة فيه دليل على ان
ذلك كان لغير ضرورة ويوخذ من قولها فاكلناه ان ذكاته ما كانت لعلة بالفرس وانما كانت
لمجرد الاكل لا غير وفي هذا دليل للشافعي رحمه الله في اباحة اكل لحم الخيل مطلقا والدليل معه في ذلك
واما الامام مالك رحمه الله فلم يقع منه مخالفة للحديث فانه لم يحرمه وانما كره وتبان كراهيته
انها ما تستعمل ولا فايدة لها غالبا الا للجهاد فاذا كثر استعمال اهلها كان سببا الى قلتها وقلتها
يؤول الى نقص من ارهاب العدو وفيه وجه اخر لان اكل لحمه على ما قيل يقسي القلب وما
يقسي القلب ينافي اوصاف اهل الايمان فجاءت كراهيته فيه من باب سد الذريعة التي هي اصل
مذهبه ووجه اخر ان اكله في زمان النبي صلى الله عليه وسلم كان قليلا وان كان جائزا فدل
على قلة استعماله فعمل في ذلك على العمل بان كره حتى يكون استعماله قليلا كما كان في زمان
النبي صلى الله عليه وسلم فجاء فيه متبعا للسنة بطريق حسبية وفي قولها ونحن بالمدينة فائدة
اخرى وهي ان ذلك كان بعد تمكن الاسلام وظهوره وفرض الفرايض وتحديد حدود الشريعة لان
ما فرض من الفرائض بمكة الا الصلاة لا غير وجميع الفروض انما كانت بالمدينة فيما اعلم عن ابن عامر انه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى ان تصبر بهيمة للقتل وغيرها ومما يقوي ذلك انه جاء من
قتل عصفورا عبثا جاء يوم القيمة العصفور مستجيرا بقوله يا رب لم قتلني هذا عبثا وفي هذين

الحديثين دليل على فهم الله سبحانه وتعالى لجميع خلقه يوخذ ذلك من كونه عز وجل لم يترك لاحد
التصرف في شيئ من الاشياء دقت او جلت الا وقد حد له كيفية التصرف فيه واتى بحاسبه عليه دق
او جل جمادا كان او غير جماد عاقلا او غير عاقل وفيهما دليل على عظيم عدل المولى سبحانه يوخذ ذلك
من اقتصاصه عز وجل للعضفور على وقته من العاقل الكبير ان قتله لغير منفعة او صيره للقتل
وفيه دليل على عظيم احاطته عز وجل بجميع مخلوقاته يوخذ ذلك من كونه عز وجل لا يخفى عنه مثل هذه
الدقيقة ويحصيها ويعاقب عليها ولذلك جاءت الاشارة بقوله عز وجل وكفى بنا حاسبين وفيه دليل على
ان صفاته عز وجل ليس كمثلها شيئ يوخذ ذلك من كون صفة الانتقام ثم في نفس فعل القتل الرحمة وهو
منعه ان يصير حيوان عاقل وغير عاقل للقتل فرفق به في نفس العذاب والانتقام وقد قال صلى
الله عليه وسلم اذا قتلتم فاحسنوا القتلة وصفة المحدث اذا وقع منه انتقام لا يرحم ولو قدر على
اكثر الفعل فبان بمقتضى احكامه سبحانه يوجبها وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لا يحكم
الا عن الله كان بواسطة الملك بالوحي او من تلقاء نفسه بما يلهمه الله عز وجل اليه فالكل عن الله
وفي هذا دليل على ان صفاته جل جلاله ليس كمثلها شيئ فانه ليس كمثله شيئ سنريهم اياتنا في
الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فسبحان من تبدا بالدلايل الذوي البصائر واحتجب
بعظيم قدرته مع ايضاح دلايله عن اهل الجهالة والشقاوة جعلنا الله ممن عرفه به ودله به عليه
وتغمدنا في الدارين برحمته ومنه وكرمه عن جابر بن عبد الله قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر
عن لحوم الحمير ورخص في لحوم الخيل ظاهر الحديث يدل على تحريم لحوم الحمر الاهلية والرخصة
في لحوم الخيل والكلام عليه من وجوه منها ان ترخيصه عليه السلام في لحوم الخيل يوم خيبر انما كان من
اجل الضرورة لانه جاء من طريق اخر في هذا الحديث انهم رضي الله عنهم لم ينحروا الخيل يوم خيبر الا من
اجل المجاعة التي لحقتهم وفيه دليل لما لك كما قدمناه في الحديث قبل انه وافق السنة في كراهية اكل لحوم
الخيل لان اللفظة رخص تقتضي المنع او الكراهية عند عدم العذر وهنا بحث وهو ان يقال هل تحريم
صلى الله عليه وسلم لحوم الحمير وترخيصه في لحوم الخيل تعبد لا يعقل من جهة الحكمة معنى او تعقل

الحكمة في ذلك فاما قولنا هل تعقل الحكمة في ذلك فقد قال بعض العلماء ان الحكمة في تحريم الحمر الاهلية
هو ان ليس في الحيوانات ابلد منها فاكل لحمها يكسب منه ذلك فلا شفاقه عليه السلام على امته
منعهم من كل ما عليهم فيه ضرر في الدنيا والاخرة كما حرم مولانا سبحانه الميتة واحلها بعد ثلاث
ذكر بعض العلماء من الحكمة في ذلك ان الميتة فيها سمية كثيرة فمنعنا من اكلها من اجل الضرر الذي
يعود علينا من سمها فاذا بقي الامر ثلاثا اشتدت سميته في بدنه حتى عادت اشد من سم الميتة
فابيح لنا ان ذاك اكلها لعدم الضرر لاكلها بل يحصل له بها قوي ومنافع في ابقاء رهقه رحمة من الله
تعالى بعبيده وفيه دليل على انه اذا اجتمع ضرران اخذ اقلهما يوخذ ذلك من انه لما كانت لحوم الحمير
تكسب البلادة ولحوم الخيل تكسب القساوة كما ذكرنا في الحديث قبل ارخص في لحم الخيل التي هي اقل
ضررا وفي قوله يوم خيبر وجهان الواحد ان ذلك على تنبيه في النقل لان ذكر الموطنين التي جرت فيهما
النازلة زال على حقيقة العلم بما اخبر به والوجه الاخر وهو كون القضية في موطن مشهور بجمع كثير قد
يرويه غيره فيحصل فيه تصديق له والتواتر في الحديث يزيده قوة لانه ينقله من كونه خبر احاد
الى التواتر وهو اعلى درجة وينبغي من جهة الفقه ان يعدي الحكم بحيث ما قدر المرا ان يزيد في
اخباره على ما اخبر به قرينة حال تصديق مقالته فعل وفيما ذكرناه دليل على لطف الله تعالى بعبيده
فيما احل لهم وفيما حرم عليهم وفيه دليل على انه عز وجل لا يحل ولا يحرم الا عن حكمة وفايدة لنا
عقلها من عقلها وجهلها من جهلها وفيه دليل على استغنائه عز وجل عن جميع خلقه وعن تعبدهم
از كل ما يديهم بالنفع لهم وهو الغني المستغني ولذلك تنعم اهل العقول والمعاملات بكل حكم يصدر عن
الله تعالى بان ذلك رحمة منه عز وجل اليهم لم يشكوا في ذلك فرجع لهم بقوة يقينهم بالنعماء والبلاء
على حد سواء ولذلك روي عن بعضهم انه قال لا ابالي على اي حالة اصبحت وامسيت انا هي حالة
شكر وصبر وكلاهما رحمة من الله تعالى هؤلاء فهموا قوله عز وجل ومن احسن من الله حكما لقوم
يوقنون وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما يقضي الله للمؤمن من قضاء الا كان خيرا له ان
عرف عف واستراح ومن جهل تكالب وتعب ومن طلب العز بالجهل وقع الهوان به وما عز

الحديث

عن ابي ثعلبة الخشني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل كل ذي ناب من السباع

ظاهر الحديث النهي عن اكل كل ذي ناب من السباع والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل هذا النهي نهي تحريم او نهي كراهية واختلف العلما في ذلك فذهب الشافعي ومن تبعه انه نهي تحريم ومذهب مالك ومن تبعه انه نهي كراهة وهل نهيه لعلة او تعبد الظاهر انه لعلة اوتعبد الظاهر انه لعلة انه لو كان تعبد لم يكن العلما ليختلفوا فيه وبقي البحث في العلة فنقول والله اعلم لكونها تاكل الجيف فانها اذا افترست فالذي تفترسه جيفة لانه غير مذكى فيكون شانها مثل البقر والابل الجلالة التي تاكل العذرة وقد اختلف العلما ايضا في اكل لحمها والحالة هذه فكرهه مالك ومن تبعه واما رجيعها فهو يحسن على المعروف وكذلك جميع الطير المفترس وهذه علة صوفية وهي لعزة نفسه وضرره دل حتى لم يصلح ان يكون قوتا للمومنين ويترتب عليه من طريق النظر عن نفسه فذاكر ذل لها ومن ذل لها فقد عزها ومما يقوي هذا البحث ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم ما من احد من بني ادم الا برأسه حكمة بيد ملك فان تواضع رفع الملك براسه وقال له ارتفع رفعك الله وان ارتفع ضرب الملك بتلك الحكمة وقال له اتضع وضعك الله او كما قال عليه السلام فعلى هذا الوجه ظاهر الحكمة في جميع الحيوانات طلب التواضع بينهم وعدم الضرر بعضهم لبعض وهم داخلون تحت عموم قوله تعالى امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيئ وفيه اشارة لمن فهم لعله يتصف بصفة من صفات اهل الخير لان يدخل في طريقهم ويكتب معهم يوخذ ذلك من عموم قوله عليه السلام كل ذي ناب من السباع فيدخل ذلك الاسد والهرة والفارة وما بينهما ومنهم القوي والضعيف فكذلك انت اجعل في نفسك شيئا ما بالموفقين لعل تلك البركة تشملك معهم بفعل ما اذا نودي باحضار التجار جئ باصحاب الالاف وبصاحب الدينار الواحد فان لم تكن من اصحاب الالاف فكن من اصحاب الدينار الواحد لعل الواحد بفضله اذا خلع عليهم خلع القرب والرضا يخلع عليك معهم واحذر ان تشبه بصفة من صفات اهل الشر فتكتب معهم فيلحقك وبالهم وقد جاء من التشبه بالقوم فان التشبه بالكرام فلاح عن عبد الله بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ظاهر الحديث يدل على جواز الانتفاع به هل ذلك عام في جميع وجوه الانتفاع او انتفاع خاص فالعموم في الانتفاع من كل الوجوه ممنوع لان من جملة الانتفاع بيعه واكل ثمنه ولم يجيزوه لانه يعود فعله لاكل الميتة فان الطعام اذا جعل فيه تنجس به وانما يكون انتفاعا خاصا من حيث لا يلحق منه نجاسة في شيئ من الاشيا ولا مخالطة في طعام بوجه من الوجوه وفيه دليل على تحريم اكل الميتة يوخذ ذلك من قوله عليه السلام انما حرم اكلها وفيه دليل عن الفاظ العموم اذا ورد الامر منها يحمل على عمومها ولا يخصص الا بتخصيص من الشارع عليه السلام يوخذ ذلك من انه لما حرمت علينا الميتة فماتت تلك الشاة الذي راها سيدنا صلى الله عليه وسلم استعمل اصحابها عموم الامر بالعموم فرموها باهابها وصوفها وكل اجزائها فخصص صلى الله عليه وسلم عموم الامر بقوله عليه السلام انما حرم اكلها وفيه دليل على مراجعة الامر اذا امر ولم يفهم السامع ما قصد بالامر او بقي عليه في بعض التاسي يوخذ ذلك من قولهم بعد ما قال لهم صلى الله عليه وسلم هلا انتفعتم باهابها انها ميتة كانهم يقولون يا رسول الله تامرنا بالانتفاع باهابها وقد حرمتها علينا بامر الله لك وهذه الشاة ميتة فكيف يكون ذلك وفيما ذكرنا من معنى مراجعتهم دليل على حسن اختصارهم في الخطاب وبلاغتهم في المعنى يوخذ ذلك من كونهم جمعوا تلك الالفاظ كلها في متضمن قولهم انها ميتة وفيه دليل على ان الصفقة اذا خالطها حلال وحرام فان كل واحد منها يعطى حكمه لان العلما اختلفوا في صفقة اذا اختلط فيها حلال وحرام فمنهم من قال انها كلها حلال ومنهم من قال ان قدر ما فيها من الحرام حرام وقدر ما فيها من الحلال حلال لان المخالطة لا تنقل حكما من الاحكام الا في المخلطين في الماشية على خلاف ايضا يوخذ ذلك من قوله عليه السلام هلا انتفعتم باهابها وقوله عليه السلام انما حرم اكلها فجعل اللحم حكما وهو التحريم والجلد حكما وهو التحليل والشاة واحدة وفيه دليل على ان الاحكام الشرعية لا يكون تقريرها الا بعد نفي كل المحتملات يوخذ ذلك من جوابهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رويته الشاة الميتة ولا يخفى حالها على احد انها ميتة فكيف على من كانت تنام عيناه ولا ينام قلبه صلوات الله عليه وسلامه لكن من اجل استقرار الحكم وتطريق

الاحتمال ان يكون قوله عليه السلام هلا انتفعتم باهابها من طريق الاستفهام لهم كيف معرفتهم بحكم
الله تعالى في الميتة جاوبوه بقولهم انها ميتة لينظروا ما قصده صلى الله عليه وسلم تلك المخاطبة
وفيه دليل على ان من النبل ان يكون جواب المرء عما سئل عنه على قدر ما يعلم فيه لا يتعانا خلاف
ذلك بزيادة او نقص يوخذ ذلك من جوابهم لسيدنا صلى الله عليه وسلم بما سبق لهم من العلم في امر
الميتة لا غير وهنا بحث وهو ان يقال هل امره صلى الله عليه وسلم بالانتفاع باهابها يطهره او هو باق
على النجاسة وهو قوله عليه السلام ايما اهاب دبغ فقد طهر فاذا لم يدبغ فهو باق على نجاسته
وبحث ثان وهو ان يقال هل لنا اي نعدي الحكم بالانتفاع بغير ذلك من اجزائها انما حرم الاكل منها
فيما عدا الاكل امر لا وبحث ثالث وهو كونه صلى الله عليه وسلم اباح لنا الانتفاع باهابها وهي ميتة
هل يجوز الانتفاع بغير ذلك من سائر النجاسات انتفاعا خاصا مثل الاهاب امر لا فالجواب على
البحث هل يجوز لنا الانتفاع بباقي اجزائها مثل الاهاب امر لا فامره صلى الله عليه وسلم بالانتفاع
باهابها لا يتعدي الانتفاع من اجل ذلك الى غيره من اجزائها لاحد وجهين الواحد منهما لان
الحظر والاباحة والتحريم والتحليل لا يكون الا على نحو ما نص عليه صلى الله عليه وسلم لا يتعدي ذلك
بالقياس الا المواضع التي علق صلى الله عليه وسلم بعلة كانت العلة نصا منه صلى الله عليه وسلم او مشارا
اليها على نحو ما تكلم الفقهاء في انواع العلة الشرعية وتعدادا نواعها على ما هو مذكور في كتبهم وما لا يفهم
له علة يقتضي الحكم فيه على ما نطق صلى الله عليه وسلم به مثل هذا الموضع وما اشبهه ووجه آخر لمن
هذا منه صلى الله عليه وسلم رخصة لامته والرخص لا يقاس عليها ولا يتعدى محلها ونص بعض الفقهاء
انه اذا كان للمرأة ميتة وله علج او كلب لصيد وما يجوز اقتناؤه انه لا يعطيه الميتة ولا يامر بالعلج
او بالكلب على موضع الجيفة فان هما تصرفا فيها من تلقاء انفسهما فلا باس والا فلا يرشدهما
الى ذلك ولا يامرهما به فاما الجواب على البحث الذي معناه هل نقيس على الاهاب غيره من انواع النجا
سات امر لا فالجواب عليه كالجواب على البحث قبل عن ميمونة ان فارة وقعت في سمن فماتت فسئل
النبي صلى الله عليه وسلم عنها الحديث ظاهر الحديث يدل على تنجيس الموضع الذي ماتت فيه الفارة

من

من السمن وطرحه معها والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل يتعدى الحكم في كل الاطعمة وفي كل
الميتة من جميع الحيوان وكذلك ما عداهم من جميع النجاسات وهل يكون حكم الجامد من الطعام كحكم
المائع وهل يكون طول مقام الشيء النجس من صفة او غيرها في الطعام الذي وقعت فيه ميتة يا لسوا
من قرب الزمان في ذلك او بعده وهل يجوز الانتفاع به فيها دون الاكل وهل يمكن تطهير ما وقعت
فيه من الطعام امر لا اما قولنا هل يتعدى الحكم الى جميع الطعام ما عدا السمن امر لا فقد عدى
ذلك الفقهاء لوجود العلة وهي تنجيس موضع حلول الميتة ولا فرق ان يكون سمنا او غيره فان
كان ماء فلا يخلو ان يكون جاريا او راكدا وتفصيل هذا في كتب الفروع واما ان كان طعاما مائعا
فهو نجس واما قولنا هل ذلك في كتب الميتات في اي نوع كانت من الحيوانات فالجواب انه لا فرق
بين موت الفارة في ذلك او غيرها من جميع الحيوان الذي له نفس سائلة ولا يوكل الا بذكاة
لوجود العلة فيه وهي كونه جيفة واما ما عدا الميتة من اي نوع كانت كما ذكرنا قبل من انواع النجاسات
فلا فرق بينهما وبين الميتة اذا كانت جامدة باردة في جميع الاحكام فان كانت سائلة باردة او
حارة فتنويع الحكم فيها في كتب الفروع ايضا واما قولنا هل حكم الجامد من الطعام الذي وقعت
فيه الميتة كحكم المايع فالجواب انه ليس حكم الجامد كالمايع فان المايع من حين وقوع الميتة فيه
او الشيء النجس يتنجس جميعه فيطرح جميعه ما عدا الماء فيه تقسيم كما هو في كتب الفروع ايضا
واما قولنا هل طول مكث الميتة سوامع قربه او بعده فقد اختلف العلماء في ذلك وليس في الحديث
من اين يستدل عليه بل هي مسالة نظرية فمن العلماء من جعل الحكم واحدا ومنهم من قال اذا
طال مكثها في الطعام طرح جميعه ومنهم من فرق في ذلك بحسب الازمنة فان كان زمان
الحر طرحت وما حولها ومنهم من فرق بين كبر الاناء الذي وقعت فيه من صغره وفي طول الزمان
الذي يطلق عليه هذا الحكم مع صغر الدابة وكبرها وذلك كله مستوعب الفقه وهذا البحث في الطعام
الجامد واما المايع فكما تقدم الكلام فيه وحكم النجاسة كما ذكرنا في الميتة سواء واما قولنا هل
يجوز الانتفاع بالشيء الذي وقعت فيه الميتة او الشيء النجس من الطعام فظاهر الحديث

قال الفقهاء فطرحوه وما حولها

من

محتمل لكن الاظهر عدم الانتفاع والله اعلم وفي ذلك بين العلما خلاف وهذه ايضا نظرية واما قولنا
هل يصح تطهيرما وقعت فيه الميتة من الطعام فالجواب انه لايخلو ان يكون دهنا او غيره فان
كان دهنا ففي تطهيره بين العلما خلاف وهي مسالة نظرية ايضا وما عدا الدهن من الطعام الجامد
فلا يخلو ان يكون مطبوخا او مملحا او على غير هذين النوعين فللعلما فيه ثلاثة اقوال بتطهيره
وعدمه والثالث هو ان يكون قد استوى في توفية طبيخه ونضجه في الملح ولم يقبل زيادة
فان كان استوى فانه يغسل ويوكل فانما تنجس ظاهره ولم تدخل النجاسة باطنه وان كان
لم يستو نضجه فلا تطهر ويطرح فان النجاسة دخلت باطنه لان تجذب من الخارج الى الباطن والذي
قالوا بغسله وتطهيره يقولون انه يغسل ولاجاء حار ثم ثانية ببارد ثم ثالثة بحار ثم ببارد فان كان
على غير هذه الصفة فلا يطهر واما ما عدا هذين النوعين فكما هو مذكور في كتب الفقه وفيه دليل على
ان لا تصرف العلم يوخذ ذلك من كونهم لم يتصرفوا في السمن ولا في نزع الفارة منه الا بعد
ما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام الاصل وقد اختلف العلما فيمن عمل عملا
بغير علم ووافق عمله لسان العلم هل يكون ماجورا او مأثوما على ثلاثة اقوال وقد ذكرناها
في اول الكتاب وقد قال بالعلم فترين ان اردت جلاءه والعمل به لكل رفع حالا عن البر اقال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما نبدا به في يومنا هذا الحديث ظاهر الحديث يدل على ان السنة
في يوم الاضحى تقديم الصلاة قبل الذبح ومن ذبح قبل الصلاة فانه لحم ليس نسك والكلام عليه من وجوه
منها التاكيد في صلاة العيد يوخذ ذلك من قوله عليه السلام اول ما نبدا به في يومنا هذا نصلي فجعلها
عليه السلام مفتاح الاعمال في ذلك اليوم وهل هي فرض او سنة قولان للعلما في ذلك منها التاكيد في شان
الاضحية يوخذ ذلك من قوله عليه السلام بعد ما قال نصلي ثم نرجع فننحر ثم زادها عليه السلام
تاكيدا بقوله من فعله فقد اصاب سنتنا وقد اختلف العلما هل هي فرض او سنة على قولين قال منهم
انها سنة هي عنده من اكد السنن ويزيد ذلك تاكيدا قوله عليه السلام في حديث غيره ما عمل ادمي عملا
يوم النحر اعظم من اراقة دم وفيه دليل على ان السنة وان كانت حسنة والعمل الذي يعمل بها

لايصحان

لايصحان الا اذا كانا موافقين لسان العلم يوخذ ذلك من قوله عليه السلام ومن ذبح قبل فانما
هو لحم قدمه لاهله ويزيد ذلك بيانا قوله عليه السلام ان الله لا يقبل عمل امرأ حتى يتقنه قيل
يا رسول الله وما اتقانه قال تخليصه من الريا ان يكون لله خالصا لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين وتخليصه من البدعة ان يكون على نحو ما امر صلى الله عليه وسلم به لقوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفيه دليل على ان اتباع الصحابة رضي الله عنهم هو الحق
الذي لا ينبغي العدول عنه يوخذ ذلك من كونه عليه السلام لم يترك لهم شيئا من الاعمال الا بينها
لهم وعملهم فيها على سنته الواضحة مثل هذا الحديث وما يشبهه ومما يويد هذا قوله صلى الله عليه
وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد قال العلما رضي الله عنهم مثل ابن رزق
وغيره وانا اوصيك باتباع في عملك وآكد من ذلك اتباع السلف فانهم اعرف بالسنة منا وقد قال
مالك رضي الله عنه اذا كان حديثان ووجدنا الخلفا والصحابة عملوا باحدهما دل على ان الاخر
منسوخ وان لم يعرف النسخ واذا كان الحديث معينان وعملوا باحدهما دل ذلك هو الحكم في الحي ذلك
الحديث وانه الظاهر من ذينك الوجهين وفيه دليل على جواز اكل اللحم في يوم العيد ما عدا لحم
الاضحية يوخذ ذلك من قوله عليه السلام لحم قدمه لاهله فاجازه عليه السلام وفيه دليل على ان نفس
الاضحية عبادة يوخذ ذلك من تسميتها نسكا بقوله عليه السلام ليس من النسك من يسئ في الدين
ذبح قبل الصلاة فدل على ان الذي ذبح بعد الصلاة هو نسك والنسك ما يتعبد به وفيه دليل على
تاخير الذبح في يوم النحر عن وقت الصلاة يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم ثم نرجع لانه اتى بثم التي
تقتضي المهلة وفيه دليل على استغنا المولى سبحانه عن عبادة العابدين يوخذ ذلك من كونه عز وجل
قد شرع بمقتضى هذا الحديث ذبح الاضحية وهي مما للنفس فيها شهوة وراحة لانك تاكل وتدخر وانت
في الصدقة منها بالخيار ان تصدقت اجرت اجرا اخر وان لم تتصدق لم تاثم وثبت لك اجر الاضحية
بنفس الذبح والاكل زيادة راحة لك وفيه دليل على عظيم لطفه عز وجل بعبيده ورحمته لهم يوخذ ذلك
من كونه عز وجل امرهم بذبح الاضحية كما تقدم الكلام فيه وجعلنا في هذا اليوم من اعظم القرب اليه

ويزيد ذلك بيانا قوله عليه السلام تنافسوا في ايمانها فانها مطاياكم الى الجنة وفيه دليل على عظيم
ما اعطى الله عليه وسلم من حسن البلاغة يوخذ ذلك من جمعه عليه السلام في الحديث الواحد الحكم
الواحد بين النحر والذبح لانه لو ذكر صلى الله عليه وسلم احد الوجهين اما النحر واما الذبح لكان دليلا
على ترجيحه على الاخر فلما ذكرهما معا دل على جوازهما بحسن عبارة واختصار صلى الله عليه وسلم
وحسن في زمرته ولا ندامته بفضله عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل عليها وحاضت قبل ان يدخل مكة الحديث ظاهر الحديث يدل على ان الحايض تفعل جميع افعال
الحج كلها الا الطواف بالبيت فانها لا تفعله الا بعد ان تطهر والكلام عليه من وجوه منها ان فيه دليلا
على ان الطهارة في اركان الحج كبري كانت وصغري ليست بفرض الا الطواف بالبيت فلا يجوز الا
بطهارة وهي واجبة يوخذ ذلك من قوله عليه السلام فاقضي ما يقضي الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت
فاذا كان بالحدث الاكبر تفعله فمن باب الاحري لغيره وفيه دليل على فضل هذه السيدة يوخذ ذلك من
بكائها خيفة ان يفوتها الحج وذلك بعذر رباني لا كسب لها فيه فلو لا ما كان همها كله الا الدين
ما كانت تبكي على هذا وهي فيه عند الله معذورة وكذلك كان شان الصحابة رضي الله عنهم اجمعين
ما كانت همتهم الا في حسن دينهم وكذلك شان التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن جعل همه هما واحدا وكما قال عليه السلام وهو هم الدين وفيه دليل
على ان يحكم على الشخص بما يعلم من حاله يوخذ ذلك من كون سيدنا صلى الله عليه وسلم لما يعلم من
دين هذه السيدة لما راها تبكي علم انها من اجل الدين ولا شيء في الوقت ان يمكن ان يبكيها الا
النفاس فاستفسرها على ما ظنه منها بقوله عليه السلام لعلك نفست وفيه دليل على ان حال الشخص
وان علم ما هو فلا يحكم عليه بالقطع به حتى يستفسر عن ذلك يوخذ ذلك من قوله عليه السلام لعلك
نفست بعد ما ظن ذلك لما يعلم منها وفيه دليل لاهل الصوفة الذين يقولون ان المنهي في السلوك
يكون حاله مع مولاه مثل الصبي مع امه كل شيء راه بكى عليها لا يعرف غيرها وذلك دابه معها
يوخذ ذلك من انها لما جاءها ما اهمها من امرها بكت على مولاها ولم تذكر من ذلك للنبي صلى

الله عليه وسلم شيأ حتى سالها وفيه دليل على بركتها وبركة بنيها كما قاله اسيد بن حضير عند نزول
اية التيمم ما هي باول بركتكم يا ال ابي بكر ما نزل بكم شيء الا جعل الله فيه للمسلمين فرجا ومخرجا
او كما قال فلما اهمها ما جاءها جعل الله فيه للمسلمين فرجا بان سن صلى الله عليه وسلم للمسلمين ان
المراة اذا حاضت لا يتعذر عليها من افعال الحج شيء الا الطواف بالبيت ثم لا يفوتها لانها
اذا طهرت فعلته بعد وفيه دليل لاهل الصوفة لانهم يقولون من بكا صادقا شفعت فيه دموعه
يوخذ ذلك من ما جاءها اثر بكائها من الفرج لها وللمومنين مما يقدر من حكم الحايض بهذا
الحديث وقد قال بعض اهل الطريق في هذا المعنى بالباب يبكون والبكا اذا كان خاليا من النفاق ينفع
تشفع فيهم دموعهم واذا شفع دمع الميتين شفع فبينا هم حياري من الياس والطمع
سكاري من شراب الخوف والجزع اذ بزغ لهم قمر السعادة من فلك الارادة في جوانب قلوبهم فلمع
والبسوا ملابس الانس والبسط خلع ورقم العلم الالهي من سبقت منا الحسنى ورقم العلم الا يسرا لا يحزنهم الفزع
وفيه دليل على تصبر المصايب بجريان القدر يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم لها هذا امر كتبه الله
على بنات ادم تعزية لها لما اصابها من الحزن على ما توقعت فواته من امر حجها وفيه دليل على جواز
الاضحية عن اهل الرجل يوخذ ذلك من قولهم ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ازواجه بالبقر
وفيه دليل على جواز الاضحية بالبقر وان كان غيرها افضل منها في الاضحية يوخذ ذلك من
كون النبي صلى الله عليه وسلم ضحى بها عن ازواجه صلوات الله عليه ورضي عنهن وفي قولها حين
اتي لها باللحم ما هذا ان السنة ان لا ياخذ احد شيأ ولا ياكله حتى يسال عنه فظاهر هذا الحديث يدل
على جواز الاضحية بمنى وليس الامر على ظاهره بل هو محمول عند العلما على الهدي وانما ذكر الراوي
الاضحية لكونها نسكا لانه ليس بمنى اضحيتهم وانما سنتهم الهدي وسنة غيرهم الاضحية والله اعلم
عن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الزمان قد استدار الحديث ظاهر الحديث يدل على
تحريم دماء المسلمين واموالهم واعراضهم بعضهم على بعض والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل
هذا على عمومه اعني التحريم امر لا فاما ان يكون على العموم من كل الجهات فلا بد ليل الكتاب والسنة

اما الكتاب فقوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فلا يذكر احد من المسلمين
اخاه المسلم بسوء الا من ظلم ظلمة فله ان يذكر السوء الذي فعل معه لكن بقدر ما عدا عليه فانه ان
زاد على ذلك عاد ظالما لما تايتا والله عز وجل يقول فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم واما من السنة فقد قال صلى الله عليه وسلم لا غيبة في فاسق ولها شروط منها ان يكون
متظاهرا بفسقه ويجب ان يشهر عنه فلا غيبة فيه اذ ذاك ومن العلما من قال انما يكون ذلك
ان تذكر حال فسقه عند من يقدر ان يغير عليه او يستعين به في ذلك او يحترز عنه فاما ان
يكون لغير هذه الوجوه فممنوعة وتاولوا الحديث بان قالوا معناه ولا تغتب فاسقا وقد قال
صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها فاذا اخذوا احد منها بحقه فلا تناوله التحريم وقد قال صلى الله عليه وسلم
لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه فاذا كان عن طيب نفس فلا تناوله التحريم
والاي والاحاديث في هذا كثيرة فما بقي ان يكون التحريم الا خاصا فهو اذا لم يكن عليها حق من وجه
من الوجوه ما هذا قد ثبت لك حرمة فان وافقت زادت الحرمة حرمة اخرى وهي قوله عز وجل
من اهان لي وليا فقد اذنني بالمحاربة وانا اسرع الى نصر عبدي المومن وزادها بقوله تعالى وكان
حقا علينا نصر المومنين فان اتبعت النفس هواها اذهبت ما لك من الحرمة وعادمكانها محنة
اعاذنا الله من ذلك بمنه وكرمه رب يكرم لنفسه وهو لها مهين وفيه دليل على ان تسمية الشهور
وعددها بمقتضى الحكم الرباني لا عرفي ولا لغوي يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم الزمان
قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض الى قوله وشعبان قوله صلى الله عليه وسلم
قد استدار اي استقام امره فيه ورجع مثل ما كان يوم خلق السموات الا ان العرب كانوا يجعلون
في كل عامين يوما ينقلونه الى شهر ثان فرض الحج وكان الحج في تلك السنة على ما ذكرنا من عادتهم في
ذي القعدة فاقام الحج بالناس في تلك السنة ابو بكر رضي الله عنه بامر النبي صلى الله عليه وسلم
فلما كان في سنة عشر من الهجرة وهي التي حج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الحج الى عادتهم

الى ذي

الى ذي الحجة وهو الشهر الذي جعل الله فيه الحج يوم خلق السموات والارض وفيه حج ابراهيم وجميع
الانبياء عليهم السلام فلذلك قال عليه السلام قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض اي على
وضعه الذي اقتضته الحكمة الربانية عند خلق السموات والارض وفيه دليل على ان دوران الاشهر تسمى
زمانا يوخذ ذلك من قوله عليه السلام الزمان قد استدار وهي الاشهر كما ذكرنا وقوله عليه السلام
حرم اي جعل لها حرمة ليست لغيرها وفايدة الاخبار لنا بتلك الحرمة ان يحرمها بتحريمها
بالطاعات وترك المخالفات يشهد لذلك قوله عز وجل في كتابه فلا تظلموا فيهن انفسكم وهنا
بحث وهو ان يقال ما الحكمة في ان جعلت على هذا الموضع مفرقة تفريقا مختلف الوضع وجعلت
في اخر السنة اكثر من اول السنة فالجواب ان الامر في من الاشيا يزيد به اول النظام ووسطه
واخره فلما نظمت القدرة درر الاشهر في سلك الاجتماع جعلت استفتاح النظام بشهر
حرام ووسطه بشهر حرام وهو رجب ثم ثانيهما في مناظرة الحسن شهر رمضان وفصل
بينهما بدرة شهر شعبان الذي فهم سيدنا صلى الله عليه وسلم حسن نظم القدرة في الاشهر فزاد
وسطها حسنا بترفيع كثرة الصوم فيه لقول عائشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم استكمل صيام شهر قط الا رمضان ولا رايته اكثر صوما منه في شعبان حتى اضيف الشهر اليه
عليه السلام فقيل شهر نبيكم شعبان فجاءت حرمة محمدية وسط حرمتين ربانيتين فحسن النظام
واستنار وكذلك كانت سابقة الارادة ولم يظهر لنا الا عند بدوها في الوجود وفي ذلك دلالة
على علو قدره صلى الله عليه وسلم لانه ما تجدد شيا رفعة القدر الا ومن جنسه ما رفعته السنة
المحمدية حتى يكون له عليه السلام خصوصا في كل نوع وحال من جميع الترفعات وختم اخر
نظام السنة بشهرين حرامين وفي تفضيل اخر السنة بان كان فيه شهران حرامان وجوه
من الحكمة منها ان الختام له ابدا الاعلم زايد بمقتضى الحكمة الربانية قال تعالى ختامه
مسك وقال عليه السلام الاعمال بخواتيمها فاذا حسنت الخاتمة حسن الكل وزاد حسنا
على حسن وان كان الكل حسنا فزيادة حسن الاخر بالغ في الحسن واشارة لترفيعه

صلى الله عليه وسلم لما ان كان عليه السلام خاتم الانبياء وهو سيدهم جعلت نظام الاشياء على شبه
نظام اشخاص الانبياء عليهم السلام ترتيبا متناسبا وحكمة عظيمة ابدع فيها احكم واحكم فيما احكم
وفيه اشارة الى اللطف منه جل جلاله بعباده لانه من عقل وكان له عذر في السنة كلها جعل
له في اخرها تكثيرا في عدد ذوي الحرمة لعله يحصل له حرمة في الله ما احسن نظمه بجانه واكثر فضله
واتم على من عقل عند نعمته وفي قوله صلى الله عليه وسلم اي شهر واي بلد واي يوم وجوه من الفقه
والادب والحكمة فمنها ان اجتماع من له حرمة تاكيد في الحرمة وانه لا تسقط حرمة غيره يوخذ ذلك
من كونه عليه السلام بعد ما بين تاكيد حرمة الدماء وما ذكر معها دل على تاكيد حرمة اجتماع حرمة
الشهر والبلد واليوم فابقى لكل ذي حرمة حرمته في الزمن الفرد وفيه دليل من الادب ان السيد
اذا سال والعالم اذا سال عما قد علم الامر في ذلك اليه لانه لا يسال عن ذلك عبثا وانما يسال الحكمة
لا يعلمها المسئول يوخذ ذلك من قول الصحابة رضي الله عنهم الله ورسوله اعلم وهم عالمون بما
سالهم عنه فظهرت بعد الحكمة التي من اجلها سالهم عن ذلك وهي تاكيد الحرمة بخلاف ما اذا سال
عن شيء يجهله كثير من الناس فان ليس اصابة المقصود والافصاح به مثل قوله صلى الله عليه وسلم
اي شيء من الشجر يشبه المومن فوقع الناس في شجر البادية قال عبد الله بن عمر فوقع في قلبي
انها النخلة فاستحييت ان اتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة فقلت بعد
ذلك لابي وقع في نفسي انها النخلة فقال عمر وددت انك قلتها لان المقصود من هذا
الاختبار جودة الخواطر وحدة القرايح فاذا اجاوب بما يصلح في ذلك سرية السائل ومن
اجل ذلك قال عمر لابنه تلك المقالة لانه اذا قال ما يعجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهي النعمة
الكبرى وقد يحصل له منه دعوة حسنة فيزداد الخير خيرا وفيه من الحكمة انه تمثل بما لا يعرف قدره
بما يعرف قدره حتى يحصل للسامع معرفة الفائدة التي قصد ان يفهمها يوخذ ذلك من انه
لما اراد سيدنا صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم عن عظم حرمة الدماء والاموال والاعراض مثل ذلك لهم بمجموع
حرمة هذه الثلاثة اشياء التي كانوا يعرفون حرمتها وفيه من الفقه ان الحكم فيها اذا كان الحكم فيها

واحدا

واحدا وان كثرت ان من الفصاحة جمعها بتعدادها واسمائها ويذكر الحكم مفردا لانها وان
كثرت كالشيء الواحد يوخذ ذلك من جمعه عليه السلام الثلاثة الاشياء ثم جعل الحرمة في كل
واحد منها كحرمة اجتماع تلك المحترمات الثلاثة وفي سكوته عليه السلام بعد قولهم الله ورسوله
اعلم استدعاء لجذب القلوب لما يلقى اليها بعد ود لالة على الوقار وهو من الشيم المحمودة وفي ذكره
عليه السلام هذه الثلاثة في هذا الموطن وهو عليه السلام قد بينها في غير ما حديث دلالة على
عظيم الاجر فيها لمن احترمها وعظم الوزر على فاعل شيء من المحظور فيها وفيه دليل على وجوب
تبليغ العلم ونشره يوخذ ذلك من قوله عليه السلام ليبلغ الشاهد الغائب ومما يقوي ذلك قوله
عليه السلام طلب العلم فرض على كل مسلم وقوله عليه السلام ان الله اخذ على الجهال ان
يتعلموا اخذ العهد على العلماء ان يعلموا او كما قال عليه السلام وقد قال عليه السلام اذا ظهرت
الفتن وشتم اصحابي فمن كان عنده علم فكتمه فهو كجاهل ما انزل على محمد وقال الله تعالى
لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهذا العلم الذي هو واجب ونقله وتعليمه هو علم الكتاب والسنة
الذي هما الثقلان الذي اخبر الصادق صلى الله عليه وسلم بقوله لن تضلوا ما تمسكتم بهما
والاي والاحاديث في هذا كثيرة لمن تتبعها وفهمها وفيه دليل على ان الخير في السلف
الاول كثير وفي الاخر قليل فانا لله وانا اليه راجعون يوخذ ذلك من قوله عليه السلام لعل
بعض من يبلغه ان يكون ارعى له من بعض من سمعه فجعل الرجاء في البعض ممن يبلغه في الرعي
له وذلك هو الخير كما جعل عدم الخير الذي هو ترك الرعاية في الاقل ممن سمعه وجعل الرجاء في البعض
تفضيل من ترعاه في الاخر وان بعد عن بعض من سمعه ولم يرعهم الاقل وفيه دليل على انه
ليس الفائدة في العلم نفسه وانما الفائدة في العمل به الذي كني عنه بالرعي له لان العلماء قالوا
معنى الرعي اي اعمل به ومما يقوي ذلك قوله عليه السلام اتقوا العلم الفاسق والعابد الجاهل
فانهما مضلة للمضلين او كما قال عليه السلام وفيه دليل على ان من رفع الله له قدرا فهو في امثال
الاوامر اشد من غيره زاد على بعض الذين يدعون الاحوال ويقولون قد سقطت عنهم الاعمال

لانهم في الحضرة وهذا هديان وخيال عارض في الدماغ يوخذ ذلك من توصيته عليه السلام في
الابلاغ والانذار وهنا اشارة وهي اذا كان هذا السيد صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم وما
تاخر وطبع على الرحمة والشفقة حتى انه صلى الله عليه وسلم في المواضع المهمولة يقدم حق امته على
نفسه المكرمة لعظم ما طبع صلى الله عليه وسلم عليه من الرحمة وجاء عنه عليه السلام في هذا الموطن
الذي هو موطن الوداع اجمل لهم في الانذار والتبيين قد صرح لهم به في جميع مدة صحبته لهم ثم بعد
ذلك رجع الى انظر فيما به يخلص نفسه المكرمة مما كلفه بقوله عليه السلام الا هل بلغت لان معناه
اني لم اترك شيئا مما امرني به الا بلغته مفسرا ومجملا فما بالك بالكثير الاثقال منا كيف يشتغل
بغيره عن خلاص نفسه لا سيما مع كبر السن وقرب الحمام وفي هذا دليل على فضل اهل الطريق الذين
عملوا في امر الدنيا على الاغضاء والتجاوز عن الاخوان وفي الدين على الشح عليه والاهتمام حتى انه ذكر عن
بعضهم انه شكي له اهله الجوع فقال لان اموت وادخل الجنة وانتم جياع خير عندي من ان اتركم
شبعا وادخل النار وقال بعضهم على دينك فشح كما شح صاحب الدرهم على درهمه وفي قوله صلى
الله عليه وسلم وستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم ارشاد الى تحقيق الايمان والتحضيض على توفية جميع
الاحكام من تحليل وتحريم وغير ذلك فجمع عليه السلام في اجماله في هذا اللفظ اليسير كل ما جاء به شرعه
في الزمان الطويل فسبحان من ايده بالفصاحة وحسن اختصار الكلام والابلاغ في توفية
بديع المعاني من جميع الاختصار وقد قال اهل الاختصار البلاغة في الكلام ان البليغ يطول البيان
ويختصر ليحفظ وقد اوتي صلى الله عليه وسلم من هذين الوجهين اتم مراد واحسن مساق ولا
يعرف ذلك الا من عرف سننه وتتبعها وفيه اشارة التخويف والترهيب يوخذ ذلك من قوله عليه
السلام فيسالكم عن اعمالكم فاذا كان الحكم العدل يسال المقصر المسكين فاي تهديد اكبر لمن عقل
وهو عز وجل يقول في محكم التنزيل وكفى بنا حاسبين وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن اكبر الدلالة على ان كلامه عليه السلام بتاييد من الله تعالى
والهام منه وقد قال ذلك جماعة من العلماء في معنى قوله تعالى لتحكم بين الناس بما اراك الله فقالوا

معنى

٦٨

معنى اراه الهمه اليه فهو وحي الهام يشهد لذلك انك اذا تاملت كلامه صلى الله عليه وسلم تجده حد
وحد والكتاب العزيز لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا مثل كلامه عليه السلام
الذي بينا عليه نفا كيف هو صيغته صيغة الاخبار وضمنه اكبر التهديد لقول الله جل جلاله فامشوا في
مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ظاهره الاباحة وفي ضمنه عظيم التخويف والتهديد يوخذ
ذلك من انه عز وجل قد قال قبل في كتابه العزيز ولا تمش في الارض مرحا وقال عز وجل ان الله لا يحب
كل مختال فخور الى غير ذلك من الاحكام الذي بينها عز وجل لنا كيف نتصرف بها في المشي وغيره
متضمن قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم اباح عز وجل لنا المشي في مناكبها بعد التبيين
والتعليم حتى لا يبقى حجة ثم ختم الاية بقوله تعالى واليه النشور فيعرفكم كيف مشيكم من حسن
او قبيح فانه اخبرك بقوله تعالى ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه
وبقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله عز وجل قال قرينه هذا ما لدي عتيد
اي كلما كتبته عليك حاضر فانظر لمن تغادر منه شيا فحسبك حا لكل ان عنيت به فالامر والله اعظم
وقوله عليه السلام فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض هنا بحث هل يكون على
ظاهره فيكون حسيا او يكون معنويا او المجموع احتمل والاظهر والله اعلم انه المجموع فانه المناسب
لوضع الحديث كانه اجمل ما قد فسره وبينه فيما بيناه المحسوس منه على ظاهره مثل قوله عليه السلام
حتى يكون بعضكم يسبي بعضا وبعضكم يقتل بعضا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة
حتى لا يعرف المقتول فيما قتل وكما قال والاحاديث فيه متنوعة واما في المعنى فمثل قوله عليه السلام
قطعتم ظهر الرجل حين مدحوه في وجهه ومثل قوله عليه السلام لا يسب الرجل اباه فقال صلى الله عليه وسلم
يسب الرجل فيسب الرجل اباه واي قطع عنق اكبر من العقوق وهذا النوع ايضا في الاثار كثيرة وانواعه
متعددة ومعنى قوله عليه السلام ضلالا خارجين عن الطريقة المحمدية جعلنا الله من اخير اهلها وفيه دليل
على ان الرجوع الى الضلالة في حيوته عليه السلام في حديث الشفاعة حين يقال له انهم قد ارتدوا بعدك
سحقا فسحقا فسحقا عافانا الله من ذلك بمنه وقيل وقال نفسك بالعلم فزنا ان كنت على ملاء وان خالفته قد
شقيت عاجلا واجلا

الحديث الثالث والعشرون

عن علي رضي الله عنه انه اتي علي باب الرحبة فشرب قائما فقال ان ناسا يكره احدهم ان يشرب وهو قائم وانى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت ظاهر الحديث يدل على جواز الشرب قائما والكلام عليه من وجوه منها انه ينبغي للعالم اذا راي شيأ يكره الناس وهو جائز في السنة ان يبين ذلك ويوضحه بالفعل والقول يوخذ ذلك من فعل علي رضي الله عنه ما هو نص الحديث وفيه دليل على ان عليا ان يبالغ في المتعلم ما امكنه يوخذ ذلك من فعل علي رضي الله عنه وقوله لانه لا يخبر الا بمجموعهما وذلك الغاية في التعليم ويوخذ منه انه ينبغي للعالم عند ظهور البدع ان يعلم قبل ان يسال لان عليا رضي الله عنه فعل ذلك قبل ان يسال وهو احد الخلفا الذين قال صلى الله عليه وسلم في حقهم عليكم بسنتي وسنة الخلفا بعدي عضوا عليها بالنواجذ وكما قال عليه السلام وفيه دليل على اتباعه رضي الله عنه في التعليم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوخذ ذلك من قوله ان ناسا يكره احدهم يشرب وهو قائم ولم يسم احدا وكذلك كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قيل له عن احد شيأ لا يعجبه يقول ما بال اقوام يقولون كذا ويفعلون كذا ولا يسمي احدا وهذه العادة اليوم قد كثرت في الناس اعني ان انهم يكرهون الشرب قائما حتى ان بعضهم يتغالى في ذلك ويجعله من قبيل المحرم وهذا مخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان الصحابة رضي الله عنهم كان شانهم اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في افعاله واقواله يوخذ ذلك من قول علي رضي الله عنه وانى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما رايتموني فعلت ولم يذكر عليه السلام في ذلك قولا وفيه دليل على انه مهما كان من الشارع صلى الله عليه وسلم في شيء فعلا او قولا فلا مجال للعقل والراي بان ينظر او يجتهد وليس له وظيفة الا ان يتبع فقط لانه لو كان الشان عندهم غير ذلك ما فعل علي رضي الله عنه ما نص في الحديث عنه ما بلغه قول من ظهر له كراهية الشرب قائما ومما يويد ذلك ما فعله معاذ بن جبل مع معاوية بالشام حين قال معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال معاوية الراوي عند كيت وكيت قال معاذ من يخبرني من معاوية اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال معاوية الي وهو يقول راني والله لا اقيم معك في بلد فخرج واتى عمر بن

الخطاب

الحديث الثالث والعشرون

الخطاب رضي الله عنه فكتب عمر الي معاوية ان قف عندما قال له معاذ وكيف لا يكون كذلك والله عز وجل يقول قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله والاتباعية ينبغي ان عامة في الاقوال والافعال وقد مضى من ذلك ائمة الدين ومصابيح الهدي غير انهم اختلفوا هل ذلك واجب او مندوب او مدارك الدليل عليه على كل قضية بقرينة فمنها واجب ومنها مندوب ولم يقل احد منهم بالمخالفة لا في فعل ولا في قول ولكثرة مخالطة اهل الكشف هذا الشان سادوا على غيرهم وبلغوا المنازل الشريفة وقد ذكر عن بعضهم انه طرقه خوف من واقعة وقعت في الوجود بعد ما امتثل فيها السنة فقيل له في احدي مخاطباته على عادتهم التي عودهم مولاهم اتفزع ونحن قد اعطيناك علم الامان قال وما علم الامان قيل له قد هدينا لك الى اتباع السنة فهنالك سكن ما كان وجده من الخوف ولم يكن له في تلك النازلة الاخيرة ونعمة فالشان لمن اريد به الخير الصدق مع الله تعالى واتباع السنة المحمدية جعلنا الله من اهل هذا الشان في الدارين بمنه وفضله

عن ابي هريرة نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الشرب من فم السقا الحديث ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما المنع من ان يشرب احد من فم السقا او القربة والثاني ان يمنع احد جاره ان يغرز خشبة في جداره والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل منعه عليه السلام عن الشرب من فم السقا او القربة على اي وجه كان اولا وهل النهي نهي كراهية او تحريم وهل ذلك معقول المعنى او لا وهل يتعدي منعه الى غير السقا والقربة او لا وهل اباحة الجدار للجار يغرز الخشبة هو على الوجوب او الندب وهل ذلك على كل حال او في بعض الاحوال دون بعض اما قولنا على الشرب من فم السقا والقربة هل هو عام او لا ظاهر اللفظ محتمل لكن الناس اختلفوا في تاويله فمنهم من جعله عاما على اي وجه كان ومنهم من قال انما جعل فم السقا والقربة موضعا في الارض كانه القصعة فتناول منه الشرب فليست تلك الصفة منهي عنها وانما النهي ان يصب الماء في حلقه ولا ينظر ما فيه ولا يقدر ان يقطع الشرب واما قولنا هذا النهي على الكراهية او التحريم احتمل لكن اذا كانت العلة معقولة المعنى بحسب مقتضى العلة قد لم تعرف العلة فحينئذ يبقى الامر فيه محتمل الوجهين ويبقى فيه بحث اخر هل النهي يدل على فساد المنهي عنه

الحديث الثالث والعشرون

وفي الحديث الثالث والعشرين النهي عن الشرب من فم السقا والقربة والنهي عن منع الجار جاره ان يغرز خشبة في جداره

فالذي يشرب يشرب حراما وان قلنا ان النهي لا يدل على فساد المنهي عنه يكون متشابها هل هو حرام او مكروه موضع خلاف ويبقى فعله ذلك على احد الاحتمالين اما ان يكون حراما فيكون اثما واما ان يكون مكروها فيكون غير اثم واما قولنا هل ذلك معقول المعنى او لا ظاهر اللفظ لا يتحقق منه شيء من ذلك لكن قد قال بعض الناس ان ذلك معقول وهو خيفة ان يكون في الوعاء حيوان فينزل مع الماء جوفه وقد وقع للناس من ذلك وقايع فتعبوا لها كثيرا ومنها انه قد ذكر ان رجلا شرب الماء كذلك وكان في الماء ثعبان صغير فابتلعه مع الماء فحصل له منه ضرر كثير وقد يكون ايضا في الماء علق فيبلعه فيتاذى به وقد يكون الماء نصب مرة فيكون سببا ان يقطع العروق الضعاف الذي باز آ القلب فيكون منها موته ومن اجل ذلك احكمت السنة ان يكون شرب الماء مصا ولا يكون عبا من اجل الخوف على العروق التي باز آ القلب فهذا من باب احري وقال آخرون من اجل ما يتعلق بالسقا والقربة من رائحة الفم وقد يكون في بعض افواه بخر فيتعلق بالقربة والسقا منه شيء فيعافه الغير وقيل من اجل ان بعض الناس لا يحل نفسه الشرب من فضل غيره وتتسوس وقد قيل ان ذلك يعود بالفساد على الوعاء فينتقل فيكون من باب اضاعة المال وهو منهي عنه وبقي تحريم بحسب هذا التعليل ان تعرف النهي على اي وجه هو لكن الذي يعطيه الفقه ان امر ايكون فيه التعليل على مثل هذا الخلاف تركه اولى فانه لا يبعد ان يكون المجموع ما ذكر فيكون يجتمع فيه بالتحريم على وجه الكراهية على وجه والشان الاخذ بسد الذريعة الذي تدل عليها قواعد الشريعة وقد روي عن الامام مالك رحمه الله ومن تبعه ان مذهبه في الامور المحتملة الاخذ بالاشد الا برا للذمة واما السقا فهو الوعاء الصغير من الجلد والقربة والوعاء الكبير منه واما قولنا هل يتعدى الحكم الى غيرهما فان قلنا بعدم التعليل فلا يتعدى ويكون مقصورا على السقا والقربة لا غير وان قلنا بالتعليل وهو الاظهر والله اعلم فحيث وجدت العلة طردنا الحكم على احد محتملاته واما قولنا هل اباحة الجدار للجار ان يغرز الخشبة فيه على الوجوب او الندب فجمهور العلماء انه على الندب لانه قد روي عن راوي الحديث وهو ابو هريرة رضي الله عنه انه كان يقول ما لي اراكم عنها معرضين

والله

والله لارمين بها بين اكتافكم فدل بقوله هذا انه فهم من النبي صلى الله عليه وسلم اما الوجوب والتاكيد في الندب لعظم حق الجار على الجار لانه قال صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه والآثار في الجار كثيرة في تاكيد حقه والاحسان اليه وكف الاذى عنه وادخال السرور عليه واما قولنا هل ذلك على كل حال لان الشارع صلى الله عليه وسلم قد قال لا ضرر ولا ضرار فان كان في غرز الخشبة ضرر على صاحب الحائط فلا يجب عليه ذلك ولا يندب فان الشارع صلوات الله وسلامه عليه قد منع ان يفعل الشخص في ملكه شيئا يضر بجاره فكيف يفعل في مال جاره ما فيه ضرر بين هذا لا ينعقل وانما يكون على احد محتملاته ان لم يكن على صاحب الجدار في ذلك كبير ضرر لانه من جملة الرفق له وقد ورد ما معناه لا يمنع احدكم جاره رفده عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لن يدخل احدا عمله الجنة الحديث ظاهر الحديث يدل على انه لا يدخل احد الجنة بعمله والكلام عليه من وجوه اعلم وفقنا الله واياك ان الناس اختلفوا في معنى تاويل هذا الحديث على وجوه عديدة فمنها قول بعضهم ان الايمان عرض والعرض لا يبقى زمانين فالقاؤه عليك حتى يتوفاك الله من فضله عز وجل ومنها قول آخرين وهو انه عز وجل الذي وفقك الى الاعمال وتفضل عليك بقبولها القوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقيل لولا تجاوزه عز وجل ما قدر احد على الخلاص لقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقيل لولا تجاوزه عز وجل ما قدر احد على الخلاص لقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما وتادبات كثيرة لكن الذي يعطيه التقسيم البحت ان نقول قوله صلى الله عليه وسلم بعمله هل هو عموم في جميع الافعال القلبية والبدنية او هو خاص بالبدنية فان كان خاصا بالبدنية فكيف الجمع بينه وبين الاحاديث التي وردت في الاعمال وكيف دخول اصحابها الجنة مثل قوله عليه السلام في الصيام ان في الجنة بابا يسمى الريان لا يدخل منه الا الصائمون الى غير ذلك من الاحاديث التي وردت في الاعمال وكيف دخول اصحابها الجنة مثل قوله عليه السلام عن العافين عن الناس ينصب لهم لواء اخضر يوم القيمة فيتبعونه

حتى يدخل الجنة او كما قال عليه السلام وقوله عليه السلام في الذين لا يسترقون ولا يتطيرون انهم
يدخلون الجنة بغير حساب الى غير ذلك وقول الله عز وجل بما اسلفتم في الايام الخالية وبما كسبتم
الى غير ذلك من الاي وهي كثيرة وان كان المعني به العموم في الاعمال القلبية والبدنية فكيف الجمع
بينه وبين قوله عليه السلام لمعاذ بن جبل ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله ثم اخبر صلى الله عليه
وسلم ان حق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وان حق العباد على الله اذا هم فعلوا ذلك
لا يعذبهم وقول جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم من مات من امتك لا يشرك بالله شيئا
دخل الجنة وقول الله عز وجل للمومنين لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون والاحاديث
في هذا كثيرة والاعمال عمل من اعمال القلوب وهو اجلها فالجواب عنه ان الاي كان على الخصوص وهو ان
يعني به اعمال الابدان فلا تعارض بين هذا الحديث ولا ما ذكر من الاحاديث والاي ولا غيرهما
مما يشبهها لان الاعمال لا تقبل ولا تنفع الا بشرط الايمان واتباع السنة المحمدية ولان الكفار
مكلفون بفروع الشريعة على احد القولين ولو فعلوها لم تنفعهم ولا يدخلون الجنة ولا يشمون
عرفها وقد قال الله عز وجل في حقهم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية
فعلى هذا التاويل يكون الحديث فوائد من الفقه منها انه حجة لاهل السنة على المعتزلة الذين
يقولون باعمالهم يدخلون الجنة ويكفرون من وقع في معصية ويوجبون له الخلود في النار ومنها
زوال دعوة نفوس العابدين الذين تسمح نفوسهم وتغتر بما وقعوا اليه من الطاعة والخدمة ومنها
الحض على تحقيق الايمان ويزيد ذلك بيانا ان الحق سبحانه حض على الايمان اكثر من غيره من
الاعمال بقوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون ولا يلزم من هذا الزهد في الاعمال لان تركها
يزيد الكفر وقد جعلت الصلاة فرقا بين الايمان والكفر ولان ترك الاعمال ايضا نقص في الايمان
يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولا يختلس الخلسة حين
يختلسها وهو مومن لان حقيقة التصديق يوجب اتباع الامر واجتناب النهي وبذل الجهد في
ذلك مع ابقاء خوف لقاء المولى سبحانه وتعالى وقد يحصل له قبول ام لا يشهد لذلك قوله تعالى

فمن

ممن صفتهم للمبادرة والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اولئك يسارعون
في الخيرات وهم لها سابقون وهنا بحث في الفرق بين خوف عوام المومنين وخوف الخواص اعلم وفقنا الله
واياك ان خوف عوام المومنين ورجاءهم وعبادتهم فليس لها حد ولا نهاية بيان ذلك اما خوف العوام
فانهم يخافون العقاب على المخالفة ونهاية خوفهم من دخول النار وخوف ما فيها من الالام والامور
العظام اعاذنا الله منها بنور وجهه الكريم واما رجاؤهم ففيما وعد من حسن الثواب وجزيل
العطا بحسب الوعد الجميل ونهايته دخول دار كرامته عز وجل والتنعم بما اعد الله لهم فيها وعبادتهم
حد الالتزام توفية ما جعل لهم في ذلك ونهايتها ارتقابهم القدرة على خلاف ذلك والاستراحة
الى قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها واما خوف الخواص فانه لا حد له لانهم يخافون
عدله عز وجل وعظمته جل جلاله ولا حد لما يخافون ولذلك اذا طرق لاحدهم طارق الخوف
ان لم يتدارك بتنسم الفضل والرحمة والا تفطرت كبده ومات وقد روي ان جملة من مات
كذلك ومما يذكر عن بعضهم انه كان فتح قبره في بيته وكان تعبده على شفير قبره فدخل عليه بعض
بعض الوعاظ يزوره فلما دخل عليه نادته الاولاد والعيال من وراء الستر ناشدناك الله لا تقتله
فلما دخل عنده قال عظني قال له ان الاولاد قد ناشدوني الله ان لا افعل فقال لا بد من ذلك فتلى
عليه اية من كتاب الله فيها شيء من التخويف فوقع مغشيا عليه فاعاد الاولاد الرغبة على الواعظ
مثل الاول فلما افاق قال له زدني قال له اذا الاولاد قد ناشدوني الله فقال له لا بد من ذلك فتلى
عليه اية من كتاب الله تعالى فاضطرب مثل الحية ووقع في قبره ميتا فقال الاولاد قتلته قتلك
الله وعنهم مثل هذا كثير واما رجاؤهم فهم يرجون محض فضله عز وجل بفضله فما يرجون لاحد
له ويحصل لهم من ذلك من شدة البسط وقوة الرجا واليقين ما يفتتون به الجبال ومن الادلال
على فضل مولاهم ما يتصرفون به في الوجود كيف يختارون ومع ذلك محافظتهم على الامر والنهي
لا يقدر غيرهم عليه ومما يروي عن بعضهم انه اتي ببرايا الملوك والحبل فاذا لي الملوك فلم يبلغ الى الماء
فرفع طرفه الى السماء وقال وعزتك لان لم تسقني لاغضبن فاذا به قد اراني دلوه ثانية

فبلغ الماء فاستسقى وشرب قال راويه فلما رايت ذلك منه ناشدته الله ان يسقيني فضله فاذا هو سويق بسكر فاتبعته وقلت له يا سيدي قد من الله عليك بمثل هذا الحال وانت تسيئ الادب في مخاطبة الربوبية وتقول ان لم تسقني غضبت فتبسم وقال يا بطال علي من اغضب كنت اغضب على نفسي فلا اشرب ما حتى القاه وطلبته مستعينا به على ذلك فلا حد لعباداتهم ولا فترة غير انهم يفرقون بين الاوقات من اجل الامر لا غير فعباداتهم دائمة لا فترة فيها ولا التفات ومما يروي عن بعضهم انه اتاه بعض الاخوان يزوره فوجده يصلي فقال في نفسه لا اقطع عليه اتركه حتى يفرغ من صلاته فبقي ينظره لان يفرغ حتى ازن الظهر فصلى الظهر وبقي يتنفل حتى ازن الظهر العصر فصلى العصر ثم قعد يذكر حتى ازن المغرب فصلى المغرب ثم بقي يتنفل حتى ازن العشا وبقي يتنفل حتى اتى فصلى العشا وبقي يتنفل حتى طلع الفجر فصلى الصبح ثم قعد يذكر حتى كان وقت الضحى الاول فقام فصلى ثم قعد يذكر والزائر في ذلك كله يقول في نفسه لا اقطع عليه حتى يفرغ من تلقاء نفسه فلما قعد يذكر وهو ينتظر الضحى الاعلى خرت سنة على عينه وهو قاعد لم يتحرك لها فمسح النوم عن عينه وقال اعوذ بالله من عين لا تشبع من النوم فقال الزائر في نفسه لا يحل لي الكلام مع مثل هذا وتركه وانصرف ومثل هذا عنهم كثير والفائدة ان تنظر من اي الاصناف انت وما حالك من العوام والخواص وهل بينك وبين احدهم نسبة ام لا فدارك نفسك قبل ذهابها واغلق الباب فالامر والله قريب وقد يكون للحديث بحثان وهو ان الاحاديث التي اتت بمقتضى الاعمال وما الفائدة فيها وما على تاركها فذلك مقتضى الحكمة والتكليف ويكون هذا يدل على مقتضى التوحيد والتخصيص يشهد لذلك ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه خرج يوما ويداه الكريمتان مقبوضتان فقال للصحابة رضي الله عنهم اتدرون ما في هذه قالوا الله ورسوله اعلم فقال في هذه اسماء اهل الجنة واسماء اباءهم واجدادهم وقبائلهم الى يوم القيمة ثم قال اتدرون ما في هذه قالوا الله ورسوله اعلم قال في هذه اسماء اهل النار واسماء اباءهم واجدادهم وقبائلهم الى يوم القيمة قالوا يا رسول الله ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكما قال عليه السلام فحصل التخصيص لاهل الدارين بمقتضى

الارادة

الارادة الربانية لا بموجب الاعمال البدنية لكن بقي للحكمة معنى لطيف وهو ان الاعمال دالة على المآل كما هو العنوان دال على صاحب الكتاب يشهد لذلك قوله عز وجل في كتابه فسنيسره لليسرى فسنيسره للعسرى وقول زيد الخير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتخبرني يا رسول الله ما علامة الله فيمن يريده وما علامته فيمن لا يريده فقال كيف اصبحت يا زيد قال اصبحت احب الخير واهله وان قدرت عليه بادرت اليه وان فاتني حزنت عليه وحننت اليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك علامة الله فيمن يريده ولو اراد بغيرها لهياك وكما قال عليه السلام فلذلك جاءت الاعمال البدنية مع سابقة الارادة الربانية لمن تفطن واعتبر كما اخبر سبحانه عن يوم بدر بقوله تعالى اني ممدكم بالف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله فجعل عز وجل نزول الملائكة اطمانانا لقلوبنا لما يعلم من ضعفنا واخبر ان حقيقة النصر من عنده سبحانه فكذلك الاعمال الصالحة فيها للنفوس الضعاف كطمانينة وحقيقة الخلاص ودخول الجنة بفضل الله تعالى والركون ايضا الى الاعمال كيوم حنين وقد قال فيه عز وجل فيه ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فكذلك اذا عولت على اعمالك الصالحة ثم تعذر بها علي شيئ من الخلاص وان كثرت الا ان تغمدت بالفضل والرحمة يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم في العابد من بني اسرائيل صاحب الرمانة وقد تقدمت حكايته قبل في غير هذا الحديث يا هذا اعمال فاصحاب التوفيق اذا زاروا انفسهم قد وقفوا الى شيئ من افعال الخير يستبشرون ويشكرون الله على ذلك ولا يفترون ويرغبون لله في اسباب السعادة الدالة عليها من فضله والانعام لقوله تعالى واسالوا الله من فضله فهو اهل الفضل والانعام ويكون من فوايد الحديث على هذا الوجه انه حجة على اهل الغفلة والجهل مما انتسب الى العلم ومما انتسب ايضا الى طريق الصوفية لانهم يفرقون الشريعة وطريقتهم وبين الحقيقة وطريقتهم وكل طائفة تدعي تفضيل طريقتها وليس الامر كذلك لان الذي اخبر بالشريعة وبينها لنا اخبر بالحقيقة وبينها لنا ايضا وكفى

في ذلك ما كان صلى الله عليه وسلم يفعل في نفسه المكرمة لانه كان اذا خرج الى جهاد اوحج اخذ
الاهبة لذلك على مقتضى الشريعة واذا رجع قال آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله
وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وهذا هو الحق والحقيقة لانه المطلوب الجمع بينهما
ومن هنا زل من زل وقد قال بعض السادة في الجمع بين ذلك ان تعمل عمل من لا يرى صلاحا الا
بالعمل وتفوض الامر وتتوكل تفويض وتوكل من لا يرى خلاصا الا بمجرد الفضل لا غير اوكما قال
ولقد احسن فيما جمع وفيه دليل على انه ليس احد من العباد يقدر على توفية حق الربوبية على
ما يجب لها يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضل رحمته
فاذا كان عليه السلام الذي هو خير البشر وصاحب الشفاعة والمقام المحمود لا يقدر على ذلك
فالغير من باب اجري ولي لان صاحب كل مقام يطلب بتوفيته بحسب ما رفع له في مقامه يشهد لذلك
قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا احصي
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك واخباره عليه السلام عن قول الملائكة يوم القيمة وهي
في العبادة لا يفترون سبوح قدوس ما عبدناك حق عبادتك واذا تاملت ذلك من طريق
النظر تجده مدركا حقيقة لانا اذا طالبنا عز وجل بشكر النعم التي انعم علينا عجزنا عنه ومنها
ما لا نعرفها كما اخبر جل جلاله وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها فكيف غير ذلك من انواع التكليفات
وهي من جملة النعم الواحدة منها نعجز عن شكرها ان لو اشتغلنا بها وذلك ان الانفاس من اثنتي عشر
الف نفس داخل ومثله خارج في اليوم الواحد فالنعم علينا بان يدخل بغير كلفة ويخرج بغير مشقة مع اليقظة
والنوم فهذه من جملة نعم عديدة في البدن عجزنا عن شكرها وكثير من الناس ما يعرفونها فوقع العجز
حقيقة ومن وجه اخر وهو ان العالم كله محدث فكيف يقدر محدث على توفية حق القديم الازلي
هذا من طريق العقل مستحيل فما بقي الا ما اخبر به الصادق صلى الله عليه وسلم وهو التغمد بالفضل والرحمة
فبقي البحث على قوله بفضل رحمته احتمل وجوها منها ان تكون اشارة عليه السلام لما اخبر عن مولانا
سبحانه انه قسم الرحمة على مائة جزء واخرج منها للدنيا جزءا واحدا منها يتراحم الخلق بينهم حتى

الفرس ترفع حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه واذخر تسعة وتسعين جزءا الى يوم القيمة
فجعل عليه السلام نفسه المكرمة من جملة المومنين تواضعا لله واحتمل ان يشير عليه السلام الى
عجزه عن توفية حقوق الرحمة التي رحمه الحق بها حتى اكملها له سبحانه بفضله فتكون له سببا
الى دخول الجنة مثل ما ذكره عز وجل في كتابه من نعمه سبحانه عليه لقوله تعالى الم يجدك يتيما فاوى
الى اخر السورة ومثل قوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما فكانه عليه السلام يقول وانا عاجز عن التوفية بالحقوق التي تجب لله علي
بمقتضى الشكر والتعظيم فلم يبق بما ارجو دخول الجنة الا برحمة اخرى فاضلة على هذه اي زايدة
على هذا يكفر بها عن تقصيري ويدخلنا بها الجنة واحتمل ان يكون اشارته عليه السلام الى الزيادة
التي زاده الله تعالى بعد ما اكرمه بما ذكرناه وهو قوله جل جلاله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر لان من غفر له دخل الجنة لا محالة ولا يخطر بخاطر احد ان الذنوب الذي اخبرنا مولانا
سبحانه انه بفضله غفرها للنبي صلى الله عليه وسلم انها من قبيل ما نقع نحن فيها معاذ الله لان
الانبياء عليهم السلام معصومون من الكبائر والاكثر منهم على انهم معصومون من الصغائر
كما عصموا من الكبائر وهو الحق لان رتبتهم جليلة وانما ذلك من قبيل توفية ما يجب للربوبية من
الاعظام والاكبار والشكر ووضع البشرية وان رفع قدرها حيث رفع فانها تعجز عن ذلك بوضعها
لانها من جملة الحدثيات وكثرة النعم علي الذي وقع قدره اكثر من غيره فتضاعفت الحقوق عليه فحصل
العجز للاكل كل على قدر حاله وبقيت المنة لله تعالى علي الكل والتجاوز بمجرد الفضل والرحمة لا الحق واجب
عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بالله يمن عليكم ان هديكم للايمان ان كنتم صادقين وفيما ذكرنا حجة
لاهل الطريق الذين قد اجهدوا انفسهم في الخدمة ومع ذلك يعترفون بعظم التقصير ويخافون اكثر مما
تخاف اصحاب الكبائر وقد ذكر عن بعضهم انه اشتهت نفسه تمرا فبقي يدافعها اياما عديدة الى ان
ظهر له يوما شراؤه فلما اخذه من البائع وولي واذا بريح شديد وبرق ورعد ففي التمر من حجره
ووبخ نفسه وقال لها اهلكت الناس بخطيئتك وخرج هاربا الى الله تعالى وبما يزيد ذلك بيانا

قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فانه بقدر العلم به عز وجل يكون الخوف منه ولا احد اعلم بالله من رسله وسيدنا صلوات الله عليه وسلامه وعليهم اجمعين القدوة فيهم فيحق مثل هذا الخوف له عليه السلام لما به من عليه من المزيد وقد قال صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله واعلم بما اتقي وكما قال عليه السلام احتمل ان يكون عليه السلام اراد بمجموع الوجوه كلها وزيادة لانه عليه السلام معدن الفصاحة والبلاغة وفيه دليل على الفاظ العموم يدخلها التخصيص بمقتضى اللسان العربي يوخذ ذلك من قولهم ولا نت لان قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا عمله الجنة فقوله احد لفظ عام فلو لم يكن ذلك معروفا من لسانهم ما استفسره حتى يدل ذلك المحتمل المتوقع من احكام الحديث النهي عن ان يتمنى احد الموت كان على اي حالة كان من خير او شر يوخذ ذلك من قوله عليه السلام لا يتمنى احدكم الموت اما محسنا فلعله ان يزداد خيرا واما مسيئا فلعله ان يستعتب وقد كان من دعائه عليه السلام اللهم احيني ما كانت الحياة زيادة لي من كل خير وامتني ما كان للممات راحة لي من كل شر او كما قال عليه السلام وهنا بحث وهو ان يقال هل هذا النهي على عمومه او لا احتمل لكن قد جاء ان وقت الفتن بطن الارض خير للمومن من ظهرها وقد جاء عن علي رضي الله عنه ان الفتنة لما طالت قال اللهم ان قومي قد ملوني وملتهم فاقبضني اليك غير مقصر ومثل ذلك عن عمر رضي الله عنه انه قال اللهم ان رعيتي قد انتشرت وكبر سني فاقبضني اليك غير مفرط والجمع بين ذلك انه كان مهما كان الرجاء في شيء من الخير والخوف في شيء من الشر رغب في الاسباب التي توصل بها الى الخير ودفع الشر وابقا حياة المومن من اكبر الاسباب التي يرجى بها ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم بقية عمر المومن لا ثمن لها يصلح فيها ما فسد او كما قال عليه السلام فاذا كان وقت الفتن خيف على الايمان في الغالب فبطن الارض اذ ذاك خير للمومن فانه يقبض على الايمان وهي المنعة العظمى من الله بها علينا بفضله وقد قال صلى الله عليه وسلم في الفتن يصبح الرجل مومنا ويمسي كافرا ويمسي مومنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا او كما قال عليه السلام فاذا جاء شيء يخاف به زوال الايمان واما قول الخليفتين رضي الله عنهما فانما طلبا الموت خيفة النقص وان يكون رجوعهما الى مولاهما على اكمل الحالات ملكا به ما قدمناه من قوله عليه السلام واحتني

ما كان

ما كان
للممات خيرا لي غير ان العبادة اختلفت والمعنى واحد فلا تعارض بينهما واما قوله عليه السلام فسددوا وقاربوا فقد تقدم الكلام على ذلك في حديث ان الدين يسر وفيه دليل على قوة رجاء المومنين في الله تعالى على اي حالة كانوا يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم انها محسنا فلعله ان يزداد خيرا واما مسيئا فلعله ان يستعتب نفسه على ما وقع منه ويندم ويتوب لان الاستغفار لا يكون الا بعد الندم والندم كما قال صلى الله عليه وسلم توبة وفيه دليل لطريق القوم لانهم يقولون ارجع الى مولاك على اي حال كنت تجده بك رحيما وقد قال بعضهم اجعل قلبك خزانة سرك ومولاك موضع شكواك وشبيه بما جاء مثل هذا ما روي في قصة يونس عليه السلام حين كان في بطن الحوت ان الله عز وجل اسمعه صوت قارون وهو يتجلجل في الارض الى يوم القيمة لافترائه فيها واسمعه عز وجل قارون صوت ذي النون عليه السلام فسال الملائكة الموكلين بعذابه ان يمهلوه حتى يخاطبه فاذنوا له في ذلك فناداه فاستجاب له فساله عن قصته فاخبره بها فقال له ارجع الى مولاك ففي اول قدم ترجع اليه تجده فقال له ذو النون عليه السلام ولم لم ترجع انت اليه فقال له ان توبتي وكلت الى ابن خالتي موسى فلم يقبلها او كما جرى في القصة فاخرجه الله عز وجل الى البر بفضله ورحمته ولذلك قال بعضهم تقوك عمدة في رجاك ورجاك رجاء عمدة في تقواك فان خليت منهما مولاك مولاك ثم مولاك عن ابن عباس قال الشفاء في ثلاثة شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانهى عن الكي

ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما اخباره صلى الله عليه وسلم بان الله سبحانه جعل الشفاء في ثلاث وشرطة محجم وكية نار والحكم الثاني نهيه صلى الله عليه وسلم عن الكي بالنار والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل الشفاء في هذه الثلاث المذكورة هو على العموم للمومن وغيره اولا وهل الشفاء ايضا يكون هنا عاما من كل الامراض وفي مرض خاص وهل يحتاج في ذلك الى نية عند استعماله اما لا يحتاج وهل نهيه صلى الله عليه وسلم عن الكي نهي كراهية او تحريم وهل يعرف لذلك حكمة ام لا فالجواب على قولنا هل هو على العموم في المومن والكافر ما لا ظاهره محتمل لكن قد جاء من طريق شفاء امتي في ثلاث فان حملنا لفظ هذا التخصيص بهذه الطريقة التي وردناها فيكون خاصا بامته

صلى الله عليه وسلم وان تركناها على مقتضاه فيكون العموم في هذا اظهر وتكون الطريقة الاخرى تدل
على ان هذا الخير باق لامته صلى الله عليه وسلم واما قولنا هل يكون ذلك شفا من كل داء وهو من
ادوا مخصوصة فاللفظ يحتمل لكن الاظهر العموم لانه من طريق الرحمة والمن وما هو من هذا الباب
فالعموم اظهر فيه وقد تكلم الناس في هذه الاحاديث وعللوا الغائية فيها بان جعلوها بنظرهم راجعة
الى التجربة وما يقول فيها من اهل الطب فاذا رجعنا الى مجيئهم الى التجربة وقول الاطباء فلم يبق لقول الصادق
صلى الله عليه وسلم فائدة اصلا وهذا الاحقاء غلط قائله والله عز وجل يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وقال تعالى وما ينطق عن الهوى فاذا صدقنا قول اهل التجربة واهل الطب وكلاهما تقدير وظن غالب فيجب
من باب ولي تصديق الصادق صلى الله عليه وسلم الذي يخبر عن عاجل الامر وكيف شاء واخترعها
بقدرته وحكمته فالتوفيق لاينال الا من طريق النعم علينا ومما يبين انه على العموم ما اتفق لبعض
العلماء بقرب الاندلس كان رواة الحديث عاملا به متبعا للسنة والسنن وكان الناس يجيئون برايه في
كل ما يسيروه به عليهم بركة حتى شهر بذلك فكان الناس يقصدونه من الاماكن البعيدة في اخذ رايه
في المعضلات التي تصيبهم وكان في بعض الحصن بعض الفلاحين وكان له راس بقر وكان يعيش به فشق
له فلحقه منه كرب عظيم فقيل له ما لك الا الفقيه الذي في رايه البركة هو يخبرك عليه فاتاه فاخبره بحاله
وهو يبكي ويضرع اليه ويتوسل اليه بكل ما يمكنه عساه يجير عليه راس بقره فقال له اذهب فاحتجم
فخرج بحجمه وعادتهم في البلاد ان المزينين يستروون حوانيتهم بمناديل من صوف وكتان فرفع
ذلك المنديل لان يدخل فاذا براس بقره في داخل الحانوت والحانوت خالية فاخذه ثم رجع الى الفقيه
يخبره بحاله فلما اخبره قال له الحاضرون اي نسبة في قولك احتجم حتى تكون سببا في خبر راس بقره
فانك لما امرته بذلك تعجبنا من بعد النسبة التي بين حاله وما امرت به ولم نقدر ان نكلمك ثم نجح
ما امرته به اذ رنا ذلك فقال لهم لما رايته قد اصيب وحاله تقتضي الخوف عليه من شدة كربه ورايته
لا يقبل عذرا ان قيل له فتداركته قوله صلى الله عليه وسلم شفا اثنتي في ثلاث شرطة محجم فاخذت الحديث
على عمومه فامرته بما اخبره الصادق صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى فبركة السنة هي التي

شفته او كما جرى وحدثني بهذا بعض مشايخي من رواة الحديث وكان له العلم والدين المتين وكان من
البلد الذي كان فيه ذلك الفقيه وجرت هذه فيه واما قولنا هل يحتاج الى نية عند استعماله فكل ما هو
من طريق التداوي فالنية اصل فيه وقد يؤجر من لم تكن له نية اذا اخذ على وجه التداوي مثل ما ياخذ
الدواء الذي يعطيه الطبيب فان ذلك المقدار من النية فيه يجزي واما الذي ياخذه عن طريق التجربة
او الشك فلا يزيد بذلك الا شدة بدليل قول الله سبحانه وتعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وكل من لم يصدق ما قاله الصادق صلى الله عليه وسلم
او شك فيه فقد ظلم نفسه فلا يزيده ما يستعمل من الكتاب والسنة الا خسارا رضي الله عن ابن
عباس كان اذا رمدت عيناه يتلو قول الله عز وجل في العسل فيه شفاء ويكتحل به وبرا
من حينه وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا طلع له نبت تلي الاية ايضا وطلاه بالعسل فيبرا ايضا
فمثل هؤلاء السادة ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين عرفوا الكتاب والسنة وما به من علينا
من ذلك واما قولنا هل نهيه صلى الله عليه وسلم عن الكي نهي تحريم وكراهة احتمل والاظهر انه على الكراهة
ومما يدل على ذلك ان بعض الصحابة كانت الملائكة تسلم عليه فاخذه مرض فقيل له ليس يبرئ منه
الا الكي فاكتوى فلم تسلم عليه الملائكة حتى تاب واقلع عن الكي فرجعت الملائكة تسلم عليه كما كانت قبل
وقد جاء ان النبي صلى الله عليه وسلم كوى بعض الصحابة لكنه لا نعلم هل كان كيه لذلك الصحابي بعد هذا الحديث
فيكون فعله منسوخا بقوله فاذا احتمل الامرين بقي موضع خلاف وفعل هذا الصحابي الذي كانت
الملائكة تسلم عليه كان كيه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فبان ان النهي كان عندهم هو المشهور
فيه الكراهة لانه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اكتوينا فما افلحنا فلو لا ان النهي كان معلوما
عندهم بعد موته صلى الله عليه وسلم وتاوله على طريق الكراهة واكتوى فظهر له غير ما اراد ما قال
ذلك ولا تاب من الكي واقلع عنه وحينئذ رجعت الملائكة تسلم عليه كما كانت وفيما جرى لهذا
الصحابي دليل على انه لا تعجل العقوبة الا للمي يوبس لكي يرجع واما غيره فقد يوخذ له اصلا لقول
مولانا سبحانه انما نملي لهم ليزدادوا اثما واما قولنا هل نعرف لنهيه صلى الله عليه وسلم علة ام لا

اما ان يفعل عليه السلام شيا لغير حكمة فمستحيل واما ما هي فتحتمل والله اعلم وجوها منها
ان الجاهلية واهل الكتاب يفعلون ذلك وهو عليه السلام قد نهي عن التشبه بهم فيكون لاجل ذلك
لما جعلها الله تعالى العذاب والنقم ايقع عليه السلام فيها حكمة الحكيم واعطاها ما هو الغالب
من شانها واحتمل ان يكون عليه السلام كره ذلك من طريق الفال فهذه سنته عليه السلام يعجبه
الفال الحسن كما فعل عليه السلام حين قال من يحلب هذه الشاة فقام رجل ليحلبها فساله عن اسمه
فلما اخبره لم يعجبه ذلك الاسم فقال له اجلس ثم ثان مثله ثم ثالث فلما اعجبه اسمه قال له احلب
فكره هنا ان يكون شفا احد من امته بالنار من اجل النار ولا يكون لها في لحم مومن نصيب لا في
الدنيا ولا في الاخرة واحتمل مجموع ما ذكرناه وزيادة لانه عليه السلام معدن الحكم والحكمة
وبقي سوال وهو ان يقال كيف يخبر بشيء ان فيه شفا ثم نهي عنه فالجواب اعلم وفقنا الله واياك
انه لما كان عليه السلام الصادق المشفق على امته الرحيم بهم كما جا في التنزيل فاعلمنا الله تعالى فيها
من الشفا ونهينا عن استعمالها لما في ذلك من المضار علينا لانا بنفس نهيه عليه السلام عن ذلك علمنا انه
اجتمع فيها الامران الشفا والمضار فغلب صلى الله عليه وسلم الذي هو الاصلح في حقنا وهو النهي كما اخبر
الحق سبحانه في شان الخمر ان فيه منافع للناس ثم حرمها علينا لما فيها من المضار في العقول والاديان
وفيه من الفقه ان دفع المضار اكد من تحصيل النفع يوخذ ذلك من انه لما كان في الكي النفع والضر
غلب عليه السلام دفع الضر فنهى عنه وهذا المعنى هو الذي فهمه حذيفة رضي الله عنه حيث قال كان
الناس يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت اساله عن الشر مخافة ان يدركني وفيه
دليل لاهل الزهد وهو انه لما كان في الدنيا الوجهان غلبوا الضرر فيها فدفعوه بالزهد فيها فنجوا ونجى
الدارين وعاد الضرر على اهلها فتعبوا في الدارين معا وفيه من الفقه انه اذا كان شيء يكون فيه
خير وشر ولا يقدر على دفع ذلك الشر الذي فيه يترك خيره من اجل شره ومن اجل هذا الباب كان
اطبا الابدان لما كانت عندهم المحمودة فيها السم القاتل وفيها النفع لازهاب الاخلاط وقد رووا على
ان يحببوا اضرارها عن الابدان بالحجب المعلومة استعملوها بالحجب ولا يستعملها احد وحدها الا

قتلته

قتلته وكذلك ايضا اطبا الهادبان لما كانت النفس وما تشير اليه غالبا سم قاتل في الدين لم يستعملوها
الا بحجاب الشريعة فانهم لا انفكاك لهم عنها فلم تضرهم مع ذلك وانتفعوا بها ورجحوا عليها
الدارين جميعا والذين استعملوها بغير حجب الشريعة قتلتهم وخسروا بها الدارين معا اعاذنا
الله من ذلك وكذا قال اذا كنت متقيا فشرب نفسك اولا فاتقيه فان عوفيت منها فلا شرب بعدها اتقيه

عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الحبة السوداء شفاء من كل داء الحديث

ظاهر الحديث الاخبار بان الله عز وجل جعل الحبة السوداء الذي هي السونيز شفا من كل داء
الا الموت والكلام عليه من وجوه وهي كما تقدم في الحديث قبله من التوجيهات في الشفا والانفصال
عنها كالانفصال عن تلك غير ان هذا زيادة في التوجيه وهي ان عادة العرب اذا اكدت الشيء
بالمصدر واستثنت من العام بعضه دل على ان ما بقي جميعه في العموم لا يحتمل التخصيص وقد
قال صلى الله عليه وسلم هنا انه شفاء من كل داء فهذا اللفظ عام لا يحتمل التخصيص فلما استثنى
منه البعض لقوله عليه السلام الا السام دل على انه شفا عام لا يحتمل التخصيص وقد قال بعض العلما
في هذا الحديث ما قدمنا ذكره في الحديث قبل انه يرجع في ذلك لما يقوله الاطبا وهذا ليس بالبين
والجواب عنه مثل الجواب في الحديث قبل وقد قال اهل الطب ان الحبة السوداء تنفع عندهم
لسبعة عشر بالتجربة وقد ذكر لي بعض مشايخي في الحديث والفقه وكان قد جمع الله له
الحديث والفقه والعمل بهما والتقوى ان شيخه رحمه الله جميعهم وايانا بفضله كان له
بعض اصحاب وكان من الزاهدين المباركين وكان يحضر مجلسه كل يوم فلما قرا هذا الحديث
وتكلم الشيخ عليه بنحو ما اشرنا اليه في الحديث قبله جاء يوما فلما رات ذلك الزاهد مجلس الشيخ فلما
اتاه سالته ما حبسك عنا فقال له ان عيني رمدت فاوجعتني فاخذت السونيز فصفته
والقيته داخلها فزاد وجعها فقلت مخاطبا لها اوجعي او طيري فما اخبر الشيخ الا عن النبي صلى الله
عليه وسلم ولا يقول النبي عليه السلام الا حقا فنزلت من ليلتي وما بقي لي فيها شيء من الاسيار
المؤلمة ولا اثر منها فقال الشيخ للفقها مثل نيته هذا هي النية المباركة التي تظهر بها فايدة الحديث

الحديث لسا درس والعشرون بعد المائتين
ما يتخذ السود السونيز

ولو استعمله احد منكم مع الشك الذي في نياتكم لطارت عيناه او كما اجري وفي هذه الحكاية دليل على
ما قلناه في الحديث قبله ان الامور التي تتلقى من الشارع صلى الله عليه وسلم ان الفايدة في استعمالها
انما تكون بحسن النية وان لم يكن هناك حسن نية خيف على الشخص من زيادة الضرر وقد بينا
الدليل على ذلك من كتاب الله تعالى والله الموفق للخير بفضله عن ابي هريرة يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا عدوي ولا طيرة الحديث ظاهر الحديث يدل على نفي احدها نفي هذه الاربعة
وهي العدوي والطيرة والهامة والصفر والثاني الامر بالفرار من المجذوم كما يفر من الاسد والكلام عليه من
وجوه منها ان يقال ما معناها وما الحكمة في نفيه عليه السلام ذلك وهل امره عليه السلام بالفرار
من المجذوم وجوب او ندب اما قوله ما معناها فان تلك الاربعة اشياء كانت من عمل الجاهلية ففي
العدوي عندهم ان الجرب اذا كان عند هم الجمل به داء يخرجونه من بين الجمال ويزعمون ان ذلك الداء
هو الذي يعدو الى غيره اي ينتقل منه الى غيره وقد سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا رسول الله الا تكون مثل الظباء حتى يدخل بينها الاجرب فيعدوها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمن اعدى الاول فنفى بقوله صلى الله عليه وسلم فمن اعدى الاول ما كانوا يعتقدون من ذلك
وبين ان حقيقة اصابة الخير والضر على اختلاف انواعها في الحيوان عاقلة وغير عاقلة انما هو بقدرة
الله تعالى ومشيئته لا تاثير لشيء في ذلك واما الطيرة فانه كان من عادتهم ان اصابه منهم ضر
من شيء من الاشياء او بسببه كان يتطير به اعكره وينسب ما جاءه مما لم يعجبه اليه من ذلك وقد
اخبر الله عز وجل بذلك في كتابه حيث قال قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم
منا عذاب اليم فجاءهم الجواب طائركم معكم فنفى صلى الله عليه وسلم ان يصيب احدا من احد
وبال وانما وبال الشخص من سوء حاله كما قال سبحانه طائركم معكم واما قوله ولا هامة فان العرب
كانوا يقولون ان المقتول ولم يوخذ بثاره يخرج من راسه طائر يصيح حتى يوخذ بثاره وقيل
يخرج من عظامه اذا بليت فكذب صلى الله عليه وسلم ما ادعوه من ذلك بقوله ولا
هامة اي ليس ما يقولون من ذلك حق وفي هذا دليل على تكذيب كل من يدعي في خلق من خلق الله

تعالى

٧٧

تعالى انه متولد عن شيء براية او بكلام غيره ممن تقدمه ويحكم على القدرة برايه او باستنباط
حكمة يدعيها ان ذلك كله كذب ليس ذلك طريق من طريق الحكمة بالجملة الكافية لامن طريق اخبار
الرسول صلى الله عليه وسلم ويبطل هذا علم الفلسفة والطبايعيين واهل صنعة الفلك لان ذلك كله برايهم
ليس فيه من الشرع مستند ولا يحل تصديقهم فيما يزعمونه واما قوله ولا صفر فانه دود في البطن
يقتل من اصابه فازال بقوله هذا ما كانوا يتوهمونه من ذلك حتى يعلموا ان الميت انما يموت باجله
ولا يلتفت لعادة الجاهلية في ذلك ويترتب على هذا من الفقه انه لا يعمل من الاسباب الا الذي جاءت
به السنة لاتباع الامر وما كانت جارية وابقتها السنة مثل ما كان يعجبه صلى الله عليه وسلم الفال الحسن
وقد كان ذلك من فعلهم في الجاهلية فابقته السنة ومثل القيافة وعقل العاقلة وما اشبه ذلك
وفيه دليل على ان الاصل في الدين ان لا تاثير في الوجود بشيء بذاته وانما التاثير للقدرة نفسها
او ما جعلته القدرة بمقتضى الحكمة وغير ذلك محال ولذلك قال اهل العلم ما معناه ان بروز
القدرة اليناني الاشياء على ضربين منها ما هي مغطاة بصدق الحكمة ومنها ما هي بارزة بذاتها
لا تغطية عليها واما قولنا ما الحكمة في نفيه عليه السلام تلك الاربعة اشياء فلوجوه منها التحقق
التاثير في الاشياء كلها القدرة كما تقدم وغير ذلك محال لان هذا من حقيقة الايمان ومنها نفي التغيير
الذي قد يعلق في النفوس من تلك العوايد لمن فعلها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا تطيرت
فامض ان لا ترجع عما كانت عليه نيتك قبل فان ذلك التطير لا يمنع شيئا ولا يجلبه ومنها شفقته
عليه السلام على امته ليريحهم من التعب الذي يلحقهم بالتقيد بتلك العوايد المذمومة ولا
فايدة لهم فيها ومنها ايضا التوادد بين المومنين يوييد هذا المعنى الذي اشرنا اليه قوله عليه
السلام في السوم ان كان في هذه الثلاث وفقاه ان يكون في ابن اواخ او صاحب او
قريب من القرابة او في شيء من الاطعمة او فيما يتمول من الاشياء سوى ما ذكر حتى يبقى نفوس
القرابة والاصحاب مجتمعة لا يخدا حد باحد تغير ولذلك فيما فتح الله تعالى عليه من جميع
المتمولات وتري اليوم عادة بعض الناس ببعض بينهم وبين اصحابهم ويقولون ما اتى

على فلان الامن حين ولد فلان ويكره ذلك الابن من بين بنيه ويوافقهم على ما زعموا وكذلك
في الاصحاب ومن يلقونه ما حرمت اليوم الامن كون لقيت فلان وقد شاع هذا في الناس
كثير وهذا مخالف لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وما نص عليه صلى الله عليه وسلم في هذا
الحديث وجاهلية محضة وكفى بهذا شوما ان الشوم كله والشر كله في مخالفة سنة الرسول
صلى الله عليه وسلم وقد بين العلماء السوم الذي في تلك الثلاث فقالوا سوم المراة سوء
خلقها وسوم الدار جارها وسوم الفرس ان لا يجاهد عليه في سبيل الله واما جوابه صلى الله
عليه وسلم للمراة التي تشكوا له حالها بدارها حيث قالت ايتها والعدد كثير والمال وافي
فقال العدد وذهب المال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوها ذميمة فليس فيها تحقيق
بشومها وانما قال صلى الله عليه وسلم ذلك ترويح لخاطرها كانه عليه السلام يقول ليس بالحقك
منها شيء اذا رحلت عنها وتبقى هي مما نسبت انت اليه ذميمة عندك لا تلتفتي اليها وهذا
تنبيه على السوم الذي قد تحقق بالكتاب والسنة لكل من لا يرجع عنه وهو الذنوب والمعاصي
فان سومها لا يفقد في الدارين حسا ومعنى وهذا السوم الذي قد نفته الشريعة تعلقت
به النفوس الا القليل وهم اهل التوفيق قاتل الله اخا الجهالة على نفسه ما اعداه وعن الحق ما اعماه
واما امره عليه السلام بالفرار من المجذوم هل هو على الندب وعلى الوجوب ومن طريق الشفقة
بدليلين احدهما من فعله عليه السلام وهو انه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه اكل مع المجذوم
في صحفة واحدة وقال بسم الله ثقة بالله لنا فلو كان الفرار منه واجبا او مندوبا
كان عليه السلام اول من يفعله والدليل الاخر انه قد ذكر من طريق الطب ان تلك الروائح التي لهم
تحدث في الابدان خللا وتالما للنفوس ايضا منها ومن شفقته عليه السلام على امته كل ما فيه لهم
ضرر في اي وجه كان ينهاهم عنه وكل خير في اي نوع كان يدلهم عليه فجزاه عنا افضل ما جزى
نبيا عن امته واما قوله عليه السلام كما تفر من الاسد انهم يكونوا منه في البعد بحيث لا يشمون
لها رائحة ولا يلحقهم منه نفس وهم يستدون في الاخبار الهرب فهذه غاية في الهروب

ويمكن

ويمكن الجمع بين فعله عليه السلام وقوله ان قوله هو المشروع لنا من اجل ضعفنا فمن فعل فقد
اصاب السنة وهي ان الحكمة الربانية وفعله عليه السلام هو حقيقة الايمان والتوحيد لان الاشياء
كلها ما جعل الله لها تاثيرا الا بمقتضى جريان حكمته سبحانه وسنته في خلقه وما يجعل له ذلك فلا
تاثير له وما الكل الا بقدرته عز وجل وارادته يشهد لذلك قوله عز وجل وما هم بضارين به من احد
الا باذن الله فمن كانت له قوة يقين وصدق ايمان فله ان يتبعه عليه السلام في فعله ولا يضره
شيء وهو في فعله متبع للسنة ومن كان يقينه ضعيفا فله ان يتبع امره عليه السلام في الفرار
ولا يجوز له مع الضعف ان يتبع في الفعل انه عري عن شروطه وقد يفعله ذلك تحت قوله تعالى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ويترتب على هذا من الفقدان الامور التي يكون فيها توقع ضرر وقد
اباحت الحكمة الربانية الحذر منها ان الضعفا لا ينبغي لهم ان يقربوها وان اصحاب اليقين
والصدق مع الله تعالى في ذلك بالخيار ان شاؤا اخذوا باحد الوجهين الفعل والترك لانهم لهم
اسباب ذلك متمكنة وقد ذكر عن بعض السياحين انه كان له رفيق في طريقه فمر على مفازة
وهي مضيقة للصور واذا بها اسد فقال لصديقه اذهب ولا تبالي فقال له السنة واسعة اني
لا امر عليه مر عليه انت ففعل فتقدم ومر عليه فلم يضره ورجع صديقه عن ذلك الموضع الى موضع
ثان لكونه لم يجد في الوقت من اليقين ما وجد صاحبه فعمل كل منهما على ما اقتضاه حاله وهذا
هو الشان وفي قوله صلى الله عليه وسلم عند الاكل مع المجذوم ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا
دليل على ان تقتضي الحكمة الربانية ان يصيبه من المجذوم اذي لم يدنو منه وفي امره عليه
السلام بالفرار دليل على ان الحكم يعطي للغالب فيوخذ ذلك من امره عليه السلام بالفرار
على العموم لان الغالب من الناس هو الضعف فجاء الامر بحسب ذلك تنبيها امرنا بالهرب
من جذام الابدان وهم اصحاب البدع والشيع لان المرض في قلوبهم والسم الباطن اشد سريانا
من الظاهر ومن اجل هذا روي عن بعض علما السنة انه كان في زمانه بدعي فجاءه يوما
يرغب منه ان يقرا عليه اية من كتاب الله تعالى فحلف ان لا يفعل واخرجه من عنده فقيل

له في ذلك فقال لم ترايات بتلك الاية الا وقد دبر معها مكيدة في الدين فالهرب الهرب من اهل الزيغ
والزلل سبيل النجاة وقد ندب صلى الله عليه وسلم الى ذلك بقوله الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة
خير من الجليس السوء وكما قال عليه السلام وقال بعضهم في هذا المعنى يقاس المرء بالمرء اذا هو ماشاه
والشيء من الشيء مقايس واشباه عن ابي جحيفة قال رايت بلالا اجاء بعنزة فوكزها
ثم اقام الصلاة الحديث ظاهر الحديث يدل على ان العنزة سترة للمصلي وان المار خلفها
لا شيء عليه ولا على المصلي والكلام عليه من وجوه منها في صفة العنزة وهل تجزي في سترة المصلي
غير تلك الصفة فما صفتها فقد ذكر العلماء انها مثل مؤخرة الرجل طولا وغلظا وقد جاء عنه صلى
الله عليه وسلم حين سئل عن سترة المصلي فقال قدر مؤخرة الرجل ومنهم من حدها بما يقرب من
ذلك وهو ان يكون طولها ذراعا وغلظها غلظ الرمح وبقي الخلاف بينهم فيما لم يكن على تلك الصفة
مثل ستر الثوب وما اشبهه فمن لحظ تلك الصفة التي كان صلى الله عليه وسلم فعل قال لا تجزي غيرها
ومن علل وقال انما جعلت السترة لامن عدم التشويش اجاز ذلك ولذلك اختلفوا في الخط في الارض
هل يجزي عن السترة ام لا على قولين وفيه دليل على جواز الصلاة بالتشهير يوخذ ذلك من قوله
مشهرا الا انه قد نص الفقهاء انه لا يكون ذلك من اجل الصلاة فاذا كان لضرورة ما فله ان يصلي
به على حالته وفيه دليل على ان السترة في السفر التشهير وفيه دليل على ان اقامة الصلاة لا تكون
الا بعد ما يفرغ من كل ما تحتاج الصلاة اليه والتهيئة لذلك يوخذ ذلك من ان بلالا لم يقم الصلاة
الا من بعد ما فرغ من ذكر العنزة وفيه دليل على ان وقت الشروع في امور الصلاة من الاقامة
وما قرب منها لا يشغل بشيء وان قل يوخذ ذلك من كون بلال فرغ من ذكر العنزة وهو شيء يسير
جدا وحينئذ اخذ في الاقامة وبلال لا يفعل ذلك الا بامر النبي صلى الله عليه وسلم ويترتب على الفقه
خلو القلب عند التلبس بالصلاة من كل شيء واقل يويد هذا قوله تعالى فاذا فرغت فانصب والى
ربك فارغب وفيه اشارة الى ان المسافر يقدم في سفره ما يحتاج من ضروراته لارتحاله بحسب
ما يعرف من طريقه ويعرف ذلك في رحله يوخذ ذلك من حمله صلى الله عليه وسلم العنزة في رحله

ولاجل

ولاجل هذا قال العلماء ينبغي للمرء ان يكون له في بيته تراب طاهر وحجر معد من اجل ان يطرقه
بالليل مرض لا يمكنه معه الطهارة بالماء فاذا كان عنده احد هذه اشياء التي يجوز التيمم بها ولا يتعطل
عليه فريضة والا كان مفرطا في دينه وفيه دليل على ان القصر في السفر افضل يوخذ ذلك من قوله صلى
الله عليه وسلم ركعتين لان العلماء اختلفوا في القصر في السفر فمن قائل بالوجوب ومن قائل بضده
الا تعذر ومن قائل بجوازه والذين قالوا بجوازه اختلفوا ايضا ايهما افضل هل القصر او ضده بحسب
ما ذكر في الفروع وفيه دليل على ان من السنة حسن الزي في الصلاة يوخذ ذلك من قوله في حلة والحلة
عندهم هي حسن الزي لانها ثوبان تستر الجسد كله وفيه دليل لمن تاول السترة وعللها بانها الزوال
التشويش يوخذ ذلك من قوله رايت الناس والدواب يمرون بين يديه من وراء العنزة فانه لا شيء
للخاطر اشد تشويشا من مرور الناس والدواب بين يديه وبقي بحث وهو ان يقال على يجعل العنزة
على ذلك القدر الذي تقدم ذكره تعبدا لا يعقل له معنى او هو مما يعقل له معنى فان قلنا لا يعقل معناه فلا
بحث ووجوب الاتباع لا غير وان قلنا لها معنى وهو الاظهر فما هو فنقول والله اعلم لما كانت الصلاة لها
تلك الحرمة العظيمة كما تقدم ذكره في حديث الاسراء وكانت قبل في الامم الخالية لا يوقنوا بها الا في المواضع
التي نصبت لها وقد امر الله عز وجل برفع تلك المواضع اكراما للصلاة التي توقع فيها بقوله عز وجل في بيوت
اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ثم ان الله عز وجل ما خص به سيدنا صلى الله عليه وسلم ان جعلت
له الارض مسجدا وطهورا اي في كل موضع منها يجوز ايقاع الصلاة فيه كما تقدم في الحديث قبل بقوله
عليه السلام حيث ما ادركتك الصلاة فصل وقال عليه السلام في شان المارين بين يدي المصلي لان يقف
اربعين خيرا له من ان يمر بين يديه فتحاول وقت الصلاة صارت جميع الارض مستحقة للمصلي
يوقع صلاته حيث شاء منها وبقيت حقوق الناس منها من المرور وغيره متعذرة ممنوعة حتى يفرغ
هذا من صلاته فاحكمت السنة بجعل العنزة تحديدا للبقعة التي اختارها المصلي لوقوع صلاته وبقي
ما عداها من الارض لجميع الناس لا حجر عليهم في تصرفهم فيها من مرور وغيره فجاء قوله صلى الله عليه وسلم
لا ضرر ولا ضرار فبقيت حرمة الصلاة على ما هي عليه وبقي الناس على ما لهم من الارض من المنافع

لم يضيق عليهم لان الدين كما تقدم يسر وكذلك قال صلى الله عليه وسلم في الذي لم يبن السترة
والمصلي انه شيطان لكونه خالف حدود الشريعة وبهذا التعليل يصح ما جاء من جواز ان يكون
الخط في الارض سترة فان البقعة تتحدد به ومتجاوز من غيرها وتكون العنزة افضل من الخط لانها
اكثر فايدة في حق المارفان المار قد لا يرى الخط ويرى بين السترة وبين المصلي فيقع في الاثم والعنزة
بذلك القدر لا تخفى على احد ولهذه الفائدة والله اعلم جعلت في الارتفاع قدر موخرة الرجل اذ ان ذلك
القدر من الارتفاع لا يخفى على احد وفيه دليل على ان سيدنا صلى الله عليه وسلم لا يفعل من الامور كلها الا
الارفع والافضل يوخذ ذلك من انه لما كانت العنزة فيها زيادة الفائدة التي ذكرناها كان يحملها في حله
وعلى هذا التوجيه الذي ذكرناه يتبين فائدة قوله عليه السلام سترة الامام سترة لمن خلفه لانها تخيرت
البقعة التي للصلاة اولا ويكون اخرها بقدر ما تبلغ اليه صفوفهم فتنبه الى هذا التوجيه تجده بفضل
الله تعالى يجمع لك معاني الاحاديث التي وردت في هذا النوع من انواع الصلاة ولا يكون بينها تعارض
ان شاء الله تعالى وغيره من التعليل قد ينكسر في بعضها وقد قيل الفقه بالفهم فانتبه لا برواية وان قلت
عن عقبة بن عامر قال اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروج حرير الحديث ظاهر الحديث يدل
على كراهية لباس الحرير للمتقين والكلام عليه من وجوه منها هل يجوز لغير المتقين وهل تلك الكراهية
كراهية تنزيه او تحريم ما قولنا هل يجوز لغير المتقين اذا عرفنا حقيقة هذا الاسم حينئذ نتكلم
في غيره وما يلزمه من هذا الحديث اما النفي فهو اسم يعم جميع المسلمين لان الناس على درجات
ودليل ذلك قول الله عز وجل في كتابه ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا
وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا فكل من دخل في هذا الاسلام فقد اتقى اي
وفي نفسه من الخلود في النار فان اتقى ثانية ومنع نفسه من المعاصي فقد اوتي حد التقوى اي وفي
نفسه من دخول النار فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الايمان ايمانان ايمان لا يدخل صاحبه
النار وايمان لا يخلد صاحبه في النار فالايمان الذي لا يدخل صاحبه النار هو الايمان الذي لا يكون
في الامر والنهي والايمان الذي لا يخلد صاحبه في النار هو الايمان مع المعاصي والذي اتقى

التقوي

التقوى الثالث هو في درجة الاحسان لانه اتى بالله ما سواه فلم ير في الوجود سوى الواحد مدخل
كما قال صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك هذا مقام الخصوص
وبقي ما عدا المومنين فمن قال انهم مخاطبون بفروع الشريعة لم يتعرض لهم واما قولنا هل الكراهية على
التحريم والتنزيه لفظ الحديث محتمل لكن قد جاءت الاحاديث من خارج تدل على التحريم لانه قد جاء عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال في الحرير انه حرام على ذكور امتي والاثار في هذا النوع كثيرة فقد ثبت تحريمه بالسنة
على ذكور هذه الامة وهل يستعمل عند الضرورة او يقدم على غيره او لا مثل اذا لم يكن لشخص الا ثوبان
احدهما نجس والاخر حرير فمنهم من قال يصلي في النجس ومنهم من قال يصلي في الحرير وكذلك لباسه
في الحرب فمنهم من منعه وهو مالك والجمهور ومنهم من اجاز ذلك بشروط وهو الشافعي ومن تبعه
والشروط التي ذكرت عنه ان يكون لابسه عاد ما لما يتقي به عن نفسه من الحرب مثل الدرع وما يشبهه
من عدة الحرب ويكون الحرير خشنا لا يزدرى عنه لازي واما ان يكون لباسه للزينة في حرب وغيره
فهذا لا يجوز وما اتخذه بعض الناس اليوم من لبسه في الحضر والسفر على وجه الزينة فحرام لا يجوز
ولا لبسه عاصي وسواء كان اللباس منه كثيرا مثل القباء وما يشبهه او يسيرا مثل الكوفية وما يشبهها
الباب واحد وفيه دليل على جواز الهدية وقبولها ويوخذ ذلك من قوله اهدي لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لكن الهدية على ثلاثة اوجه كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هدية لوجه صاحبك فتلك
التي تواهي على الله او كما قال وبقي في الهدية تقسيم اخر قسمه العلماء لا يخلو صاحب الهدية ان يكون
كسبه حراما او حلالا او مختلطا فاربعة اقوال بالجواز وبعدمه وبالكراهة وبالتفرقة ان كان
الحلال الغالب على كسبه فجائزة وان كان الحرام الغالب فممنوعة هذا اذا خلت الهدية ان تكون
رشوة فانها اذا كانت على هذا الوجه فحرام وذلك هو السحت بعينه وبقيت علة تحريمه هل هي
معقولة المعنى او هي تعبد فان قلنا تعبد فلا بحث وان قلنا معقولة المعنى فما هي فنقول والله
اعلم ان العلة فيه كالعلة في التحتم بالذهب واستعمال اواني الفضة والذهب يعني انه لما كان
الحرير لباس المومن في الجنة منعه هنا كما قال صلى الله عليه وسلم في اواني الذهب والفضة انها

اواني اهل الجنة وقال فيها في حديث اخر عن الكفار هي لكم في الدنيا ولكم في الاخرة فكذلك الجواب في
الحرير مثل الاواني سواء سواء وفي كون مولانا سبحانه انعم علي المومنين بدار كرامته وجعل لباسهم
فيها الحرير وانيتهم فيها الفضة والذهب ثم انعم علي الكفار ان اعطاهم نصيبا من ذلك في هذه
الدار وشاركهم في ذلك طائفة من المومنين وهم النسوة وما يلحق لازواجهن من التمتع بتلك
الزينة منهن بحقيقة لصفة الرحمة حتي تعم جميع عباده سبحانه ليشهد لذلك قوله عز وجل قل من
حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة
يوم القيمة وفيه دليل علي استغنائه عز وجل عن عباده وانه لا تضره معصية العاصين لانه سبحانه
قد انعم علي الكفار علي ما هم عليه من كفرهم وهو اعظم المعاصي فقد نالهم عز وجل طرفا من الرحمة في هذه
الدار فلو كان ينالهم منها لم يكن يرحمهم لا في هذه الدار ولا في تلك الدار ولم يكن ايضا يلحق المومنين
عذاب ولا الام في هذه الدار ولا في تلك الدار فسبحان من تنزه وتعالي وتقدس واستغني عن عباده
العابدين وبقي بحث وهو ما الحكمة في ان ابيح لبس الحرير للنسوة وهن في جميع امور الدين شقايق
الرجال فان قلنا تعبدا فلا بحث وان قلنا لحكمة فما هي فنقول والله اعلم بها وجوه منها انه لما علم
الله من ضعفهن وقلة صبرهن عنه لان النفوس كثيرا ما تتعلق به فاطف عز وجل بهن في اباحة لبسه
لما يعلم من خلقه وهو اللطيف الخبير ووجه اخر وهو ان زينتهن به ليس في الغالب لهن بل هي لازواجهن
وتزين الزوجة لزوجها من جملة حسن التبعل وحسن التبعل من الايمان فلما عري لبسهن له
عن حظوظ النفوس لهن ما يعين علي اوصاف الايمان وهو حسن التبعل ابيح لهن ذلك اشارة وهي انه
لما كان لبس الحرير من اعلا الملابس وبلبسه تبلغ النفوس اعلا حظها من جنس اللباس حرم علي الذكور
الذين فيهم الفحولية وابيح للانوثية دل هذا علي اختلاف ان من فيه فحولية في الهمة ان كل ما فيه نباهة من جميع
ملذوذات الدنيا علي اختلاف انواعه لم يعرجوا عليه وان كان بعضه مباحا ايضا علي لسان العلم
الا بقدر ما هو عون علي الدين في مثل هذا هو تنافسهم حتي ذكر عن بعضهم انه كان مجاورا بمكة
وكانت بيده صنعة يرتفق بها في اليوم جملة دراهم فلا يعمل في الصنعة التي يعرفها ولا يشتري لنفسه

سيا

شيا يقتات به الا حتي يري محتاجا فرمن شملة كانت له فيحتاج في تلك الصنعة فيعمل يومه
ذلك ثم يفدي تلك اخر النهار ويكون اكله تابعا لذلك المحتاج الذي راه ومما يقوي حسن فهم
قول عمر رضي الله عنه حين تكلم معه بعض الصحابة رضي الله عنهم بان يحسن لنفسه في اكله ويطيبه
فان في عافيته وصحة منفعة للمسلمين فجاوبهم بان قال لهم قد كان لي صاحبان وقد ماتا
فانا اسارعهما فيما كانا عليه من العيش الغليظ فلا اسارعهما في عيشهما الرغيد اتريدون ان اكون
ممن قال عز وجل في حقهم اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم بها فنفس من ادعي
الفحولية وهمته ادني حالة من الانوثية ويهرج بلسان العلم وهو لا يعلمه من الله علينا بعلو
الهمة والمساعدة علي ذلك بمنه عن ابن عباس قال لعن النبي صلي الله عليه وسلم المتشبهين
من الرجال بالنسا والمتشبهات من النسا بالرجال ظاهر الحديث يدل علي المتشبهين
من الرجال بالنسا والمتشبهات من النسا بالرجال والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معني اللعنة
وهل هذا التشبيه مطلقا في كل الوجوه او علي شيء مخصوص وهل هذا الدعا من النوع الذي هو مخوف
او ضده وهل هذه اللعنة لحكمة نعلمها او تعبد ليس الا وهل الواقع في هذا تكون التوبة ترفع عنه ما لحقه
من ذلك اولا اما قولنا ما معناها فان اللعنة في اللغة هي البعد قال عز وجل في كتابه فازن موذن
بينهم ان لعنة الله علي الظالمين اي ان الله ابعدهم فمن ابعده الله فهو اخسر الناس فان لعنة
الله لانهاية لها اعاذنا الله من ذلك بحرمة النبي صلي الله عليه وسلم فهذا في الزجر والنهي اكبر من الحدود
التي جعلت في المعاصي لان تلك الحدود كفارة لما وقعوا فيه وهو البعد يحصل لصاحبه مخرج علي
لسان الشارع عليه السلام وقد وقع من كثير من الناس التهاون بذلك ووقعوا فلا يحسبونه شيا
نعوذ بالله من الحرمان واما قولنا هل هو مطلق من كل الوجوه او هو من وجه تا اما ظاهر اللفظ
فيحتمل واما الذي قد تقرر عندهم من قواعد الشريعة خلف عن سلف فهو في زي اللباس وبعض
الصفات والحركات وما اشبه ذلك واما التشبه بهم في امور الخير كطلب العلم والسلوك في
درجات الخير التوفيق فمن رغب فيه وقد عاز اليوم عند بعض الناس وان كانوا من الذين يشار

اليهم الامر بالعكس فانهم ممنوعون النسوة من تعلم العلم ويروند من باب المذهوم لهن ويتسببان بالرجال في ذهابهم ويروند من قبيل النيل والكسر فانا لله وانا اليه راجعون عن الخلل الذي وقع في الدين بوضع الامور على ضد ما وضعها الشارع عليه السلام وكثرة التهاون في ذلك واما قولنا هل هذا الدعاء مما هو مخوف وضده وهو المرجو غيره لقوله صلى الله عليه وسلم اني عهدت عند ربي ايما بشر لعنته من امتي او سببته ان يجعلها عليه رحمة او كما قال عليه السلام اعلم وفقنا الله وايا ك ان دعاءه صلى الله عليه وسلم على احد من امته او سبه اياه او لعنته له على ضربين منها ما هو على طريق الزجر والنهي عن شيء في الدين او ما هو في معناها فان ذلك من النوع المخوف من لحوق الوبال من اجله فان المنع بذلك من الحدود كما بينا اول الكلام وما كان من ذلك على وجه الغيظ والحرج فذلك الذي ظاهره مخوف وهو رحمة في الحقيقة وقد نص صلى الله عليه وسلم على ذلك لانه اخبر ان قال يا رب اني بشر فايما احقني مما يلحق البشر من الغيظ فاما احد من امتي سببته او لعنته فاجعل له رحمة وهذا الدعاء هو من قبيل الزجر والردع هو مخوف واما قولنا هل هذا الزجر لحكمة نعلمها او تعبد فالحكمة في ذلك ظاهرة ولا خفاء بها وهي اخراج السيئ عن الصفة التي وضعتها عليه حكمة الحكيم كما قال عليه السلام لعن الله الواشمة والموشمة والواصلة والمستوصلة وعلل هذا بتغيير خلق الله تعالى فهناك تغيير خلقة وهنا تغيير صفة فالعلة واحدة لان تينك الطريقين المؤمومين تضمنتا وجوها من وجوه الضلالات منها اخراج صفة بجهلة على من رتبه من له الامر سبحانه ومن التشبه بصفة الخالق والاختراع لان الله عز وجل قد خلق اشياء وجعل لها صورا وصفاتا من غير منها صورة او صفة على خلاف ما وضعت عليه فقد نازع الجليل في قدرته واختراعه وفيه ايضا اظهار سوء الادب حقيقة لان ادب العبودية موافقة الموالية في كل الاشياء شانها على اي نوع شانها واشياء من هذا النوع عديدة اذا تاملتها وفيما ذكرنا منها كفاية واما قولنا هل التوبة الواقعة في شيء من ذلك نافعة لما قد لحقه من الوعيد او لا فان جعلناه من جملة المعاصي ليس الا فيدخل تحت قوله صلى الله عليه وسلم التوبة تجب ما قبلها وان قلنا ان دعاءه عليه السلام مستجاب فبقي الامر محتملا ان يذهب ذلك بالتوبة

كما يذهب الذنب وذلك امر قد وقع الشخص لا يرتفع عنه ذلك الحرمان وان تاب الامر محتمل وليس لنا دليل قطعي على احد الوجهين ويترتب على هذا من الفقه ان الوقوع في الكبائر التي لها حدود وعقاب معلوم خير من الوقوع في هذه واسالها اعاذنا الله من الجميع بفضله لان التوبة او الحدود في تلك والها جاء بعد ما كان كفارة لها وهذه محتملة ان يكون لها مخرج او لا مخرج لفاعلها فالهرب الهرب ان كنت حازما والعفاف العفاف تكن ناجيا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة ظاهر الحديث لعنة عليه السلام لهذه الاربعة المذكورة فيه والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معنى تلك الافعال التي لعن النبي صلى الله عليه وسلم من فعل منها واحدة وما معنى اللعنة فقد تقدم في الحديث قبل معناه وهل هذا النوع من الدعاء المخوف او لا وقد تقدم الكلام عليه ايضا في الحديث قبل وكذلك في التوبة منها قد تقدم الكلام عليه وما معنى لعنة صلى الله عليه وسلم لمن فعل واحدة من هذه الاربعة فاما قولنا ما معناها فان الواصلة هي التي تصل شعرها بشعر اخر ليس من شعرها والحق العلما بها من وصلت شعرها باي شيء وصلته من صوف او حرير او غير ذلك والمستوصلة هي التي تفعل ذلك مع بغيرها والواشمة هي التي تشم شيئا من جسدها وكانت عادتهن بغزون الموضع الذي يريدن ان يعلمنه شامة بالحديد حتى يدميا الموضع ثم يحشى بالكحل فيبقى ذلك الموضع كالشامة التي هي مخلوقة والمستوشمة هي التي تفعل ذلك بغيرها ويترتب عليه من الفقه ان عامل المحرم والذي يعينه على ذلك في الاثم سواء يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم في شارب الخمر لعن الله شاربها وحاملها وبايعها وشاهدها وعاصرها واما قولنا ما معنى العلة في ذلك فقد اختلف العلما فيها فمنهم من قال ان ذلك لما فيه من التدليس وهذا ضعيف لانه يخص عموم اللفظ بغير دليل ومنهم من قال لتغيير خلقة الله تعالى وهو الظاهر فانه قد جاء في حديث غير هذا حين ذكر عليه السلام المفالجة والمتفلجة قال فيه المغيرات لخلق الله تعالى ويحمل على هذا النهي عن كل ما شبه ذلك مما يفعله النسوة من تغيير ديباجهن بالحمرة وما في معناها وقد جاء عن عمر رضي الله

عنه انه انكر ما هو اقل من هذا وهو انه امر في خطبته النسوة ان لا يخضبن اطراف اصابعهن بالحنا
دون باقي ايديهن وقال من كانت خاضبة فلتخضب الى هنا واشار الى نحت الكوعين فاذا كان نهي
عمر رضي الله عنه عن مثل هذا فما بالك بالغير من افعالهن التي هي اشد من ذلك وقد تعددت
حتى لا تكاد تحصى علة وبعض من ينسب الى العلم في الوقت يجعل ذلك من قبيل الزينة الجايزة
شرعا فانا لله وانا اليه راجعون على ذهاب العلم واهله ويحتج بما ذكر الامام مالك رحمه الله انه
انكر ان يصح عن عمر ان يحمل ما ذكرنا عنه من الوشم وهذا لا حجة فيه لان مالكا على عمر مقالته
وانما انكر ان يعتقد معتقد ان ما نهى عنه عمر لا اذى من الوشم الذي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعله ونهى عمر رضي الله عنه عن ذلك انما هو امان منها انه اشبه الوشم ولما اشبه اعطاه حكمه وما حكم
به فعلينا اتباعه لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفا بعدي وهو رضي الله عنه وعنهم
اجمعين وطريق اخر وهو ان ذلك لم يكن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما شاع بعد ان
يخضبن الى حيث شار رضي الله عنه فنهاهن من اجل مخالفة السنة وقد يكون نهيه من اجلها معا
فكان اكثر الناس احتراما لمن تقدمه من السلف فكيف بالخلفا ولو لم يكن مالك شاهد على ذلك
الا سئلة اليه في الرعاف لانه قال القياس والفقه يقتضي قطع الصلاة ولكن الاتباع اولى وبذلك
سار على غيره وكذلك سنة الله تعالى بعده في خلقه ما وقع من احد احترام السلف والاقتدا
بهم الا رفع الله تعالى قدره على ابناء وقته وجنسه جعلنا الله منهم بمنه وفضله عن معاذ بن
جبل قال بينما انا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه الحديث ظاهر الحديث
يدل على حكمين احدهما الاعلام بحق الله تعالى على عباده وهو ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا والاخر الاخبار
ايضا ان حق عباده عليه سبحانه اذا فعلوا ذلك ان لا يعذبهم والكلام عليه من وجوه منها ان يقال
ما الفرق بين حقه جل جلاله وحق العباد فالجواب ما سبحانه فهو واجب لوجوه منها الذاتية الجليلة
ومنها الامره عز وجل بذلك ومنها المالة عز وجل من النعم والاحسان الذي لا يحصى عدده

واما

واما حق العباد عليه عز وجل اذا فعلوا ذلك فحق تفضل منه عليهم لا وجوب عليه لازم فانه جل جلاله
لا حق به لاحد لازم هذا مذهب اهل السنة والذي تعطيه الادلة الشرعية والعقلية خلافا للقدرية
التي هي مجوس هذه الامة لانهم يقولون بزعمهم ان على الله حق واجب ان من عبده ان لا يعذبه
وكيف يكون لعبد على مولاه حق لازم وهو كله له هذا ينفيه العقل وقد اوحى الله عز وجل
الى موسى عليه السلام ان بشر العاصين وحذر الطائعين ان اقمت عليهم عدلي هلكوا من ذا الذي
يطيق عدله وكيف يكون لاحد خلاص اذا اقيم عليه ثم كيف يكون للطايع حق وجوب عليه وتوفيقه
سبحانه عز وجل اياه للطاعة نعمة عليه يستوجب الشكر عليها بل الله من عليكم ان هديكم للايمان ان كنتم
صادقين والمحروم اعمى البصيرة لا يرى الا من حيث حرمانه وفيه دليل على تواضعه عليه السلام يوخذ
ذلك من ارداف معاذ خلفه وفيه دليل على جواز ركوب اثنين واكثر اذا طاقت ذلك يوخذ ذلك
من ركوب معاذ خلفه عليه السلام وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم ركب وجعل الحسن والحسين
معه احدهما امامه والاخر خلفه وفيه رد على من يكره ذلك ويعيبه على اهل المناصب والحجة عليه
فعل خير البرية صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان نداء الشخص باسمه ارفع ما نودي به يوخذ ذلك
من قوله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ولو كان النداء بغير الاسم ارفع لكان صلى الله عليه وسلم يفعله نعم
ان الكنى اذا كانت على الوجه المشروع جائزة وبين الجائز والارفع فرق بين وفيه دليل على
ان نداء الشخص باسمه قبل القاء العلم اليه من ادب العلم وان لم يكن معلما ثالثا وفي نداءك اياه
قبل من الفائدة احضار ذهنه اليك ليعي ما تلقيه اليه لان الاذهان قد يطرقها فكرة فتكون بها
مشغولة فلا تعي كل ما يلقى اليها وفي تكراره عليه السلام نداءه ثلاثا تاكيد في حضور ذهنه واشعاره
بان الذي يلقى اليه له بال لانه عليه السلام كانت سنته ان كل شيء له بال اعاده ثلاثا يوخذ
ذلك من ابطائه عليه السلام بين النداءين ان من سنته القا العلوم الوقار والقوة وهنا بحث
وهو لم زاد في الثالثة ابن جبل فالجواب انما هي اشارة الى ان هذه الثالثة اخر النداء فاسمع ما يلقى
اليك لان زيادته ابن جبل هو الكمال في التعريف واذا كمل الشيء فقد تم ويزيد ذلك الجمع بيانا

وسمعت كل شيء وحذر الطائعين ٥
فقال الهي يكفيك فعل ذلك فاذا ابيت ان

قوله اخر الحديث يا معاذ بن جبل وهل تدري ما حق العباد على الله اذا فعلوه فان نداءه عليه
السلام له اخرا واحدة فاداه باكمل المعرفة وفيما ابديناه دليل على ما اعطاه الله عز وجل من الفصاحة
والاعجاز في كلامه عليه السلام الذي لا تقدر ان تري فيه زيادة الا قبلها فوايد جملة وجواب معاذ له
صلى الله عليه وسلم بقوله لبيك رسول الله وسعديك من الجواب الخاص به صلى الله عليه وسلم بدليل انه
لم يكن الصحابة يفعلون ذلك بينهم ولا هو صلى الله عليه وسلم فعل ذلك معهم فدل على ان ذلك من
الخاص به السلام وقد نص العلما على جواب الرجل لمن ناداه بقوله لبيك انه من السفه لان هذه
لفظة جعلت من جملة شعائر الحج وكل ما جعل من شعائر الدين فينبغي توقيره وتعظيمه فان الله
تعالى يقول ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب وقد صار بعض الناس اليوم يجاوبون
بها بعضهم بعضا ويجعلون ذلك من الادب والنبل وما ذاك الا لقلة التقوى وعدم معرفة السنة
فيها كيف يتادب من لا يعرف وفي قول معاذ الله ورسوله اعلم دليل على ان من ادب العلم ان يرد
الى اهله وفي قول سيدنا صلى الله عليه وسلم هل تدري ما حق الله على عباده دليل على ان القا العالم
المسايل على تلامذته وحينئذ تبين لهم ذلك لان في ذلك من الفائدة احضار الذهن لقبول العلوم وفي
تعليمه صلى الله عليه وسلم معاذا من غير سوال منه له صلى الله عليه وسلم دليل لمن يقول ان للعالم ان
يعلم دون ان يسال لان هذه مسالة اختلاف بين العلما وفي فضله عليه السلام بالسبق بالاجابة
بين مسالتين دليل على ان التبحر في تحصيل العلوم التفرقة بين المسائل وفي ذلك من الحكمة ان
المسالة اذا تباعدت من الاخرى بقي الخاطر معمورا بالاولى حتى ترسخ فيه ثم تاتي الثانية كذلك
والتي بعدها كذلك الى غاية ما ينامي الحكم وقد اخبرني بعض مشايخي وكان ممن اجمع على فضله انه حين اشتغاله
على شيخه كان بعض الطلبة الذين يشتغلون معه على الشيخ وكان فيه خير وكان يشتغل بالسبب اذا
حضر المجلس وعد مسالة واحدة بقيت يومي كله في الدكان اردها على خاطري فتثبت لي واذا سمعت
عدة كل واحدة تنسيني صاحبتها فبلغوا خبره الى الشيخ فاعجبه ذلك وقال للغير ممن تكلموا احاسبوا
انفسكم على كثرة سماعكم للمسائل على مسالة واحدة في اليوم فلم يقدروا على ذلك فسبحان من

وفق

وفق اهل السعادة الى اتباع السنة في الفعل وان جهلوها بالعلم لان توفيق هذا المبارك الذي ذكرنا عزة
من الحق ليس الا وقد نص اهل التوفيق على ان قلة العمل مع الدوام خير من كثرته على الانقطاع وقد
قال صلى الله عليه وسلم احب العمل الى الله ادومه وان قل والكلام على قوله صلى الله عليه وسلم ان
يعبدوه ولا يشركوا به شيا قد تقدم الكلام عليه في حديث البيعة اول الكتاب بما فيه شفا

عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل
والديه الحديث ظاهر الحديث يدل على ان لعن الوالدين من اكبر الكبائر والعمل بسد الذريعة
وفي ذلك دليل المذهب مالك رحمه الله في قوله بسد الذرايع يوخذ ذلك من انه صلى الله عليه وسلم
جعل ما هو ذريعة بسب الابوين سبا لهما والكلام عليه من وجوه منها ان في هذا دليلا على عظم
حق الابوين اذ القول الذي هو ممكن ان يترتب عليه مهما جعله الشارع صلى الله عليه وسلم من اكبر
الكبائر فكيف بغير ذلك لانه اذا سب الرجل ابا الرجل من الجائز ان يسب هو اباه او يقول خلاف
ذلك ويفعل به بدل القول فعلا موما لكن لما جرت العادة في الغالب انه لا يرد الا مثل حكم
الشارع صلى الله عليه وسلم بالغالب وفي ذلك دليل على تقييد الاحكام انما هو الغالب من جري
العادة والمحتمل النادر لا ينظر اليه وفيه دليل على ان كل ما يكون محتملا ان ينتج منه شر
لا يفعل خيفة من وقوع الشر وهو ايضا من باب الحزم في الامور وفيه دليل على ان الاحكام الخاصة
انما تكون على العادة الجارية بين الناس وفيه دليل على مراجعة المفضول الفاضل فيما يقوله الفاضل
ويشترط في الادب يوخذ ذلك من قول الصحابة وكيف يلعن الرجل اباه ويوخذ الادب من صفة
لفظهم لانهم رضي الله عنهم لم يقولوا له لكن انما سالوا عن الكيفية كيف تكون على طريق الاستفهام
فهذا هو عين الادب في المراجعة وفي دليل على ان من راجع فيما لا يعرف لا عتب عليه اذا كان على سبيل
الاستفادة يوخذ ذلك من كونه صلى الله عليه وسلم لم يعتبهم على ذلك وبين لهم الكيفية بلطف في التعليم
وقوله صلى الله عليه وسلم اكبر الكبائر فيه دليل على تفاوت الكبائر بعضها على بعض وفيه دليل
على ان من اكبر افعال الخير معرفة اتباع السنة يوخذ ذلك من ان من لم يعرفها يجهل مثل هذا

فقال يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه

فيقع في اكبر الكبائر وهو لا يعلم وقد جعل بعض الجهال اليوم مما زحتهم فيما بينهم ان يلعن بعضهم
ابا بعض ويعودونه مباسطة فنعوذ بالله من الجهل والضلال ولا ذلك قيل ما عصي الله باشد من الجهل
وهو الحق فان الجاهل لا يزال يقع في المهلكات وهو لا يعلم ذلك وهنا تنبيه على ان الاصل يفضل الفرع
بالوضع وان فضله الفرع بحسن الصفات قيل له لا تلمس فضيلة سبقه عليك لانه لما كان الادب اصلا
للابن جعل له عليه هذا الحق العظيم فان فضله الابن بصفة الايمان وهي افضل الصفات قيل له وان جاهدك
على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا للفضيلة التي سبقا بها
وكذلك يتعدى الحكم لمن كان السبب في هدايتك الى مولاك وقد جاء مولاك من علمك اية من كتاب الله
يا هذا قد ملكك بعض احسانه اليك ان كان في الطبع عروق اشد مما ملكك السيد رقبة عبده بالمال
فان الاحرار يملكون بالاحسان اكثر واشد من تملك العبيد بالدرهم والدينار وكما ذكرو من
وجد الاحسان قيدا تقيدا فاذا كانت الطبايع رذيلة ابقى من قيد الاحسان اشد من اباق العبد
القن محا الله المحجبين لا مروة ولا دين ومن هذا الباب يترتب عظم حق سيدنا صلى الله عليه وسلم
علينا لانه السبب الموصل لكل خير من الله به علينا في الدنيا والاخرة وهنا زيادة لان هذا
الاصل لا يفضله فرع ابدا لا بوصف صفة ولا بمعنى فهو الاصل في جميع الخير وله فيه السبق حسا
ومعنى ولذلك ذكر عز وجل في محكم التنزيل النبي اولى بالمومنين من انفسهم فاذ ليس فضيلة
من كان اصلا لخروجك الى الوجود كمن جعل اصلا الى انقاذك من الجحيم وانى تمر اتباعك له
خلود في النعيم وانظر بفطن العقول كيف يتسلسل فضيلة الاصول في العالم موجد الوجود
واذكر الله وايقظ سنة فهمك لعلها توافق عروقا في طبعك فتبادر الى مراجعة حضرة مولاك
لعل شيئا اباقك منه يزيله بيد عفوه عنك فالمومن تواب جعلنا الله ممن سبقت له بالخير
سابقة فراجع مولاه قبل الاخذ على غرة والجا فانه لا رب سواه عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ من خلقه الحديث ظاهر الحديث والاخبار
بعظم ما جعل الله تعالى للرحم من الحق وان وصلها من اكبر افعال البر وان قطعها من

المعاصي

المعاصي والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معنى قوله اصل من وصلك واقطع من قطعك
والكلام على كيفية وصلها وما هو قطعها فاما قولنا ما معنى قوله اصل من وصلك فهو كناية
عن عظم الاحسان فان اعظم ما يعطي المحبوب لحبيبه الوصال وهو القرب منه ومساعدته في
مرضاته وهذه الامور في حق مولانا سبحانه مستحيلة ان تكون على ما نعرف من صفات
المحدثين تعالى بل هي كناية عن قدر الاحسان منه لعبده وعظمه ويويد ذلك قوله عليه السلام
صلة الرحم تزيد في العمر فهذا الوصال في هذه الدار زايد لما اعده في الاخرة من الخير والاحسان
وكقوله تعالى يحبهم ويحبونه فمعنى قوله يحبهم كناية عن عظم احسانه عز وجل الى احد من عباده
لان ملكا من ملوك الدنيا اذا احب احدا اغناه ورفعه على جميع اهل وقته وكذلك فعل مولانا يتمن يحبه
يحسن اليه غاية الاحسان ويرفعه في الدنيا والاخرة المنزلة العليا واما قولنا ما معنى واقطع
من قطعك فهي كناية عن شدة الحرمان والعذاب لان القطع ضد الوصل فكما عبر عن عظم الاجر
بالوصل عبر عن عظم البلا بالقطع اعاذنا الله من البلا بمنه واما كيفية الوصل فهو على ضروب مختلفة
منه ما يكون ببذل المال ومنها ما يكون للرحم ببذل المعون على ما يحتاجون اليه اي من اهل الرحمة ومنها
ما يكون بالزيارة لهم ومنها ما يكون بدفع المضار عنهم والمعنى الجامع له ايصال ما امكن من الخير
اليهم على قدر طاقتك بنية القربة الى الله تعالى الا ان ذلك بشروط ذكرها العلما وهي ان يكون على
استفهامه والانقطاعهم من اجل الله هو ايصالهم بشرط ان تبذل جهدك في وعظهم وزجرهم
والانكار عليهم لانه اذا قيل لك في الاجنبي الذي هو اخوك في الاسلام انصره ظالما او مظلوما
كما تقدم ذكره وهو رده عن الظلم فالاقرب من باب اولى فبعد ذلك يكون الهجران لهم وتعلمهم
ان هجرانك لهم انما هو من اجل تخلفهم عن الحق فاذا استقاموا وصلتهم قدر طاقتك في ذلك
لكن يبقى عليك من صلتهم عند القاطعة الدالهم بظهر الغيب ان يصلح الله حالهم ويجبرهم بفضله
واما مقاطعتهم فهي على ضربين اما كلية او بعضية فالكلية هي ان تمنعهم جميع ما في وسعك من الاحسان
اليهم على نحو ما اشرنا اليه قبل فاصدا لذلك وتكون معاداتهم لحظ نفس وابعادهم عنك مثل ذلك

واما البعض فهو مثل ان تفعل معهم بعض الاشياء وتحرمهم بعضها مع قدرتك عليها وقصدك ذلك فكلا هما
محذوران ويخاف من وبالهما لكن الواحد الذي هو الكافي اشد اعاذنا الله منها وفيه يجوز دخول الالف
واللام في الخلق للجنس او للعهد فان كانت للجنس فهي كانت وان كانت للعهد فتي كان احتمال ان
تكون للجنس وهو عند فروغ المخلوقات على اختلافها وبقي الاحتمال في اي وقت كان ذلك هل عند الفراغ
من ظهورها في اللوح المحفوظ بالكتب وهي بعد لم يظهر منها في عالم الوجود الا اللوح والقلم لا غير واحتمل
ان يكون ذلك عند فروغ خلق السموات والارض وايجابه عز وجل في كل سما امرها القدرة صالحة لهما معا
والعرب تسمي البعض باسم الكل والكل باسم البعض واما ان يكون على حقيقة ظاهرة وهو ان تبرز
جميع المخلوقات في عالم الحس والمشاهدة فلا يمكن لان من المخلوقات ما لم يبرز بعد في عالم الوجود والحس
ونحن نعلم انه لا بد ان يظهر ويكون قطعا لازما مثل الدابة التي تخرج عند قرب قيام الساعة وهي في علم الله
لم تبرز ولا ظهرت ومثل من بقي من تناسل جميع الحيوان ومثل الامور التي هي الساعة وقد اخبر بها
الصادق صلى الله عليه وسلم وهي لم تظهر بعد وانها عديدة اذا تتبعتها وجدتها وان كانت للعهد
وهو عند فروغ خلق بني ادم فتي كان احتمال ان يكون عند فراغه جل جلاله من خلق ارواحهم لانه قد جاء
ان الله سبحانه خلق الارواح قبل الاشباح بالفي عام واحتمل ان يكون عند فراغ خلق الاشباح والارواح
وهو يوم الست بربكم قالوا بلى وهو يوم اخراجهم من صلب ادم عليه السلام مثل الذر واخذ عليهم
العهد لا بعد الحياتين في قوله تعالى ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين على احد الاقاويل ويترتب عليه
من الفقد ان تعرف ان الالف واللام في الخلق للعهد فتكون الصلة والرحم تحتمل وجهين احدهما ان تكون
الجن والانس لانهما الطغان وان تكون خاصة بني ادم وان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة لان
الامر عام في بني ادم وهم منهم وهنا بحثان وهو هل كلام الرحم للحق جل جلاله بلسان القال او بلسان
الحال وان كان بلسان القال هل كان ذلك بعد ما جعلها في جوهر ووضع فيه الحياة والعقل او هي
على حالها الكلام على هذا مثل كلام العلما على كلام الجمادات وهي على ثلاثة وجوه لان منهم من قال
ان كلام الجماد بلسان حاله بما اظهر الله فيه من اثر قدرته ومنهم من قال ان خلق لهم حياة وعقلا

وحينئذ

وحينئذ تكلموا ومنهم من قال انهم تكلموا وهم على حالهم وهو الاظهر وان كانت القدرة صالحة
للوجوه الثلاثة لكن الوجهان فيها تخصيص لعموم لفظ القرآن والحديث بغير دليل شرعي وحصر
لقدرة القادر التي لا يحصرها شيء لان قدرته عز وجل صفة من صفاته فكما ذاته الجليلة لا تنحصر
بوجه من الوجوه فكذلك كل صفاته لا تنحصر منها صفة من الصفات بوجه لان الصفة لا تفارق الموصوف
وقد تقدم الكلام على ذلك اول الكتاب بما فيه شفا بفضل الله تعالى ومنها ان فيه دليلا على الاستعاذة
بالله تعالى من اجل الوسايل الى الله وانجحها يوخذ ذلك من قول الرحم هذا مقام العايذ بك فاستعف
في الحال بما رضيت به ومما يقوي هذا الوجه ما جاء في شان العدو الذي قيل له واجلب عليهم بخيلك ورجلك
وجعل له ان يرانا هو وقبيله من حيث لا نرونهم وجعل لنا النصرة عليه والغلبة له بالاستعاذة
به عز وجل ولم يجعل بغير ذلك لقوله عز وجل في كتابه العزيز واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله انه هو السميع العليم وقول مريم عليها السلام حين اتيها الروح الامين اني اعوذ بالرحمن منك
ان كنت تقيا وقول سيدنا صلى الله عليه وسلم اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك
منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وفيه اشارة عجيبة من طريق حسن المجانسة
في الكلام وهي انه لما كانت صلة الرحم حقيقتها التواد بين الاقارب والتعاطف جعلت الصيغة
التي تدل على الجزاء عليها من جنس المعروف من التخاطب بين المحبين والمحبوبين وهي الوصل والمقاطعة
وفي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ من خلقه دليل على صفتين عظيمتين من صفات
الحق سبحانه وهما القدرة والحكمة فاما الدال منه على القدرة فبالاخبار بانه عز وجل خالق جميع الخلق
واي دليل على القدرة اعظم من اختراع الخلق على غير مثال تقدم ولا معين ولا وزير واما الدال على
الحكمة منه فقوله عليه السلام حتى اذا فرغ من خلقه لان حتى لا تاتي هي الا للغاية فيعطي فوق الكلام ان
من له غاية فله بداية وما بين البداية والغاية اقتضته الحكمة الربانية لا يعجز من القدرة تمام من
قدرته جل جلاله خلق جميع الخلق وهو كما اخبر عز وجل بقوله وما مسنا من لغوب لا يمكن ان
يكون في قدرته عجز عن شيء من الاشياء بل ما كان في بعض المخلوقات من تاخير او غيره لذلك فالحكمة

اقتضتها حكمة من ليس كمثله شيئ وقد تقدم في اول الكتاب من هذا بيان شاف بفضل الله ورحمته
وفيه دليل لقول من قال ان رايك بحسب ما قدر لك يوخذ ذلك من انه لما قامت الرحم مقام العايذ
بالله تعالى من القطيعة وسبق في علم الله سبحانه ان يكون من عباده واصل لها وقاطع لها ايضا
ارضاها ان جعل عندها رضى ان يصل الله من يصلها ويقطع من قطعها فقبلت ذلك ورضيت به
بدلا من الذي طلبته لانها طلبت ان لا قطيعة لها فلو قال لها الحق جل جلاله لك ذلك اي لا تقطعي لم يكن
احد يقطعها وفيه دليل لتحقيق قوله صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو بما كان بين احدى ثلاث اما
ان تستجاب له واما ان يدخر له واما ان يكفر عنه لانه عز وجل عوض الرحم مما طلبته ما له خير لها منه
ورضيت به وفيه دليل على ان جميع المخلوقات بيد الله سبحانه يصرفها كيف يشاء كما قال صلى الله عليه
وسلم ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين امرين من امر الرحمن مثل الرضى وضده
والعزم على الشيء وتركه والرغبة والزهد وما يضادهما من الاشياء يقلب القلب من طرف الى ضده في لمحة
البصر ولذلك كان من دعائه صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ولهذا
المعنى كان اهل التوفيق والمعرفة بالله تعالى اشد الناس خوفا على انفسهم مع ما كانوا عليه من الخير التام
حتى انه يروى عن بعضهم انه كان كلما استيقظ من نومه يجر يده على وجهه ثم ينظر الى حواسه ثم يحمد
الله تعالى ويشكره ويتشهد ويعلن بها فقيل له في ذلك فقال انما اجر يدي على وجهي مخافة ان يطمس عليه
كما اخبر عز وجل وخبره الحق من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها واما نظري الى حواسي
فمخافة العاقبة التي هي متوقعة مع الانسان واما اعلاني بالشهادة فاختبار لنعمة الله الايمان
لقوله صلى الله عليه وسلم ينام الرجل النومة فيسلب عنه الايمان ويبقى اثره ثم ينام فيقبض اثره
او كما قال عليه السلام فاذا رايت نعمة الايمان ونعمة الحواس باقية سالمة حمدت الله تعالى وشكرته
على ابقائه تلك النعمة بفضله جعلنا الله ممن انعم عليهنا وجميع نعمه في الدارين بفضله ورحمته امين
يا رب العالمين عن عائشة رضي الله عنها قالت جاءت امراة ومعها ابنتان تسالني
فلم تجد عندي غير تمرة الحديث ظاهر الحديث اخبار الصادق صلى الله عليه وسلم انه من اتاه الله

شيا

شيا من البنات فاحسن اليهن كن له سترا من النار اي وقاية تقيه من النار والكلام عليه من وجوه
منها ان يقال ما معنى الاحسان وهل ذلك على عمومه بلا شروط او له شروط وهل يحتاج في ذلك الى تمام
او هل ذلك على طول عمرهن وان كبرن او ذلك عند صغر سنهن وان كان واحدة فاما قولنا ما معنى الاحسان
اليهن فهو ما زاد على القدر الواجب الذي لهن وهو بين من لفظ الحديث فانه لما كانت المراة ومعها
ابنتان فسالت المراة عائشة رضي الله عنها فلم تجد عندها الا تلك التمرة الواحدة التي اعطتها
كان من اجل احتياجها لها ان تختص بها فلما جادت بها فذلك الاحسان الذي اشار صلى
الله عليه وسلم بان من فعله معهن كان له سترا من النار وهو يتعدى في كل الوجوه الذي فيها
معاملتهن فمن زاد هن في كل وجه منها شيا على حقهن كان محسنا لهن ومن فعل معهن معروفا في نوع ليس لهن
فيه حق الباب واحد واما قولنا هل ذلك على عمومه بلا شروط او له شروط فما من وجه من وجوه البر الا
وله شروط فمنها ما هي ظاهرة ليستوي في معرفتها الناس كافة ومنها ما لا يعلمها الا ارباب العلم
ومنها ما لا يعلمها الا الخواص منهم فاما معنى قولنا هل ذلك على عمومه اي اذا وقع منه احسان
اليهن على اي وجه كان على لسان العلم او غير ذلك ويكون قد اساء اليهن او يكون قد ترتب لهن حق
عنده فاما ما خالف لسان العلم فلا يتالف عليه اسم احسان شرعا وكذلك اذا ترتب لهن قبله حق
وتقع بينه وبينهن المحاسبة والمحاكمة في الدار الاخرة وكذلك ان كان قد اساء اليهن من وجه اخر
فليس على عمومه ولا يسمى محسنا الا بعد توفية الحقوق من كل الجهات وعدم الاساءة ويكون
فعله ذلك على لسان العلم وحينئذ يكون محسنا واما شروطه فهو ان يكون احسانه اليهن
ليس فيه ضرر الغير بعد القيد والمتقدم ذكره من لسان العلم وما ذكر معه واما هل يحتاج ذلك الى
نية امر لا فالنية شرط في جميع الاعمال لقوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات ولكل امرئ
ما نوى الا مواضع قد تقرر الحكم فيها انها لا تحتاج الى نية اعني ان الفعل مجزي بغير نية ويوجر
عليه وهو مثل ما يفعله المرء بغيره من الطهارة وشبهها ومثل زوال النجاسة من الثوب والبدن
وما اشبه ذلك واما قولنا هل ذلك مع طول عمرهن او ذلك في زمان صغر سنهن اما

الاحسان اليهن فليس بتقييد بصغر سنهن ولا كبرهن بل حقوقهن مع صغر السن على سبيل الوجوب
فمنها لزوم النفقة والكسوة والكفالة وما هو من نوعه يسقطه كبرهن اذا تزوجن على ما هو
المعلوم من عرف الشرع في ذلك وان كبرن فلا يخرجن عن البنوة ابدا فهن في كل وقت محل الاحسان
وهن ايضا محتاجات الى ذلك وان كن على اي وجه كن من اليسار وضده وكثرة شروط هذا الاحسان
كان بعض من ينسب الى الخير وله البنات والعيلة بعد احسانه اليهن يقول والله ما ادري
هل سنكن في الاخرة امرا لم يدعو الله سبحانه ان يجعلهن له رحمة بفضله وفيه دليل على جواز
السوال يوخذ ذلك من قولها جاءتني امراة ومعها ابنتان تسالني فلو لم يكن ذلك جائزا شرعا
لانكرت ذلك عليها وفيه دليل على فضل بيت النبوة وكثرة سخائهم يوخذ ذلك من كونها لم يكن عندها
الا تلك التمرة الواحدة وجادت بها وفيه دليل على جواز ذكر المعروف الذي لعظه اذا لم يكن على وجه
المن والاذى فتخار فان ذلك مفسد له يوخذ ذلك من ذكر عائشة رضي الله عنها المعروف الذي فعلته
مع المراة للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على استحسان فعل المعروف وان قل يوخذ ذلك من بذلها
تلك المراة التمرة الواحدة ولم تستقلها وقد ذكر انه جاء سايل الى الباب وكان عندها عنب فاعطت منه
حبة واحدة لشخص تخرجها له فرات منه انه استقلها فقالت له كم في تلك الحبة من ذراة تريد
بذلك قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد نبه بعض العلما
على ان مكايد الشيطان ازاراك تعطي اليسير يزهدك فيه ويحقره في عينك حتى يحرمك البذل في
اليسير والكثير وفيه دليل على ان لا المعروف جهد المقل ولا يلزمه غير ذلك من طريق المذبذ يوخذ
ذلك من ان تلك السيدة لم تزد على ذلك حين اجزته ولو كان بقي عليها من طريق الاحسان شيء
لنبهها عليه صلى الله عليه وسلم عند اخبارها له بذلك وفيه دليل لاهل الصوفة الذين اصل
طريقهم الايثار وحمل الضيم فيما يخصهم لان هذه الصفة هي التي اعجبت تلك السيدة رضي الله عنها
من تلك المراة حتى اخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رايتهن الاصل العظيم ولذلك قيل فيهم
ما احسنهم في جودهم حتى بنفوسهم جادوا ثم جادوا وجادوا حتى وصلوا وسادوا واعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال

ظاهر

ظاهر الحديث الاخبار بقدر عظيم رحمة الله بعباده بشاهدة المثال والكلام عليه من وجوه منها
قوله بعباده هل هو عموم للكافر والمومن والحيوانات على اختلافها وغيرها من جميع المخلوقات
او ذلك خاص بالمومنين فيكون اللفظ عاما ومعناه الخصوص لفظ الحديث يقتضي العموم وقرينة
الحال وهو ذكر طرحها الولد ها في النار اشارة الى تخصيص المومنين وتطييب قلوب السامعين منهم ان
مولاهم الذي من عليهم بالايمان به لا يعذبهم بناره وقد جاء هذا المعنى صريحا في الكتاب والسنة
اما الكتاب فقوله جل جلاله ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة
الى قوله تعالى واولئك هم المفلحون فثبتت للمومنين الذين هم بتلك الاوصاف المذكورة واما السنة
فالحديث المتقدم وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله ثم ذكر
ان حق العباد على الله اذا عبدوه لا يشركوا به شيئا ان لا يعذبهم واحتمل وجها اخر وهو ان يكون
معنى المثال الاخبار بان رحمة الله لا يشبهها شيء لمن سبقت له فيها نسبة من اي العباد كان
حيوانا او غير حيوان وانها لا يضر معها شيء وبقي العلم بتحقيق من سبق له فيها نصيب ولذلك
قال الفضلا رضي الله عنهم لا سخط بعده ابدا يعرفون من سبق له في الازل رضي فلا يضره مع السابقة
شيء ولذلك قيل كم من صديق في لفنا وكم من عدو في العنا نظر الى السابقة بما اسبقت وقد
سال بعض اهل التشيع بعض اهل السنة فقال ان الرحيم من حقيقته ان لا يعذب احدا من
عباده فكيف يعذب عباده بالنار وهو الرحمن الرحيم فجاوبه السني بان قال الله سبحانه اسما عذب
منها المنتقم وكل اسمائه عز وجل حقيقة لا مجاز فيها ولا بد لكل اسم ان يظهر ما يدل عليه في عالم
الوجود والخلق فمن خصه بالرحمة لا يعذبه ومن خصه بالانتقام فلا يرحمه ومن حكمته عز وجل
ان يخصص من عباده من شاء ما شاء على مقتضى كل اسم وصفة وقد قال جل جلاله نبي عبادي اني
انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فهت الشيعي وكان القوم حجرا واحتمل
وجها وهو لاهل القلوب وهو ان يكون معنى الحديث الحث على التعلق بالله تعالى والزهد في
غيره لان العباد من شانهم طلب الحوايج وطلب الخيرات والاستعاذة من المكروهات

والتسبب في ذلك وطلب بعضهم من بعض المساعدة على ذلك والعادة بينهم انهم لا يقصدون في الحوائج
ولا يتعلق امالهم الا بمن فيه رحمة واحسان فاخبرهم الصادق صلى الله عليه وسلم ان رحمة المولى سبحانه
بعباده على العموم اكثر من رحمة هذه المراة بولدها التي قد خرقت العادة المالوفة من النساء على اولادهن
بون عظيم فمن يريد طلب خير او دفع ضر او اي حاجة اراد فليقصد من رحمته اعظم من رحمة هذه بولدها
فهو انجح له في حاجته وايسر له فيما يؤمله ولذلك قال من كان قاصدا فليقصد مولاه فهو سبب الى رحمته
وقال بعضهم هبني اتيت بلا معنى ولا سبب اليس انت الي معروفك السبب وفيه دليل على جواز
ضرب المثال بما يعقل ويدرك بالحواس تشبيها بما لا يعقل ولا يدرك بالحواس لتحصل فائدة المعرفة بالشيء
من وجه ما وان كان لا يحيط المثال به من كل الجهات يوخذ ذلك من ضربه صلى الله عليه وسلم المثال على
عظم رحمة الله التي لا تصل اليها الافكار ولا العقول برحمة هذه المراة على ولدها ومنه بعينه يستدل على
ان صفاته سبحانه لا تشبه صفات المحدثات وان شاركها في التسمية يوخذ ذلك من قوله عليه السلام
لله ارحم بعباده من هذه بولدها والزيادة غير محدودة فلا شبه ولا اشتراك الا في التسمية
ليس الا وفيه دليل على ترجيح اخف الضررين يوخذ ذلك من كونه صلى الله عليه وسلم ترك هذه
المراة تشرك اولادها الستر في الرضاعة وربما اذا كبروا يتناكحون وهم اخوة من الرضاعة هذا لا يجوز
فلما كان هذا الوجه محتملا ان يكون وان لا يكون وسد رضعهم في الوقت مما الحاجة اليه اكيدة تركها ففعل
ما هو الارجح وبهذا يستدل ايضا ان الضرورة لها حكم على حدة لان لولا ضرورة الاطفال في الوقت
الى الرضاع ما تركها صلى الله عليه وسلم تفعل ذلك من اجل العلة المتقدم ذكرها وهذا البحث المتقدم
هو على ان الكفار يخاطبون بفروع الشريعة وفيه دليل هو اقوى في البحث وهو ان الكفار ليسوا
مخاطبين بفروع الشريعة لان اطفال الكفار في الدين مثل اباءهم وان ملكهم المسلمون فلو كانوا مخاطبين
بفروع الشريعة لكان سيدنا صلى الله عليه وسلم يقول للصحابة في ذلك شيئا لانه عليه السلام المشرع
وسكوته عند الحاجة الى البيان لا يجوز ويترتب عليه من الفقه ان اولاد الكفار اذا ملكوا وهم
دون البلوغ ان يحكم عليهم بالكفر وان اسلموا الا ان يكون اسلامهم بعد بلوغهم وقد نص الفقهاء

على ان

على ان من سبي منهم دون البلوغ وجبر على الاسلام او اسلم من تلقاء نفسه ثم مات قبل البلوغ
انه لا يدفن مع المسلمين ولا يصلى عليه فان حكمه حكم الكفار الاخلاقا شافيا هذا هو الغالب على الظن وفيه
اشارة لطريق المحبين يوخذ ذلك من حال المراة المذكورة في الحديث لما كان حب ابنها قد شغف
فوادها بذلت نفسها في شوق الاشياء عليها فيما يشبهه في السن فكيف حالها لو انها وجدت ابنها الان
كثرة الرضاع والحلب يضعف النساء وكثير منهن اذا كان ابنها قوي الرضاعة يهلكها ولا تقدر على
ارضاعه وهذه بكثرة وجدها على ابنها قد عمت كل مولود لقيت تشبهه بابنها كما اخبر عن قيس ليلى
حيث قال احب لحبها السودان حتى احب لحبها سود الكلاب كذلك المحب يرى المحبوب في كل شيء
ومثل ذلك ما اخبر به الله جل جلاله في كتابه العزيز في قصة يوسف عليه السلام مع اخوه بنيامين
حين اجتمعا فقال بنيامين ليوسف عليهما السلام لا افارقك اصلا فقال له يوسف عليه السلام
لا يمكن ذلك الا ان تقر على نفسك بالسرقة فرضي بالقاء الوصف الذميم على اليد السالمة من العار
والخيانة في حق الامانة مع الحبيب فقال تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل
اخيه الى قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله هان عليه
وصف الخيانة بتوفية رفع الامانة بخلوة مع الحبيب دون رقيب هذا في حق مخلوق فان فكيف
في حب خالق هانت دالله عليهم النفوس فبذلوها في حب مولاها فوصل عز وجل حبهم بحبله وادناهم
وسقاهم فاجابهم فاهانوها فرفعوها وازلوها فاعزوها وافردوها فجمعوها وحرموها فاسعدوها
وقطعوا العلايق فاسقوا البوايق وحادوا عن ماسواه فلم يجدوا الا اياه ومن قول بعضهم
تفردت عن الاكوان بحبه وكذلك عبد الفرد لا يزال فردا فهنا هم من هنا هم برضا مولاهم باطن بهم عند
لقا مولاهم فيا من اسعد يحياهم بحر منهم الا وردتنا موارد هم يا كريم يا وهاب وصلى الله عليه سيدنا
محمد سيد الانام وعلى اله يا رب وسلم عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول جعل الله الرحمة في مائة جزء الحديث ظاهر الحديث يدل على ان كل ما في جميع
الارض من رحمة في قلوب جميع الخلق جزء من مائة جزء مما اعد الله لعباده من الرحمة وان باقي

المائة وذلك تسعة وتسعون جزءا مؤخرة عنده عز وجل لهم والكلام عليه من وجوه منها ان يقال
ما معنى جعل الرحمة في مائة جزء وما معنى امساك عنده ولمن ذلك الامساك هل لجميع الخلق و
لعبيد مخصوصين ولم خص ذكر الفرس من بين سائر الحيوانات وما الفائدة لنا في الاخبار بذلك
وهل لنا طريق الى معرفة كيفية انزال ذلك الجزء امر لا وهل لفظ الخلق يكون عموما في الحيوان وغيره
الحيوان او يكون خصوصا في الحيوان لا غير وقوله وانزل في الارض جزءا هل يريد الجنس او النوع
وهي هذه الواحدة الذي نحن عليها فاما قولنا ما معنى جعل الرحمة في مائة جزء احتمل وجهين
احدهما انه سبحانه لما من على خلقه برحمته معينة جعلها لهم في مائة وعاء فاهبط منها وعاء واحدا
الى الارض كما اخبر عليه السلام في الحديث وبقي عنده عز وجل واحتمال ان تكون الفا زايدة ويكون معنى
الاخبار ان الرحمة التي من بها على خلقه سبحانه قسمها مائة جزء فانزل الى الارض جزءا واحدا
لان العرب كثيرا ما تزيد الحروف في اول الكلام وهو من فصيحه وابقى التسعة والتسعين جزءا عنده
واما قولنا ما معنى امسكها عنده اي انه لم يشأ سبحانه نزولها الى هذه الدار وامسكها للدار الاخرى
وهناك يكون الانعام بايصالها لمن كتبها له واما قولنا لمن ذلك الامساك هل لجميع الخلق او لعبيد معينين
منهم اما من الحديث فليس فيه ما يدل على ذلك لكن قد افصح الكتاب والسنة بذلك فاما الكتاب فايات
عديدة منها قوله عز وجل قد افلح المومنون الى قوله اولئك هم الوارثون ومنها قوله عز وجل
اولئك هم المفلحون واما السنة فالاخبار فيها كثيرة منها الاخبار بامر الساعة وكيف يحشر جميع
الخلق فيقال بعد الحساب للكل ما عدا الثقلين الجن والانس كونوا ترابا والثقلان قسمان اما
شقي ففي النار واما سعيد ففي الجنة فمن كان في النار او صار ترابا لم يبق له في تلك الرحمة نصيب وبقيت
موفورة لاهل دار الكرامة وهم المومنون من الثقلين الجن والانس جعلنا الله من اهل دار السعادة
منه واما قولنا ما الحكمة في كونه خص بها الفرس المتداول دون غيره من الحيوان فنقول والله اعلم
لما جعل في الفرس من الخفة والسرعة في متنها فكونها مع ذلك الذي طبعت عليه من سرعة الحركة
من اجل الرحمة التي قسم لها منها ذلك الجزء اللطيف لرفع حافرها عن ابنها ووجه اخر وهو ان الخيل

تحمل

تحمل من التعب بالكر والفر وكثرة الجري والجهد في ذلك حتى يلحقها من التعب ما لا يلحق لغيرها من الحيوان
ثم مع ذلك يشتد احتياج ابنها اليها فاقسم لها من تلك الرحمة توثر الشفقة على ابنها على راحة نفسها
حتى ترفع حافرها خيفة ان تصيبه وتعاين ذلك كله منها ما لا تعاينه من غيرها لا سيما العربي في
هذا اكثر الناس مباشرة ويخبرون على الخيل باشياء عجيبة منها ما ذكر عن ذي القرنين حين اراد ان
يدخل التي عارضته حين خرج يطلب عين الحيوة وكيف يتاتى له دخول تلك الظلمة وكيف الخروج منها
فاشار عليه الذين يعرفون فوايد الخيل بان قالوا له خذ الاناث من الخيل التي لها بطن واحدة فانها
اقوى ابصارا واجلس اولادها في اول الظلمة حيث النور ثم حض بها في تلك الظلمة حيث شئت فاذا
اردت الرجوع فاقلب وجوهها فانها ترجع الى اولادها في اسرع وقت ففعل ذلك فنجا الامر كما اخبروه
واما قولنا ما الفايدة في الاخبار لنا بذلك فلفوايد منها الاخبار بان الرحمة في تلك الدار اكثر
واعظم من البلاء لانه عليه السلام قد اخبر عن النار في الاحاديث قبل انها فضلت نار نا هذه وهي جميع نار
الدنيا بتسعة وستين جزءا والرحمة المذكورة في تلك الدار بتسعة وتسعين جزءا من مثل جميع كل
رحمة في هذه الدار اذا جمعت ثم مع ذلك هي خاصة كلها للمومنين ويقوي هذا التاويل قوله جل جلاله
على لسان نبيه عليه السلام ان رحمتي غلبت غضبي لان اثر الخير الذي هو دال على الرحمة اكثر من المحن
الدالة على الغضب فلو لم يكن الا هذه لكانت فايدة عظمى ويستدل فيها ان رحمته جل جلاله التي هي
صفة ذاته الجليلة ليست بحدود ولا تكييف لان تحديد هذه الوهبة وهي اصل الخير والاحسان لا يقدر
العقول على حصرها فكيف بالتي هذه الدالة عليها وبهذا علم ان الذات الجليلة ليست بمحدودة ومنها
ادخال السرور على نفوس المومنين لان النفوس من عادتها لا تكمل فرحها بما وهب لها لعلها تجده
عندا حتياجها اليه وفيه تخصيص على الايمان والقوة فيه لان المومن اذا علم قدر داره التي قراره فيها
وبكفيه الخير المنكيله فيها قوي ايمانه فكان ذلك عونا على الزهد في هذه الدار والرغبة في تلك الدار ومما
يقوي هذا قوله صلى الله عليه وسلم لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وهذا منه عليه السلام اخبار
بتفاوت النسبة بين الدارين وترغيب في تلك وتزهيد في هذه الفانية وفيه دليل لاهل السنة الذين

يقولون ان نعيم تلك الدار وضده محسوس مدرك وهو الحق الذي لاخفاء به وتقتضيه ادلة الكتاب
والسنة يوخذ ذلك من هذا الحديث من قوله عليه السلام حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها فان
رفع الحافر شيء محسوس لاشك في ذلك ومن اجل ذلك وقع التمثيل به واما قولنا هل لنا طريق
الى معرفة كيفية انزال ذلك الجزء الى الارض فاعلم ان ايصاله تصرف قدرة القادر جل جلاله في المقدور
وكيفية التصرف ليس للعقول فيه مجال الا التصديق والتسليم وقد تقدم اول الكتاب في هذا النوع
ما فيه كفاية بفضل الله تعالى واما قولنا لفظ الخلق هل يكون عاما في جميع الخلق حيوانا او غير حيوان
اللفظ محتمل الوجهين معا والذي يعطيه الدليل من خارج انه عموم في الحيوان وغيره لانه قد جا انه
يوم القيمة تستل الشاة القرنا من نطحت الجما والعود لم خدش العود والحجر لم لامس الحجر فلو لم يجعل
بينهما رحمة لما حوسبت على تركها وقد جا ان الارض لتضم المومن اذا جعل في قبره ضم رحمة
وتقول له ما احبب ما كنت فيك كنت تمشي على ظهري فكيف اليوم وانت في بطني والكافر بضد
ذلك ومن جهة عظم القدرة العموم اولى ليظهر بذلك تفاوت النسبة بين حالتي هذه الدار والدار
الاخرة وهو اولى واظهر ومما يقوي انها عموم في جميع الخلق قوله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه
الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ولا تكون الخشية
الا حيث جعلت الرحمة وقد قال عز وجل في الحيوان العاقل انما يخشى الله من عباده العلما والعلما
بالله اكثر رحمة واكثر هم حنانا وشفقة ولا يكون الا حيث تكون الرحمة وقد قال العلما كلما رات من
جبل انهدا وحجر انشق فانما هو من خشية الله تعالى وبقي هنا للحكمة الربانية اثر عجيب في قسمة تلك الرحمة
فقد تكون قسمة بعض الجماد منها ابرك واكثر مما قسم للحيوان العاقل المخاطب فيكون الحجر على صلابته
والجبل على قوته ينفتت وينهد ويسيل من الخشية وتكون هذه الجارحة الصنوبرية على
صغرها ولينها لا توثر لشيء من اثر قدرة القادر الجليل هذا من اعظم العجايب لمن فهم ولذلك
جا التوبيخ بها في الكتاب العزيز ولكن المحروم اطرش كم ذا تضرب في حديدا ريب بلا
فايدة وقوله صلى الله عليه وسلم انزل في الارض هل المراد هذه الارض الواحدة التي نحن عليها

او

او جنس الارض فيكون نزوله في الارضين السبع اللفظ محتمل يقوي انه الكل ما قاله بعض العلما
ان الارض الرابعة عمارها الجن وهم احد الثقلين المكلفين وبينهم تراحم وتوادد صالحهم وضده
وقد قيل في عرش ابليس انه في الرابعة وذكر انه في السابعة وهو وجوده وان كانوا ما هم عليه من
الاضلال والضلال فبينهم تراحم فيما بينهم وتوادد وهو ايضا من جهة عظم القدرة وتفاوت النسبة
بين الدارين كما تقدم اولى واظهر وبقي في الحديث بحث لطيف وهو ما يعني بهذه الرحمة
هل كل رحمة وجدناها بين العالم كانت من اجل الله او من اجل حب وولوع او جواز او دوام
مصالحة او للاحسان والالفة او اي نوع كانت هي من تلك الرحمة او ما هي منها ما كان لله
ليس الا احتمل الوجهين معا والاظهر انها عامة باي نوع وجدت فهي من تلك الرحمة الواحدة
المنزلة ويقوي هذا الوجه قوله صلى الله عليه وسلم حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية ان
تصيبه وانما ترفع الفرس حافرها عن ولدها لما جعل لها من حب ولدها هذا تجده في الحيوان
غير العاقل وفي العاقل من باب احري ويترتب على هذا الوجه من الفقه وجوه منها اتساع الرجا
في عظم الرحمات المدخرة وعظم التباين في النسبة بين الدارين وان الرحمة التي في تلك الدار
خير كلها وما يصدر عنها كذلك وان الرحمة التي في هذه الدار بنسبة الدار مختلطة بحسب
ما تصدر عنده واليه فما كان منها لله وعن الله فهي خير كلها وما كان منها في المباح فهي من عفو
ويقوي هذا التوجيه قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم
بهما رافة في دين الله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر فمنع عز وجل من الرحمة ان تكون
في غير ما يرضي الله فان وقعت فليست مرحومة فاعلها بل هي رحمة معاف صاحبها وعلى
هذا فتبصر تجد الامر كما وجهناه وفي الحديث الذي بعده ما يقوي هذا المعنى بحسب
ما يفتح الله في تبيين ذلك ولهذا الاشارة جعل اهل التوفيق كل حركاتهم واقوالهم وافعالهم
مع القريب والبعيد لله وبالله ومما علمه بعض من نسب اليهم من الدعا في بعض مرائيه ان
قيل له يكون من دعائك اللهم اجعل جميع تصرفي فيما يرضيك ابتغاء مرضاتك جعلنا الله

ممن من عليه بذلك حتى يتوفينا عليه بفضله وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم عن النعمان بن بشير
بقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترى المومنين في تراحمهم وتوادهم الحديث
ظاهر الحديث يدل على ان المومنين كلهم وان تباينوا وتباعدوا كالجسد الواحد كلما اصيب احدهم
شيئ اصاب الجميع منه نسبة والكلام عليه من وجوه منها ان فيه تقوية التوجيه الذي وجهنا
اخر الكلام على الحديث قبله لانه عليه السلام جعل توادد المومنين وتراحمهم مخالف لتوادد غيرهم
وتراحمهم وهل التراحم والتوادد والتعاطف الفاظ مترادفه والمعنى واحد او لكل لفظ معنى
خاص وهل هذا للمومن الكامل الايمان او لكل من دخل تحت هذا الاسم وما الحكمة بان مثل الايمان
بالجسد والمومنين بالاعضاء منه فاما قولنا هل الالفاظ بمعنى واحد او لمعان فنقول والله اعلم
بل لمعان مختلفة فقوله صلى الله عليه وسلم في تراحمهم معناه ان الرحمة التي جعلت في قلوب
المومنين بعضهم لبعض من اجل خوة الايمان لا للولوع ولا لاحسان ولا لشيئ خلاف الايمان هذا
هو اصلها وقد تتزايد الوجوه الموجبة لرحمته عز وجل كما جاء في حق الجار وحق الايمان وحق القرابة
وكذلك ان كان صهرا من الاصهار زاده حق رابع فكذلك الرحمة التي بين المومنين تتضاعف
بحسب الرحمة مثل ما فعل سيدنا صلى الله عليه وسلم حين رفع له ابن ابنته ونفس الصبي تتقعقع
كانها شن ففاضت عيناه عليه السلام فقال سعد يا رسول الله ما هذا قال هذه رحمة جعلها
الله في قلوب عباده فانما يرحم الله من عباده الرحماء لما اجتمع له صلى الله عليه وسلم رحمة الايمان
وما راى من صغر الصبي ومن شدة معالجة الموت وما بينهما من النسب حتى سالت تلك الدمعة
المباركة ليتضاعف الرحمة عنده وتوادهم كناية عن التواضع بينهم واستعمالهم اسبابه لوصله
ايضا الايمان وقد يتضاعف لموجبات مثل المهاداة لقوله عليه السلام تهادوا تحابوا والتزاور والمجاورة
المشاركات عند الضرورة وكلما يتولد عنده ودما فالاصل فيه توادد الايمان ويتضاعف
بحسب موجباته بين الناس واما التعاطف فهو تقوية بعضهم لبعض كما يعطف طرف الثوب
عليه ليقويه وهو من باب قوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان

فان

وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى

فان اصل الايمان هو الذي عطف قلوب بعضهم على بعض كما قال جل جلاله في كتابه لو انفقت ما في
الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وكقصة موسى عليه السلام حين وجد
الاسرائيلي مع القبطي من اجل توادد الاسرائيلي فكان من قصتهما ما اخبر عز وجل بها في كتابه وقد
يتزايد التعاطف بينهم ايضا لموجبات كقصة موسى عليه السلام لما راى ضعف الاسرائيلي وتعدي
القبطي عليه وظلمه وقلة انصار الاسرائيلي تاكد التعاطف عند موسى عليه السلام حتى اخذ بالضربة
الواحدة روح القبطي واما قولنا هل هذه الاوصاف للمومن الكامل الايمان او لكل من دخل
تحت هذا الاسم فقد بان لك بضرب المثل بسيدنا صلى الله عليه وسلم وبموسى عليه السلام بان ذلك
من اوصاف الايمان الكامل ولا يطلق الشارع صلى الله عليه وسلم لفظ الايمان الا على كماله ولذلك
بين عليه السلام اوصاف المومنين ليعرف كل احد قسمته اين هي وكفى به على نفسه حسيبا
ولا يغتر باطراء بعض الناس له فان المخبر صادق والناقد بصير واليه المرجع والمصير واما قولنا
ما الحكمة بان شبه عليه السلام الايمان بالجسد واهله بالاعضاء فذلك من ابدع ما يكون
في التشبيه لانه لما كان اصلا وله فروع وهي جميع التكليفات على نحو ما جاءت به الشريعة
المحمدية فاذا نقص من التكليفات شيئ او دخل في بعضها شيئ شان ذلك الشيئ الاصل
الذي هو الايمان لانه يقتضي بوضعه الانقياد والامتثال فكذلك الجسد هو واحد مثل اصل
الشجرة فاذا كان شين ما في احد الفروع شان ذلك الاصل واذا ضرب احد في عضو من اعضائها
اهتزت الاعضاء كلها وتداعت لتلك الضربة كلها بالتحرك والاضطراب فكذلك الجسد اذا ضرب
يد القدر عضو امنه مما يوله تداعت له سائر الاعضاء كما اخبر الصادق صلى الله عليه وسلم وفيه دليل
على ما اعطى الله عز وجل لسيدنا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة وفيه دليل لمذهب مالك
رحمه الله الذي يقول الايمان يزيد وينقص ويوخذ ذلك من قوله عليه السلام بين صفات الايمان الكامل
والكامل عنده النقص ليس على حد واحد فبانت الزيادة والنقص وفي هذه الاوصاف دليل الطريق اهل
السلوك لانهم يطلبون انفسهم بتوفية اوصاف الايمان في انفسهم ومع غيرهم وقد ذكر عن بعضهم

انه جاءه بعض اخوانه يطلب منه سلفا فلما اخرج له ذلك السلف خرج وهو باك فقال له اخوه
ما ابكاك قال له لتفريطي في حقك حيث جئت تطلب مني السلف واستغفر الله مما جري منه
هكذا ذكره الامام فالاصل معلول عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم غرس
غرسا فيأكل منه انسان او دابة الا كان له صدقة ظاهر الحديث يدل على ان كل من غرس
من المسلمين غرسا فكل من اكل منه شيأ من جميع بني ادم او من جميع الدواب له فيه اجر صدقة
والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل المراد بالغرس كل ما ينبت ويوكل منه كان له اصل ثابت مثل
التمر والرمان وما اشبههما او المراد الذي له اصل ثابت لا غير وهل يكون الغرس على اي وجه كان او
يكون على وجه مخصوص وهل يحتاج الى نية في غرسه ام لا وهل يكون الاكل على اي وجه كان او يكون
على وجه مخصوص وكذلك الدواب باي وجه اكلته وهل جميع الدواب في ذلك سواء ما يتملك منها
وما لم يتملك وهل يلحق الطير بالدواب ام لا وهل يشترط في الغرس دوام ملك الغارس عليه حين
الاكل منه ام لا وهل يعلم قدر تلك الصدقة او ليس لنا طريق نعرف به وما الحكمة في اخبار بذلك
وما يترتب عليه من الفقه اما قولنا هل المراد بالغرس ماله اصل ثابت وما ليس له اصل ثابت
ليس لهذا ان نظرنا بحسب اصطلاح الناس في الغراسة فلا يطلقونها الا على كل ماله اصل ثابت واما
ما ليس له اصل ثابت فانهم يطلقون عليه زراعة وان نظرنا الى اللغة فكل ما يبذر في الارض وينبت
ينطلق عليه اسم غراسة مثل ما جاء في وصف الجنة غرسها الرحمن بيده اي بيد قدرته وهو ان قال
لها كوني فكانت بغير واسطة يد مخلوق من خلقه وقد جاء ان فيها من الفواكه والنعم ما له اصل
ثابت وما ليس له اصل ثابت مثل الزعفران الذي هو حشيشها وليس له اصل ثابت واطلق على الكل
غراسة وهذا اذا نظرت من حيثية الخبر المتعدي النفع فالحبوب التي يكونون عنها بالزراعة لهم فانها
غالب الاقوات وقد كان سهل من فقهاء غرناطة الاندلس وكان خيرا عالما وقته يقول لاصحابه ان
الاعمال قد قلت والكل قد تولى فاكثروا الزرع لان تكثر حسناتكم وكانت غرناطة الغالب عليها
كثرة زرع الحبوب ويسر عليهم الحديث الذي نحن بسبيله وهذا الذي هو غالب ما تصل اليه جميع الدواب

اعني

اعني الحبوب المزروعة وهذا من طريق كرم المولى سبحانه وتعالى لان الكريم اذا تكرم لا يحصر بل يوسع
ويفسح واما قولنا هل يكون على اي وجه كان او على وجه مخصوص فالجواب ان العمل اذا كان
مخالفا للشرع فهو غير مجزي والله اعلم وقد تقدم الكلام على هذا النوع في غير ما موضع من الكتاب وقد
قال صلى الله عليه وسلم ليس لعرق ظالم حق فمن ليس له حق كيف يكون فيه ماجورا وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله لا يقبل عمل امرأ حتى يتقنه قيل وما اتقانه قال يخلصه من الرياء والبدعة فكل شيء خالف لسان
العلم فلا يكون فيه ماجورا فاذا خالف هذا الغارس في غرسه لسان العلم ليس يكون في فعله انما
واما قولنا هل يحتاج في غرسه ذلك الى نية ام لا ظاهر الحديث لا يعطي ذلك بل هو من طريق الفضل
لكن من وفق في ذلك الى حسن النية كانت له زيادة في اجره لقوله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال
ما تقدمته النية كما ان النية السوأ اذا تقدمته افسدته مثل ان ينوي بذلك الغرس ضرر الغير او فخرا او
مباهاة له ما يشبه هذه النيات المبطلة للاعمال على حسب ما تقرر ذلك بلسان العلم واما قولنا
هل يكون ذلك الاكل منه على اي وجه كان بحق او بغير حق فقد تقرر من الشرع ان كل ما اخذ من مال
احد باي وجه اخذ باكل او غيره بغير حق فان صاحبه في ذلك ماجور فيكون الاخبار هنا لو كان على
هذا للعنى تاكيدا لا غير والمعروف من طريق الاحاديث انه لا يأتي منها حديث الا لزيادة فايدة بل الفوايد
جملة مثل ما قال عليه السلام اذا انفق الرجل على اهله يحتسبها فهي له صدقة وقد تقرر بالشرع ان
كل ما فعله الادمي مما هو عليه واجب انه فيه ماجور فلما كانت النية بالاحتساب في ذلك الواجب يزيده
خيرا بذلك اخبر به عليه السلام لما كان الزرع والغرس مما هو مباح لنا على لسان العلم وكان فيه خير
متعد للحيوان العاقل وغيره تفضل المولى جل جلاله علينا بان جعل لنا بذلك الخير المتعدي وان
كنا لم نقصد ان جعل فيه اجرا كان ذلك الاكل بحق او بغير حق ولذلك الفائدة اخبر الصادق صلى
الله عليه وسلم بذلك في هذا الحديث وجعله خاصا بالمومنين واما قولنا هل الدواب في الاكل سواء
كانت مما تتملك او لا تتملك لفظ الحديث يعطي العموم والعلة المتقدم ذكرها وهي الخير المتعدي تقويه
واما قولنا هل الطير تلحق بالدواب او لا فان نظرنا الى العلة المذكورة فلا فرق بين الطير وغيره بل الطير

في ذلك اكد لان منه جل معاشه وان نظرنا الى لفظ الحديث فليس ينطلق على الطير لان جعلنا من
باب التنبيه بالاكثر على الاقل لان الدواب اكثر من الطير وان قلنا ان الطير وان كان يطير فهو ايضا
مما يدب على الارض فلا يخرج من عموم الحديث لان كل ما يطير يدب ولا ينعكس وهو لا ظهر والله اعلم
ان يكون عاما في الطير وغيره للوجوه المذكورة وهل يشترط دوام الملك على ذلك الغرس عند الاكل ام لا
احتمل الاظهر ان دوام الملك وعدم دوامه في ذلك سواء وله نظائر في الشرع عديدة منها قوله
عليه السلام اذا انفقت المراة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها اجرها بما انفقت ولزوجها اجر
بما كسب وللخازن مثل ذلك لانهما يعطيان ما لا يملكان ويكون لهما الاجر مثل ما حب الاصل لانهما
كانا سببا في الخير الذي هو الانفاق فكيف من هو سبب في اصل الخير وظهوره وهي الغراسة من باب اولى
ومنها قوله صلى الله عليه وسلم الدال على الخير كفاعله فاذا كان الذي يدل على الخير مثل فاعله وهو
لم يفعل شيئا فكيف بمن كان فيه اصلا ولهذه الفائدة وما تقدم ذكرها وما بعدا جزم الصادق
المصدوق صلى الله عليه وسلم ويأتي في البحث الاول وعموم لفظ الحديث يعطي ولا يخصص لفظة عليه
السلام بغير معارض لان هذا ممنوع وقد جاءت زيادة الى يوم القيمة والله بغيبه اعلم واما قولنا
هل لنا طريق الى معرفة مقدار الاجر فلفظ الصدقة يكفي في ذلك لان الصدقة يكون الاجر فيها بقدر
كبرها وصغرها وهذا مثلها فقد يكون الاكل منه كثيرا وقليلا بل بقي هنا من جهة قوة الطمع في فضل
الله تعالى وعموم الحديث بحث وهو هل يكون ما يا كل هو واهله داخلا في عموم لفظ انسان اولا لانه
واياهم ناس فيرجى ذلك من فضل الله تعالى لعموم اللفظ ومما يؤيد ما تقدم من البحث ما خرجه مسلم لا يغرس
رجل مسلم غرسا ولا يزرع فيا كل منه انسان او طير او بهيمة الا كان له فيه اجر وفي حديث ويأتي في يوم
او كما قال عليه السلام واما قولنا ما الحكمة في ان اخبرنا بهذا وما يترتب عليه من الفقه ففيه وجوه
منها المعرفة بعظم منزلة قدر المومن على غيره لكونه يوجر على اشياء لا يوجر عليها غيره وهو لم يفعل
بذلك قربة ومنها الترغيب في السعي في التصرف على لسان العلم لانه لا يكون هذا الخير وما اشبهه
الا لمن كان تصرفه على لسان العلم كما تقدم البحث فيه ومنها الحض على التزام طريق المفلحين ليكون

له الخير

له الخير في هذا وامثاله ومنها الارشاد الى ترك النيات المفسدة لهذا الخير والترغيب في النيات
المهيئة له لانه اذا علم انه يثاب عليه بحسن النية فيه كما هي عادة اهل التوفيق والاتباع لسلف
الخير ويترتب عليه من الفقه ان عمل الاسباب التي اقتضتها الربانية في عمارة هذه الدار اذا كانت على
وجهها لانها لا تنافي العبادة وفيها اجر وقربة الى الله تعالى ومنها انها لا تنافي طريق الزهد والتخلص
من هذا ان الزهد والرغبة امر قلبي وقد جاء ما يبين هذا ايضا منه صلى الله عليه وسلم حين قال
ليس الزهد بتحريم الحلال وانما الزهد بان تقطع الياس مما في ايدي الناس وان تكون بما في يد الله
اوثق مما في يدك او كما قال عليه السلام وفيه من الفقه الحض على العلم بالسنة ليعلم المرء ما له من الخير
فيرغب فيه فان مثل هذا وما اشبهه لا يعرف الا من طريق السنة ليس له طريق غير ذلك لا يحتمل ولا قياس
وليعلم المرء ايضا ان ما له من الخير يصل اليه وان لم يعلم وكذلك ضده فيحفظ نفسه من الشر وقد جاء
هذا ايضا منه صلى الله عليه وسلم حيث قال ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها اهله لا يبالي بها
يهوي بها في النار سبعين خريفا وانه ليتكلم بالكلمة من الخير لا يبالي بها يهوي بها في النار سبعين
خريفا يرفع له بها سبعون درجة في الجنة او كما يقول عليه السلام وفي هذا الحديث وامثاله ما يقوي
قول اهل السلوك والحذمة لانهم يقولون لم يبق لاهل الفلاح في تصرفهم مباح انما هو واجب ومندوب
لانه قد جاء هذا الاجر في الزراعة وهي من المباحات عند اهل العلم وقد جاء ان المومن يوجر حتى في
بضعة لامراته قيل يا رسول الله ويأتي احدنا شهوته ويكون فيها ماجورا فقال عليه السلام ارايت
لو وضعها في الحرام اليس يكون ما ثوما قالوا بلى قال كذلك اذا وضعها في الحلال كان ماجورا
او كما قال عليه السلام وجاء ان نومه اذا قصد به العون على الطاعة كان فيه ماجورا وهو ما جاء
عن معاذ حين سال النبي صلى الله عليه وسلم في قصته المشهورة فقال صاحبه اقرا القرآن قائما
وقاعدا وافرقه تفريقا ولا انام وقال معاذ اقوم وانام واحتسب نومتي كما احتسب قومتي فشهد
النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بالفقه وجاء في سيرة المكاذ اذا قصد به العون على الطاعة وسمي اولا
ثم قطع وحمد يفعل ذلك دلالة ان المكاسب في جوفه فهذه مع ما تقدم ذكره في الحديث

من الاستشارات في ان جميع تصرفات المؤمن وتصرفاته وشهواته تراه فيها ماجورا فكيف
ماهي قربة بوضعها اما واجبات واما مندوبات فظهرت الادلة الشرعية لتقوية مقالتهم
وطريقتهم المباركة جعلنا الله ممن الحقه بهم بمنه وفضله عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه
وسلم من لا يرحم لا يرحم الحديث ظاهر الحديث ان رحمة الله لا ينالها الا من تكون فيه رحمة والكلام عليه
من وجوه منها قوله لا يرحم ما معناه هل المراد لا يرحم ابدا او انه ليس من طريق الحكم بالعدل فسبب يوجب
له بالوعد الحق رحمة احتمل الوجهين معا بحسب التاويل في قوله عليه السلام من لا يرحم على ما تذكر بعد
وهل المراد بقوله من لا يرحم لا يرحم غيره اما باحسان او بما يكون في معناه من تسل او تعزية او ارشاد
الى غير ذلك من وجوه المسرات او يريد بقوله من لا يرحم لا يرحم اي لا تكون فيه رحمة الايمان التي
هي دالة عليه فلا يرحم لخلوه من الايمان او يكون المراد من لا يرحم نفسه بامتثال اوامر الله تعالى
واجتناب نواهيه لا يرحم لانه ليس له عهد عند الله تعالى او يكون المراد لا يرحم الرحمة التي ليس فيها
ضيم ولا شيء من شوائب التشويشات الا من كان راحما على الاطلاق لنفسه وفي ايمانه كما قال
عز وجل في كتابه ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله اي يحق
لهم الرجا لما اتوا بموجباته فان رجوا بغير عمل فليس ذلك وانما تسمية الحالة امنية والتمني عند هممنا
الهلاك وكقوله عز وجل ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة
الى قوله تعالى اولئك هم المفلحون او يكون المراد اهل المبالغة في الرحمة يتجاوز الله تعالى بفضله
عنهم ويرحمهم كما جاوزوا عن الكريم فان الله اخذ بيده كلما عثر وقد جاء ان يوم القيمة ينادي
منادٍ من له على الله حق فليقم فيقوم العافون عن الناس فيامر بهم الى الجنة من غير حساب
واحتمل ان تكون الرحمة هنا بمعنى الحسنات والاجور فانه لا يوجر ويحسن اليه الا من فعل رحمة
اي عمل يوجب له ثوابا كقوله عليه السلام ان الله لا يمل حتى تملوا من العمل واحتمل ان يكون المراد
لا ينظر اليه بعين رحمة الا من وفق الى الرحمة وجعلت في قلبه فتكون دالة على الرحمة ومن لم يجعل
الله في قلبه رحمة كان ذلك دليلا على عدم الرحمة له في الاخرة وان كان هذه على عمل خير في

الظاهر

٢٨٦

الظاهر لان تلك العلامة لم يجدها وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم ما يبين هذا المعنى وهو قوله
عليه السلام اطلبوا الرقة في ثلاث في الذكر والتلاوة والصلاة فان وجدتموها والا فاعلموا ان
الباب مغلق او كما قال عليه السلام والرقة لا تكون الا مع الرحمة وقد قال صلى الله عليه وسلم
لاعرابي ما املك ان نزع الله الرحمة من قلبك ان الله ليرحم من عباده الرحماء وكما قال عليه السلام
وقد قال صلى الله عليه وسلم في القاسي القلب بعيد من الله وقد قال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بمن يحرم
على النار ويحرم النار عليه كل قريب هين سهل وكما قال عليه السلام وهذه الادلة كلها انما هي ان جعلت
الرحمة في قلبه واحتمل ان يكون المراد بالرحمة هنا الصدقة فيكون المراد بقوله لا يرحم اي لا تدفع عنه
البلا مثل ما حكي عن قصة القصار من بني اسرائيل الذي كان يوذي الناس فشكوه لنبي اسرائيل الزمان
فاخبرهم ان الله عز وجل يرسل عليه بلاء في اليوم الفلاني فلما كان في ذلك اليوم خرج الرجل على عادته
للقصارة واخرج معه رغيفين لغدائه فلقيه مسكين فسأله فاعطاه الرغيفين فلما كان عشية
النهار واذا به راجع ما به شيء فقالوا له لذلك النبي صلى الله عليه وسلم وعلى سيدنا وعلى جميعهم اين الذي
اوعدتنا فسأله ما فعلت اليوم فاخبره باعطائه الرغيفين فامره بجمل زرقة ليأتيه فوجد فيها حية
عظيمة ملجمة بلجام من نار فقال لهم هذا البلا الذي كان ارسل اليه وهذا اللجام هي الصدقة التي
تصدق بها حبستها عنه او كما قدري وقد قال صلى الله عليه وسلم ادفعوا البلا بالصدقة واحتمل
ان يكون المراد الارشاد لجميع مصانع المعروف لقوله صلى الله عليه وسلم صانع المعروف تقي مصارع السوء
واحتمل ان يكون المراد جميع الوجوه كلها لان على واحد منها من السنة ادلة عديدة ويترتب عليه من
الفقه ان يتفقد المرء نفسه في هذه الوجوه كلها لعله ان يكون ممن يرحم وان عسر عليه شيء فليلجأ
الى المولى الكريم لعله يمن عليه بالرحمة واسبابها فهو منان كريم جعلنا الله من اهلها بفضله في الدنيا
والاخرة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار
حتى ظننت انه سيورثه ظاهر الحديث يدل على الحض على حفظ الجار والاخبار بكثرة وصية
جبريل عليه السلام للنبي عليه السلام والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل هذه الوصية من قبيل

الواجب والمندوب وهل الوصية به من اجل الاحسان اليه وان كان من اجل ذلك فاحده او المراد
غير ذلك من ترك الضرر اليه او الجمع وهل ذلك على الاطلاق على اي حال كان الجار ولها شروط
واي حد هو حد الجار من القرب والبعد ومن اي الجهات يكون وهل القريب منهم والبعيد في الحرمة
سواء وهل هي من الامور التي يحتاج فيها الى نية ام لا اما قولنا هل هذه الوصية من قبيل الواجب
او المندوب فهذه الصيغة لا تستعمل الا في المندوبات والمرغبات مثل قول ابي هريرة رضي الله عنه
اوصاني خليلي بثلاث ركعتي الضحى وان اوتر قبل ان انام وصيام ثلاثة ايام من كل شهر وحفظ الجار
من كمال الايمان وهو ايضا مما كانت الجاهلية ترعاه وتحافظ عليه وتفتخر بحفظه وتعيب تارك ذلك
وتذمه واما قولنا ما حد الاحسان اليه فهو على ضربين اما الاحسان اليه بانواع ضروب الاحسان
واما كف الاذى عنه على اختلاف انواعه وكف الاذى عنه اشد وابلغ في حقيقة الايمان حتى يأمن
جاره بوائقه او كما قال عليه السلام فنفي صلى الله عليه وسلم ان يجمع حقيقة مع ازائه الجار والاحسان
اليه من كماله والاحسان اليه يكون بالوجوه المحسوسة مثل الهدية وان لا يمنعه غرز خشبة
في جداره ان احتاج اليها وما هو في معنى ذلك ويكون بالمعنويات مثل ارادة الخير له والدعا
له بذلك بظهر الغيب وما في معناه ومعاونته على شيء ان احتاج اليه بقدر الجهد باي نوع كان ذلك
من المحسوسات او المعنويات كل ذلك على قدر طاقتك بغير ضرر يلحق فيه لغيره واما قولنا هل ذلك على
الاطلاق وله شروط فالجواب انه من وجه على الاطلاق ومن وجه له على شروط فالذي هو على الاطلاق
ارادة الخير له ان لم يكن من اهله والدعاء له في ذلك بظهر الغيب وما في معناه واما الذي له شروط
فانه اذا كان على الاستقامة فالمندوب قد اصاب محله فاحسن اليه ما امكنك من وجوه الاحسان
حسا ومعنى وان كان على غير الاستقامة فواجب عليك كفه عن ذلك ان كان ذلك في قدرتك
او موعظته ان قبل منك والا فهجرانك يعلي على قدر جرمه ويكون يعلم ان هجرانك له من اجل
ذلك لعله يرجع ومن اجل هذا وما اشبهه قيل الجار قبل الدار وقال العلما شوم الدار سوء جارها
واما قولنا اي حد هو حدها فقد تكلم الناس في ذلك فما قيل فيه ان من بينك وبينه اربعون

دارا

دارا فما دون ذلك فهو من جيرانك واما ما يدل على الحديث الذي هو بعد هذا فهو من الاثنين فدون
على ما يقع الكلام عليه في موضعه من الحديث ان شاء الله تعالى واما قولنا من اي الجهات يكون فقد قال
العلما من الاربع جهات ان كانت الجهات حامرة كلها واما قولنا اهل القريب والبعيد في الحرمة سواء
فهذا يحتاج الى تفسير اما في منع الضرر لهم فذلك سواء واما في ارسال الخير اليهم فان مثل المعنويات
فهم في ذلك سواء وان كان من جهة المحسوسات فيعمل في ذلك بحسب نص الحديث الذي يأتي بعد هذا
الحديث وهو تقديم اقربهم منك بابا فعلى السنة عدا ازاتسا واوفي حق الجوار بلا زيادة حق على ذلك فان من الخير
ان من له حق واحد ومن له حقان وهو الذي يكون جارا مسلما ومن له ثلاثة حقوق القرابة والاسلام
والصهر فيكون ازداك المقدم منهم الذي يكون اكثرهم حقا واما قولنا هل يحتاج في ذلك الى نية ام لا
فاعلم ان كل فعل يمكن عمله لله ليمتاز من غيره ويمكن عمله لغير الله والوجهان فيه شائعان على لسان
العلم فلا بد من النية فيه اذا فعل لله ليمتاز من غيره والاحسان للجار هو مما يمكن ان يكون لله
وان يكون لغير الله مثلا تفعل معه مكافات على احسان تقدم له عليك ولمن يلزمه منك
ملزم او يحب فيه او يحب منه او لرغبة في مكافاته او لاحسانه او لخوفه منه واشباه عديدة اذا
نظرتها تجدها فاذا كان لمجرد الجوار فالنية فيه مطلوبة ليتميز من هذه الوجوه كلها وسأتي اليوم
فاعل ذلك وقد ذكر عن بعض اهل الدين والفضل انه كان له احد جيرانه وكان مسرفا على نفسه والسيد
لا يعلم ذلك منه وكانت لذلك المسرف عادة ان كان يفيق من نشوته قريب السحر يرفع صوته
ويقول اضاعوني واي فتى اضاعوا ومسلي في الحقيقة لا يضاع فكان السيد يونس بذلك القول
منه كل ليلة الى ان وقع الحاكم عليه فامر بسجنه فلما كان في السحر لم يسمع السيد القول المعتاد
من جاره فلما اصبح قال للخدم الذي له اذهب الى جارنا فاسأله عن حاله وما كان سبب قطعه
العادة البارحة فرجع الخادم له واخبره بشأنه وما هو عليه فقال السيد لا يمكنني اضاعته
فتوجه للحاكم في صفة فقضى الحاكم حاجته واطلقه ووجهه الى ذلك السيد فلما راه قال اهلا ضيعنا
او فرطنا في حقك فاستحى من ذلك السيد وتاب وحسن حاله تنبيه اذا كنت بوكد

عليك في حق جارك وبينه جدار ويمنع ان يصل منه اليه منك اذاية وتؤمر بحفظه ويصل
الخير اليه فكيف بمراقبة الملكين الحافظين الذي ليس بينك وبينهما جدار ولا حائل وانت تؤذيهما
مع مرور الساعات بدوام التفريط وايقاع المخالفات انظر بعقلك هل يصح لك مع ذلك حقيقة
الايمان او كيف حالك يا مسكين لانه قد جاء ان الحفظة الكرام يسرون بحسنات العبد اكثر ما يسر
العبد بها عند رؤية ثوابها وانما يحزنان ويهمهما من سيائه ومعصيته اكثر مما يحزن العبد اذا
راي جزاءه علينا فاساتك لهما بخطيئتك وانت لا تستحي ولا تنزجر فانتبه يا بطال قبل رفع
الحجاب وغلق الباب اذا كنت نفسك لا تحفظها وجيرانك منك لا يسلمون فالهرب منك ثم الهرب
الهرب وقوله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت انه سيورثه فيه دليلان احدهما انه من اكثر له من شيء
رجي له الانتقال الى ما هو اعلى منه لانه لما اكثرت من جبريل عليه السلام الوصية في حق الجار ظن
سيدنا صلى الله عليه وسلم انه سيلحق الاعتناء به الى ما هو اعلى وهو الميراث وفي هذا دليل لاهل
المقامات والاحوال لانهم يقولون اذا فتح على احد في مقام داوم عليه بادبه رجي له الانتقال الى
ما هو اعلى منه والدليل الثاني ان اعلى الحرمة هو الميراث على ضربين ميراث العوام وهو في حطام
الدنيا وميراث الخواص وهو العلم اذا كان لله وهو على ضربين منقول وموهبي وهو الميراث الذي
ورثه الانبياء عليهم افضل الصلاة والسلام لان الانبياء رضي الله عنهم ورثة الانبياء عليهم السلام
كالذي روي عن بعض الصحابة واظنه ابا هريرة رضي الله عنه انه مر على بعض اصحابه في السوق
فقال لهم اتجلسون هنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد وذلك بعد وفاته
صلى الله عليه وسلم فساروا الى المسجد فاذا ناس من الصحابة رضي الله عنهم يتذاكرون في العلم
فقالوا واين ما قلت فقال ذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الانبياء عليهم السلام
لم يورثوا درهما ولا دينارا وانما ورثوا العلم فمن اخذ به فقد اخذ حظه من الميراث فبان بين
الميراثين فرقا عظيما وهو ان الميراث الذي في حطام الدنيا تدخله شبه الدار وهو الضيق والنقص
بالحجب اما كلي وبعضي وبالقول ايضا نقصان واما ميراث الخصوص فليس فيه شيء من ذلك

بل

بل التوارد واسع ولهم الخير التام نسبة الدار الذي هو لها حكمة حكيم واما الذي فكذلك ايضا وهو
حق بدليل الكتاب والسنة فاما الكتاب فقصة الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام حين قال الخضر انا
على علم من علم الله لا اعلمه انا وهو للشروع وكان من قصتهما ما قص الله سبحانه في كتابه الى قوله وما
فعلته عن امري وقصة ادم عليه السلام حين علمه الله اسما كل شيء بعد ما سال جل جلاله الملائكة
عن ذلك فقالوا لا علم لنا فقال تعالى يا ادم انبئهم باسمائهم كما قص الله سبحانه في كتابه الى قوله
تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وتعليمه جل جلاله اسماء الاشياء كلها حتى اسم القصعة
والقصيعة انما كان بالعلم اللدني بلا واسطة بين ادم ومولاه ولهذا ظهر عجز الملائكة واقروا
به واما السنة ففوله صلى الله عليه وسلم ان من امتي لمحدثين وان عمر منهم وقصته صلى الله عليه وسلم
مع ابي هريرة حين شكا له انه يسمع الحديث وينساه فقال له عليه السلام امدد كساءك فمده ثم
قال ضمه فضمه ثم ثانية كذلك او كما قال عليه السلام فكان ابو هريرة بعد ذلك اكثر الصحابة حديثا وقال
رضي الله عنه حفظت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعاءين وهما ذلك الكنانين الذين ذكرناهما آنفا بثت
منهما الواحد ولو بثت الآخر قطعتم مني الحلقوم او كما قال رضي الله عنه يعني ان جميع تلك الاحاديث التي
رواها انما هي من ضمة الكساء الواحد والصحابة رضوان الله عليهم قد قالوا اكثرت يا ابا هريرة من الحديث
فكانه يقول اذا سبي الواحد افلقكم وقلتم اني اكثرت من الحديث فلو سمعتم الآخر قتلموني لانكم
كنتم تنسبوني الى ان ذلك كذب مني على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقل هذا ابا هريرة وهو يقصد به
الصحابة لانهم رضي الله عنهم يعرف كل واحد منهم فصل خاصه ودينه وانما قال ذلك من اجل
الجهال الداخلين في الدين اذا كانوا يسمعون من الخلفاء واكابر الصحابة رضوان الله عليهم اكثر
ابو هريرة من الحديث وينكرون عليه ذلك وانما انكر من الصحابة من انكر ذلك على ابي هريرة انه لهجه
وانما اراد ان شغله بالتعبد ولي من استغراقه الزمان كله في رواية الحديث فان كتاب الله
قد كتب واثبت بالاجماع وفيه جميع الاحكام وان الصحابة رضي الله عنهم قد نقل عنهم من الحادث
ما فيه كفاية وزيادة فقد حصل من مجموع النقلين وهما الكتاب والسنة ما فيه كفاية

لمن اشتغل بالدين وتوفية ما به امر لان الصحابة والصدر الاول رضوان الله عليهم انما كانت همتهم في
الاعمال لانها لمي ثمرة العلم وكان مذهب ابي هريرة بيت ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
اداء الفرائض افضل القرب كما روي عنه انه قال لو جعلتم الصمصامة في عنقي وعلمت اني انفذ حديثا
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان تجهزوا علي ما فعلت فلم يرجع واحد منهم عما ظهر له
والكل على الحق رضي الله عن جميعهم كما فعل بعض اصحاب مالك معه وكان ذلك الصاحب
ممن قد انقطع الى العبادة فكتب الى مالك يحضه على ترك العلم والانقطاع الى العبادة فارسل
مالك اليه وهو يقول له يا اخي ما انت عليه يا افضل مما انا عليه والكل على خير فلم يرجع اليه او كما قال
فاذا راى الجاهل ابا هريرة بعد ما سمع عن اكابر الصحابة رضي الله عنهم انه اكثر من الحديث قد زاد
في الحديث اضعافا مضاعفة ينسبه الى ما لا يليق به وقد يفضي الامر الى القتل فيكون قولهم ذلك مع
المزيادة في الحديث قاطعا للبلعوم كما ذكر رضي الله عنه لانه من شارك في قتل نفس باي وجه شارك
وان قل من قول او فعل سعي قاتلا لغة وشرعا فلذلك كف رضي الله عنه عن الزيادة وفي ذلك دليل للاخذ
بسد الذريعة وفي فعل سيدنا صلى الله عليه وسلم ذلك مع ابي هريرة دليل لاهل الاحوال الصادقة
المستقيمة على طريق الكتاب والسنة مع اولادهم في السلوك ينتظرون الى الذي فيهم الاهلية فيودونهم
من احوالهم المباركة التي فتح عليهم فيها لانه صلى الله عليه وسلم الاصل في كل خير من علم او حال او عمل
فانه بحر الانوار والحكم والحلي النفيسة وجامع للاعلى من العلوم والاحوال والسهم الرفيعة
بداوعود فكل من كان من اهل السعادة قد اخذ منه شيئا وفي قوله عليه السلام ظننت وجيدا بك
وهو ان ظن اذا كان في طريق الخير جائز شرعا ما صح منه وما لم يصح فانه صلى الله عليه وسلم قد ظن
انه سيوريه ولم يقع ذلك ففائدة اخباره عليه السلام لنا بذلك لنا خذ منه الدليل على جواز ذلك
والفرق بينه وبين الظن السوء بانه ممنوع شرعا كما قال عز وجل ان بعض الظن اثم وفي ذكر دليل على التطلع
في زيادة خير المولى سبحانه عند تولي نعمه على عبده بلغ ذلك حده او لم يبلغه لانه اي تولي نعم اكبر من
كبره تردد جبريل عليه السلام بالوصية في حق الجار الى حق البشر صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على

الندب

الندب الى التحدث بما يقع في النفوس من الخير قضي بذلك امر لا وقد قيل في فضل مولاك فاطمع ان
كنت طامعا فليس عار على عبد في فضل مولاه طمع عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان
لي جارين فالى ايهما اهدي قال الى اقربهما منك بابا ظاهر الحديث يدل على ان اقرب الجيران منك بابا
اولى بالهدية من غيره والكلام عليه من وجوه منها ان يقال حمل هذا على طريق الاستحباب والوجوب
فالجواب اما ان يكون ذلك على الوجوب فليس بظاهر لان الهدية لم يقل احد انها واجبة فاذا
كان الفعل في نفسه مندوبا فتقديم الناس بعضهم على بعض من باب المندوب ايضا فانه لا يكون
الفرع اقوى من الاصل وفيه دليل على ان المستحب في الاعمال الاخذ بما هو اعلى يوخذ من ارشاده
صلى الله عليه وسلم لما هو الافضل في الترتيب بين الجيران واعظم حرمة اليس انها لو اهدت لغير
الاقرب بابا لكانت ساجورة في هديتها فلما كان الاقرب اعظم حرمة كان بالمعروف اولى وكان
صاحبه اكثر اجرا وكذلك السنة في غير ذلك من افعال البر يويد ذلك ويقويه قوله عز وجل في كتابه
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب وفيه دليل على تقديم العلم على العمل يوخذ
ذلك من سوالها رضي الله عنها قبل علمها وفيه دليل لاهل الطريق لانهم يوخرون العمل لاشتغالهم بتصحيح
النية يويد هذا قوله صلى الله عليه وسلم خير العمل ما تقدمته النية او كما قال عليه السلام وفيه دليل على
الجواز الذي وكد في حقه على نحو الحديث قبل انه ما يتعدى الى اكثر من اثنين وما عداه اخفض رتبة
في الطلب فاوجب ذلك تاكيدا كما على غيره وفيه ايضا دليل على ان اكد الجهات في الجواز جهة الابواب لان
الذي هو اقرب منك بابا هو الذي تكثر مشاهدته لك ولكل ما يرد عليك وقد يعلم من حالك لكثرة الملازمة
ما لا يعلمه غيره وانت ايضا تعلم من حاله كذلك وهذا كله اذا كان الجوار على الشروط المتقدم ذكرها
في الحديث قبل وعري عن الحقوق الزايدة عليها كما تقدم ايضا وفيه دليل على ان ان الندب الى حفظ
الجار الرجال والنساء فيه سواء ويوخذ ذلك من قولها الى ايهما اهدي فانها سالت عن ما يخصها في ذلك ولو
كانت نائبة عنه صلى الله عليه وسلم لقالت الى ايهما تهدي تنبيه القرب باب وجد كان له حرمة ما
اما ترى الجار قد جعلت له حرمة من اجل الجوار بالجدار وان كان كافرا ففيه ارشاد الى ان

يكون لكهنة فيها فحولية لعل قربك يكون من النوع الذي لا قطع له فان قرب الكافر من جوار الجدار
ينقطع بانقطاع عدة الدار والقرب بمناسبة الطريقة والحال يتاكد حقه في تلك الدار كما جاء في الاثر
عمار المسجد جيران الله فاذا كانوا جيرانه في هذه الدار فكيف يكون حال حرمتهم في تلك الدار وما جاء فيهم
واشوقا اليهم ما احسن ما اثنى عليهم مولاهم حيث قال في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه
يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء
الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله
فثواب اعمالهم محدود معلوم وما كان من فضله عز وجل فلا تصل اليه العقول ولا تحيط
به الاوهام جعلنا الله من اهل القرب المقربين بفضله كما يليق بفضله وصلى الله على محمد نبيه وعبده وآله وسلم
عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل معروف صدقة الحديث ظاهر الحديث يدل على ان
كل من عمل عملا من اعمال المعروف له فيه اجر او حسنة مثل ما له في الصدقة اذا تصدق بها والكلام
عليه من وجوه منها ان يقال هل المراد بالمعروف الشرعي والعادي وهل فاعله يحتاج الى نية وحينئذ يكون
ما جورا او بنفس فعله يكون ما جورا وان عري عن النية وهل هو محدود معلوم لا يزيد ولا ينقص او هو
معلوم غير محدود ويزيد وينقص بحسب الازمنة اما قولنا انه قد عرف وتحقق انه من افعال
الخير فصار هذا الاسم له علما واما قولنا ما المراد بالمعروف فالمراد به هل ذلك شرعا او عادة
فلا ينطلق اسم معروف الا على ما قد عرف بالادلة الشرعية انه من افعال البر كان مما اصله اولا
مخترعا بالشرع او كان فاقرتها الشريعة ان جعلته معروفا فمثال ما اخترعته الشريعة معروفا
ولم يعلم قبل انه من وجوهه مثل الحب في الله تعالى والبغض في الله اذا كان بشروطهما وما يشبههما
وهو كثير ومثل اماطة الاذى من الطريق وما اشبهه وهو ايضا كثير ومثل انواع الاذكار وما
في معناها وهو ايضا كثير ومثل انواع المندوبات واما ما كان عادة بين الناس واثبتت الشريعة
انه معروف فهو مثل السلف فانه كان عادة بين الناس اثبتت الشريعة فيه من الاجر كثيرا حتى ارتفع
الحق الواجب الذي فيه من الزكاة طول بقائه عند الذي استسلفه فاذا بقي مال القرض الذي فيه

نصاب

نصاب عند الذي استسلفه سنين عديدة ثم قبضه صاحبه لا يجب عليه فيه سنة واحدة لا غير ومثل اعارة
متاع البيت كان الناس يفعلونه عادة فجاءت فيه من الاجر ما جاءت الادلة الشرعية تحض عليه حتى
قال بعض العلماء انه واجب ومن هذا النوع كثير وقد جاء في بلوغ اجورهم انه من اعار قدرا كان له من
الاجر بقدرها طبخ على تلك النار وتصدق به وكذلك في سلف الخميرة او هبتها وكذلك الملح واما قولنا
هل يحتاج الى نية عند فعله او بنفس الفعل يكون ما جورا وان لم تحضره نية فهذا يحتاج الى تقسيم
وذلك ان العلماء قد اجمعوا ان افعال البر كلها اذا وجدت فيها النية مقدمة فلا خلاف في
كمالها ورجاء قبولها وبقي الخلاف فيما عدا ذلك هل يجزي مطلقا او لا يجزي مطلقا او بالتفرقة
البعض يجزي والبعض خلاف متسع وترك اولى واما قولنا هل هو محدود معلوم لا يزيد
ولا ينقص وهو معلوم غير محدود يزيد وينقص بحسب الاحوال والازمنة فان نظرنا بحسب
الوقايع وطرقها فتزيد في زمان وتنقص في اخر لكن الشان هل نعلم جميع انواعها مفصلا هذا ما قدر
احد من العلماء ان يحصره لانه قد جاء عن سيدنا صلى الله عليه وسلم انه بلغ عدد المستحقرات من الافعال
البر الذي اعلاها منحة العنز ومنحة العنز عند العرب من الاشياء التي لا يبالي بها سبعين وقد روي
عن الصحابة رضي الله عنهم انهم قالوا عددناها بعد ما قدرنا على ان بلغ فيها اكثر من خمسة عشر
وهي مثل اماطة الاذى عن الطريق ومثل ان تلقى اخاك بوجه طلق ومثل الكلمة الطيبة ومثل
الدال على الخير كفاعله ومثل ارشاد الى الطريق وما في معناها فاذا كانوا اولئك السادة لم يقدروا ان يحصروا من السبعين
الا خمسة عشر مع اهتمامهم بالدين وجمعهم على ذلك فكيف بمن بعدهم لا سيما في زماننا هذا
وهنا اشارة لطيفة وهي انما خفيت افعال المعروف لرقة اكثرها اشبهت اخفاء ليلة القدر واخفاء
الساعة في يوم الجمعة وليلة القدر ترقب في لياليها المعلومة لها والساعة التي في يوم الجمعة ترقب في
جميع يومها فينبغي ان ترقب افعال المعروف مثلهما وكيفية ذلك ان تحضر النية في اول يومه لانه
لا يفعل فعلا من افعال او يتكلم بكلمة الا وباديها القرب الى الله تعالى فما وقع له من ذلك فان جد
له نية فهو الكمال وان حصلت له غفلة حين وقوع ذلك منه فيرجى ان ما تقدم ذلك من النية

يجزي عنه ما لم يكن لتلك النية مناقض وقد تقدم ان الافعال قسمان واجب ومندوب بالنسبة
الى النيات واما المباح فلا سبيل اليه عند اهل الطريق فاذا فعل ذلك يرجى ان يصادف كل معروف
كما يصادف ليلة القدر والساعة التي في ليلة القدر الجمعة من ارمقها والله الموفق ويكون في ذلك
مستعينا بالله مستعيذا به ومستعينا خوفا ان يوكل الى نفسه فيقطع به نواه فيحصل والعياذ
بالله في المقت بقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وبقي عليه
كيفية التوجيه بحسن النية في جميع الحركات كيف تكون حتى يسلم من البدع وتكون في ذلك على لسان
العلم وهنا اشارة وهي حسنة وهي انه لما خفيت هذه الفوائد علينا كما خفيت ليلة القدر وجعلوا قيام
السنة كلها بنية ليلة القدر كما تقدم عليه حين تكلمنا على ليلة القدر قالوا هنا نحن نجعل حركاتنا
كلها مباحها وغير ذلك كلها بنية القربة لله تعالى كما اوصينا من افعال البر التي ينبه عليها صلى الله عليه وسلم
ولم نصل الى معرفتها فقد يحصل لنا المقصود ان وقع منا فعل ونية حسنة متقدمة وما كان من
المباح وفعلناه بنية القربة ولم نصادف تلك الاشياء فلا يضرنا ذلك وهو وجه حسن لانا نؤجر ما قالوا
في الاجر واصابته بفضل الله تعالى وما قالوا فانه اذا لم يصب من ذلك شيئا لا يضره وانه لا يخلو في ذلك
الوجه من الاجر ايضا لحرصه على اصابة الخير واتباع السنة وقهره نفسه حتى نفى عنها المباح الذي
لها سعة فيه وملازمته ذلك ابتغاء مرضات مولاه العليم الكريم وكيف يضيع ذلك ومولاه جل
جلاله يقول في كتابه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا بل يرجى ان يزيده مع الاجر في ذلك
النور والهدى الى سبيل الخير بالوعد الجميل ومن اصدق من الله قيلا ومن اصدق من الله حديثا
لكن بقي علينا كيف توجيه حسن النية في جميع الحركات على نحو ما اشاروا اليه كيف يكون حتى نسلم
من البدع ونكون في ذلك على لسان العلم فنقول والله المستعان لا يخلو ما يتصرف فيه العبد ان
يكون فيما يخص نفسه او ما يخص غيره فان كان فيما يخص نفسه فلا يخلو ان يكون من النوع الذي
فيه قربة الى الله تعالى فهذا قد عزم بنفسه او يكون مما ابيح اليه فعله على لسان العلم فيجعله بنية العون
على طاعة الله وقد الامر في ذلك وجل دليله في ذلك قول معاذ رضي الله عنه في نومه واحتسب

نومتي كما احتسب قومتي وقد تقدم الكلام عليه في غير ما موضع وان كان فيما يخص غيره فلا يخلو
ان يكون مع حيوان على عاقل مثله او غير عاقل فان كان عاقلا فلا يخلو ايضا ما يتصرف فيه ان
يكون مما قد تبين ان فيه قربة الى الله تعالى فقد من الوجه وان كان لم يتبين فيه ذلك فيكون
بنيته في ذلك احد النيات المستحسنة شرعا وهي اما من باب ادخال السرور او من باب شفقة
الاسلام او من باب العون على ما فيه وفق في شانه او من باب الرفق لقوله عليه السلام ما كان
الرفق في شيء الا زانه او من باب اتباع حكمة الله تعالى الجارية في ذلك الوجه او من باب اتخاذ
الخير عادة مطلقا او ما في معنى هذه النيات انها تكن في ذلك الامر فعله ويتحرز في ذلك من الريا
وطلب المدح على ذلك العوض او ما يقرب من ذلك وان خفي سواكان فعلا او قولا او نية وكم روي فيما
يشبه هذا النوع من حسن النية لتغير في مرضاص ان بعض المسرفين على نفسه مات ولم
تعلم له حسنة قط فراه بعض المباركين في نومه في حالة حسنة فقال بم نلت هذه فقال لم
يوجد لي حسنة واحدة الا اني خرجت يوما في سرية من سرايا المسلمين فغنمت فبلغني ذلك ففرحت
لكون المسلمين غنموا فغفر الله لي بذلك فانظر الى هذا الخير ما ارقه واخفاه وانظر الى هذا الفضل
ما اعظمه واعلاه ومن هنا فتنبه وان كان الحيوان غير عاقل فبان المعروف فيه لقوله صلى الله
عليه وسلم في كل كبد حرا اجرا لانه فتحرز ان يكون لولوع به او لمنفعة ترجوها منه او عليه ولحظ
ما من الحظوظ النفسانية فتلك ابواب قد عرف ما فيها وما على الداخل فيها وماله على حسب ما قد
بيناه في غير ما موضع من الكتاب وليس هو من هذا الباب الذي نحن بسبيله بشيء وفي الحديث
فايدة لطيفة وهي الحض لك ان ترد ما لك الى باب المعروف فتعلمه وتعمل به لانه باب واسع كان
ان لا يخلو من وقف الى علمه والعمل به من دوام الخير ليلا ونهارا فلا تجهل فنقول لا تكون الحسنة
الا في الصدقة بالمحسوس ويفوتك خير كثير وانت قادر عليه وليس عليك في الكثرة شيء من
المشقة والصدقة بالمحسوس قد لا يقدر عليها بعض الناس وهذا منه صلى الله عليه وسلم من احسن
الارشاد جزاه الله عنا افضل ما جزى نبيا عن امته بفضله وجعلنا من مباركيها في الدارين بمنه

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلي جوف احدكم قيحا خير له
من ان يمتلي شعرا ظاهر الحديث يدل على ترجح ان يمتلي الجوف قيحا الذي هو عين الهلاك
على ان يمتلي شعرا والكلام عليه من وجوه منها ما يعني بجوفه ومنها هل قوله شعرا على عمومه او ليس
ومنها ما معنى يمتلي شعرا هل الكثرة حفظ الشعر او هل يتعلق الخاطر به ومنها ما الحكمة في ان
مثل بالقيح دون غيره اما قولنا ما معنى جوفه احتمل وجهين احدهما ان يعني به الذي في جوفه
وهو القلب واحتمل ان يكون على ظاهره فيعني الجوف كله وما فيه من القلب وغيره والاول اظهر
والله اعلم واما قوله ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم شعرا هل ذلك على العموم من اي نوع كان الشعر
او على الخصوص احتمل اللفظ لكن قواعد الشريعة تخصصه لان ما كان من الشعر في مدحه صلى الله عليه
وسلم فهو قربة الى الله تعالى وقد كان هو صلى الله عليه وسلم يحض عليه مثل قوله عليه السلام لحسان
اجبهم عني فقال له حسان والله لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين وما كان منه في
تنزيه الحق سبحانه فذلك قربة ايضا وما كان منهم يحض على الاخرة ويزهد في الدنيا فذلك من
باب الوعظ والتذكار بالخير وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة فما كان منه حكمة
فكيف ما لا الجوف بالقيح خير منه هذا لا يمكن فيكون اللفظ عاما ومعناه الخصوص والله اعلم وعلى
هذا المتقدم فيكون المحذور منه مثل النوع الذي ذمه مولانا جل جلاله في كتابه حيث قال والشعراء
يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون وذلك مثل شعر الجاهلية
وتعريضهم فانهم كانوا يتغزلون في مدح النساء وذكرهن وغير ذلك من الوجوه المحركة للشهوات
وحبها وحب الدنيا وفخرهم بما لا يجوز شرعا وما في معناه ولذلك ذكر عن بعض اهل الطريق وكان من
اكابر وقته انه جاءه بعض الناس بابنه بعد ما علمه العربية والادب ورغب منه ان يقرا عليه شيئا
من طريق القوم لعله ينبعث له همة فقال له لا افعل لانك اتيت الي به بعد ما ملات قلبه بالشعر
وخالط مشامة الشهوات وحب الدنيا فما عسى ان افعل فيه فامتنع منه ولم يقبله وهذا اشارة
لطيفة كما قال صاحب الرسالة واولى القلوب بالخير ما لم يسبق السر اليه واما قولنا ما معنى

يمتلي

يمتلي شعرا هل المراد منه الذي يكثر من حفظ هذا النوع من الشعر او المراد به من تعلق به خاطره
حتى يكون به مشغوفا بترداده وذكره والنظر فيه او مشغوفا به وبنظمه والسآمة واختراعه
ومعارضة من تقدم من اهل ذلك اللسان احتمل الوجوه كلها لكن الاظهر والله اعلم ان المراد هو الذي
علق به خاطره التعلق الكلي الذي يلهيه عن غيره كان ممن يخترعه وينشيه او ممن ينقله ويحفظه
وقد اعوم به فالوجهان سيان مثل الذي يبتلي بحب الدنيا كان بيده منها شيء او لم يكن الكل من غلب
عليهم حب الدنيا من اهلها يحسبون واما قولنا ما الحكمة في ان مثل بذكر القيح فاعلم وفقنا الله
واياك ان تمثيله عليه السلام بالقيح من اعظم الحذر عما مثل به وذلك ان اهل صفة الطب يزعمون
انه اذا وصل الى القلب من الدآء شيء وان كان يسيرا فان صاحبه يموت لا محالة لانه عضو رئيس
لا يحمل من الالام شيئا وان غيره مما في الجوف مثل الكبد والرية الى غير ذلك ان الالام اذا كانت
في بعضها ان ذلك من الامور المخوفة والغالب على صاحبها الهلاك فكيف اذا امتلا الجميع بالقيح
لا شك في هلاك صاحب ذلك لا تراي انه اذا كان بعض الانامل فيه بثات عند اخذه في جميع القيح
لا يهنا لصاحبه عيش ولا حال وان ايضا صاحب ورم الاكباد يموت بخبول الدماغ من هول ما يقاسي
فترجيحه صلى الله عليه وسلم هذه الحالة التي ذكرناها على الشعر الذي فيه راحة النفس انما ذلك لجمعه
عليتين وهما شغله عن الله تعالى بما لا يجوز من ذكر التي يتضمنها بقول الشعر لانه قال صلى الله عليه
وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت ولما كان الشغل به هنا مكروه او حرام
كانت الموتة على الحالة المذكورة خيرا له وهنا بحث هل يتعدى الحكم بوجود العلة ام لا الظاهر تعديه
لان كل ما يشغل عن الله تعالى فصاحبه محروم فان كان يحرم من اي المحرمات كان فالموت على
هذه الحالة المذكورة خير له مما هو فيه تنبيه اذا كان ملوه بالقيح خير له من الشعر وما فيه الا
العلتان ذكرناهما فكيف اذا امتلا بعلم الجدل وما يشبهه لان تلك العلوم تقسي القلوب وتشغلها عن
الله تعالى وتحدث الشكوك في الاعتقادات وتطيل اللسان وتزرع الحسد في القلوب والتنافس
وتفضي الى التباغض والتحكم على القدر بما شيا لا يوافقها الادلة الشرعية فكيف يكون حال صاحبه

وفيه تنبيه على ترك حظوظ النفس والعوائد السوء يوخذ ذلك من ان سيدنا صلى الله عليه وسلم بعث
والعرب في معظم فصاحتها واستفالها بالشعر وتنافسها فيه فزجرهم النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك بهذا الزجر العظيم الذي تضمنه الحديث ويترتب على ذلك من الفقه ان شغل الباطن بغير
ما يرضي الله اعظم الامور المهلكة ولم يجعل له مخرج والامور الواقعة في الخارج من الكبائر والصغائر
وبينهما جعلت فيها الحدود والكفارات الى غير ذلك مما هو معروف من قواعد الشرع ويترتب
عليه ايضا ان الزجر كان لنفسك او لغيرك او يكون بحسب الشيئ المنهي عنه من قوة اولين حتى
يكون عاصما لتلك المادة الردية وفيه دليل لاهل المجاهدات على قدر عفيتها حتى انقادت
وقد ذكر عن بعضهم ان نفسه كان فيها رعونة فجاهدها عشرين سنة باكل نشاة الخشب ولم
يطعمها خبزا صلاحتى انقادت واستقامت لما اريد منها ومثل ذلك اللسان في قطع العوائد
السوء ولا ينظر في ذلك الى كثرة انتشارها في الناس وانما ينظر فيها بلسان العلم هل يجوز ام لا
وعلى ذلك يكون العمل في طريق النجاة جعلنا الله من اهلها في الدارين بمنه وفضله عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الغادر ينصب له لواء يوم القيمة فيقال هذه
غدرة فلان بن فلان ظاهر الحديث يدل على فضيحة الغادر يوم القيمة ينصب له لواء غدرته وشهرته
بها على جميع العالم هناك والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل الغدر على عمومه او في بعض
مخصوصة وهل له عذاب غير ذلك ام ليس وهل لكل غدرة تكون منه ينصب له بها لواء او لواء واحد
يكفي عن جميع غدراته وهل تعرف الحكمة في ذلك ام لا اما قولنا هل الغدر على عمومه او في بعض الاشياء دون
بعض اما ما عدا الاشياء المحرمات والمكروهات التي قد خرجت بيانها فهو عام في الارق من الامور والجل وهذا
باب ضيق لم يسامح فيه احد من العلماء في ذرة حتى انهم قالوا في الاسير اذا كان في دار الحرب وقال
له العلج الذي هو في يده عاهدني على ان لا تهرب وانا اسرحك من الحديد فان عاهده وسرحه
من الحديد من اجل عهده فلا يحل له الهروب بخلاف ان لو كلفه اليمين فله اذا خلفه ان يهرب ويكفر
عن يمينه اما ترى ان حال الغادر في كتاب الله عز وجل حيث قال ومنهم من عاهد الله لئن

اتينا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتيهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون
فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فاورثهم غدرهم
لولاهم بخس الاحوال وهو النفاق واما قولنا هل له عذاب غير ذلك فالعذاب له بحسب ما قدر عليه
وانما هذه العلامة التي يعرف بها يوم القيمة لانه قد شاءت الحكمة الربانية ان جعلت لكل صاحب
ذنب علامة يعرف بها ذنبه مثل شاهد الزور يبعث مولفا لسانه بالنار واكل الربا يتخبط مثل صاحب
الجنون في الدنيا والذي يطلب وليس بذي حاجة ليس في وجهه مزعة لحم والنائحة لها سربالان
احدهما من الجرب والاخر من القطران ومانع الزكاة ان كانت ابلا بطح له بقاع قرقر فجات
او فرما كانت تطوه باخفافها وتعضه بافواهها كلما مر اخراها ردت اولاها حتى يقضي الله
تعالى بين عباده ثم يرى سبيله وان كانت غنما فمثل ذلك الا انه قال تنطحه بقرونها وتطوه
باظلافها وان كان حاله ذهبا او فضة مثله شجاع اقرع يعضه في شدقيه يقول انا مالك انا كنزك
والمتكبرون يبعثون مثل الذر واكل اموال اليتامي لسعة النار تخرج من منافن جسده وشارب
الخمر الكوز متعلق في عنقه والكذاب ينشق شدقه كما تقدم في الحديث والملعنا بون الناس تقرض
شفاههم بالمقارض او كما ورد في ذلك فهذه كلها علامات على كل ذنب حتى يعرف به صاحبه
وهي اشياء عديدة بحسب الجرائم وكفى في ذلك قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم عاذنا الله
من الذنوب والفضيحة بها ولم يكن فيها الا هذا المقدار لكان كافيا في الردع والازدجار
فكيف بالامور الزايدة على ذلك الذي لا تحمله الجبال واما قولنا فمن له عذرات هل تنصب له الوية
بعددها او لواء واحد ظاهر الحديث يعطي ان لكل غدرة فلان بن فلان وجاء في حديث غير بقدر غدرة
واما قولنا هل يعرف الحكمة في كونه جعلت شهرته بنصب اللواء لا فنقول والله اعلم قد عرفنا
من حكمة الشريعة ان العذاب على الشيئ يكون بما يضاده وان الشهرة هناك من جملة العقاب
ايضا فلما كان الغدر هنا امرا باطنيا خفيا جعلت علامته هناك اشهر الاشياء لان عادة العرب
ان اشهر الاشياء عندهم انما يكون برفع الالوية وقد جاء في حديث اخر انه ينصب عند استه او كما ورد

وهذا مبالغة في التوبيخ والتخزي جزاء وفاقا وفيه دليل على ان المعرفة في الاخرة مثل المعرفة هنا
يوخذ ذلك من قوله فلان بن فلان وكما ان المعرفة هنا بالاباء فكذلك هناك تنبيه اعرض
يا فلان بن فلان على نفسك حين وصف لنبي صلى الله عليه وسلم ابواب الجنة وذكر ان لكل باب
منها من اعمال الخير نوعا يدخل اهله من ذلك الباب وان اهل الصوم يدخلون من باب الريان
فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما على من يدعى من تلك الابواب كلها فقال له صلى الله عليه وسلم
ارجو ان تكون منهم وكما ورد وكيف حال من اجتمعت عليه وفيه تلك العلامات القبيحة
على ما فرط من الزكاة وغيرها من المتقدم ذكرها وايات عذره تخفق عند لستة فاجعل
نفسك بين هاتين الحالتين واخر الي ايهما تقرع بالاعمال لا بالطمع والامال والكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني جعلنا الله
من اهل الكيس واعاننا عليه واسعدنا به عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن
احدكم خبثت نفسي ولكن ليقل تعست نفسي ظاهر الحديث النهي عن ان يصف احد نفسه
بالخبث ولكن ان ظهر له منها ما لا يعجبه يعبر عن ذلك بقوله تعست نفسي والكلام عليه من وجوه منها
ان يقال هل النهي هنا على طريق الكراهة او الحظر وهل الامر بقوله تعست على طريق الندب او على طريق
الوجوب وان كان على طريق الندب هل يغير بغير هذه الصيغة امر لا وما الحكمة في صيغة من قول الخبث
وهل يكون المنع من هذه اللفظة لاعيرا ولما هو في معناها اما قولنا هل النهي على طريق الحظر
او الكراهة احتمل والظاهر انه على طريق الكراهة بحسب ما اعلمه بعد واما قولنا ان كان على
الندب يغير بغير تعست فالجواب ان الاولى في المندوب صيغة لفظه صلى الله عليه وسلم الماضي في ذلك
من الخير وان عبر بما في معناها فقد خرج عن النهي عنه ودخل في باب المندوب الا ترى انه ترك الاولى
من المندوب لتركه اللفظ المبارك واما قولنا ما الحكمة في نهيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك فان قلنا
تعبد فلا بحث وان قلنا الحكمة فما هي فالعلم وفقنا الله واياك انه عليه السلام كان يعجبه الفال الحسن
ويكره السيء منه فكراهيته عليه السلام لذلك اللفظ الخبيث لوجهين والله اعلم احدهما

لكراهيته

١٠٤

لكراهيته من ان يكون فالا فانها لفظة ثقيلة كما نهي عليه السلام ان يسمي احد عبده او ابنه خيرا
خيفة ان يقول طالبه هنا خير ولا يكون حاضرا فيقال ليس هنا خير والوجه الثاني كراهية ان يشهد
المرء على نفسه بالفسق لان الفاسق والكافر والفاجر نفس كل واحد منهم خبيثة فلما كانت تلك
اللفظة تحتمل جملة معان قبيحة منع عليه السلام المومنين ان يعبروا بها عما يجدوا في نفوسهم
مما لا يرضوه من عمرها او ما يشبهه وابدل لهم لفظة حسنة وهي قوله تعست وهذا من
نوع الفال الحسن ويترتب على هذا من الفقه ان يطلب المرء انواع الخير حتى ولو بالفال الحسن
ويضيف الخير الى نفسه ولو بنسبة ما وان ضعفت طمعا في فضل الكريم الجواد ويدفع عن نفسه الشر
ويكرهه حتى التفاول به ولا يكون بينه وبين اهله صلة ويقطعها القطع الكلي حتى في الالفاظ المشتركة
التي تقع معبرة عن حاله وحالهم يعدل عنها خيفة شومها اعاذنا الله من ذلك عنه ومما يقوي ما اشرنا
اليه ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه اتيه اعرابي فسأله عن اسمه واسم ابيه واسم
قبيلته وابن منزله فكني عن كل واحد باسم من اسماء النار فلما سمع عمر رضي الله عنه قوة شبهه
باهل النار لتراد فاسمائها في كل ما سماه من نفسه حتى الى منزله قال له الحق باهلك فانهم قد احترقوا
فذهب الاعرابي الى اهله فوجدهم قد احترقوا كما اخبر رضي الله عنه واما قولنا هل النهي عن هذه اللفظة
لاغيرا وعنها وعما في معناها فاذا قلنا بتعليل قوله فينبغي المنع منها وما في معناها العلة المذكورة
لاسيما ما ذكرنا عن عمر رضي الله عنه آنفا وان قلنا تعبد فلا يتعدى الحكم الى غيرها وليس بظاهر
ويجب بالقول بالتعليل ان يمنعوا ما اخذه اليوم بعض الناس انه اذا كان به شيء يقول نفسي
ليست بطيبة وانا ليس بطيب يخرج نفسه من الطيبين فاذا اخرجها عن الطيبين الحقها
بالخبيثين وكذلك كلما كان من هذا النوع المنع فيه هو الاولى وفيه دليل على كثرة شفقته
صلى الله عليه وسلم على امته يوخذ ذلك من نهيه عليه السلام عن هذا وما اشبهه وفيه تنبيه لاهل
القلوب لان من الالفاظ والحركات ما هي اشارة من الغيب لمن فهم ولولا ذلك ما كان ينهى هذا
السيد صلوات الله عليه وسلامه عن هذا واشباهه ومما يروي عن بعض اهل القلوب انه خرج

متوجها في حاجة فقابله دكان صاحب الحاجة وهو قد نزل الى حاجة له وجعل على دكانه عودين
على شبه لام الف فلما راها الفقير رجع فقيل له في ذلك فقال لهم اما تروا على دكانه العلامة على
انها ليست عنده فقالوا وما هي فقال لام الف عبارة عن لا شيء هنا فلما كان بعد بجينة سأله
بعض اصحاب الفقير عما قال فقال صاحب الدكان صدق الفقير الحاجة لم تكن عندي ومن قول بعضهم
ما يقوي هذا المعنى قوله الاعتراض على الرموز حفا ان فهمت والا فلا تعترض على ما ليس لك به علم
ومما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن ينظر بنور الله فمن نظر بالنور فهم موضع الاشارة
ومن لم يكن له نور لم يلتفت الى شيء وبقي مثل البهيمة فاما ان يجعل الكل رموزا فيخرج بذلك
الى باب عظيم من الفساد واما ان يسد هذا الباب مرة واحدة فتفوته هذه الرموز وتغطى عنه فهذا في حقه
اسلم له اذا سلم الامر الى اهله وهذا انما هو لاهل الميراث والنور والتوفيق عمن ذكرنا عن عمر رضي
الله عنه فيما تقدم من الكتاب ومن رزقه الله من ذلك الميراث والنور والتوفيق نسته مما
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انما انا قاسم والله يعطي فوجوه الخير على يده عليه الصلاة والسلام
تتابعت وقسم ما قدر له جعلنا الله ممن اجزل نصيبه من تلك انه ولي حميد عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله يسب ابن ادم الدهر وانا الدهر بيدي
الليل والنهار ظاهر الحديث يدل على المنع من سب الدهر لانه يعود الى سب خالقه ومصوره وهو الله
سبحانه والكلام عليه من وجوه منها ان هذا صيغة الخبر ومعناه الزجر والمنع لانه ممنوع وشبهها
ومنها هل سب الليل والنهار اعيانهما هو المنهي عنه او سب ما يجري فيهما من الحوادث والنوازل
كانت على ايدي البشر او بغير واسطة البشر وهل هذا المنع يتعدى الى غيرها من المخلوقات او لا وهل
يمنع ما يشبهه او يقاربه لسب سم السم والمسموم وما في معناهما او لا يمنع الا السب لا غير وما الحكم
فيمن فعل ذلك ما قولنا هل الممنوع سب اعيان الليل وما يجري فيهما من الحوادث فهذا لا يخفى
على ان من سب الصنعة فقد سب صانعها ولا يكاد هذا يخفى على احد حتى يأتي ذلك هذا العتب وانما
الظاهر سب ما يجري فيهما من الحوادث وهذا هو الذي يقع فيه كثير من الناس وهو الذي يغطيه

سياق

سياق الحديث لقوله بيدي الليل والنهار ففي عنهما ان يكون لهما تاثير فيما يجري فيهما من
الامور والحوادث والامور والحوادث التي تجري فيهما على نوعين بواسطة الحيوان العاقل
المكلف في هذا يضاف شرعا ولغة الى الذي اجري على يديه وان كان في التحقيق بقضاء الله تعالى
وقدره لان افعال العباد كسب لهم قد ترتبت عليها الاحكام بالثواب والعقاب بمقتضى الحكمة
الالهية وهي في الانشاء والاختراع خلق الله سبحانه لا خالق الا هو سبحانه وتعالى علوا كبيرا وما
جرى فيهما بغير واسطة احد من خلقه فذلك منسوب الى قدرة القادر ليس لليل والنهار
في ذلك فعل ولا تاثير لا عقلا ولا لغة ولا شرعا وهو المعني في هذا الحديث والله اعلم وكذلك ايضا
كلما كان صادرا عن الحيوان غير العاقل فهو مضاف الى القدرة ان لم يكن ذلك بتسبب العاقل المكلف
ولذلك جعل الشارع عليه الصلاة والسلام حرجها جبارا اي ليس فيه ارش ولا قود ولا دية ولذلك
الحكم في الجمادات كلما يكون منها ينسب الى القدرة ايضا مثل حائط يقع على احد وجل ينهد
او ثمرة تضربه او تسقط عليه او ما يفرق فيه او ما يشبه هذه كلها منسوبة الى القدرة والسبب
لها سبب لمصورها وظهرت بقدرته وفيه دليل على نفي الافعال عن غير العاقل المكلف من جماد
وحيوان غير عاقل فسبحان من اظهر قدرته اين شاء بلا احجاب عليها وحجبها حيث شاء
بما يريد حكمته فجاءت الحكمة شاهدة للقدرة والقدرة شاهدة للحكمة حكمة بالغة فما تغني النذر
واما قولنا هل يتعدى المنع الى سب غيرها فاعلم ان كل حكم كان منوطا بعلة فحيث وجدت
العلة فالحكم ثابت لازم فلما علل سبحانه منع سب الدهر بانه سب لله عز وجل لكونه بيده تعالى
عن الجارحة والتحديد وانما اليد هنا كناية عن يد القدرة لقوله تعالى خلقت بيدي اي بقدرتي
فحيث وجدنا هذه العلة منعنا ويكون ذكر الدهر هنا الذي هو الليل والنهار من باب التنبيه
بالاعلى على الادنى لان الليل والنهار من اعظم الايات والمخلوقات الدالة على تحقيق الربوبية
ولذلك اشار عز وجل في كتابه العزيز الى النظر فيهما بقوله واختلاف الليل والنهار لايات لاولي
الالباب ويكون النظر في ذلك على التقسيم المتقدم وهو هل تجري تلك الامور على يد مكلف فيكون

الانكار والزجر والبعض او غير ذلك امتثالا للامر لا غير بقدر ما جعل لك في ذلك دون زيادة
فيه فتكون متعديا ولا ينقص منه فيكون غير موفيا به امرت حكما وعدلا وما فهم هذا المعنى الا
التوفيق لانهم يقولون كلما في الوجود جهل حسن الا ما ذمه الشرع دعناه حكما وامتثالا وقد ذكر
عن بعض الناس انه راه بعض اخوانه مكروبا فقال له في ذلك فقال انه دخل علي في متعبدي هذا قوم
مباركون من الابدال مرارا فرغبت منهم في بعضها فقال انه دخل علي في متعبدي عساهم يحملوني
معهم وكانوا يأتوني بخرق العادة من ارض بعيدة فحملوني معهم فوصلوني في لحظة قريبة
وكانوا في غار في جبل في البحر الكبير فلما كان احد الليالي جاءت ريح شديدة وظلام شديد وهول
في البحر شديد فخرجوا من الغار فخرجت معهم واخذوا في التقديس والتسبيح والتعظيم لله سبحانه
فحملني الجهل بان قلت هذا هول عظيم فالتفتوا الي وقالوا تعرض على الله لا يصحبنا قليل الادب ثم
التفت الشيخ منهم وقال لبعضهم اجعله في مكانه الذي اخذناه منه واخذ بيدي شيئا يسيرا واذا
انا في موضعي وما رأيته ولا واحدا منهم بعد ذلك فكيف لا احزن على طردي ثم على قلة ادبي وأسفا على
جهلي وأسفا على بعدي فلم يزل باكيا او كما جرى هكذا تكون الحرمة عند المباركين احترموا فاحترموا
واستحسنوا فاستحسنوا اتروه بالبر والاكبار فانهم على غيرهم بالترفيع والاعظام وعنده بالزلفى
والاحسان واما قولنا هل يمنع ما في السبب وما يقرب منه مثل تعيب الامور والكراهية وما يشبه
ذلك فاعلم وفقنا الله واياك ان ما قرب من الشيء اعطي حكمه وان لم يكن في الحقيقة مثله لان
ما هو في معنى السبب ما ان نقول هو مثله فيمنع واما ان يكون اقل درجة منه واقل ما يكون
فيه قلة الادب لانك تدم شيئا لا تعرف ما فيه من الحكمة والاتقان بغير دليل ولا اعتبار اللهم
الا ان كان ذلك كما تقدم بدليل شرعي فهو على ما تقدم الكلام عليه ولذلك لما بايت عن سيدنا صلى الله عليه
وسلم ولأحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان احدا منهم غاية شيئا من خلق الله تعالى الا ما امر به
من طريق الامر فمن خالف سنن الرسل عليهم الصلاة والسلام ووقع في شيء من خلق الله اقل درجاته
انه وقع فيما فيه قلة الادب كيف يستحسن حاله او تحسن منه حال وفي هذا الحديث دليل لاهل

السنة

السنة لانهم يقولون العقل لا يحسن ولا يقبح وانما التحسين والتقبيح للشرع لا غير وانما قولنا الحكم
على فعل ذلك فهذه مسألة اجتهادية لانه لم يجئ من الشارع عليه الصلاة والسلام في ذلك شيء فان
قلنا ان حكمه حكم السنة الصريحة فالخلاف فيه معلوم وما اظنه يكون مثله الا ممن يعلم ما جاء في ذلك
لم يقصد الذم بعد العلم فكانه ما اراد الا الصريح منه فينبغي انه ولا يقول الحكم فيه الى القتل لان السبب
الصريح الاظهر فيه من الخلاف الذي بين العلماء الا رب فكيف بهذا الذي دونه وان صدر ذلك من
جاهل يعنف بالقول الشديد ويبين له قدر ما وقع فيه خلاف ويقال له ان عدت الى مثل هذا ادبت
الادب الموجع ويغلظ له في ذلك ولا يعذر في ثاني مرة ان وقعت منه ويؤدب والله الموفق للصواب
وفيه دليل على ان مجموع الليل والنهار يسمى دهرا شرعيا يوخذ ذلك من ذكره الدهر ثم فسر بقوله
بيدي الليل والنهار وفيه دليل لمذهب مالك في منع الربا المعنوي يوخذ ذلك من انه لما كان سب الدهر
يؤول الى سب الله سبحانه جعله سبا له فجعل ما يعود بالمآل كالذي هو حاضر في الوقت وفيه
دليل لاهل السنة الذين يقولون ان الصفة لا تفارق الموصوف يوخذ ذلك من انه لما كانت
الامور صادرة عن صفة قدرته عز وجل جعل ذلك صادرا عن ذاته الجليلة بقوله سبحانه بيدي
الليل والنهار وفيه تنبيه لمن له همة ان لا يتكلم بما لا يعرف ما معناه وكذلك في الافعال لا يفعل
شيئا حتى يعلم هل ذلك مما ليس عليه فيه درك امر لا ومما يقوي ذلك وصية الخضر عليه السلام حين افترقا
وطلب موسى منه الوصية فقال له في جملة وصيته يا موسى لا تفتح بابا لا تدري ما غلقه ولا تغلق بابا
لا تدري ما فتحه فيا هذا اذا تاملت مثل هذه الامور وادلة الشرع وجدت الدين من شيئين
ويدور على قاعدتين الامتثال والادب فمن امتثل فقد وفى ما به امر ومن تادب فقد تجنب مما عنه
نهي وله كره وفقنا الله واياك لذلك الامتثال والادب عنه عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يقول الكرم انما الكرم قلب المومن الحديث ظاهر الحديث يدل على
ان حقيقة تسمية الكرم انما هي لقلب المومن وانه في غيره مجاز والكلام عليه من وجوه منها ان فيه
دليلا لمن يقول ان اللغة اصطلاحية يوخذ ذلك من انهم كانوا عربا وكانوا يعنون عن ثمرة العنب

الكرم بل انما من والاه ربعون

بالكرمة فمنع صلى الله عليه وسلم من ذلك بقوله انما الكرم قلب المومن وقد جاء من طريق اخر ولكن
قولوا حديقة العنب وفيه بحث وهو لم يخص قلب المومن بهذا الاسم فان قلنا تعبد فلا بحث
وان قلنا الحكمة فما هي فنقول والله اعلم لما كان اشتقاقه من الكرم والارض الكريمة هي احسن الارض
وهذه الصفة حيث ما وجدت فهي من احسن الصفات فلا يليق الا ان يعبر بها عن قلب المومن الذي
هو خير الاشياء لان المومن خير البرية على احد الوجوه وخير ما في المومن قلبه لانه قد قال صلى الله عليه
وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح البدن الا وهي القلب او كما قال عليه الصلاة والسلام
وكيف لا يكون كذلك وهي ارض لنبات ثمرة الايمان التي قد قال مولانا سبحانه المرتر كيف ضرب
الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما تو تي اكلها كل حين باذن
ربها ويترتب عليه من الفقه ان كل خير كان لفظا او معنى او مشتقا منه او سمي به انما يكون اضافته
الحقيقة الا الى الايمان واهله وهو فيما عدا ذلك مجاز وفي الكرامة ايضا شبه المومن لانها لينة قريبة
الجني حلوة المذاق وتغني عن الطعام لاكلها وتغني عن المآلمن استعملها وفيها تنبيه لطيف
لان اوصاف الشيطان تجري معها كما يجري الشيطان في بني ادم مجري الدم فكما ان عقلت
المومن عن شيطانه او قطعته في المخالفة والبسته ثوب البعد والحرمان كذلك ان غفل عن عصير
الكرامة ظهرت تلك الاوصاف فيها والبستها ثوب التخمير والتنجيس وهو الخمر المتفق عليه
من جميع العلما على تحريمه بلا خلاف ويقوي الشبه بينهما من اجل ان الخمر من ساعته يعود
خلا فكساه ثوب التخليل وكذلك المومن من ساعته بالتوبة النصوح عادت له طهارته الاصلية
ورياسته الجميلة وحيت توبته ما كان قبلها من البعد والحرمان واذهبت الاثام والاثقال
وكما ايضا تكون توبة المومن بمعالجة من وعظ او تذكار او تكون بفيض لا يتقدمه علاج فكذلك المعصية
اذا تخمر قد يكون تخليله بمعالجة وقد يكون دفعة من غير علاج فهل نظرت يا مسكين الى العصير
كم قلبك فتعالج تجهيزه لعله يعود ولا تغفل عنه فيذهب بجميع عقلك فتذهب بالها الكين وفيه دليل
على كثرة حيا سيدنا صلى الله عليه وسلم يوخذ ذلك من قوله ويقولون بلفظ الغيبة ولم يقل لهم تقولون

فائد

فائدة يكون فيه لخجل لهم ولذلك كانت عادته المباركة اذا قيل له عن احد شيئ لا يسميه باسمه ولا يقولون
له يا فلان لم قلت كذا وكذا الا ما ندر كان قوله وما بال رجال يقولون كذا ويفعلون كذا ويترتب عليه
من الفقه ان اهل الفضل اولى الناس بالادب ومكارم الاخلاق وقد نص صلى الله عليه وسلم على ذلك
بقوله انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال بعض الناس فان كنت ذا همة فتجمل بمكارم الاخلاق
والشيم واما لا عطفيك بتخييرهما فقد صبت سنة خير الامم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سموا
باسمي ولا تكنوا بكنيتي ومن راني فقد راني فان الشيطان لا يتمثل على صورتي فمن كذب
علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار ظاهر الحديث يدل على ثلاثة احكام احدها اباحته صلى الله عليه
وسلم التسمية باسمه والمنع من ان يكني بكنيته والثاني اخباره صلى الله عليه وسلم بانه من راه في النوم
فقد راه حقا فان الشيطان لا يتمثل في صورته والثالث من كذب عليه صلى الله عليه وسلم فليتبوا
مقعده من النار والكلام عليه من وجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي
هل ذلك تعبد او لعلة اختلف العلما في ذلك فمنهم من حمل الحديث على ظاهره مطلقا ومنع ان يكني
بكنيته اصلا ومنهم من علل وقال انما اراد ان لا يجمع في شخص واحد بين اسمه صلى الله عليه وسلم وكنيته
وهذا خروج عن ظاهر الحديث ومنهم من علل وقال ان علة ذلك انه كان صلى الله عليه وسلم ماشيا
وشخص ينادي خلفه يا ابا القاسم فالتفت اليه صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل لم اعنك وانما عنيت
هذا واشار الى شخص غيره فقال هو صلى الله عليه وسلم اذا ذاك سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي او كما
ورد فاذا قلنا ان هذا كان سبب المنع عليه السلام ان يكني بكنيته فهل يقتصر ذلك النهي على العلة
فيرتفع بارتفاعها وهي تقلته صلى الله عليه وسلم او يبقى النهي على عمومه وان ذهبت العلة موضع خلاف
ويحتمل عندي علة اخري والله اعلم وهي ان العرب كانت كناهم باسما ابنيهم وكان من اسمائه
صلى الله عليه وسلم فلعله عند ذكر الشخص يا القاسم تحرك عنده من اسمه شيئ مما كان بسبيله
فمنع صلى الله عليه وسلم من ذلك كما فعل معلم الثوب في الصلاة حين نظر اليه فلما فرغ من صلاته
قال ردوه الي ابي جهم فاني نظرت الى علمه في الصلاة فكاد يفتنني ويترتب على هذا الوجه من

الفقه قطع كلما يتوقع منه شيء من التشويش والمحافظة على خلو القلب بالاشتغال بما هو اليه مندوب
وما هو عليه واجب وان قلنا ان علة المنع ما ذكرنا اولا من كونه صلى الله عليه وسلم التفت الى الذي
نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك فيكون نهيه عليه السلام عن ذلك في حقه امته لانه من اعرض هو
صلى الله عليه وسلم عنه فان الله يعرض عنه لان الله عز وجل يقول من يطع الرسول فقد اطاع الله
وكذلك من اعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اعرض الله عنه فيكون هذا مثل قوله صلى الله
عليه وسلم حين لقيه بعض الصحابة ليلا ومعه عليه السلام احدى ازواجه فقال له انها فلانه
وعلل ذلك عليه السلام بان قال خفت ان يزغ الشيطان في قلبك شيئا او كما ورد فكان ذلك
لرفقه صلى الله عليه وسلم بامته فحيث ما يخاف عليهم شيئا ما يتوقعه عندهم وحيث ما علم لهم
شيئا من الخير ارشدهم اليه فجزاه الله عنا افضل ما جزى نبيا عن امته وحشرنا في زمرته غير
خزايا ولا نادمين بفضله فانه ولي الحميد واما اباحته صلى الله عليه وسلم لهم التسمية باسمه عليه السلام
فذلك لما جاء فيه من الخير لانه قد جاء ايما بيت فيه من اسمه محمد لا يخلو عن خير وقد ذكر انه اذا
نودي يوم القيمة باسمه يا محمد فمن سمعه ورفع له راسه افلح وسعد وجاءت فيه بما يشبه هذا
آثار كثيرة وقد رايت بعض المباركين وكان عنده شيء من لسان العلم وكان لهم جملة اولاد كلهم
سماهم محمدا وما فرق بينهم الا بالكنى لما سمع من الخير ما جاء في هذا الاسم المبارك ولمن سمي به ابنه
ولذلك ما رايته واياهم الا في خير عظيم وكان فقيرا وكانت له عايلة كثيرة من غير ان يقصد احدا
او يخرج عما كان به مشتغلا عما كان يعنيه من دينه والاولى في هذه الوجوه حمله على ظاهره فانه
ابر للذمة واعظم للحرمة والله المرشد للصواب وقوله صلى الله عليه وسلم من راني في المنام فقد
راني فان الشيطان لا يتمثل على صورتي فقد اختلف العلماء في هذا فمنهم من قال ان الصورة
التي لا يتمثل الشيطان عليها هي الصفة التي توفي صلى الله عليه وسلم عليها حتى قالوا وتكون في
لحيته عدة تلك الشعرات البيض التي كانت فيها وقال بعضهم وحتى يكون رويا له في دار
الخيزران وهذا محكم على عموم الحديث وتضييق للرحمة الواسعة ومنهم من قال ان الشيطان

لا يتصور

لا يتصور على صورته عليه السلام اصلا جملة كافية فمن راه في صورة حسنة فذلك حسن في الدين الرآي
فرويا ه صلى الله عليه وسلم حق وذلك الفتح في دين الرآي وان كان في جارحة من جوارحه شين فتلك
الجارحة من الرآي فيها خلل من جهة الدين وهذا هو الحق وقد جرب هذا فوجد على هذا الاسلوب سواء
بسواء وبهذا تحصل الفائدة الكبرى في رويا ه عليه السلام حتى يتبين الرآي هل عنده خلل في دينه او لا
لانه صلى الله عليه وسلم يودي فهو مثل المراة الصقيلة ما كان في المناظر اليها من حسن او غيره تصور
فيها وهي في ذاتها على احسن حال لا نقص فيها ولا شين وكذلك ذكروا في كلامه عليه السلام في النوم
انه يعرض على سنته عليه السلام فما وافقها فما سمعه الرآي حق وما خالفها فالخلل في سمع الرآي فانه
صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فتكون
رويا الذات المباركة حقا ويكون الخلل قد وقع في سمع الرآي وهو الحق الذي لا شك فيه تنبيه
وهل تحمل الخواطر التي تخطر لارباب القلوب بتمثيله صلى الله عليه وسلم في بعض المخاطبات التي يخاطبون
على لسانه عليه السلام وتشكل صورته المباركة في عالم اسرارهم في بعض المخاطرات والمحادثات
التي من عادة طريقهم المبارك على انها مثل رويا المنام فتكون حقا ام لا فاعلم وفقنا الله واياك ان
خواطر ارباب القلوب هي بحسب ما دلت عليه الادلة الشرعية وانها اصدق من مراي غيرهم لما من
عليهم من تنورها وبركتها دون اشارة من قوله صلى الله عليه وسلم من مبارك وغيره حق فكيف
بها اذا اجتمعا فذلك تاكيد في صدقها وقد بينا الدليل على تصديق خواطر الرجال من الكناية السبية
في غير ما موضع من الكتاب فاذا اجتمع ما ذكرنا من تشكل صورته المباركة او كلامه المبارك
لاولئك المباركين وقد اجتمع على ذلك ادلة الكتاب والسنة وكفى في ذلك قوله عليه السلام
ان الشيطان لا يتمثل على صورتي لانه لفظ عام ولاجل حمل العام على عمومه ومنافاته عليه السلام
من طريق الباطل الذي هو من طريق الشيطان وتخيلاته لم يبق الا ان يكون قطعا لكن بالشرط
المتقدم وهو ان تعرض على كتاب الله وسنة رسوله نبيه عليه السلام فما وافق مضى والا فلا
وقوله صلى الله عليه وسلم فليتبوأ مقعده من النار اي فلينزل مقعده من النار لان التبوء

هو النزول لقوله عز وجل واذ بوانا لابراهيم مكان البيت اي جعلناه منزلا وهنا بحث وهو انه قد علم
بالادلة الشرع ان الكذب من الكبائر وقد جاء فيه من الوعيد العظيم ما تقدم ذكره في الاحاديث قبل
فهل اخباره صلى الله عليه وسلم هنا عن الكذب علة خصوصا بهذه الصيغة زيادة فايدة او انما اخبر
ان الكذب عليه صلى الله عليه وسلم من جملة الكذب المحرم الذي لا يمكن فيه التاويل ولا يقبل التعليل ولا
التوجيه فانه لما تقدم الكلام على الكذب قبل ووجهنا ما قال فيه العلما فاذا هو على خمسة وجوه
كما هو مذكور هناك فيكون الكذب عليه صلى الله عليه وسلم من احد الاقسام الخمسة وهذا القسم الذي
هو منها محرم بالنص والاجماع ولا يدخل فيه ذلك التقسيم بالجملة الكافية وان صاحبه يعذب العذاب
الاليم واحتمل ان يكون بمن يدخل من هذا النوع المذكور وزيادة فايدة اخري وهي ان الذي يكذب عليه صلى
الله عليه وسلم متعمدا لا بد له من دخول النار بخلاف غيره من الكذابين فقد ياتي الله بمن يشفع فيه
وقد يتوب او قد يتداركه الله تعالى بنوع من انواع الرحمة يوخذ ذلك من قوة قوله عليه السلام
فليتبوا فكانه عليه السلام قال فليقعد مقعده من النار فلا محيص له منها وبهذا تظهر الغاية
في الفرق بين الكذب عليه صلى الله عليه وسلم من الكذب على غيره والله اعلم ومن جهة التعليل بقول
هذا التوجيه لان الكذب عليه صلى الله عليه وسلم يقع به الخلل في الدين وتغيير الاحكام وهذا كفر
عند بعضهم وان لم يستحله ومن كفر فلا محيص له من النار بخلاف غيره من الكبائر والاثام وان صاحبها
في المشيئة وبقي بحث في توبته هل تصح ام لا فهي والله اعلم على ضربين لا يخلو ما كذب به عليه صلى
الله عليه وسلم ان يكون قد ترتبت عليه احكام او لا فان كان ترتبت عليه احكام فهل عليه
ردها او قطع تلك المادة بالجملة الكافية او لا يمكنه ذلك فان كان لم يترتب عليه احكام او ترتبت
عليه على قطع تلك المادة الفاسدة بالجملة الكافية وفعل ذلك وصدق مع الله تعالى في توبته رجيت
له لعموم قوله صلى الله عليه وسلم التوبة تجب ما قبلها وان كان لا يمكنه تلافي ذلك خيف عليه من عدم القبول
لنقص شروط التوبة فان من شروطها رد المظالم لاربابها واولئك المساكين الذين بلغت لهم تلك الاحكام
الفاسدة وعملوا عليها فقد ظلمهم ظلما كثيرا وقد جاء ان مولانا سبحانه يقول يوم القيمة لصاحب

البدعة هب اغفر لك فيما بيني وبينك فالذين اضللت كيف افعل بهم وكما ورد معناه اني لا اترك لك
حقوقهم واخذها فاذا كان هذا صاحب البدعة فكيف بمن كذب عليه صلى الله عليه وسلم وغيره احكام
احكام شريعته من باب احري واولي ومن هذا الباب وصية بعض اهل التحقيق اتضع ولا ترتفع
اتبع ولا تبتدع من ورع لم يتسع ومما يشبه وصية الاخر بقوله عليك بالسنة والسنة تفر بالاجر
وغنيمة الدارين من الله علينا بذلك منه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبح
الاسما عند الله يوم القيمة رجل يسمى ملك من الملاك ظاهر الحديث يدل على ان اخس الاسما
وارذلها عند الله يوم القيمة من تسمى بملك الاملاك والكلام عليه من وجوه منها هل هذا التحقير للاسم يلحق
منه الذي يسمى به شيء خلاف هذا ام لا ومنها هل هذا لعلة او لغير علة فان كان لعلة فهل يطرد الحكم
حيث وجدنا العلة او لا وما الحكمة في قوله يوم القيمة فاما قولنا هل يلحق المسمى بهذا الاسم زيادة
على تحقير الاسم او لا فنقول انما جعل ترفيع الاسما يوم القيمة للدلالة على ترفيع اهلها وما لهم في ذلك اليوم
من الخير والسرور كذلك ضده ذاك على ضده لانه ذلك يوم ليس فيه مجاز ولا تلبيس واما قولنا هل ذلك
لعلة فان قلنا تعبد فلا بحث وان قلنا لعلة فما هي فنقول والله اعلم لتشبهه باسم من ليس كمثله شيء
لان هذا الاسم لا يكون حقيقة الا لله سبحانه وتعالى فان كانت العلة ما ذكرنا فيجوز تعدي الحكم
مثل ان يتسمى بسلطان السلاطين وكذلك قاضي القضاة وان كانت العلة بهذا الاسم عيني قاضي
القضاة وقد تقدمت بسنين لا سيما في جهة المشرف وقد ذكر عن الثوري من اهل التحقيق انه
يزوره يتسمى بهذا الاسم في زمانه فلما دخل عليه قال له بعض من جاء معه هذا قاضي القضاة وكان
معهم قاعدا منبسطا فلما سمع كلامه قام وهسانا مسرعا وهو يقول هذا قاضي القضاة فهذا
يوم الفصل والقضا فاين الميزان فاين الصراط وجعل يعدد من احوال يوم القيمة ما شاء الله
تعالى فحصل من كلامه في النفوس حال عجيب وقد حدثني بعض من لقيته من السادة ازدولة
الموحدين وكانت دار مملكتهم في عرب العدوة مراكش ان القاضي الذي كان يتولى بها كان
يدعى بقاضي الجماعة لان الفقها اذ ذاك كانوا هناك متوافرين وكان الغالب عليهم الدين

فلم ياخذوا من الاسماء وجميع الاشياء الا الذي ليس فيه شيء من المكروه ولا يحتاجون فيه الى شيء من التاويل وهذه طريقة السلف رضي الله عنهم ولم يسمع هذا الاسم في السلف الصالح ايضا فنعوذ بالله من قلة الاهتمام في امور الدين والتهاون به واما قولنا ما الحكمة في قوله يوم القيمة لانه يوم تظهر فيه الامور على ما هي عليه حقيقة ليس فيها زغل ولا تجاوز ولا زور الاحقايق ظاهرة وهذه الدار فيها التلوينات والاختلاطات وقد يكون ظاهر الامر يوافق والضد في ذلك الاعمال على ابراز الضمايد وتحقيق الحقايق هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وفيه تنبيه على ان الادب في الدين مطلوب جدا يوخذ ذلك من كونه لما سمى هذا المسكين بهذا الاسم وهو يحتمل ان اراد ملك ملوك الارض وكان ذلك ملكا له واحتمل ان يسمي به اختيارا مثل ما يتسمي بعض نساء العرب وغيرهن في الوقت وقبل هذا الوقت ست العرب والناس اجمعين يعلمون ان ذلك ليس بحقيقة وكما يسمي بعض الناس بسيد الناس وهذا مقطوع ايضا انه ليس كذلك وهذا الاسم ايضا يدخله المنع بالتعليل المتقدم وما هو في معناه لان العلة فيه موجودة لكن غفلات توالت وعوائد سوا تخذت راح الامر عليها ما قدر له بما قدر واحتمال ان يكون يسمي ذلك تمردا وتجبرا لكن ليس في الحديث ما يدل على واحد من هذه خصوصا والكل يحتمل ينبغي ان يبقى كل محتملا لا سيما في مواضع الخوف لكن صيغة اللفظ في الحديث العموم لانه قال تسمي فيكون معناه تسمي بهذا الاسم على اي وجه وقع هذا الاسم فصاحبه بتلك الحالة الذميمة والمخاة العظيمة فهذا يزداد الحض على طلب الادب في الدين وفيه ارشاد الى علم السنة وايثاره على غيره لان هذا وامثاله وهي مواضع عديدة وقد نبهنا عليها في مواضع من الكتاب لا تعلم الا من طريق علم السنة والاهتمام به وقد غفل عن ذلك كثير من الناس واوقعهم ذلك في المهالك وهم لا يعلمون ويكون حالهم كما اخبر تعالى في كتابه وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فمنهم من جملة جملة واحدة ومنهم من اشتغل به وكان علمه به لا ثمرة غيره عليه ويجعل ذلك نيلا وكيسا وهو حرمان اعاذنا الله من ذلك بمنه وكذلك وصية من لقيته من اهل التوفيق والعلم بالسنة ان يقول الرجل يكون محاسبا سراقبا فكان جوابه على ذلك ان يقول محاسبا يحاسب نفسه يعني في هذه الدار لقوله صلى الله عليه وسلم

حاسبوا

حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا فان راي على نفسه دركا اخذ في خلافها ومرقبا يجعل قلبه امام رايه فان خطر له قول او فعل نظره بلسان العلم فان جايزا فعلا وقال وان كان ممنوعا او مكروها امسك لان ترك الذنب اولى من طلب المغفرة والا كان كناجر ينفق ولا يعلم فيصبح وقد افلس وان لم يعرف ذلك الذي خطر له من اي الوجوه وهو توقف حتى يسال اهل العلم الذين هم على السنة واتباع السنن فان المومن وقاف جعلنا الله من المومنين حقا الملطوف بهم بمنه لا رب سواه وصلى الله على محمد واله وسلم

عن انس بن مالك يقول عطس رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم الحديث ظاهر الحديث يدل على ان السنة ان لا يسمت العاطس حتى يحمد الله تعالى ومن عطس ولم يحمد الله تعالى لا يسمت والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل التسميت للعاطس واجب او مندوب ومنها كيفية التسميت وما معناه ومنها هل هذا مطلق في كل مرة وان تكرر هذا من العاطس مرارا وله حد محدود ومنها هل هذا الكل عاطس كان مومنا او كافرا او هذا خاص بالمومنين اما قولنا هل هو على الوجوب او الندب فقد اختلف العلما في ذلك على ثلاثة اقوال فمنهم من يقول انه فرض على كل من سمعه وهم اكثر اهل الظاهر ومن علمائنا من وافقهم على ذلك ومنهم من قال هو ندب وارشاد ومنهم من قال هو واجب على الكفاية كرد السلام وهم جمهور اهل السنة واما قولنا كيف صفة التسميت فقد جاءت صفته نقلا عن النبي صلى الله عليه وسلم لانه روي عنه عليه السلام انه قال اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله واذا قال الحمد لله فليقل له يرحمك الله ويرد عليه يغفر الله لنا ولكم او كما ورد قال عليه السلام ومنهم قال يرد عليه يهديكم الله ويصلح بالكم ومنهم من قال هو بالخيار لان اللفظين قد رويا عن النبي صلى الله عليه وسلم فبايهما رد فقد وافق السنة ومنهم من استحب ان يجمع بينهما حتى يكون اجمع للخير وخروجا عن الخلاف وهو الاحسن والله اعلم وقد جاء بدل التسميت بالسين المهملة واما قولنا ما معنى التسميت فهو بمعنى بعد الله عنك السماتة وجنبك ما يشمت به عليك واما معنى التسميت فهو بمعنى جعلك الله سميتا على سمت حسن هذا قول ثعلب واما قولنا هل هذا مطلقا في كل مرة وان تكرر اللفظ العطاس في الوقت مرارا فالذي عليه الجمهور ان الحد فيه الى الثالثة او الرابعة لانه جاء عنه صلى الله عليه وسلم

قال الزبيدي في شرح احياء علوم الدين للغزالي ج ٢ ص ٢٧٣ ما نصه وفي الحديث شمت عاطسا ان حمد الله وان لم يحمد الله فلا تشمته هذا احمد الله ولم يحمده اه

الله قال اذا عطس فشمتوه ثم ان عطس فشمتوه ثم ان عطس فقولوا له
عافاك الله فانه مضنوك او كما قال عليه السلام قال راوي الحديث لا ادري بعد الثالثة او بعد
الرابعة قال فانه مضنوك فمن اجل الشك الذي روي عن راوي الحديث وقع الخلاف واما قولنا هل هذا
امر عام كان العاطس مومنا او كافرا او هو المومن لا غير لاحرف خلافا فان التشميت يعم المومن والكافر غير
ان في الكيفية في ذلك وقعت التفرقة بين المومن والكافر لان الكيفية في تشميت المومن كما تقدم الكلام
عليه واما الكافر فانه يقال له يهديكم الله ويصلح بالكم وهذه الصفة التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم
في تشميت اهل الكتاب لان اليهود كانوا يستعملون العطاس بين يدي صلى الله عليه وسلم وجاء في رعاية
وتشميته يهديكم الله ويصلح بالكم وبقي الخلاف بين العلما اذا عطس العاطس فحمد الله فسمعه
بعض الحاضرين ولم يسمعه الغير هل يجب على من يسمعه حين حمد الله وقد سمع الذي سمعه الذي شمته
هو تعالذلك امر لا قولان وفيه دليل على جواز طلب المفضول من الفاضل علة الحكم وبيانها فوجد
ذلك من قوله يا رسول الله شمت هذا ولا تشمتني وفيه بحث وهو سال الحكمة بان جعل في العطاس هذه
الاحكام المذكورة فان قلنا تعبد فلا بحث وان قلنا الحكمة فما هي فاعلم انه لم يختلف احد فيما له
معرفة بطب الابدان وادواتها ان العطاس فيه منفعة للعاطس وانه ازعاب راء قد يكون
في راسه فعلى هذا فهو من جملة النعم وقد تقرر في قواعد الشرع انه مهما استعبدنا به الشكر
على النعم واعلى الشكر هو الحمد فامرنا بذلك فانتجب بالعود الجهل بزيد النعما والدعا بالخير اثر
الحمد لان الله عز وجل يقول لئن شكرتم لازيدنكم فتاكدت النعمة بمزيد الدعا له من السامعين
لعطسه ثم تاكدت الرحمة بالدعا من العاطس لاخيه الذي شمته ولنفسه ان شاء الله وفيه
تنبيه يدل على لطف المولى سبحانه بعبيده وهو ان جعل المزيد هنا بعد الحمد واجبا مشروعا
ولم يترك ذلك الى اختيار احد من عباده ولا غيابا عنا حتى نعلم هل قبل منا نزيدنا ولا ما هي الزيادة
ايضا حين يحصل العلم بجاوبا هو قدر الزيادة وما هو حسنها فشرعت لنا تلك الالفاظ الدالة على
الخير العميم لمن فهم معناها وتدبرها الا ترى اذا قلنا ان التشميت واجب كما تقدم وهو الذي عليه

الجمهور

الجمهور فاذا فعل المكلف الواجب الذي عليه بشروطه رجي له القبول فهذا قد دعا للعاطس بالخير
امتثالا لما بدا مر فهذا دعا، مرجو قبوله فلما كان الامر على هذا الخير العظيم من العاطس ان يدعو
للذي اجرى له على يديه من مزيد الخير لا عائد له بالخير وان يدعو هو ايضا الخير حتى يكون رحمته عز
وجل عامة بعباده ازذاك وكان الرجا في قبول الرجا الثاني مثل الاول سواء ويترتب على هذا
من الارشاد انه اذا استشعر احد من العبيد موطنا يكون فيه خيرا او رجاء من وجه من وجهه
ان يكثر في الدنيا لنفسه ولوالديه واقاربه واصحابه واخوانه المومنين فان لله نفحات ازا وجدت
سعد بها عالم كثير جعلنا الله ممن تعرض لها واصابها وممن اجرل له نصيبه منها بتعرض وغيره
فانه ولي حميد وفيه دليل على عظيم النعمة على العاطس يوخذ ذلك مما ترتب عليه من هذه الاحكام
والخير فصارت علما على ذلك وفيه اشارة الى عظيم فضل الله تعالى ورحمته لانه عز وجل رحم
عبده بان اذهب عنه ذلك الضرر الذي كان به بنعمة العاطس ثم ثناها بشروعية الحمد ثم اتبعها
بدعا خير بعده دعا خير وهذا كله في لحظة واحدة نعم متواليات في ايسر زمان بلا موجب عليه الا
بالفضل بدا منه وبرحمته سبحانه والخير المذكور تامة منه تنبيه في احكام الحديث وفيما
اشرنا اليه من التنبيهات وغير ذلك اذا نظرتها بقلب له بصيرة حصل لك به من قوة الايمان
ما لا يحصل بعبادة ايام عديدة وداخل قلبك والحمد ودمكن من حب الله تعالى الذي قاعد
لك من هذا الخير العظيم ولم يكن لك في ظن ولا علم ومن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان
معرفة هذا الخير على يديه ما لا يقدر قدره وكذلك الحب في علم سنته عليه السلام وزيادة زرته
من هذا الخير من قناطير مقنطرة من الاعمال المقبولة بلا خلاف في ذلك بين احد من علما اهل
التوفيق والاتباع للسنة والبسنا اعاذنا الله علينا من بركاتهم وجعلنا لانعمه من الشاكرين بمنه
عن عبد الله قال كنا اذا صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم قلنا السلام على الله قبل عباده
ظاهر الحديث يدل على ان هذا التشهد المذكور في الحديث هو المشروع في الصلاة
والكلام عليه من وجوه منها هل تجزي خلاف هذه هذه الصيغة فاعلم انه لا يجزي

الا ما جاء فيها من اختلاف بعض الفاظها في بعض الروايات فمنها ما جاء من طريق عائشة رضي
الله عنها وهي قولها التحيات الطيبات الصلوات الزاكيات لله اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين شهدت ان لا اله الا الله شهدت ان محمدا رسول الله ومنها
ما جاء من تشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي علمه الناس على المنبر والصحابة رضوان الله عليهم
متوافرون وهو التحيات لله الزاكيات لله الطيبات لله السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا عبده ورسوله ومنها ما جاء من تشهد ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما والمعنى
في الكل واحد غير ان في بعض الالفاظ اختلافا وكناهم في الصحيح وبايها تشهد اجزا بلا خلاف
اعرفه بين احد من العلما خلف عن سلف واما قولنا هل هو سنة ام فرض فالجمهور على انه
سنة لما روي عن الشافعي ان الصلاة فيه فرض واما الكلام على معاني الالفاظ فقوله التحيات
لله التحيات جمع تحية والتحية هي السلام كله على اختلاف انواعه وصيغته هو لله تعالى اي يضاف اليه
لان من اسمائه سبحانه وتعالى والنبي عليه السلام فكل ما كان مشتقا من هذا الاسم فهو له ومضاف
اليه وقوله والصلوات هي جمع صلاة وفي اللغة معناها الدعا والدعا منه تتابع الرحمة والرحمة
منه كرامة صلى الله عليه وسلم لآل نبيا وفي حين اتاه ابنه بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي اوفى
ارحمهم وعطفها على التحيات فاستغني بذلك عن اعادة ذكر الله تعالى والصلاة من الله سبحانه
رحمة لعباده ومن اسمائه عز وجل الرحمن فكل ما كان مشتقا من هذا الاسم فهو له ومضاف اليه
وقوله والطيبات جمع طيب والطيب كله على اختلاف موضعه له عز وجل ومضاف اليه سبحانه وعطفه
على التحيات لله فاستغني بذلك عن اعادة ذكر الله تعالى وهو من فصيح الكلام وقوله السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته السلام معناه الامان وبركاته خيراته وامره عليه السلام لهم بالدعا
هنا هو في حقهم لان من اكبر القرب الى الله سبحانه الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والدعا له

وان

وان كان هو عليه السلام لما اعطاه الله وفضله غير محتاج الى دعائنا لكن ذلك رحمة في حقنا الا ترى
الى ما جاء من الخير الى من قال في دعائه آت محمدا الوسيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي
وعدته انك لا تخلف الميعاد وهذا امر قد من الله عليه حتما لا تبديل فيه فالفائدة في ذلك للذي يدعو
حتى تكون بركته صلى الله عليه وسلم تعود على امته في كل الاحوال وقوله السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين فانه اذا قال ذلك اصاب لكل عبد صالح في السما والارض ومن جعله الله امان من
الله فقد حصل له جميع الخير من الله علينا بذلك لمنه وفيه تنبيه منه صلى الله عليه وسلم
لنا على اتباع طريق الصالحين لانه اذا كنت منهم فجميع المصلين في كل صلاة يدعون لك بالامان
والخير فذلك خير من اضعاف اضعاف عملك بما لا يعلم قدره الا الذي من به عليهم وفيه دليل على
ان الملائكة والصالحين من المومنين لا يفضل احدهما الآخر لان العلما اختلفوا فيمن افضل هل
الملائكة او الصالحون من بني ادم على قولين والنص منه صلى الله عليه وسلم هنا يعطي ان تفضيل
بينهما لان الصحابة رضي الله عنهم كانوا كما ذكرا ول الحديث يسلمون على الله قبل عباده ثم على
جبريل وميكائيل ثم على فلان فقال له صلى الله عليه وسلم عندما علمهم كيفية التشهد اذا قال السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد وافق كل عبد صالح في السما والارض فجمع فيه بين الملائكة لانهم
سكان السما وبين بني ادم الصالحين بلا تقديم ولا تفضيل وقوله اشهد ان محمدا عبده ورسوله ختمه
بارفع الكلام وعماد الدين وهي كلمة الاخلاص وتصديق رسالته صلى الله عليه وسلم ثم اباح لنا الزيادة
على ذلك مما هو مناسبه لان ذلك معروف عند العرب يوخذ ذلك من قوله ثم يتخير بعد من الكلام
ما شا ما خوما اشرنا اليه وفيه دليل على ان ما فرضت الصلاة لم يكن التشهد في مشروعياتها
لا فرضا ولا سنة يوخذ ذلك من قول عبد الله كنا اذا صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم نقول
السلام على الله قبل عباده فدل على انهم بقوا على ذلك زمانا حتى الى اليوم الذي سمع النبي صلى
الله عليه وسلم فنهاهم عن ذلك وامرهم بما ذكر بعد وبقي هنا بحث وهو ان يقال لم ينهاهم
ان يقولوا السلام على الله قبل عباده ثم امرهم ان يقولوا التحيات وهي جمع تحية والتحية هي السلا

كما تقدم والا انفصال عنه ان السلام هو الامان فلما قالوا هم السلام على الله فليس على الله خوف من
احد ولا يقدر احد على ضره جل جلاله ولا نفعه كما جاء في حديث مسلم وغيره ان يريدوا ضري
لا يقدروا وكذلك نفعه سبحانه فنهاهم عن ذلك لان الله سبحانه منه يطلب الامان هو الذي بيده
وهو الذي يخوف ومنه الخوف وفيه الرجاء وامرهم ان يأتوا الامر على بابه ويطلبوا الامان منه
عز وجل ويعرفون له بانه هو السلام وهو الذي يعطي السلام واليه يضاف حقيقة وان كان
يضاف الى غيره في بعض الاماكن فهو مجاز او لوجه ما من طريق ما اقتضته الحكمة الربانية فجزاه الله
عنا من معلم خير وفيه دليل على ان ما كان من زيادة ذكر او دعاء في الصلاة لا يفسدها يوخذ ذلك من
ان النبي صلى الله عليه وسلم يامرهم باعادة الصلاة التي تقدمت لهم وهم كانوا يذكرون فيها
ما نهاهم عنه كما هو في نص الحديث وفيه دليل على انه اذا كان القلب متعلقا بفعل خير والمراد في الصلاة
ان ذلك لا يفسد صلاته اذا لم يكن يستولي على القلب حتى يخل ببعض اركانها يوخذ ذلك من انه لما
سمع سيدنا صلى الله عليه وسلم مقالتهم وهي الصلاة بقي خاطره المكرم متعلقا بمقالتهم اليه عليه السلام
عند ما سلم من الصلاة كلمهم كما هو نص الحديث فدل على ان ذلك بقي مستصحبا الى فراغه عليه السلام
من الصلاة فكلمهم فيه فان استولى على القلب التشغل بتلك الطاعة حتى اخل بركن من اركان
الصلاة اعاد الصلاة كما فعل عمر رضي الله عنه حين صلى صلاة الصبح باصحابه رضوان
الله عليهم فلم يقرا فيها فلما فرغ منها قيل له في ذلك فقال له اني جهزت جيشا الى الشام
وانا في الصلاة وانزلهم منازلهم ثم اعاد الصلاة وفيه دليل على ان الاعمال تعليم دين الله تعالى
يوخذ ذلك من كونه صلى الله عليه وسلم لم يفعل اثر الصلاة الا ان اخذ في تعليمهم ولم يشتغل
بتسبيح ولا غيره فدل ذلك على فضيلته وقد جاء انه من صلى لله الفريضة وقعد يعلم الخير يودي
في ملكوت السموات عظيما وفيه دليل على ان لسيدنا صلى الله عليه وسلم ان يشرع من الاحكام
ما يظهر له دون وحي ويلزمنا امتثاله يوخذ ذلك من انه عليه السلام لما علمهم التشهد
لم يذكر ان ذلك كان بوحي ذكره كما فعل في غيرها موضع على ما هو منصوص عنه صلى

١١٧

الله عليه وسلم وفيه دليل على فضيلة الصحابة رضوان الله عليهم يوخذ ذلك من انهم تلقوا هذه الاحكام
منه صلى الله عليه وسلم ونقلوها الينا فهذه منزلة لا يشاركهم فيها احد وفيه نكتة صوفية وهي اذا كان
جميع الخير والطيب سبحانه دائما فانظر كيف تقول ذلك في كل صلاتك ثم تدعو عند فراغك بكثير
من الاشياء حسا ومعنى وتضيفها الى نفسك حقيقة يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون فلو جعلت حالك مثل مقالك لكنت من الابرار لكن
كتابة الران فسد به الحال عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن
ادم حظه من الزنا الحديث ظاهر الحديث يدل على اخبار بان من كتب الله عليه من بني ادم
شيئا من الزنا لا بد له ان يفعله ولو تحرز مما عسى ان يتحرز والكلام عليه من وجوه منها انه صلى
الله عليه وسلم قسم الزنا على قسمين زنا الفرج وهو الزنا الحقيقي وهو الذي يوجب الحد وزنا
العين بالنظر واللسان بالكلام وهو الذي يدخل حد اللمم على قول بعض العلماء لانهم قالوا ما دون
النكاح فهو اللمم ويستشهدون بقوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ومصداق
ذلك من الحديث نفسه قوله عليه السلام والفرج يصدق ذلك ويكذبه فاذا كذبه الفرج فالزنا
وبقي فيه سوال وهو ان يقال ذكره العين واللسان هل ذلك مقصور على هاتين الجارحتين او
ذكرهاتين الجارحتين من باب التنبيه بالاعلى على الادنى الظاهر انه من باب التنبيه بالاعلى
على الادنى لان لكل جارحة وهو خروجها في تصرفها عما شرع لها فان اليد لما لمست ما لم تجز لها
فقد زنت وكذلك الرجل اذا مست الى ما لا يجوز لها فقد زنت وكذلك جميع الحواس زنا، كل
جارحة بحسب خروجها عما شرع لها لكن لا تخلو كل جارحة من الجوارح ان يكون خروجها
عما شرع لها مما هو من اسباب النكاح وادواته فهو الذي يكون الفرج يصدقه ويكذبه
وهو الذي اشار اليه سيدنا صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي نحن بسبيله وان كان
خروجها عما شرع لها لا يمكن ان يكون تلك المخالفة الا منها وهي التي تحققها ان كانت له
مشاركة مع غيرها من الجوارح فيها او تكذبها فليس من هذا الحديث الذي نحن بسبيله

ولها حكمها منصوص عليه في موضعه مثال ذلك في الغيبة التي هي مختصة باللسان وهي من الكبائر
بلا خلاف لقوله صلى الله عليه وسلم الربا اثنين وسبعون بابا ادناه مثل ان ينكح الرجل امه وان اربا
الربا استطالة لسان المسلم في عرض اخيه فمن وقع في الغيبة بلسانه فقد تحقق عليه اثم الغيبة ولا يختص
في ذلك بجارحة اخرى تصدقه او تكذبه وعلى هذا النوع فانظر جارحة جارحة تجد القاعدة مطردة
والحكم فيها واحد وقوله صلى الله عليه وسلم ادرك ذلك لا محالة يختص هذا بالزنا وحده بل ذلك
حكم الله في جميع الخير والشر من كتب له من احد الوجهين شيئا واجبا فلا بد له منه لا يرده عنه رادّ لأن
قد نص العلماء على ان ما قدر على العبد على ضربين قدر قدر وقدر يرده وجه ما من الوجوه فذلك
الذي ينفع اثر الحكمة فيه وهي التسبب في دفعه وما قدر له او عليه حتما فذلك لا يرده شيء من الله شيئا
ومنه خوف الرجال واهل العقول وقوله صلى الله عليه وسلم والنفس تتمنى ذلك وتشتهي يعود على
جميع ما ذكر في الحديث لانها مطبوعة على تمني جميع الشهوات حلالا كانت او حراما لكن لا يضر
ذلك اذا زجرها صاحبها ولم يوافقها على ذلك ودخل تحت مضمن قوله تعالى وانهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي المأوى فان لم ينهها ولم تقع ما طلبته منه بحكم الوفاق لم يكن من احد القسمين ولم
يكن ممن ينطلق عليه اسم زان لانه لم يقع الفعل بالفرج الذي هو يصدقه ولم يكن ايضا ممن زجر
النفس عن الهوى فتكون الجنة له ماوى فكان من المذبذبين كما تقدم التقسيم وكذلك تعدي الحكم
الا ما هو الشخص فيه مواخذ بعقد النية الذي هو من الامور القلبية اذا وافقها على ما سولت له عقدة نية
على ذلك كان من الخاسرين وان نهاها عن ذلك كان من المفلحين التقسيم بعينه مثال ذلك
الحسد المنهي عنه شرعا اذا زعته النفس الية مشى فيه ذلك التقسيم وكذلك ما اشبهه مما هو مختص
بالقلب ليس الا فتكون النية وعقدها هي التي تصدق ذلك او تكذبه وفيه دليل لاهل الصوفة الذين يروضون
لمخالفة النفس وحديثها حملة واحدة يوخذ ذلك من نصه صلى الله عليه وسلم في الحديث ان من وضعها
الذي طبعت عليه انها تتمنى ذلك الحرام وتشتهيه فمن هذه صفتها وجبت مخالفتها عقلا ودينا فانها
تفضي بصاحبها الى الهلاك وقد قال نفسك وان صلحت لا تامنها فان الشر يلمع من افئدتها

ويترتب

ويترتب على فهم الحديث لشرحه فايدتان احداهما ان تجتهد في افعال الخير لعله يدفع عنك بها من
الشر ما لا تعلمه وقد كتب عليك فيكون بمن وقاه معروفه مصارع السوء والاخرى دوام الخوف وان
كنت على ارفع الاحوال وعلى اي حالة كنت خوفا ان يكون قد سبق عليك في الكتاب الختم بما لا تضيفه
وانت لا تعلم ومن اجل هذه الاشارة قال جل جلاله انما يخشى الله من عباده العلماء جعلنا الله
ممن يخشاه وكانت خشيته الى سعادته بمنه عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه اذا ان يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه اخر ولكن تفسحوا وتوسعوا ظاهر الحديث
يدل على حكمين احدهما النهي ان يقام الرجل من مجلسه الذي جلس فيه ويجلس فيه غيره والثاني الامر
بالتفسح فيما بين الجلاس والتوسع اذا دخل عليهم والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل هذا على عمومه
في كل مجلس او هو على الخصوص في مجالس مخصوصة وهل هذا ايضا عام في كل الرجال او منها هل
هذا مقيد او الحكمة فان كان الحكمة فما هي وهل النهي عن ذلك على الكراهية او التحريم مما قولنا هل ذلك
عام في كل المجالس او هو في مجالس مخصوصة صيغة اللفظ تقتضي العموم وقواعد الشرع تخصصه
لانه قد تقرر من الشرع انه من جلس فيما ليس له ملك ولا له فيه سبب يوخذ ذلك من انه يقام ويخرج
ولا ينزل منزلة من له ذلك واذن فيه من له الاذن في ذلك فما ينبغي ان يكون ذلك الا خاصا في المواضع
المباحة للناس دخولها او الجلوس فيها اما على العموم للناس كلهم مثل المساجد ومجالس الحكام والعلم
الذي هو لله او ما يشبه ذلك او على الخصوص مثل من يدعو قوما مخصوصين الى منزله في وليمة او غيرها
مما اجازته الشريعة فهذه المجالس من جلس فيها مجلسا فلا يقام منه واما قولنا هل هذا عام في كل
الرجال او لا فظاهر اللفظ العموم وما يقرر من الشريعة ايضا يخصصه مثل ازالة المجانين من المساجد
اذا تاذوا بهم الجلاس وكذلك كل من يكون فيه اذاية للجلاس فانه يخرج لقوله صلى الله عليه وسلم
لا ضرر ولا ضرار ويشترط ان يكون ذلك الضرر مما يراه الشارع صلوات الله وسلامه عليه ضررا
لا بحظ نفساني ولا بحظ دنياوي وكذلك يقام السفهاء من مجالس الحكام والعلم واعني بالسفهاء
الذي يسفهون بالالسنة حتى يخرجوا المانيا في مجالس العلم والحكم وما يشبه هذا واما قولنا

هل هو تعبد او لحكمة فان كان تعبدا فلا تعليل ولا توجيه وان كان لحكمة وهو الظاهر فما هي فنقول والله
الموفق للصواب ان الحكمة فيه ظاهرة من وجهين احدهما منع تكبر بعضنا على بعض وان ازالة هذا من مجلسه
واجلاس غيره فيه استفاض بالقيام واستصغار له وترفيع المجلس في مجلسه وتكبره منه وقد قال صلى الله عليه
وسلم انه اوحي الي انه لا يفخر بعضكم على بعض ولا يتكبر بعضكم على بعض او كما قال عليه السلام وهو ايضا
مما يوجب الضغائن في الصدور والاحقاد وقد نهينا عن ذلك وما هو السبب الي شيء فهو سبله والوجه
الاخر ان المباح كلا الناس كلهم فيه على حد سواء الرفيع والوضيع فمن سبق الي شيء منه فقد استحقه
ومن استحق شيئا من الاشياء بوجه شرعي فما اخذ منه بغير وجه شرعي فقد غصب والغصب حرام
بدليل الاجماع فلما جلس هذا بمجلسه من تلك المجالس المتقدم ذكرها فقد استوجبه بوجه شرعي فلا
يقام منه لانه هو المستحق له واما قولنا هل النهي عن التحريم او الكراهية فعلى التوجيه الاول يكون
على التحريم وهو الظاهر لانه يمكن الجمع بين التعليلين فاذا كان الجمع بين التعليلين ممكنا انزلت
الصغرى التي هي النهي في الكبرى التي هي التحريم وبقي هنا بحث وهو انه ان فعل المجالس ذلك من تلقاء
نفسه هل يدخله شيء من النهي او ليس لها ان سالما من الشوائب فالظاهر انه ليس فيه كراهية وان دخله
شيء من الشوائب مثل ان يفعله تخوفا او لشدة تهيبا وما هو في معنى ذلك فيكون مثل اصحاب
السبت لما نهوا عن الصيد فيه عملوا الحيلة للصيد في يوم الجمعة واخذوا يوم الاحد فكان من امرهم
ما اخبر الله عز وجل عنهم في كتابه فكان حقيقة صيدهم يوم السبت لان تلك الحيلة امكنهم اخذ
الصيد يوم الاحد وما لا يوصل الي شيء الا به فهو منه وان اختلف نوعها وقد ذكر لي عن بعض اهل الفضل
بجزيرة الاندلس وكان ممن فتح عليه في دنياه انه دعي الي عقد نكاح فلما دخل المنزل لم يجد فيه ان
يقعد فبقي واقفا فجلانا ولحقه الدهش لان المجلس كان حفلا وكان ممن قاعد في المجلس شخص كان
للداخل عليه دين مائة دينار فقام الذي عليه الدين من مجلسه واجلس فيه ذلك السيد فلما انفض المجلس
وجه ذلك السيد الذي كان دخل اخر الناس ولحقه الدهش لذلك الشخص الذي كان قام له من
مجلسه وجلسه فيه عقده والذي كان عليه بالمائة دينار وقد اشهد على نفسه بتبرئته منها

114

محافاة له على زوال خجلته في ذلك المجلس تنبيه في الحكاية اشارة الي من تاخر عما دعي اليه يلحقه
الخجل فاحذرها يخلك يوم الوفد ولا يحيص وقوله صلى الله عليه وسلم ولكن تفسحوا وتوسعوا اعلم
هما لفظان مترادفان بمعنى واحد ولكل لفظ معنى احتمل الوجهين معا لكن الاولى ان يحمل كل واحد
منهما على معنى فان ذلك اكبر فائدة فيكون معنى تفسحوا اي توسعوا فيما بينهم للداخل ان يقعد
فان السنة ان الداخل يجلس حيث انتهى به المجلس فلما لم يبق لهذا الداخل من المجلس اين يجلس فيكون
صلى الله عليه وسلم قد خير اهل المجلس ان يفعلوا مع الداخل احد هذين الوجهين ايهما فعلوا فقد ما بوا
السنة لكن بشرط ان يكون المجلس يحمل هذا بلا ضرر على الجالس لانه قد قال صلى الله عليه وسلم لا ضرر
ولا ضرار مثال ذلك ان يدخل شخص والمجلس قد غص باهله فيفسحوا له ويوسعوا ثم ان كذلك
ثم ثالث كذلك ثم رابع كذلك فاذا لم يطيقوا الكثرتهم وضيق المجلس ان يفسحوا ولا يوسعوا ثم ان كذلك
ولا عليهم ضرر في ذلك فلا يلزمهم من ذلك شيء لكن من حسن المعاملة ان يعتذر له حتى ينصرف
وهو طيب النفس لقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف منكم فقال في حلفه
باللات فليقل لا اله الا الله ومن قال لصاحبه تعالى اقامرك فليتصدق ظاهر الحديث يدل على امرين
احدهما امره صلى الله عليه وسلم ان من قال في حلفه باللات والعزى ان تكفير ذلك ان يقول لا اله الا
الله والثاني من قال لصاحبه تعالى اقامرك فليتصدق ففي ذلك كفارة والكلام عليه من وجوه منها امره
عليه السلام لمن حلف باللات والعزى ان يقول لا اله الا الله هل هذا خاص بهذه اللفظة ليس الا
او هل هذا هو الحكم في كل ما هو معنى هذا وطريقه وهل هذا تعبد او لحكمة في ذلك معقولة المعنى وهل
الامر بهذين عام فيمن قالها معتقدا او غضبانا او خطا على احد سواء وبينهما فرق اما قولنا هل هذا
خاص بمن ذكر في يمينه اللات والعزى او هو عام في كل حلف بشيء من الطواغيت وما هو في معناه
ظاهر اللفظ يقتضي انه خاص به وما يفهم في معناه وما جاء عنه عليه السلام في غير هذا الحديث يقتضي
تعدي الحكم الي انه من كان حلفه بشيء من الطواغيت والاصنام التي تعبد من دون الله وما في معنى ذلك ان

يقول صاحب هذا القول لا اله الا الله فان ذلك كفاية لما قال لانه من جهة المعنى قد تلفظ بما يشبه
الردة فان الحالف بشيئ هو معظم له فهذا قد عظم شيئا سوي الله على نحو ما يفعله الكفار
بالله تعالى فينبغي له ان يظهر ابطال ما قال ويحتقرها عظم بان يعلن بقول لا اله الا الله فكان
اعلانه بها رجوعا الى الاسلام وتوبة من ذلك الخلل الذي ظهر منه وما في معناه كذلك ينبغي الحكم
فيه وقد جاء ذلك ايضا عنه صلى الله عليه وسلم وهو قوله عليه السلام من قال هو يهودي او نصراني
فليقل لا اله الا الله وكذلك يلزم في كل من قال عن نفسه انه على دين الاسلام الحكم كالحكم سوا
سئل ان يقولوا هو مجوسي او غير ذلك مما يشبهه لانها ردة في الظاهر فينبغي الرجوع عنها باظهار
كلمة الاخلاص وكذلك البحث على قولنا هل امره بالصدقة خاص بمن قال لصاحبه تعالي اقامرك
فاما ظاهر اللفظ فيقتضي ان هذا حكم هذا القائل وان نظرنا الى المعنى عدينا الحكم حيث وجدنا العلة
لان قول البعض لصاحبه تعالي اقامرك ان ناكل اموالنا بيننا بالباطل على وجه حرام فحيث
ما وجدنا هذه العلة عدينا الحكم على المعروف من عادة الفقها في ذلك وبقي بحث وهو هل هذا
الامر بالصدقة هنا على طريق الندب لان قاعدة مذهبنا ان كل امر امر به لم يكن محدودا بالكتاب
والسنة فانه من باب الندب مثل الامر بالمتعة لما امر بها مولانا سبحانه في كتابه ولم يحدها
ولا وجد في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم لها حدا حملها مالك ومن تبعه على الندب ولذلك
كل ما امر به ولم يجد فيه شيئ مثل هذه الصدقة وما في معناها ومذهب الشافعي ومن تبعه في
ذلك حمله على الوجوب وتجزي فيها اقل الاشياء لان ذلك قاعدة مذهبهم واما قولنا هل الامر
عام فيمن قالها متعمدا او هازلا او غلطا فاللفظ يقتضي العموم لكن بينهم فرقا ما من قالها متعمدا
معتقدا لذلك فيجب عليه ان يدخل في الاسلام لخروجه منه باجري ويجدد التوبة من ذلك على ما قد
بينا من حدود التوبة قبل في غير ما حديث فان كان غضبانا او غالطا فينبغي له قول امر به
او فعله هذا هو الظاهر ولا ينبغي تخصيص لفظ الحديث بغير مخصص وفيه دليل على الاخذ بسد
الذريعة في غلق باب الشيئ بالجملة الكافية حتي لا يقع من المومن في الاسلام لا بقول ولا

بفعل ولا تسامح في ذلك بشيئ ومما يؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تتشبهوا باهل الكتاب
وقوله عليه السلام ثلاثة يبغضهم الله وعد فيهم من استن في الاسلام سنة الجاهلية وقوله عليه السلام
ان الرجل ليتكلم بالكلمة من السخط لا يبالي بها يهوي بها في النار سبعين خريفا او كما قال عليه السلام
والاثر في ذلك كثير ومجموع ذلك يدل على حفظ المومن نفسه مما يخالف دينه جدا
وقع ذلك منه او هو لاء وفي هذا دليل لاهل السلوك لانهم منعوا انفسهم من الاخذ في المباح وجعلوا
ذلك حماية بينهم وبين المكروه فذلتهم النفوس ما اعرفهم بها واكبر اهتمامهم بالدين وطرق النجاة
وقد قيل نفسك فزضها وعلى طرق الخير فاحملها ولا تغفل عن سياستها فالقدر من شانها عن شداد
بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الاستغفار ان تقول اللهم انت ربي لا اله
الا انت خلقتني الحديث ظاهر الحديث اخباره صلى الله عليه وسلم ان هذه الالفاظ المذكورة
في هذا الحديث هي اعلى انواع طرق الاستغفار واقربها الى الله عز وجل والكلام عليه من وجوه
منها ان يقال هل جعله صلى الله عليه وسلم هذه الالفاظ سيدا الاستغفار تعبد لا يعقل له معنى او هل
تفهم الحكمة في ذلك وهل ان سيد معناه ازاف فهم في الفاظ اخر بزيادة او نقص والمعنى باق على
حاله هل تبقى له تلك الرفعة والمنزلة ام لا وهل المستغفر بهذه الالفاظ يكون استغفاره ارفع
ممن استغفر بالفاظ غير هذه وكانت نيته ارفع من نية صاحب هذه الالفاظ ام لا وكذلك الاوقات
ايضا قيل فضيلة الاوقات في الاستغفار تفضل هذه او هذه تفضلها اما قولنا هل هذا تعبد
او الحكمة تفهم فالجواب انه لحكمة الاتري حسن الفاظه وما جمعت من بديع معاني الايمان
فانه جمع فيه بين الاقرار لله بالالهية والاعتراف له عز وجل انه خالقه والاعتراف على نفسه بالعبودية
لله عز وجل والاعتراف بالعهد الذي اخذه عليه والرجا فيما وعده مولاه والاشارة الى جمع بين
الشريعة والحقيقة بقوله وانا على عهدك ووعدك ما استطعت فان الحكمة وهي الشريعة
وما كلفنا من التكاليف انما يحصل اذا كان في ذلك للعبد العون بقدرة من القادر الذي تعبدنا
وهي التي يكفي عنها بالحقيقة فاذا اراد القادر الحكيم ضد ذلك وهو ما قدر على العبد في نفسه

حتي يجري عليه ما يجري قدر عليه وقامت الحجة عليه بمقتضي الحكمة والعدل التي هي الشريعة والرسق
له شيء يدفع عن نفسه الا اما عقاب بمقتضي العدل وظهور الحجة واما عفو بمجرد الفضل من الله
والرحمة كما تقدم والكلام على غير ذلك في غير ما موضع من الكتاب ويتبين ذلك بالكتاب والسنة
ثم استعاذته بمولاه الجليل من شر ما جنى على نفسه ورغبته في مغفرة ذنبه والاقرار انه ليس يقدر
احد على مغفرة الذنوب الا الله سبحانه فيحق ان يطلق عليه الاستغفار ولان صيغة الاستغفار لغة
وعادة هو استغفر الله فانظروا كيف وجه تفضل هذا الاستغفار المشار اليه هذه الصيغة المعروفة لغة
وعادة تبين لك حقيقة الحكمة في ذلك عيانا واما قولنا اذا سبك ذلك المعنى بالفاظ غير هذه ولا ينقص
من المعنى شيء هل يبقى حقيقة هذا الاسم ام لا فاعلم وفقنا الله واياك ان المعاني التي اخذت من
الفاظ الشارع صلى الله عليه وسلم انها اذا ازيلت تلك الالفاظ المباركة عن تلك المعاني ان ذلك الخير لا يوجد
له مثل الا ان الله عز وجل قد جعل الخير فيه صلى الله عليه وسلم وعلى يديه الكريمتين وفي لفظه واشارته
وكل ما يكون عنه او به لا يخلفه في ذلك غيره صلى الله عليه وسلم ما تري الي اختلاف العلماء في نقل
كلامه عليه السلام هل ينقل بالمعنى بشرط ان لا يخل فيه بشيء او لا ينقل الا بالفاظه والواو وكما ينقل
القران وعلى هذا هم جمهور العلماء لانه كله عن الله وما بينهما الا ان الكتاب بالوحي بواسطة
الملك وهذا عن الله بطريق الالهام والارشاد قال عز وجل في حقه وما ينطق عن الهوى فكيف
فيما جعلت فيه فضيلة فانما حصلت تلك الفضيلة لمجموع الامرين وهما حسن المعنى وبركة لفظه
عليه السلام فانه كذلك شاءتها الحكمة والقدرة الربانية لا تبديل لحكم الله وهذا جار في هذا الحديث
وفي كل ما جاء عنه عليه السلام بلفظ مخصوص فلا يبدل ذلك اللفظ بغيره اصلا واما قولنا هل
يكون المستغفر بهذا الاستغفار ونيته ليست بتلك المجودة سيدا على من استغفر بغير هذا الاستغفار
ونيته صالحة على ما اريد منه من الحضور والادب فاعلم وفقنا الله واياك ان حسن النية في الاعمال
لا يكون شيء في جزء منها كقوله عليه السلام الاعمال بالنيات ولقوله عليه السلام اوقع الله اجره قدر
نيته وانما قال سيدنا صلى الله عليه وسلم ان هذا سيد الاستغفار في الذين تساوت نياتهم واحوالهم

فاذا

فاذا تساوت النيات والاحوال ففي كل نوع منها الذي يستغفر بهذا الاستغفار فاستغفاره سيد نوعه واما
وكذلك جميع التعبدات من فرض ونفل وغيره من التفضيل في كل نوع منه بوجهين اما بموضع له من حده
بحسب نيات الفاعلين له واحوالهم وبحسب اختلافهم في ذلك ومن اجل ذلك قال صلى الله عليه وسلم
في الصلاة المفروضة التي هي في الدين بمنزلة الرأس من الجسد انه يكتب له نصفها او ثلثها او ربعها
عشرها وفي لفظ اخر ومنهم من تطوي كالثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول له ضيعتني
ضيعك الله وكما قال عليه السلام فدخل المسكين في الصلاة لان يأتي بخير العبادات فانعكس
عليه الامر من اجل سوء حاله اتي هذا قال هو من عند انفسكم واما قولنا هل المستغفر بهذا الاستغفار
يفضل الذي يستغفر بغيره في الازمنة المرغب في الاستغفار فيها ام لا فالجواب على هذا كالجواب
على النية وحسنها لان تلك الفضيلة التي جعلت في الزمان لا تقاس بفضيلة الالفاظ والنيات وانما
هذا سيد الاستغفار اذا تساوت المراتب من كل الوجوه والا اذا كان هذا قد استغفر بغير هذا الاستغفار
في الاسحار سرا فقد حصل له فضيلة السر في استغفاره لقول مولانا جل جلاله وبالاسحار هم
يستغفرون واستغفر شخص اخر بهذا الاستغفار بالنهار حصل له سيد استغفار من استغفر
بالنهار مثل حاله وليس للعقل طريق بان يحكم بايهما افضل عند الله تعالى هل الذي استغفر في
السر بغير هذا او هذا الذي استغفر بالنهار بهذا الاستغفار لان هذه التحديدات لا توخذ
بالعقل ولا بالقياس وانما طريقها ما يلقي في ذلك من الشارع صلى الله عليه وسلم وهذا المعنى
عن الشارع صلى الله عليه وسلم فيه شيء فيرد الامر فيه الى الله لا غير ويترتب على النظر في هذا
الحديث واشباهه ان الحكمة الربانية كما اقتضت التفضيل بين العباد وجميع الحيوان وكذلك
سائر المخلوقات على ما هو متلقى من طريق الرسل عليهم السلام واخبارهم فكذلك اقتضت الفضيلة
بين انواع العبادات وتضعيف الاجور في ذلك من وجوه فمنها بنوعها ومنها بحسن المعاني
بين النوع الواحد في انواعه ايضا ومنها من طريق الالفاظ ومنها من جهة الاماكن ومنها
من جهة الازمنة ومنها من جهة النية والقاصد ومنها من جهة الاحوال والشيم وقال عن

وجل في كتابه حضا على طلب الاعلى فالاعلى من هذه تنبيها للمكلف عليها وحضا له على طلبها وتحصيلها
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
وحضت السنة على ذلك بتبيين فضيلة كل قسم منها وتعيينه وبما للعامل في ذلك باتم بيان ثم
الدليل على ذلك بلفظ مجمل وهو قوله صلى الله عليه وسلم كفى بالعبادة شغلا الا ترى من جعل همته
ان ياخذ الاعلى فالاعلى من تلك السبعة وجوه لا يسعه مع ذلك شغل غيره لانه ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه وفيما بينهما عليه حجة لاهل السلوك على طريقة الا انهم بهذا عمروا اوقاتهم وبالبحث
عليه والاهتمام به شغلوا انفسهم حتى انهم لبعضهم سئل عن الصباح والمساء فقال لا اعرفهما
فاسال عنها غيري لانه راي الاخذ في هذا من قبيل اللغو وشغل الوقت بما لا يعني من الله علينا
بما به من عليهم بكرمه وفضله عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن يرى
ذنوبه كانه قاعد تحت جبل الحديث ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما اخباره صلى الله عليه
وسلم بحال المؤمن وكبر ذنوبه في عينه حتى يراها مثل جبل واقع عليه والاخر اخباره صلى الله عليه
وسلم بحال الفاجر واحتقاره لذنوبه حتى يراها كذباب مر على انفه والكلام عليه من وجوه منها ان فيها
دليلا لاهل السنة انهم لا يكفرون احدا من اهل القبلة بذنب وردا على القدرية الذين يكفرون
بالذنوب يوخذ ذلك من قوله عليه السلام ان المؤمن يرى ذنوبه فسمى بهذا المذنب باسم الايمان
ولم يخرج بذنوبه من دائرة الايمان وفيه دليل على ان الفجور امر قلبي مثل الايمان لانه امر قلبي
ايضا يوخذ ذلك من انه صلى الله عليه وسلم وصفه بالذنوب كما وصف المؤمن بالذنوب فجاءته
التفرقة بين المؤمن والفاجر بامر قلبي وبيان ذلك من جهة النظر والعقل انه لما كان للمؤمن
قلبه منورا بالايمان وراى من نفسه ما يخالف ما تنور به قلبه وهو الايمان عظم الامر عليه لانه
لا شيء اثقل على الانسان من ضده عقلا ونقلا قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين من اجل
النسبة التي بينهم خفت عليهم وكذلك اهل التوفيق خفت عليهم الطاعات حتى صاروا يتنعمون
بها ويجدون لها حلاوة حتى انه روي عن جماعة من اهل هذا الشان انهم يحسون بالحلاوة تنسكب

على قلوبهم عند استغراقهم في الطاعات مثل ما يجدون حلاوة السهد على قلوبهم في حين سرورهم له
بل اعظم وارق واجل هذا موجود خلف عن سلف الى هلم جرا ومما يويد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
في الصلاة ارحنا بها يا بلال وقوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة لما كان يجد فيها
فانه صلى الله عليه وسلم القدوة في كل خير حالا ومقالا ولما كان الفاجر قلبه مظلما بما فيه من الفجور وضعف
الايمان خفت عليه ذنوبه من اجل النسبة التي هناك ولذلك قد كثر في زماننا هذا اذا جيت لفظ بعض
من قد ظهرت عليه علامات الفجور في ذنب وقع فيه فيكون جوابه هذا اشتهينا ان لا يكون الا هذا
قريب وعدم الاهتمام بدينه ظاهر عليه اعاذنا الله من ذلك بمنه ويترتب على هذا الحديث بان الدليل على فجور
الشخص قلة حزنه على ذنوبه وتهوينا عليه وخفتها وان الدليل على ايمانه حزنه وخوفه يويد ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم ما اصبح المومن فيها يعني دار الدنيا الا حزينا ولا امسى الا حزينا او كما قال عليه السلام
لانه من الذي لم يقع منه قط مخالفة ولو صغيرة انما ذلك مقام الانبياء والرسل صلوات الله عليهم
اجمعين ومن من الله عليهم من الصديقين وهم قليل فجاء اخباره صلى الله عليه وسلم على الغالب
وعليه انبنت الشريعة غالبا وقد يكون على عمومه فيكون حزن الرسل والصديقين من اجل الغير
لما يروا منهم مما اقتحموا بانفسهم من المهالك لكثرة ما اودع الله تعالى في قلوبهم من الشفقة والرحمة
كما قال مولانا جل جلاله لسيدنا صلى الله عليه وسلم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فالعاقل يقيم هذا
الميزان على نفسه حتى يتبين له من اي الفريقين هو وكفى بنفسك عليك حسيبا وهما في معناه
عن قضاة الخير من تقدم انه كان له شاهدان عدلان وكان الذي له الامرة في وقته ظالما
فجبر ذلك الظالم ذلك الشاهدين ان يا كلا على مائدته فاسقط القاضي شهادة احدهما وابقى الاخر على
عدالته فقال له الذي اسقطه لما اسقطت شهادتي فقال له القاضي لانك اكلت من مائدة الظالم
فقال له وان صاحبي اكل معي عليها فقال له ان صاحبك اكل وهو يبكي وانت اكلت وانت تضحك
فلحظ القاضي هذا المعنى الذي اشرنا اليه فدل تهاون الذي كان يضحك بما وقع فيه على فجوره
وكان سببا الى تحريجه وهنا بحث وهو ان يقال لم مثل عليه السلام خوف المومن من ذنوبه

وجل في كتابه حضا على طلب الاعلى فالاعلى من هذه تنبيها للمكلف عليها وحضا له على طلبها وتحصيلها
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
وحضت السنة على ذلك بتبيين فضيلة كل قسم منها وتعيينه وبما للعامل في ذلك باتم بيان ثم
الدر عليه السلام ذلك بلفظ مجمل وهو قوله صلى الله عليه وسلم كفى بالعبادة شغلا الا ترى من جعل همته
ان ياخذ الاعلى فالاعلى من تلك السبعة وجوه لا يسعه مع ذلك شغل غيره لانه ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه وبينما انهنا عليه حجة لاهل السلوك على طريقتهم بهذا عمروا اوقاتهم وبالبحث
عليه والاهتمام به شغلوا انفسهم حتى انهم لبعضهم سئل عن الصباح والمساء فقال لا اعرفهما
فاسال عنهما غيري لانه راي الاخذ في هذا من قبيل اللغو وشغل الوقت بما لا يعني من الله علينا
بما به من عليهم بكرمه وفضله عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المومن يرى
ذنوبه كانه قاعد تحت جبل الحديث ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما اخباره صلى الله عليه
وسلم بحال المومن وكبر ذنوبه في عينه حتى يراها مثل جبل واقع عليه والاخر اخباره صلى الله عليه
وسلم بحال الفاجر واحتقاره لذنوبه حتى يراها كذباب مر على انفه والكلام عليه من وجوه منها ان فيها
دليلا لاهل السنة انهم لا يكفرون احدا من اهل القبلة بذنب وردا على القدرية الذين يكفرون
بالذنوب يوخذ ذلك من قوله عليه السلام ان المومن يرى ذنوبه فسمى هذا المذنب باسم الايمان
ولم يخرج بذنوبه من دائرة الايمان وفيه دليل على ان الفجور امر قلبي مثل الايمان لانه امر قلبي
ايضا يوخذ ذلك من انه صلى الله عليه وسلم وصفه بالذنوب كما وصف المومن بالذنوب فجاءته
التفرقة بين المومن والفاجر بامر قلبي وبيان ذلك من جهة النظر والعقل انه لما كان للمؤمن
قلبه منورا بالايمان وراى من نفسه ما يخالف ما تنوره قلبه وهو الايمان عظم الامر عليه لانه
لا شيء اثقل على الانسان من ضدها عقلا ونقلا قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين من اجل
النسبة التي بينهم خفت عليهم وكذلك اهل التوفيق خفت عليهم الطاعات حتى صاروا يتنعمون
بها ويجدون لها حلاوة حتى انه روي عن جماعة من اهل هذا الشان انهم يحسون بالحلاوة تنسكب

على

على قلوبهم عند استغراقهم في الطاعات مثل ما يجدون حلاوة السهد على قلوبهم في حين سرهم له
بل اعظم وارق واحلا هذا موجود خلف عن سلف الى هلم جرا ومما يويد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
في الصلاة ارحنا بها يا بلال وقوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة لما كان يجد فيها
فانه صلى الله عليه وسلم القدوة في كل خير حالا ومقالا ولما كان الفاجر قلبه مظلما بما فيه من الفجور وضعف
الايمان خفت عليه ذنوبه من اجل النسبة التي هناك ولذلك قد كثر في زماننا هذا اذا جيت لفظ بعض
من قد ظهرت عليه علامات الفجور في ذنب وقع فيه فيكون جوابهم هذا اشتهينا ان لا يكون الا هذا
قريب وعدم الاهتمام بدينه ظاهر عليه اعاذنا الله من ذلك بمنه ويترتب على هذا الحديث ان الدليل على فجور
الشخص قلة حزنه على ذنوبه وتهوينا عليه وخفتها وان الدليل على ايمانه حزنه وخوفه يويد ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم ما اصبح المومن فيها يعني دار الدنيا الا حزينا ولا امسى الا حزينا او كما قال عليه السلام
لانه من الذي لم يقع منه قط مخالفة ولو صغيرة ايما ذلك مقام الانبياء والرسل صلوات الله عليهم
اجمعين ومن من الله عليهم من الصديقين وهم قليل فجاء اخباره صلى الله عليه وسلم على الغالب
وعليه انبنت الشريعة غالبا وقد يكون على عمومه فيكون حزن الرسل والصديقين من اجل الغير
لما يروا منهم مما اقتحموا بانفسهم من المهالك الكثيرة مما اودع الله تعالى في قلوبهم من الشفقة والرحمة
كما قال مولانا جل جلاله لسيدنا صلى الله عليه وسلم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فالعاقل يقيم هذا
الميزان على نفسه حتى يتبين له من اي الفريقين هو وكفى بنفسك عليك حسيبا وهما في معناه
عن قضاة الخبر من تقدم انه كان له شاهدان عدلان وكان الذي له الامرة في وقت ظالما
فجبر ذلك الظالم ذلك الشاهدين ان يا كلا على مائدته فاسقط القاضي شهادة احدهما وابقى الاخر على
عدالته فقال له الذي اسقطه لم اسقطت شهادتي فقال له القاضي لانك اكلت من مائدة الظالم
فقال له وان صاحبي اكل معي عليها فقال له ان صاحبك اكل وهو يبكي وانت اكلت وانت تضحك
فلحظ القاضي هذا المعنى الذي اشرنا اليه فدل تهاون الذي كان يضحك بما وقع فيه على فجوره
وكان سببا الى تجريحه وهنا بحث وهو ان يقال لم مثل عليه السلام خوف المومن من ذنوبه

بالجبل يقع عليه وما الحكمة في ذلك ولم يكن بغيره والجواب ان غير ذلك مثل الغرق او الحرق او القتل
او غير ذلك قد يتسبب بعض الناس فيما يحل بهم من ذلك وقد ينجو منه بلطف من الله تعالى وقد وقع من
ذلك ما روي عيانا فانه حكي عن بعض من لحقهم الغرق انهم نجوا او نجا منهم بعضهم وكذلك في الحرق
والهدم وكذلك وجد في بعضهم تعلل وعولج زمانا حتى برا وهذه الاشياء اعظم المهلكات بعد
هذا الجبل ولولا التطويل لذكرنا منها حكايات جملة ووقع الجبل ليس معه حيوة اصلا فالهلاك
في ذلك مقطوع به فلذلك مثل به صلى الله عليه وسلم لان المومن اذا راي من نفسه ما يخالف الايمان
خاف على نفسه اشد الاشياء وهو النفاق الذي الهلاك معه مقطوع به ان مات عليه وخاف
من قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لا تفعلون فحزنوا من اجل كبر هذا المقت لان ما كبره الله سبحانه فهو امر عظيم لا يحمله
اهل الايمان ويصعقون منه ولذلك لما علم مولانا سبحانه خوفهم من ذلك طمعهم وراجاهم
بقوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وهنا بحث وهو
ان يقال لم شبه الفاجر بالذباب وما الحكمة في ذلك ولم يكن مثل الاذرا وما في شبهه مثل الحشرات
وغير ذلك والجواب عنه انه لما كان الذباب اخف الطير واقله ضررا وهو مما يعاين ويندفع باقل
الاشياء وان عض فليس لعضته ضرر بخلاف الذر الذي هو اقل الحشرات لان التحفظ منه عسير وفيه
شدة وانفصال بطئ واذا عض فلعضته حرارة وفيها ازاية في الاموال حتى ان اكثر يكون بسبب
ضررهم جائحة كثيرة وليس ذلك في الذباب فلذلك مثل صلى الله عليه وسلم به وفي تمثيله عليه السلام
بالانف من بين سائر الجوارح واشاره به لدفعه عنه بيده وجهان من اللغة احدها المبالغة
في تخفيف ذنوبه عليه لان الانف قل ما ينزل الذباب عليه وانما يفضل الغالب العينين وازالته بيده
تاكيد في الخفة ايضا حتى لا يلحقه منه شيء من التشويش والوجه الاخر ان يستعمل في التمثيل
ما هو اقوى لان اشارته عليه السلام هنا بيده اقوى من القول فكفى بالاشارة عن الكلام

لقوتها في الموضع وفي هذا دليل على ما اعطي صلى الله عليه وسلم من كثرة معرفته بالاشياء وادراكه
ذلك على البديهة متى شاء فان كان ادم عليه السلام علم الاسماء كلها فقد وهب سيدنا صلى الله
عليه وسلم معرفة الاشياء كلها وفائدة معرفة الاشياء اكبر من معرفة اسمائها تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وفيه دليل على جواز ضرب المثل بكل
ما هو ممكن بحسب قدرة القادر وان كان لا يقع وان وقع فيكون بخرق العادة لا بجزء من اجزائها
المتعاهد ويوخذ ذلك من قوله عليه السلام كانه قاعد تحت جبل يخاف ان يقع عليه لان هذا
من جهة القدرة ممكن وما وقع هذا لبني اسرائيل حين رفع الله عليهم الجبل وهم يخافون ان
يقع عليهم حتى امتثلوا ما امروا به فجاء بخرق العادة لموسى عليه السلام وفائدة اخباره صلى
الله عليه وسلم لنا بهذا الحديث ارشادنا الى ان لا نغفل عن محاسبة نفوسنا وان تحيير العلامات
الدالة على بقاء نعمة الايمان علينا فانه قد جاء في الصحيح ان الرجل ينام النومة فتقبض الامانة من
قلبه فيظل اثرها مثل المحل كجمر دحرجته على رجلك فنقط فتراه منبرا وليس فيه شيء ثم اخذ عصاة
ودحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد احد يودي الامانة حتى يقال ان في بني فلان
رجلا امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما في قلبه مثقال ذرة من ايمان او كما ورد
الوقف سواد اللون والجلد يحلت بيده اذا صلها العمل البلد ورم في الجسد كله جعلنا الله ممن
اكمل عليه نعمة الايمان في الدارين بمنه فانه منان كريم عن النبي صلى الله عليه وسلم لله افرح
بتوبة العبد من رجل نزل منزلا الحديث ظاهر الحديث الاخبار بشدة فرح الله عز وجل
بتوبة العبد اذا هو تاب والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معنى فرح الله سبحانه بتوبة العبد
فالجواب انه قد تقدم في غير ما موضع من الكتاب ان هذه الاوصاف التي هي من صفات المحدثات
مثل الفرح والحزن والحب وما اشبه ذلك انها في حق الله سبحانه مستحيلة وانما معناها تضمنه تلك الصفة
بجري العادة عندنا لان الافهام لا يراد منها الا بالتمثيل بما نعلمه من عاداتنا واوصافنا فكانه صلى
الله عليه وسلم عن كثرة احسان الله سبحانه وكثرة تجاوزه عنه وعظيم الافضال عليه بقوة

به وسكت عن الاشارة الي منعه كما فعل في المجاهدين وصفاته عز وجل بنفسه عليه السلام هو المشرع
فلا يتكلم الا بالشيء الذي يكون فيها الاشكال ما قد يجوز من ذلك ما يقول او باشارة او كما في
معناها وفيه دليل على انه حيث يعدم الطعام والشراب يسمي مهلكة يوخذ ذلك من ان صاحب الراحلة
لم يكن له شيء يخافه في تلك المهلكة الا عدم الطعام والماء الذي كان على راحلته ولو كان له خوف مما
سوي ذلك كان يذكره لانه كان يكون زيادة في قوة كربه فيكون فرحه براحلته اكثر ولا كان يمكنه نوم
مع ذلك كما هو المعهود من الناس ذلك لانه لو كان له خوف من سباع او لصوص لم يمكنه النوم مع
ذلك لان الخوف مثل هذا يذهب بالنوم على العوايد الجارية في الناس وفيه دليل على انه من ركن الى
ما سوي مولاه فانه يقطع به احوج ما يكون اليه يوخذ ذلك من نوم هذا في تلك المهلكة لفقده براحلته
التي عليها طعامه وشرابه الذي يظن انه ينجيه من تلك المهلكة فاحوج ما كان اليها لم يجدها وهو
عند استيقاظه من نومه اكثر اضطرارا لحاجته الى ذلك بسرابه وطعامه ولذلك قال بعض اهل
التحقيق من سره ان لا يري ما يؤلمه فلا يتخذ شيئا يخاف له فقده اي من عول على غير من
لا يحول ولا يزول فلا بد له من الاضطرار غالبا ومن كان عدته مولاه فلا يفقد حيث يحتاج
اليه ابدا بل يجده به رؤفا رحيما قال عز وجل في كتابه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وفيه دليل على
ان هم البشرية وفرحتها غالبا انما هو على ما جرت به اثر الحكمة من الفوايد المعتادة بينهم لاهل
التحقيق وقليل ما هم يوخذ ذلك من ان حزن هذا صاحب المهلكة على ذهاب راحلته انما كان
خوفه من الموت من اجل عدمه الطعام والشراب وفرحه بها غالبا انما كان من اجل وجوده الطعام
والشراب الذي لم ينسبون الحيوة اليه وقد يكون الامر بالعكس ان يكون بيع الطعام والشراب
كما قال ابو حامد الغزالي رحمه الله ان الرزق الذي ضمنه الله عز وجل لعباده ليس من شرطه ان
يكون محسوسا فقد يكون محسوسا وقد يكون غير محسوس وانما ضمن لهم ان يرزقهم قوي لهذا
الحسد بما يعهدونه فيجعله كيف شاء والذي يقع لي ان هذا المعنى هي الاشارة بقول سيدنا صلى الله
عليه وسلم اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقين اي ان ايماني ويقيني ليس كايمانكم

هذا الفرج الذي لحق صاحب هذه الراحلة عند وجودها بعد ذلك الكرب العظيم الذي لحقه والمعلوم
من عوايد الملوك الكرام اذا فرحوا بشيء ان ذلك الشيء الذي فرحوا به يحسنون اليه احسانا
الذي يخرق العقول ويرفعونه المنازل الرفيعة التي ليس فوقها منزلة وكذلك جاء عن مولانا سبحانه
في حق التاديب بالنص في ذلك من الكتاب والسنة في غير ما موضع فمن الكتاب قوله تعالى الا من
تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده ويعفو عن السيئات ومن السنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم التوبة تجب ما قبلها
وقوله عليه السلام اذا تاب العبد يباهي الله به الملائكة الاعلى ويقول له سراج بين الارض والسما
وينادي مناد من قبل الله عز وجل ان فلان بن فلان قد صالح مولاه او كما قال والاي والاحا
فيه كثيرة فاجعل هنا صلى الله عليه وسلم بهذا المثل العجيب كلما جاء مفسرا في الكتاب والسنة في مواضع
عديدة ليكون اقرب للفهم واحض على الرغبة في التوبة وايسر للحفظ ومما يبين ذلك ما جاء عن معن بن زايدة
فانه اشتهر بكثرة الجود والكرم فكثرت عليه القصاد حتى احتجب عن الناس فاتاه احد الادباء فقيل
له انه احتجب منذ زمان وكان بانا قصره بستان يتفرج فيه في بعض الايام فقال ذلك الاديب
لاحد حجابه ان انت اخبرتني بيوم خروجه الى البستان لك عندي جائزة كذا وبقي يواظب الباب
حتى قال له ذلك الحاجب انه اليوم في البستان فكتب على خشبة يقول
ايا جود معن ناج معنا بحاجتي ما لي الى معن سواك شفيع
حتى قال واني خالفت البستان ووضعها في ماء كان
يدخل البستان فبينما الملك قاعد على ذلك الماء ابصر الخشبة تعوم على وجه الماء فامر باخذها ونظر
ما فيها فلما اخبر بالكتب الذي عليها فرح به فرحا شديدا وسر به سرورا عظيما وخرج من
حينه وامر بحضور ارباب دولته وبحضور كاتبه فلما ابصره قال له انت لقائل هذا والخشبة
بين يديه قال له نعم فامر له بعطاء عظيم ابهت الحاضرين وجعل له منزلة عظيمة يكثر لها الحساد
فلما كان من الغد خرج وامر بحضور ارباب دولته وبحضور ذلك الشخص واعطاه مثل ما اعطاه
بالامس وكذلك في اليوم الثالث وكذلك فلما كان في اليوم الرابع خرج وامر باحضاره وطلب

ويقيتكم فاني اعلم ان الذي يقويني بالطعام والشراب هو الذي يقويني بلا طعام ولا شراب ولو كان
ياكل اكلا حسيا لم يقع عليه اسم مواصل ولا يمكنه ان يكون يواصل بهم ويكون هو عليه السلام ياكل
ويشرب واصحابه يواصلون ولا ياكلون ولا يشربون ليس هذا من خلق غيره فكيف خلقه السنية التي لا يمكن
احد طرقها ابدا وقد يكون الموت بسبب ذلك الطعام والشراب وقد وجد هذا في اخبار المنقولة
كثير وفيه دليل على ان الاحكام والامثال انما تستعمل على الغالب من احوال الناس لانه لما كان الغالب
من الناس انما فرجهم بالمحسوس وحزنهم على فقده ضرب صلى الله عليه وسلم المثل بهذا وفيه دليل على ترك
الاستسلام لامر الله عز وجل وسرعة النجح عند ذلك يوخذ ذلك من انه لما ترك صاحب الراحلة جده
وطلبه وسلم لله امره واستسلم له يرجوعه الى موضعه فاول خبر اتاه ارسال النوم عليه لانه من علامة
الرحمة عند الوقوع في الشدائد وارفق بمن وقعت به كما اخبر سبحانه عن الصحابة رضي الله عنهم
في كتابه بقوله اذ يغشاكم النعاس امنة منه ولما ارسل عز وجل عليهم النعاس كما اخبر بقي المنافقون
لم يرسل عليهم من النعاس شيا وبقوا في كرب عظيم ثم بعد ما استيقظ صاحب المملكة من نعمة النوم
وجد راحلته عنده قائمة فتمت النعمة عليه بوجودها وفيه تنبيه على ان يقدم العبد اثر الحكمة وهي
عمل الاسباب على ما شرعت وبينت فاذا لم يرها ينجح له في قصده بعلمه على مقتضى التسليم للقدر رضا
وتسليما ويعلم ان ذلك هو المقصود منه فعند ذلك ييسر له مقصده بلا كلفة يوخذ ذلك من كون
صاحب الراحلة لما ذهبت له اخذ في نظرها والبحث عليها فلما لحقه في ذلك ما لحقه من العطش ويا
شا الله وراه ان ذلك لا ينجح له مطلبا احل في الاستسلام للقدر ورجع الى موضعه وترك ما كان
بسببه من اثر الحكمة فاتاه ما اماله من الخير وهو اتيان راحلته وفي رجوعه الى الموضع الذي ذهبت
فيه اشارة الى انه بعظيم قدرة القادر لعل من الباب الذي كان منه الكسر بالعدل يكون منه الجبر بالفضل
حالة يعقوبية كما ذهب بصره بقميص يوسف عليه السلام فبالقميص كان رجوع بصره اليه وكذلك
قال اني اعلم من الله ما لا تعلمون عن ابي موسى قال قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر
ربه بالحي والذي لا يذكر ربه بالميت الحديث ظاهر الحديث يدل على ان المثل الذي يذكر به

بالحي

بالحي والذي لا يذكره بالميت والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما يعني بالذكر هل هذا الذكر باللسان
او الذكر بالافعال وهو اتباع اوامر الله واجتناب نواهيه لان العلماء قد قالوا في معنى قوله جل جلاله
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم انهم الذين اذا كان عليهم الحق اعطوه واذا كان لهم الحق اخذوه
كل ذلك على الحد الذي شرع بلا زيادة ولا نقصان وقال عمر رضي الله عنه ذكر الله عند نهيه وامره
خير من ذكره باللسان او كما قال رضي الله عنه وفي اي نسبة يكون الشبه فيما شبه به على احد الوجهين
كل واحد على حدة واحتمال انه عني بذلك الوجهين معا فان كان عني المجموع فهو للفائدة اتم وان كان عني
احد الوجهين فبين الذكر بالقول والذكر بالفعل فرق كبير لان الذكر بالفعل مثل الطهارة الكبرى تندرج
فيها الصغرى لان الذي يمتثل الاوامر وينتهي عن النواهي فلا بد له من الذكر باللسان لا محالة فان
حاله يحمله على ذلك خيرا وان كان لا يقع ذلك منه فالذي فعل من امتثاله الاوامر اجزاه عن ذكر اللسان
كالطهارة الكبرى تجزي عن الصغرى والذي يذكر باللسان مثل الطهارة الصغرى لا يدخل
تحتها الكبرى ولا تجزي عنها وهو المطلوب بها وهو قولنا من اي وجه يكون النسبة بين هذا وبين
المثل اما ان كان الذكر بالعقل على ما تقدم بالنسبة بينهما من اجل عدم الفائدة بهذا الذكر لكل امر
به في حياته لان فائدة الحيوة في هذه الدار انما هي الكسب لتلك الدار الفانية فانما جعلت هذه مزرعة
للعباد لان يتزودوا منها للمعاد فاذا ماتوا انقطع من هذه المزرعة كسبهم فلما كانت حياة هذا في
هذه المزرعة بغير كسب بالعادة كان كالميت الذي لم يبق له فيها عمل وكانت حياته كان لا حيوة
ومما يوضح ذلك قوله عز وجل في كتابه العزيز حكاية عن قول من ختم عليه بالشقاوة لو كنا نسمع
او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وبالضرورة انهم حين كانوا في هذه الدار كانوا يسمعون ويعقلون
فلما كان سمعهم وعقلهم لم يجد لهم منفعة في تلك الدار نفوا ذلك عن انفسهم بقولهم لو كنا نسمع
او نعقل ما كنا واما ان كان المعنى الذكر باللسان فالنسبة بينهما من اجل ما حرموا من ذكر مولاهم
لهم لانه قد جاء عنه جل جلاله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته
في ملا خير منه وكان من اعطى هذه الرحمة العظمى مع من حرمها كنسبة الحي من الميت لان من ترك

هذا الخير العظيم بايسر الاشياء وهو تحريك اللسان او امرار ذلك بالقلب فقد عدم فايدة الحيوة
التي هي موضوعة بكسب هذه الخيرات واشباهها وقد قال الله عز وجل في شان الذكر والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما فمن يحرم نفسه هذا الخير العظيم كيف لا يوصف
بالموت بل هو احق بذلك وبل الموت له على خير من هذه الحيوة المغبون صاحبها وان كان المعنى
في الحديث لوجهين معا فكان الامر في حق هذا المغبون اشد واعظم اعاذنا الله من الحرمان
بفضله واما قولنا ما يترتب على ذلك من الفائدة فغير واحدة منها الحض على امتثال الاوامر ومنها
الحض على الذكر والعلم بما فيه من الخير ومنها تنبيه على ان الحيوة الحقيقة انما هي حياة الاخرة فيكون معظم
الفائدة الحض على هذه الدار والاهتمام بتلك الدار لان هناك في الحيوة الطيبة والعيش الرغد كما اخبر جل
جلاله في كتابه العزيز بقوله من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم
اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وفيه دليل لاهل الصوفة المتبعين للسنة والسنن لان طريقتهم
الجد في اتباع الاوامر واجتناب النواهي ودوام الذكر شانهم وبه فرحهم فهم الذين فهموا ما اليه خلقوا
حتى صارت اعمالهم كلها ومقالهم على حد سواء فسعدوا اذ علموا وعملوا وعزسوا الثمرة فجنوا ثمرها الوثيد
موضع نظر الله من خلقه بهم يرحم العباد والبلاد اعاد الله علينا من بركتهم في الحيوة والممات
عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه الحديث
ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله
لقاءه والثاني اخباره صلى الله عليه وسلم انه لا يخرج نفس من هذه الدار حتى تعرف ما لها في تلك
الدار من خير او ضده والكلام عليه من وجوه منها الكلام على معنى احب ومعنى كره والكلام على هذا
للمومن اي مومن هو فاما الكلام على معنى الحب ومعنى الكراهة فهو على نحو ما تقدم الكلام عليه في
الحديث على احد الوجهين المذكورين بعليتهما واما قولنا اي مومن هو فظاهره يعطي ان المراد
به المومن الكامل الايمان الذي ايمانه بتوفية ما امر به ونهي عنه لانه جاء ذكره عليه السلام هنا
للطرفين معا الطرف الواحد من جهة الايمان والطرف الاخر الكفر والحرمان التام ويبقى

الكلام

الكلام على المتوسطين ذلك وهو الذي شاب بانه بالمعاصي والاثام والجواب على المتوسط
في حديث فتنة القبر فيما تقدم من الكتاب حين اخبر صلى الله عليه وسلم ان الموقن هو الذي يجاوب
بالحق ثلاثا ذلك المناجي وان المرتاب الذي لا يعرف ربه بقوله سمعت الناس يقولون شيا فقلته
فذلك الهالك وبقي المتوسط بين ذلك وتكلمنا عليه هناك مثله يكون شان المتوسط هنا وفيه دليل
على فضل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وعليهن اجمعين وفقههن يوخذ ذلك من مراجعتهن للنبي
صلى الله عليه وسلم في هذا اللوطن بحسن ادب وبقولها ان الكره الموت فانظر الى اختصار هذا اللفظ
وما تحته من الاداب والفوايد ويترتب عليه من الفقه جواز مراجعة العالم اذا بقي على السامع في
فهمه اشكال ويكون بادب وفيه دليل على جواز اطلاق اللفظ المحتمل وان كان الذي قصد المتكلم
من محتملاته ليس هو المستعمل بحري العادة يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم من احب لقاء
الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه وظاهر المستعمل بين الناس والذي يسبق الى الفهم
هو الذي راجعت به هذه السيدة وكان قصد سيدنا صلى الله عليه وسلم بذلك وجها خاصا وهو ما ابداه
عليه السلام وبينه عند مراجعة هذه السيدة وفيه دليل على جواز القاء العلم للنساء واحدة منهن
يوخذ ذلك من القائه صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة الشرعية لهذه السيدة والقاوه ذلك اليها
يدل على جواز اخذه منها لان علم الشريعة لا يحل كتمه ويوخذ منه جواز القاء المعلم المسالة المحتملة لانه
يختبر بها اصحابه ويسالوه عن بيانها يوخذ ذلك من هذه اللفظة المتقدم ذكرها وفيه دليل على انه
لا يجوز لاحد ان يعمل على لفظ محتمل على احد محتملاته حتى يدل الدليل عليه انه هو المقصود يوخذ
ذلك من مراجعة السيدة حتى زال الاحتمال واقرها صلى الله عليه وسلم على ذلك وفيه دليل على ان الموت
الموت على المومن يوخذ ذلك من فرحه بما امامه مما ابشر به من رضي مولاه عنه واحسانه فانه من
فرح بشيء هان ما بقي عليه او دونه من الشدايد وهذا تدركه حسا في اهل الدنيا فانهم حملوا فيها
ما حملوا من المشاق والشدايد والا لفرحهم بها وجههم لها فكيف بالفرح الذي ليس مثله فرح جعلنا
الله من اهله بفضله وفيه دليل على ان تشديد الموت على الكافر يوخذ ذلك من فرحه بما امامه

مما يبشر به من رضي مولاه عنه واحسانه فانه من فرح بشيء هان عليه ما بقي عليه او دونه من الشدايد
وهذا تدركه حسا في اهل الدنيا فانهم حملوا فيها ما حملوا من المشاق هما وحزنا على ما اصابه فتضاءلت
عليه الغموم والشدايد وما في معنى ما اشرنا اليه ان بعض الناس مر في بعض طريقه بشخص نحيف البدن
وهو يضرب بالسياط ضربا شديدا وهو مع ذلك لا يتكلم ولا يتلفت لها حتى الى اخر سوط صاح واستغاث
استغاثة شديدة فتعجب من كان حاضرا من شدة ضربه ولا سيما تعجب منه اخرا مما ظهر منه فلما خلي عنه
بلغه فقال له ناشدتك الله ما شانك اني تعجبت منك اولا ضربك وحملك ذلك البلاء العظيم ثم تعجبت بعدك
من كونك اخرا من سوط واحد ظهر منك ضد ما كنت عليه فقال له ان العين التي كنت اعذب من اجلها
كنت شاهدها فلم احس بتلك الامور التي جرت على البدن مع ضعفه فلما احتجبت عني وجدت الم
الحجاب اشد من تلك الالام فاجتمعت على المحن فلم احملها فظهر ذلك الذي ظهر مني اعاذنا الله من المحن
جميعا بمنه وكرمه وفيه دليل على ان عند بوادي امور الاخرة يقع هناك التصديق للمؤمن والكافر
بلا شك ولا ارتياب يوخذ ذلك من فرح المؤمن بما يبشر به وحزن الكافر وكراهيته بما يبشر به
فلولا انهما في التصديق على حد سواء ما حزن هذا وفرح هذا وبقي بحث وهو ان يقال متى يكون
ذلك فالجواب اما من الحديث فلا يوخذ تعيين الوقت لكن يوخذ من حديث غير هذا وهو قوله
صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة عبده المؤمن ما لم يغرغر او كما قال وهو اذا كان الروح في
الحلقوم وبابن مبادي امور الاخرة فهناك يكون وقت البشارة لانه لو كانت البشارة للكافر
قبل ذلك الوقت الذي تقبل منه التوبة والاسلام وحصل له التصديق كان يسلم الكافر ويتوب
العاصي فلما كانت البشارة في وقت لا ينفع فيه التوبة ولا الاسلام وحصل له التصديق في وقت
لا حيلة له في الخلاص فاشتد ذلك الحزن عليه والله اعلم وقد اخبرني من اثق به مما يقوي ما اشرنا اليه
انه كان له بعض من يقرب منه وكان مسرفا على نفسه فابتلي في بدنه فتاب ورجع الى الله وبقي
معه الخوف مما تقدم فكان يقول ذلك الشخص مع مرور الايام فلان كيف يكون قدومي على
الله وبماذا القاه ويحزن لذلك كثيرا فلما مرض مرض الموت واحتضر التفت الى ذلك الشخص بعد

ما نظر

ما نظر الى السماء وتبسم وتهلل وجهه فرحا فقال يا فلان ابشر فها تم الامر وشهق شهقة
طلعت روحه وفيه قيل للموت فاستعد ان كنت عاقلا وبالتقوى فتزود ان كنت راحلا
والى الله فارجع انك عليه قادم ولذنبك حاملا وفي البشارات اشارات جعلنا الله ممن
احتفل بها وبها سعد منه عن انس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتبع الميت ثلاثة الحديث ظاهر الحديث ان الميت يتبعه الاهل والمال والعمل فما يبقى معه الا
عمله ويرجع الباقي والكلام عليه من وجوه منها الكلام على الاتباعية كيف هي وما الحكمة في الاخبار
بهذه الثلاثة ونحن نعرف ذلك ونشاهده اما قولنا في الاتباعية كيف هي في التقسيم يقتضي ان يتكلم
على كل واحدة من الثلاثة على حده فاتباع الاهل فهو علمهم جنازته وصيغة اللفظ يقتضي ان يكون الماشي
مع الجنازة امامها وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب الناس بالدرة على المشي خلفها
ويقول انما انتم شفعا لها فالشفيع يكون امام المشفوع له او كما قال رضي الله عنه والجمع بين ذلك
ان نقول ان الذي يخرج من اجل شخص حيا كان او ميتا فانما هو تابع له وان كان يمشي امامه الا ترى
انه ليس له اختيار ان يقصد موضعا الا الموضع الذي يقصد الذي خرج معه فهو تابع له فلما
كان خروج الميت ومشيه الى قبره فمشى اهله معه الى المقبرة انما هو من اجله فانهم لا حاجة لهم في
القبر نفسه فهم مشيهم وان كانوا امامه تابعون له حيث كان قبره مشوا معه اليه فبان في
حقهم اسم التبعية له وتقدمهم امامه اتباعا لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم واما اتباع المال
ففيه بحث وهو ان الميت عند خروج نفسه رجع المال لغيره فكيف يصح ان نقول ماله تبعه
وهو لغيره وما ذا من المال يتبعه الى قبره فمن كانت له دور او بهائم او عين كيف يتبعه الى قبره
والجواب ان ذلك الزمان الذي بين دفنه وخروج الروح المال فيه مضاف اليه لان السنة احكمت
ان لا يقتسم ماله الا بعد ما يخرج منه كفنه وما يحتاج اليه من جهازه الى قبره ووصيته ودين
ان كان عليه وبعد ذلك ان فضل من المال فضل اقتسمته الورثة بمقتضى ما فرض لهم والسنة
تعجيل دفن الميت كما قال صلى الله عليه وسلم انها هو خير تقدمونه اليها وشر تضعونه عن رقابكم

فرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه اهله وماله وعمله

او كما قال عليه السلام فبان ان يقال له فان امره فيه عامل وهو اليه في الوقت مضاف من
اجل انه انما يكني عن المال في الوقت بتركه فلان الذي هو الميت ولم يحصل بيد احد من له فيه
حق على شيء منه بعد ما قولنا ماذا يتبعه من ماله فان العرب تسمي البعض باسم الكل والكل
باسم البعض فيتبعه من ماله عبيده ان كان له وما يحمل عليه وما يحفر به قبره من الآلة وما يشبه
ذلك فيصح ان يطلق عليه اسم ماله ومن جهة المعنى اذا رجعوا من دفنه انما يأخذون في تقسيم
المال الى من له حق فرجع الاسم معه الى وقت وصولهم الى منزله وتوزيعه على من له فيه
شيء فعند ذلك رجع الى اسم المال لمن حصل له بعد يصح ان يقال تبعه ماله من جهة الحس
ومن جهة المعنى واما اتباع عمله له ففيه بحث ايضا وهو ان عمله قد رفع وكتب وموتد جا بعد
نفاد عمله ورفعه فكيف يكون المتقدم تابعا للمتأخر فالجواب انه لما كان العمل وان كان
قد رفع فصاحبه به مطلوب وبه ماخوذ لا تمنعه عنه مانع حيث كان فصح ان نقول عنه
تابع ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في غير هذا الحديث ان كان صالحا لم تأنس الا به
وان كان سيئا لم يستوحش الا منه او كما قال عليه السلام وقد جاء ان العمل اذا كان صالحا
دخل على الميت في قبره في صورة شخص حسن الصورة طيب الرائحة نودي فيأنس به من وحشة
القبر فيقول له من انت الذي قد من الله علي بك فيقول له اما تعرفني فيقول له لا اعرفك
فيقول له انا عملك الصالح في دار الدنيا لا افارقك وان كان العمل سيئا دخل عليه في صورة وحشة
منتنة ذو ظلمة فيستوحش منه زيادة لوحشة القبر فيقول له من انت الذي روعتني فيقول له
اما تعرفني فيقول له لا اعرفك فيقول له انا عملك السيئ في دار الدنيا او كما ورد فانا الله من سيئ
الاعمال منه واما قولنا ما الحكمة في الاخبار بهذا ونحن نشاهده ونعرفه فالحكمة في ذلك من وجوه
منها انما يعاين من جهة الادراك بالحواس رجوع الاهل والمال انما يعرف من طريق الايمان بما
اخبرنا من ذلك فاعادته هنا بعد العلم به لان ذلك من لازم الايمان فهو تأكيد في الاخبار حتى يوضح
امر الغيب عندنا في ذلك مثل الذي يشاهده حسا من الاهل والمال ومنها التنبيه على الاهتمام

تحسين

بتحسين العمل وايثار الاشتغال الذي هو الذي يبقى معنا وغيره يرجع عنا فتقديم من يبقى معك
على من يرجع عنك ضروري ان غفلت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الويل كل الويل لمن ترك عائلته
بخير وقدم على ربه بشر او كما قال عليه السلام ومنها التنبيه الى الزهد في دار انت خارج منها
على هذه الحالة لا محالة والاقبال على دار ليس لك فيها الا ما قدمت من هذه الذاهبة عنك فاغتنم
زمان المهلة قبل وقت الندم ولا ينفع وتطلب الرجوع لتعمير فيقال لك في المصيف ضيعت اللبن
وفيه دليل على جواز اتخاذ الاهل والمال ولا يضر ان اذا كان العمل صالحا يوخذ ذلك من قوله عليه السلام
يتبعه ماله واهله فلو لم يكن جائزا ما جعله من التابعين له ويترتب عليه من الفقه ان يذكر الانسان
الخير وان كان يعلمه ويحذر من الشر وان كان يعرفه فان الغفلة علينا ولذلك كان الصحابة
رضوان الله عليهم اذا تلاقوا يقول بعضهم لبعض تعالوا نومن اي نتحدث في الايمان وانواع تكليفاته
لان يذكر بعضهم بعضا فيقوي ايمانه فيكون ذلك من باب التعاون على البر والتقوى في هذا دليل
لاهل السلوك فان هذا شانهم اذا اجتمع احدهم مع صاحبه لم يكن اخذهم الا في الايمان وانواع
الاعمال والاحوال فاذا افترقوا اشتغلوا بما به تحدثوا اولئك الذين فهموا معاني الكتاب والسنة
جعلنا الله من التابعين لهم باحسان بفضله عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا ظاهر الحديث يدل على النهي
عن سب الاموات والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل هذا النهي على عمومه في المومن والكافر او في المومن
خاصة فالجواب ظاهر اللفظ يعطي العموم وما يفهم من قواعد الشريعة يخصصه بالمومنين لان الكافر
لا حرمة له في حيوته فكيف بعد مماته والمومن لما كانت غيبته في الحيوة ممنوعة امر الشارع
صلى الله عليه وسلم باستصحاب تلك الحرمة بعد الموت وزاد ذلك بتعليله عليه السلام النهي بقوله
فانهم قد افضوا الى ما قدموا وفي تعليل النهي الذي نهى عنه عليه السلام دليل على تبيين تعليل الاحكام
لمن تلقى اليه ليكون في احكام الله عز وجل على بصيرة وفيه دليل على فضيلة الايمان وحرمة اهله
يوخذ ذلك من نهيه عليه السلام عن سب الميت من اهل الايمان وان كان مجرما وفيه دليل

على جواز ذكر الموتى بخير لان النهي عن الشيء دليل على جواز ضده على اظهر الاقاويل وفيه
دليل على انه حين خروج الميت من هذه الدار يلتقي عمله والمجازاة عليه خيرا كان او ضده
يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم فانهم افضوا الى ما قدموا كما نبهنا عليه في الحديث
قبل وفيه دليل على ان ليس للمرء في تلك الدار الا ما قدم من هذه كما اشرنا اليه في الحديث قبل يوخذ
ذلك من قوله عليه السلام افضوا الى ما قدموا ويشهد لذلك قوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وفي قوله عليه السلام فانهم قد افضوا الى ما قدموا تنبيه
لمن بلغه هذا النهي ان ينظر في عمله خيفة ان يكون سيئا فيقدم عليه ولا بد له من الجزاء عليه فيكون فيه
اجتماع امرين امر بقاء حرمة المسلم بعد موته وان كان مسيئا يستحق السب وتنبيه للحي ان
ينظر في صلاح عمله بينهما وهو في دار المهلة خيفة ان يكون فيه ما يسوءه فيعمل حتى يقدم عليه
فلا يقدر لخلاص نفسه بحيلة من الحيل ومن تبصر انتفع والا فالامر جد والحاكم عدل ولات حين مناص

عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيمة
على ارض بيضاء الحديث ظاهر الحديث يدل على ان الارض التي يحشر الناس عليها يوم القيمة غير هذه
الارض وانها بيضاء مستوية مدورة لم يتقدم لاحد فيها ملك ولا تصرف والكلام عليه من وجوه
منها ان يقال ما الحكمة في اخبارنا بهذا وهل هذه الارض خلقت ولم تخلق بعد وانما يكون خلقها في ذلك
الوقت وهل نفهم ما الحكمة ايضا بان لا يكون الحساب على هذه او ليس لنا طريق لذلك وما الفايدة بان
نعت صلى الله عليه وسلم تلك الارض بصفتين ومعناهما واحد لان عفراء معناها بيضاء اما قولنا
ما الحكمة في ان اخبرنا بذلك فاعلم وفقنا الله واياك ان ذلك لوجوه منها ان فيه دليلا على عظم
القدرة وما فيه مما يدل على صفة من صفات عز وجل يقوي بها الايمان وكل ما فيه زيادة ما في الايمان
فهو من اعظم الفوائد والقرب اليه عز وجل ومنها الاعلام بجزئيات ذلك اليوم حتى يكون المؤمن
في امره على بصيرة فيتاكد تصديقه بذلك اليوم حتى يرجع العلم به كانه عين يقين حتى اذا كان
ذلك الوقت لم يزده الامر شيئا غير انه انتقل من علم اليقين الى معاينته ويكون ايضا عمله

بجزويانه عونا له على نفسه في عدده في القرار واخذ الاهبة لما يخلص به نفسه فانه يكون عمله على
يقين وتحفظ وذلك ازكى في الاعمال وابرك لانه قد حصل له من العلم بذلك اليوم وجزويانه
ما لا يزيده العيان فيه شيئا ومثل ذلك ما قاله المؤمن يوم الاحزاب هذا ما وعدنا الله
ورسوله وصدق الله ورسوله وكان غير المؤمن كما اخبر عز وجل عنهم تدور اعينهم كالذي
يغشى عليه من الموت فشبه الفريقين في ذلك اليوم كشبههم يوم القيمة ومعرفة
جزويات الامر قبل وقوعه فيه رياضة النفس على حملها على ما فيه خلاصها هناك وتهوين
عليها ايضا في ذلك بخلاف الامر اذا جاء فجاة ولا علم لها به يعظم الامر عليها اضعاف مما هو
وفوايد عديدة اذا تتبعتها وجدتها واما قولنا على هذه الارض خلقت او ان لله ثمانية عشر
الف عالم والاخبار تقتضي ان تلك الارض تقتضي اكبر من هذه بدليل انه قد جاء تخلق في ذلك الوقت
ليس في الحديث ما يدل على واحد من ذلك والقدرة صالحة غير انه قد جاء ان كل ما في هذه
الارض وما عليها يحشرون يوم القيمة وكل من في الارضين السبع وكل من في السموات
من الملائكة وغيرهم وان هذه الارض بنفسها تخبر ارضا بدليل ان بقاعها تشهد بما فعل
عليها من خير وغيره ولا تشهد الا وهي حاضرة ويشهد لذلك قوله عز وجل يومئذ تحدث
اخبارها ونستفيد من الاخبار بان لله عز وجل ثمانية عشر الف عالم فان كانت تلك الارض
مخلوقة فتكون واحدة من هذا العدد المذكور وان لم تكن مخلوقة فليست من هذه العوالم
وتخلق بعد والله اعلم ذلك واما قولنا هل تفهم الحكمة في ان الحساب لا يكون على هذه الارض
فنقول والله اعلم انه لما شاء القادر ان يستنطق بقاع الارض بما فعل عليها فتكون شاهدة
بذلك والشاهد انما وظيفته الاشتغال باداء الشهادة ووجه ذلك وهو انه لما كان اليوم يوم
عدل وظهور حق فينبغي بمقتضى الحكمة ان يكون المحل الذي يكون فيه ظاهرا كما يليق بالحكم
وهذه الارض قد تو سخت بالمعاصي والمظالم والتخاصم فيها فلا يليق ان تكون طرفا لذلك
الامر الحق والخطب العظيم ولوجوه اخر وهو انه لما كان الحكم في ذلك اليوم لله وحده خالصا

بلا واسطة فينبغي من طريق الاجلال والترفيع لجلاله عز وجل والحكمة الحقة ان يكون المحل الذي
يكون فيه ذلك الحكم الخاص لله وحده لا يتقدم فيها دعوي ملك لاحد وهذه فيها الدعاوي كثيرة
ومما روي في ذلك ان رجلين تخاصما في ارض فانطق الله تلك الارض وقالت فيما تختصمون
وقد ملكني قبلكم الف عوردون الاصحا او كما ورد في الخصام والتشاجر فيها على هذا التقدير
الذي لا يعلمه الا الله تعالى فكيف يكون عليها حكم العادلين فتبدل لها بتلك الارض النقية
بمقتضى الحكمة واحتمل وجها اخر وهو انه لما كان اليوم يوم يتجلى الله سبحانه لعباده المؤمنين
وينظرون لوجهه الكريم فلا يكون عز وجل لعباده الا وهم على ارض تليق بالتجلي واحتمل مجموع
التوجيهات كلها وهذا هو الليق بالحكمة والتعظيم لحكم رب العالمين وتجليه عز وجل لعباده فسبحان
الذي خلق شيئ واتقنه واما قولنا ما الفائدة بان نعت صلى الله عليه وسلم الارض بصفتين ومعناها
واحد فانما فعل عليه السلام ذلك لرفع الالباس لان العرب تقول اسود كالح واحمر قان واصفر
فاقع فذلك تحقيق لتلك الاسما من اجل الاشتراك الذي يلحقها في اللغة مع غير ذلك مما يؤكدها بزيادة
تلك الصفة الرافعة للاشتراك العارض لها وهذا مسلك ويترتب على هذا من الفقه انه ينبغي للمتكلم
ان يحرر الفاظه ويحرزها من الاحتمالات الممكنة فيها وقوله نقية اي ليس فيها جبال ولا علم فيها
شجر ولا نبات ولا فيها اختلاف الا مستوية وقد جا انها تمد مد الاديم فدل هذا على حسن استوائها
وفي كونها بيضا دليل على ان البياض هو خير الالوان لان ما اختاره الله عز وجل لانفاذ حكمه
وتجليه لعباده من الالوان هو خيرها وقد قال صلى الله عليه وسلم خير لباسكم البياض ومامنها وجه من
الوجوه الا وفيه دليل على عظم قدرته سبحانه وعظم سلطانه تبارك وتعالى علوا كبيرا عن عائشة
رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشرون حفاة عراة غرلا الحديث
ظاهر الحديث يدل على ان الناس يحشرون يوم القيمة بلا ثوب يستر هم ولا شيئ في ارجلهم
يقيهم من ذلك الهول العظيم وانهم يكونون على الحالة التي خرجوا عليها من بطون امهاتهم غير
مختونين ولا مقصوصة اظفارهم على وضع الخلقة التي كانوا عليها عند تمام خلقهم وهم في الارحام

والكلام

والكلام عليه من وجوه منها ما الفايدة في الاخبار بهذا وما الحكمة في ذلك وما معنى يحشرون
هل الجنس او النوع اما قولنا ما الفايدة في الاخبار بذلك فلوجوه منها المعرفة باحوالنا في ذلك الوقت
وذلك مما يزيد في قوة الايمان وفيه دليل على عظيم قدرة الله عز وجل وذلك مما يوجب زيادة
تعظيم جلاله سبحانه في قلوب عباده وهو مما يقرب العبد الي مولاه وفيه اشارة الى ان الخروج
الى الدارين اولا الفاضل والمفضول في ذلك الوقت على حد سوا وبعد ذلك يكون الترفيع بالتفضيل
بحسب ما شا الحكيم فخرجنا الى هذه الدار عراة حفاة غرلا وفي تلك كذلك وبعد وقوع الامر
يكون التفضيل وقد جا ان اول من يكسى يوم القيمة سيدنا صلى الله عليه وسلم وبعده ما شا الله
على ما جاءت به الاثار فسبحان من ابهرت حكمته العقول واما قولنا ما الحكمة فيه فهي والله
اعلم تصديق لقوله عز وجل كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وهي ايضا من
اعظم الادلة على عظم قدرته جل جلاله وفيه دليل لاهل السنة الذين يقولون ان التقبيح
والتحسين ليس للعقل فيه مدخل وانما ذلك بحسب ما حد وشرع لان هذه الدار كشف العورة
فيها ممنوع محرم قبيح واما قولنا ما معنى يحشرون هل يعني النوع او الجنس احتمل الوجهين
معا لكن اخر الحديث واما قولنا ما معنى يبين انه الجنس وهو جواب صلى الله عليه وسلم الها
بقولها الامر اشد من ان يهمهم ذلك فدل انه صلى الله عليه وسلم اراد جنس الادميين وفي قولها
رضي الله عنها الرجال والنسا ينظر بعضهم الى بعض دليل على ان استصحاب الحكم معلوم
عندهم ولا يترك بالمحتمل حتى يابى امرا احتمال فيه ويترتب عليه من الفقه ان ما يقع في
الاحكام بالنص لا يزال بالمحتمل وان كان ظاهرا ويوخذ من مراجعتها جواز مراجعة المفضول
للفاضل اذا بقي عليه في كلامه احتمال لكن يكون ذلك بادب كما هو ظاهر كلامنا وفي قوله صلى
الله عليه وسلم الامر اشد من ان يهمهم ذلك فوايد منها ما ذكرناه انفا في تحقيق ما اراد عليه
السلام بقوله يحشرون ومنها التخويف والارهاب من ذلك اليوم العظيم ليكون ذلك سببا
للاستعداد اليه ومنها ان معاينة الاهوال العظام تنقل الطباع عن عاداتها المالوفة لها

لان عادة البشرية اذا نظر الرجل الى النساء وهن بارزات العورات ان ذلك يحرك عندهم شهوة
الاستمتاع لهن وكذلك النساء ايضا اذا رأين الرجال على تلك الحالة وفي ذلك اليوم من عظم
ما يعاينون من الاهوال تنقلب الطباع عن عادتها المعلومة منها وتترتب عليه من الفقه ان الخوف
ان كان حقيقيا يذهب باعوآ النفس وخدعها المعلوم منها وينقل الطباع السوء الى الحسن
والتقويم ولهذا هي الاشارة بقوله تعالى ذلك الذي يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون
فلولا ان الخوف يحدث في الطباع السوء شيئا حسنا ما جعله الله تعالى سببا الى تقواه الذي هو اجل
الاحوال السنية ولذلك قال اهل السلوك ان القلب اذا خلا من الخوف خرب وقد ذكر بعض الرجال انه كان
اذا اوى الى فراشه يذكر النار وما فيها فينتفي عنه النوم فيقوم الى محرابه وينادي ويقول اللهم انك
تعلم ان خوف نارك منعني الكرا فيتم ليله مصليا او كما قيل ومثل ذلك عنهم كثير ومثل ذلك عنهم
كثير وقلة الخوف وحب لاهل الدنيا التنافس فيها والغفلة عن هذا الخطر العظيم جعلنا الله ممن خاف
فازدجر وتذكر فانتفع وعمل ما ذخر نجاته واسعدنا بذلك لا رب سواه عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يعرق الخلق يوم القيمة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين
ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ اذانهم ظاهر الحديث اخبار بسنة الامر الذي يلحق الناس يوم القيمة
حتى يعرقوا فيذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ثم يلجمهم حتى يبلغ اذانهم والكلام عليه من
وجوه منها ان يقال هل هذا الامر للناس عامة او اللفظ عام والمعنى فيه الخصوص وهل الذراع المذكور
فيه من هذا الذراع المعروف عندنا او غير هذا اما قولنا هل هو على العموم في جميع الناس ام لا ظاهر اللفظ
يعطي العموم وقد جاءت احاديث تخصصه فمنها انه قد جاء ان من الناس من يبلغ عرقه الى الكعبين
ومنهم الى الركبتين والى وسطه ومنهم الى الصدر ومنهم الى الثديين ومنهم من يسبح في عرقه اي
يعوم او كما ورد وقد جاء ان هناك من لا يحضر تلك المواطن مثل الشهداء لانه قد جاء انهم يقومون من
قبورهم الى قصورهم او كما ورد وقد جاء ان الانبياء والرسل عليهم السلام على كراسي في ظل العرش
وان العلماء دون الانبياء بدرجة والصديقين دونهم وكما ورد وهذه كلها اخبار والخبر لا يدخله

نسخ

نسخ ويسوغ الجمع بينهما ان يقال هذا الحديث هو حال الاغلب من الناس وان غيرهم ممن ذكرناهم
قوم مستثنون ممن ذكروهم قلائل ويبقى هذا على عمومه فمن ان الاكثر من الناس يوم القيمة يوم القيمة لا دم عليه السلام
اخرج بعث النار من بنيك فيقول يا رب وما بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون
الى النار وواحد الى الجنة او كما ورد ثم اصحاب المعاصي بعدهم وهم الذين دون المعاصي الكفار
في العرق بحسب معاصيهم والله اعلم والذين يسبحون في عرقهم شدهم وقد يكون من جبابرة
الكفار لانهم هم لا يسوون والله اعلم لان بهذا التوجيه نستعمل جميع الاخبار وهو الاصح عند اهل
الحديث لان الوجه الذي يمكن فيه جمع الاحاديث هو الاحسن اذا لم تكن اخبارا فاذا كانت اخبارا
فمن باب احرى فان الاخبار لا يمكن اسقاط احدها لعدم النسخ فيها واما قولنا هل الذراع هو هذا الذراع
المعلوم عندنا فهذا هو الظاهر والله اعلم وان كان بعض العلماء قد قال انه بالذراع الملكي الذي هو ضعفا
من هذا وهذا يحتاج الى توقيف من الشارع صلى الله عليه وسلم والاظهر انا لا نخاطب الا بما هو معروف
عندنا واذا كان الخطاب بخلاف ذلك بين لنا بوجه نعرف ونعرف نسبته بتقريب ما هذا هو في الشريعة
غالبا واما قوله صلى الله عليه وسلم يلجمهم اي يبلغ موضع اللجام وهو افواههم وهنا اشارة ازا
نظرنا هايز يد المر اثم هويلا وتعظيما وهوانه قد اخبر صلى الله عليه وسلم ان النار تدور بالمحشر كالخاتم
بالاصبع وان الشمس تقلب وجهها الى الناس وتدنو من رؤسهم حتى يكون بينها وبينهم قدر الميل
وهو المرود الذي يكتحل به العين فانظر كيف يكون حرارة تلك الارض التي يكون الناس عليها وما عسى
ان يروينا من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعا ثم بعد ذلك يلجمهم وكيف تكون حرارته فسبحان
الذي حبس رواحهم مع هذا البلآ العظيم اعاذنا الله منه بجاه نبيه محمد الكريم صلى الله عليه وسلم تنبيه
اذا نظرت اليه يتبين لك من عظيم قدرة الله تعالى ما يبهر العقول انظر الى اخباره عليه السلام بحاله هؤلاء
في عرقهم وتنويعهم على ما ذكرناه بحسب الاخبار الواردة ومع هذا قد جاء ان الناس يحشرون مثل السهام
في الجعبة قدم الرجل على المراة وقدم المراة على قدم الرجل ولا يعرف احدهم الاخر فتامل كيف يكون هذا
القدر من اجتماع وتلاصق وهم متفاوتون في العرق ومتفاضلون في الامم هذا ما يبهر العقول

ويدل على عظم قدرة الله تعالى وان امور الاخرة ليس للعقل فيها مجال وانما توخذ بالقبول والتصديق
الذي لاشك يدخله ولا ريب ولا يعترض عليها بعقل ولا قياس ولا عادة حادثة ولا حكمة ولا شيء من الاشياء
ومن قوله شيء من الاشياء ذلك فهو دليل على حرمانه وخسرانه الى ان يتداركه الله بالتوبة قبل الممات
وفائدة الاخبار بهذا الحديث واشباهه ان يتنبه السامع لها لنفسه وياخذ في الامور التي تخلصه من هذه
الاحوال على نحو ما شرع له ويلجي الى المولى الكريم بالصدق والضراعة الدائمة عساه يمن عليه بالعون
على ذلك وينجيه من تلك الاهوال ولا كانت الفائدة عليه وتبيين الطرق المنجية له من ذلك يشهد لذلك
قوله جل جلاله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لان الرسل عليهم السلام بينوا ما ذكرناه فمن لم
يفعل فامت الحجة عليه بالهلاك ولا دافع له ولا واقي منه اعاذنا الله من ذلك بمنه وفضله عن عدي بن
حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا سيكلمه الله يوم القيمة
ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما اخباره صلى الله عليه وسلم بان ما منا من احد الا سيكلمه الله يوم
القيمة ليس بينه وبينه ترجمان اي انه يشافهه بذاته الجليلة بلا واسطة بينهما والاخر اشارته
صلى الله عليه وسلم الى ان يتقي النار بالصدقة ولو بما قل منها وهو شق تمرة والكلام عليه من وجوه
منها ان فيه دليلا على ان احتجابه جل جلاله عن عباده بغير حائل حسي بل بقدرته عز وجل الغير وتخذ
ذلك من قوله عليه السلام ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار فلو كان الحجاب
بشيء محسوس لكان الناظر يبصره وكذلك حجابه جل جلاله في هذه الدار ايضا بالقدرة والعز
والجبروت لا بالمحسوسات وما جاء في ذكر الحجاب في الحديث فتعظيم لمملكة الملك الذي ليس كمثله
شيء ومن ليس كمثله شيء لا يحجبه شيء ومن هذا يستدل على ان المولى سبحانه ليس بمتحيز ولا
في جهة من الجهات فان كل من هو متحيز او في جهة من الجهات يحايل محسوس مرئي وفيه دليل
على ان رويته سبحانه او كلامه او ما كان من صفاته عز وجل اذا تجلى لعبده بذاته او بصفة
من صفاته شيء يوخذ ذلك من قوله عليه السلام ينظر وذلك بعد فراغه من سمع الكلام فدل على ان عند
كلام الله عز وجل لعبده بصفة من صفاته وهي الكلام لم يمكنه مع ذلك ان ينظر الى شيء ومما يقوي

ذلك

ذلك ويوضحه ما جاء في المذنبين اكرمهم الله تعالى في دار كرامته بدوام النظر الى وجهه الكريم
لانهم لا يقدرون معه ان يلتفتون الى الجنة ولا الى نعيمها ولا الى الحور والولدان ولا الى شيء
من ذلك حتى يسكو الحور والولدان الى الله تعالى لكثرة غيبتهم عنهم له جل جلاله ان الحور والولدان
قد سكوا طول الغيبة فيقع الحجاب بينهم وبينه فيرجعون الى الحور والولدان ثم يستغيثون الى الله سبحانه
من الحجاب فيمن الله جل جلاله عليهم برفعه هكذا اراهم وكما ورد وفيه تنبيه صوفي يدل على المحجوب
هو الذي ينظر ويلتفت يوخذ ذلك من ان هذا الذي نظر حتى حجب وفيه دليل لاهل الصوفة المتحققين
المتبعين للسنة لانهم يقولون الملتفت هالك يوخذ ذلك من ان هذا الذي نظر امامه وبين يديه وهذه
صورة الالتفات استقبله الهلاك وهو النار اعاذنا الله منها بمنه وفيه دليل على قرب النار من اهل
المحشر يوخذ ذلك من قوله عليه السلام ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار فمن استقبله الشيء
بين يديه فهو اقرب الاشياء اليه وفيه دليل على فضل الصدقة يوخذ ذلك من كونه صلى الله عليه وسلم
اخبر انها الواقية من النار بقوله عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فاذا كانت هي الواقية من ذلك
الامر الخطر فدل ذلك على عظم فضلها وفي هذا دليل لاهل الصوفة المتحققين لانهم بنوا طريقهم على
كثرة البذل والايثار وقد قال صلى الله عليه وسلم عن الصدقة في هذه الدار وفضلها فيها ايضا
ادفعوا البلاء بالصدقة او كما قال عليه السلام فاخبر عليه السلام عنها بانها في الدارين دافعة لبلائها
بحسب ما ذكرناه انفا وقد قال الله سبحانه في كتابه العزيز ما يشهد لهذا ويطعمون الطعام على حبه
مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما
عبوسا قمطريرا فوقيهم الله شر ذلك اليوم ولقيهم نضرة وسرورا وفيه دليل على قبول الخير من العبد
وان قل يوخذ ذلك من قوله عليه السلام ولو بشق تمرة وبقي هنا اشارة وهي لم هذا الخير على الكل متصدق
وبكل صدقة كانت من اي نوع كان كسب المتصدق بها ام فالجواب انه ليس المراد ذلك بل ذلك
للذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهم على اوامرهم يحافظون بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
ان اول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فان قبلت منه نظر في سائر عمله والا لم ينظر فيه

او كما قال عليه السلام من لم تقبل صلاته ولا تظر في باقي عمله فاي شيء يقيه من النار وقد استوجب
دخولها وكذلك كل فرض لم يفعله لم تغن النوافل عنه واستحق بتركه دخول النار والعقاب على
ذلك بقدر جرمه فلذلك اذا كانت الصدقة من مال غير طيب لم تقبل لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله
لا يقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غير غلال وكذلك ان كان فيها شائبة لغير الله تعالى لا تقبل ايضا
لقوله تعالى يوم القيمة انا خير شريك فمن خلط في عمله لغير الله شيئا انا اغنى الشركاء فاذهب فاطلب الاجر من غيري
فليتنبه المرء لنفسه وعملها ويصلحها على حسب ما بينته الشريعة واوضحته والا دخل تحت
قوله عز وجل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبقي بحث في قوله صلى الله عليه وسلم منكم
هل يعود ذلك على جنس بني آدم او هو لجنس المؤمنين ظاهر اللفظ محتمل وما جاء في الكتاب العزيز
يخصصه وهو قوله تعالى في حق الكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فبهذا اللفظ يختص
هذا اللفظ وبقي الكلام للمؤمنين خاصة صانهم الله وعزه وبهذا فرح اهل الصوفة وتنعموا لما
ايقنوا بسماع كلامه جل جلاله بلا واسطة وتجليه سبحانه لعباده المؤمنين بلا حجاب حتى انه
قد روي عن رابعة العدوية انها قالت وليس يوبخني ويقول يا امتي لسوف قلت كذا وكذا
فهذا كان عندها من اكبر النعيم ان تسمع كلام الخليل بلا واسطة وان كان بالتوبيخ
فكيف به ان يكون بالعطف والتانيس كما اخبر عز وجل في كتابه بالقول لهم وكان سعيكم مشكورا
يا له من فرح وسرور حازت بيده العقول جعلنا الله من اهله بمنه وفضله عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لاهل الجنة خلود بلا موت ولاهل النار خلود بلا موت
ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما الاعلام بدوام خلود اهل الجنة وتابدهم فيها دوما
لا انقضاء له دون موت يلحقهم فيها يشهد لذلك من الكتاب العزيز لا يذوقون فيها الموت الا
الموتة الاولى ووقيهم عذاب الجحيم والحكم الثاني الاخبار بدوام خلود اهل النار في النار
خلودا لا انقضاء له ولا موت يلحقهم فيها يشهد لذلك من الكتاب العزيز قوله تعالى خالدين
فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما الحكمة

في ان

في ان اخبرنا بالخلود وما الحكمة في ان اخبر بوصفين وكل واحد منهما يدل على ما يدل عليه الاخر لان
الخلود يدل على عدم الموت وعدم الموت يدل على الخلود والجواب ان في الاخبار لاهل النعيم بدوامه
زيادة في نعيمهم ورفعا للتشويش يمكن وقوعه في حق سلب ما هم فيه فيضاعف بتحقيق ذلك
السرور عليهم ومثل ذلك اهل الشقاوة والعذاب تضاعف الاحزان عليهم واشتداد الم العذاب عليهم
لعلمهم بدوامه تضاعف الحسرات والالام والجواب عن الثاني هو ان فيه لاهل السرور تاكيدا
في الاخبار حتى لا يبقى فيه احتمال بوجه من الوجوه ويحصل لهم بذلك اكبر النعيم وهو القطع بدوامه
نعم المنعم عليهم بلا تعب يلحقهم ولا الم بوجه من الوجوه المحتملة بحسب ما عهدوا في هذه الدار لان
نعيمها وان دام لاحد فالموت يقطعه ومثل ذلك في حق اهل دار الشقاوان يحصل لهم العلم
ان عذاب تلك الدار دائم وانه ليس كعذاب هذه الدار لان عذابها وان دام فالموت قاطعه كما قال
السحرة لفرعون انما تقضي هذه الحياة الدنيا وهي منقطعة فلا تبالي بعذابك فافعل ما بدا لك هذا
بلسان الحال الذي هو ابلغ من لسان المقال وانه ليس هنا موت يقطع لكم ما انتم فيه فايقنوا
بدوام عقاب الله لهم ونقمه ثم مع هذا القدر من التحقيق في الاخبار لم يكفهم ذلك حتى زيد وابان
يؤتى بالموت في مثل كبش وينادي لاهل الدارين جميعا هل تعرفون هذا فكلهم يقرون انهم
يعرفون فيذبح عند ذلك بين الجنة والنار فكل من اهل الدارين يعاينونه حتى يرجع لهم العلم
بما قيل لهم من الخلود وعدم الموت عين يقين فينقطع ازدياد رجاء اهل النار من رحمة ارحم
الراحمين ويرجع لاهل الجنة بدوام نعم الله عليهم ورحمته لهم عين يقين وفي هذا الحديث بضمن الاخبار
الحث الحث على الاعمال الموجبة لدار الخير والاحسان والنهي والتحذير عن الاعمال التي توجب دار
الحيرة والهوان وهو حقيقة فقه الحديث وفائدته العظمى لمن فهم والا كان حجة عليه لا له اولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير جعلنا الله
ممن ذكر فوعي وسبقت له الرحمة بدار الرضى الارب سواه وهو الولي الحميد عن انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى لاهون اهل النار عذابا يوم القيمة

ظاهر الحديث التوبيخ لاهل النار يقول الله جل جلاله لاقلهم عذابا لو ان لك ما في الارض من شيء
اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول اردت منك ما هو اهون من هذا وانت في صلب ادم ان
لا تشرك بي شيئا فابيت الا تشرك بي والكلام عليه من وجوه منها ان يقال من هو المتكلم مع هذا
وما معنى اردت منك وما الحكمة في ان يكون الكلام مع اقلهم عذابا وما الفايدة لنا في الاخبار بذا
اما قولنا من هو المتكلم مع هذا هل هو الحق سبحانه او غيره عنه ممن شاء من ملائكته او غيرهم احتمل
الوجهين لان العرب تقول كلم زيد عمرو او ما كلمه الا غلامه او رسوله فاذا اراد والحقيقة في انه كلمه
بنفسه قالوا كلمه بنفسه وقد يطلقون المجاز على الحقيقة فيقولون كلمه ويريدون بنفسه فاذا لم
يرد الكلام بالمصدر احتمل الحقيقة والمجاز واذا اكد وه بالمصدر كان حقيقة ولا يمكن فيه المجاز
والكلام هنا غير مؤكد فهو محتمل للوجهين معا والقدرة صالحة لذلك واما قولنا ما معنى اردت
فهل هي الارادة حقيقة او هي بمعنى بان الارادة لا تكون الا بمعنى الامر لانه سبحانه اذا اراد شيئا
كان لا ارادة لا يكون الامر اذ الملك له سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه ما لا يريد ولو اراد سبحانه
وتعالى اسلام الكافر لكان لكن لم يرد عز وجل ذلك منه مع امره له به فالفرق بين الامر
والارادة ظاهر بين وقد يعبر بالارادة عن الامر وذلك موجود في لسان العرب وعلى هذا
تاولوا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي لآمرهم وانهاهم والا فلو كان خلقهم
لارادة العبادة منهم لكانوا عن اخرهم كذلك لانه لا يقع في الوجود غير ما يريد سبحانه وتعالى والله
الموفق وفيه دليل لاهل السنة الذين يقولون بان العبد له ارادة ولولا ذلك ما اقتضت الحكمة تكليفه
لكن هنا متعلقة بارادة الله عز وجل وحكمته في عباده ويشهد لذلك قوله عز وجل لمن شاء اتخذ
الى ربه سبيلا فاثبت عز وجل لهذا العبد مشيئة ثم اعقب ذلك بقوله تعالى وما تشاؤن الا
ان يشاء الله فعلق عز وجل مشيئة عبده بمشيئته سبحانه فصح بمدلول الآيتين التكليف بمقتضى
الحكمة ويعود حكمه عز وجل في عباده بالحق الواجب وتصرفه جل جلاله فيهم بالقدرة القاهرة
التي لا تبقي لاحد حجة بل لله جميعا فيا معشر البطالين والملحدين انفذوا لا تنفذون الا

سلطان

١٢٩

بسلطان وفي سكوت هذا المعذب المخاطب الذي كذبت دعواه دليل على ظهور حجة الله عز وجل على
عباده في الآخرة ولا مخالف منهم في ذلك يوخذ ذلك من انه يبلغ به شدة العذاب ذلو كان له ما في
الارض جميعا افتدي به فسكت ذزاك ولم يدع حجة فلو كانت له حجة يقدر ان يدفع بها عن
نفسه ما سكت عنها لا يشك في ذلك من له عقل ولذلك جاء لا يدخل احد النار الا وهو راض عن الله
عز وجل لما يرى من ثبوت الحق عليه وانه مستحق بما يفعل به واما قولنا ما الحكمة في الكلام مع
هو اقل عذابا منهم فهو اعلام لنا بتهويل الامر وعظمه فانه اذا كان هذا حال من هو اقلهم عذابا فما
بالك بالذي هو اشدهم عذابا لا يجد ما يفتدي به ان لو قيل فلا شيء يعدل ما هو فيه وقد
يمكن انه لا يقدر ان لا يتكلم لدخول الذي هو فيه وما يوافق هذا الحديث من الكتاب قوله
عز وجل لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم
واما قولنا ما الفايدة بان اخبرنا بذلك فلوجوه منها الاسارة الى حقارة الدنيا وجميع ما فيها
من متاعها لانه اذا كان هي وجميع ما ذكر لا يوخذ فداء عن اقل اهل النار عذابا فاي شيء خطرها
وقد جاء ما يوضح ذلك ويزيده بيانا وهو انه اذا كان يوم القيمة تقول الدنيا يا رب اعطني لبعض
اوليائك فيقول لها جل جلاله اذهبي فلا شيء اوكما ورد وقد قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا
تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء اوكما قال عليه السلام ومنها التحذير
عن هذا الامر الخطر الذي لا يوخذ فيه فداء ولا يخلص منه شيء ولا يقدر عليه وفيه حض على الوفاء
بالعهد الذي قد الزمناه انفسنا وان هذا عاقبة من نكثه وفيه الاعلام بعظم قدر الايمان بالله تعالى
وانه هو الذي ينجي من ذلك الامر العظيم لا بغيره ولو كان ما يسر ان يكون قال الله عز وجل في كتابه
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفيه ايضا الاخبار بتيسير الايمان على
من وفقه لانه ليس هو الا اعتقاد بالقلب وهذا شيء لا تعب فيه ولو لا ذلك ما كان الله عز وجل
يقول وما ذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما
وفيه دليل على عظيم قدرة الله تعالى يوخذ ذلك من هذا الخبر العظيم القدر الخفيف الحمل لا يقدر

عليه من حرمه الله ويجده عليه اثقل من الجبال الرواسي فسبحان من خص بالسعادة من شاء بفضله
وقضى على من شاء بالشقاوة بعدله وفيه اشارة الى اهل الايمان الذي من الله عليهم به بفضله
الى ان يشكروه على نعمة الايمان لعلها تبقى عليهم ويزدادون منها لان الله عز وجل يقول لئن شكرتم
لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وفيه دليل على ان القدرة طبعت البشرية على طلب راحة
نفوسها يوخذ ذلك من ان هذا المعذب لو وجد ما عسى ان يجد كان يبذله في راحة نفسه
وهذا المطلب هو الذي اشقى اهل الدنيا لانهم اراد وا ما طبعت عليه النفوس من طلب راحتها
فلم يحسنوا طلب ذلك واراد وا استعجال الراحة في غير موضعها فلحقهم التعب في الدارين
معا وجاء اهل السلوك والتوفيق فابصروا مواطن الراحة وكيف الطريق اليها فعملوا على ذلك
فنالوا الراحة في الدنيا والاخرة حتى انه قيل لبعض المتعبدين انك كثيرا ما تتعب نفسك
فقال لهم راحتها اريد وقال الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله مساكين اهل الدنيا طلبوا
الراحة فاخطوا الطريق فاستقبلهم العذاب بين ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الزهد في الدنيا
يريح القلب والبدن والرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن او كما قال عليه السلام جعلنا الله
ممن رزقه راحة الدنيا والاخرة بمنه عن ابن عمر قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن النذر وقال انه لا يرد شيئا انما يستخرج به من مال البخيل ظاهر الحديث يدل
على حكمين احدهما النهي عن النذر والاخر اخباره صلى الله عليه وسلم ان النذر لا يرد
شيئا من القدر شيئا وانما هو يستخرج به من البخيل والكلام عليه من وجوه منها ان يقال
هل النهي على الوجوب او الكراهية وقوله هذا على عموم النذر او من النذر المعين وما معنى
يستخرج به من البخيل ومن المستخرج له ومن هو البخيل واي شيء العلامة التي نعرفه
بها وما معنى لا يرد شيئا وما الشيء الذي لا يرد اما قولنا هل النهي على التحريم او
الكراهية اللفظ محتمل لكن ما جاء في الشرع بالزام المنذر من نذره والوفاء به يدل على ان ذلك
ليس بحرام لانه لو كان حراما لزم صاحبه الوفاء به لان الله عز وجل يقول في كتابه يوفون

بالنذر

بالنذر فمدحهم بالوفاء بالنذر واما قولنا هل هذا على العموم في جميع وجوه النذر
او هو على الخصوص في وجه من وجوهه فاعلم ان النذر على خمسة وجوه منه حرام لا يجوز وما
لا يجوز فعله لا يجوز نذره ولا الوفاء به وقد جاء لا نذر في معصية ومن نذره لا يلزمه كفارة يمين
امر لا قولان للفقهاء ومنه نذر لا يلزم الوفاء به ولا على قائله شيء وهو نذر ما لا يملكه لقوله
صلى الله عليه وسلم لا نذر فيما لا يملك او كما قال عليه السلام ومنه نذر مباح ان شئت فعلت
وان شئت لم تفعل ولا شيء عليك وهو ما نذرت من الافعال المباحات مثل ان تقدر ان
تمشي اليوم للسوق او تلبس الثوب الفلاني او ما في معناه ومنه نذر مستحب وهو ان تنذر
لله طاعة ولا تعلقها بشيء تطلبه من الله تعالى يفعله لك فيلزمه الوفاء به والدليل على لزوم
ما كان منه طاعة بغير عوض تطلبه وترك ما هو غير طاعة لله ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه مر على ناس
مجتمعين على شخص قائم في الشمس فقال ما بال هذا فقال انه نذر ان لا يتكلم ولا يستظل ولا
يجلس ويصوم فقال مروه فليتكلم وليستظل وليجلس وليتم صومه او كما قال عليه السلام
وكل ما كان من طريق المباح وكان عليه فيه مشقة لم يلزمه منه شيء والذي كان لله فيه طاعة
وهو الصوم امره باتمامه واما المكروه منه فهو الذي الاشارة اليه في هذا الحديث وهو الذي ينذر
النذر وهو يعتقد انه يرد عنه شيئا يخافه او يجلب اليه شيئا يحبه ويعتقد ان ذلك يوثر على زعمه
فهذا لم يرد عنه شيئا يكرهه ولا يقرب اليه شيئا يحبه فاما ان كان نذره على طريق الشكر لله وهو
ان يقول ان قدر لي كذا وكذا الشيء يسميه من انواع البر فذلك من قبيل الحسن وقد فعله علي
وفاطمة رضي الله عنهما فانه مرض الحسن والحسين فقالا ان شفاهما الله تعالى نصوم شكرا لله تعالى
ثلاثة ايام فلما شفاهما الله واخذا في صوم نذرهما فعند فطرهما جاء مسكين الى الباب فاخرجا
له جملة طعامهما وطويا ليلتهما واصبحا صائمين فعند فطرهما ايضا جاءهما يتيم فاخرجا جميع
طعامهما وطويا الليلة الثانية واصبحا صائمين فعند فطرهما جاءهما اسير فاعطياه ايضا جميع
طعامهما وطويا الليلة الثالثة فانزل الله عز وجل في حقهما يوفون بالنذر ويخافون يوما

كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقيهم الله شر ذلك اليوم ولقيهم
نضرة وسرورا واما قولنا ما معني يستخرج به من البخيل ومن المستخرج له ومن هو البخيل
وما علامته فاما البخيل شرعا فهو الذي يبخل بزكاة ماله وما فرض عليه هذا قول الفقهاء الدين
وائمته واما من المستخرج له فالقدر المحتوم عليه بوساطة الشيطان وتسويله لان الله عز وجل
جعله واسطة لكل شر مقدور كما جعل الرسل عليهم السلام الوسائط الى كل خير مقدور وكذلك
متبعوهم باحسان الى يوم الدين واما قولنا ما معني يستخراجه فهو ذهابه عن يده وهنا
اشارة الى انه من كان على السنن المباركة والطريقة المرضية فلا يخرج ماله الا فيما يرضي ربه
ويعود عليه نفعه في الدارين في الدارين ومن كان غير ممتثل لامر ربه يخرج ماله اما فيما لا يرضي ربه
او فيما لا ينفعه حتى يكون النفقة بحسب الحالين الخبيثتين المذمومتين بكمالها يشهد لذلك قوله صلى
الله عليه وسلم من جمع ما لا من نهاوش اذهبه الله في نهابر او كما قال عليه السلام واما قولنا لا يرد
شيئا ما معناه فهو يعني انه لا يرد عنه شيئا قدر عليه كذلك لا يوصل اليه شيئا لم يقدر عليه بخلاف الصدقة
لانه قال صلى الله عليه وسلم ادفعوا البلاء بالصدقة واستعينوا على قضاء حوايجكم بالصدقة
وهنا بحث هذه الصدقة تدفع البلاء وتاتي بالحوايج والنذر صدقة ايضا ولا يرد شيئا من
البلاء ايضا ولا ياتي بشيء من الخير لان تيسير الحوايج من اعلا وجوه الخير والجواب من
وجهين احدهما ان الاحكام لله سبحانه يجعل ما يشاء كيف يشاء وليس ذلك لغيره فمن جعل
لشيء حكما من الاحكام من تلقاء نفسه او رائه لم يصح من ذلك شيء فشاء الحكيم ان جعل
للصدقة هذه المنزلة للبركة ولا يلهم اليها الا من سبقت له سابقة خير ولم يجعل للنذر
الذي هو من قبيل المكروه كما تقدم في الفايدة شيئا غير الاستخراج من البخيل والوجه الاخر
من طريق النظر وكيف يجب ان يكون ادب العبودية مع الربوبية وهو انه لما امر الله عز
وجل بالصدقة واخبرانها ترد البلاء فجاء هذا العبد بماله الذي هو معلق بقلبه تصديقا

لو عد

لوعد مولاه ورجاء في فضله في دفع ما يخافه او تيسير ما يرجوه فجاد الله تعالى عليه بما اماله من
ذلك بفضله وجاء صاحب النذر المكروه واساء الادب مع مولاه وقال ان انت دفعت عني ما انا فيه
من كذا او بلغتني ما اريده من كذا الشيء يسميه فاني اعطيك من مالك الذي خولتنيه وقد جعلت
منه الحقوق التي امرتني بها كذا فلسوء ادبه لم ينفعه نذره شيئا واخرج ماله عن يده ولم يبلغ منه
ماله عقابا على سوء ادبه وتعديه في منع ما امره به ويترتب على هذا من الفائدة انه لا ينال ما عند
الله الا بما امر به ونهي عنه وحد وشرع من الواجبات والمندوبات والمستحبات لا بغير ذلك
جعلنا الله ممن هدي الى ما به امر وجنبنا البدع والاثام بمنه عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم من اكل ناسيا وهو صائم فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه ظاهر الحديث
يدل على ان الاكل ناسيا وهو صائم لا شيء عليه في ذلك ويمسك بقية يومه وصومه مجزي عنه
والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل هذا على العموم في الفرض والنفل او في النفل فقط وهل يقصر
ذلك على الاكل وحده او يتعدى الى غيره من مفسدات الصوم اذا فعلها ناسيا وهل يكون ذلك في
المرة الواحدة في اليوم الواحد وان يكون الفعل منه مرارا في اليوم الواحد ينتقل الحكم الى
حكمان او الحكم واحد وان كان ذلك منه مرارا في اليوم الواحد وهل هذا ايضا لمن ينذر
منه الانسان ولمن هو مستيقن بالنسيان على حد واحد وهذا خاص بمن ينذر منه النسيان
لا غير واما قولنا وهل ذلك العموم في صوم الفرض والنافلة او لا فقد اختلف العلماء في ذلك
فذهب الشافعي ومن تبعه ان ذلك على العموم في الفرض والنفل ومذهب مالك ومن تبعه ان
ذلك في النفل لا غير وتعليله في ذلك والله اعلم الاخذ في الجمع بين الاية والحديث فاما الاية فقوله
عز وجل فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فاوجب الله عز وجل القضاء على
المريض والمسافر والناسي في معنى المريض لان النسيان من جملة الامراض لانه عاهة تلحق الذهن الذي
هو المقصود من الشخص حتى ينسى ما هو مشروع له ومكلف به وقع منه المخالفة في ذلك والنسيان
من جملة ما امتحن به بنو ادم وقد قال الله عز وجل في حقه لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم

الحديث السبعون بعد المايتين

ثم رددناه اسفل سافلين قال اهل العلم في ذلك سلط عليه النوم والنسيان فكانا عاهة لخفته في حسن
لحكمة اقتضتها حكمة من لا يشبهه شيء واما الحديث فهو الاحتمال الذي يتطرق الحديث الذي
نحن بسبيله عند قوله عليه السلام فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه هل هذا الاتمام لا يكون معه
اعادة لعدم قصده الاكل والشرب او هذا الامر من اجل حرمة الصوم من اجل ان تتبع الاكل
لكونه قد اكل ناسيا وانقطع عليه صومه فيتم الصوم مستصحبا للاكل والشرب فامره عليه السلام
باستصحاب الامساك وان كان قد اكل لحرمة الصوم ولعدم قصده للاكل ويبقى الامر بالقضا
لذلك اليوم بالقاعدة المتقدمة واصل مذهب الذريعة وهي الاخذ بالاحوط في الصوم ازلا وهو
ابرا للذمة واستعمل الحديث على ظاهره في النافلة فوقع الجمع بين الاية والحديث واما قولنا
يقصر ذلك على الاكل وحده او تتعدى الى غيره من مفسدات الصوم اذا فعلت نسيانا فالكلام
على هذا يحتاج الى تقسيم لمفسدات فاعلم ان مفسدات الصوم ثلاثة الاكل وما في معناه
من الشرب وما يجري مجراهما وهذا قد يقع بالقصد وقد يقع بالنسيان واما الجماع فهو مفسد
الصوم بذاته وهل يقع ذلك على طريق النسيان ام لا قولان وكذلك الخلاف في سببه هل حكمها
حكم الجماع نفسه ام لا قولان والثالث المعينة وهذا مختلف فيه فالجمهور على انها ليست تفطر
الصايم بل هي من جملة الكبائر وهي في حق الصائم اشد ومن العلما من يقول انها مفسدة للصوم
وان كانت من المفسدات للصوم فليس للواقع فيها معذورا بالنسيان فلا يدخل تحت ما نحن
بسبيله وبقي الكلام على الاكل والجماع لاغير فمن يقول ان الجماع يقع بالنسيان كما يقع بالاكل
والشرب فيلزمه تعدي الحكم وهو مذهب مالك ومن تبعه فانه يجعل في عمده وعمد الاكل
والشرب القضا والكفارة وفي نسيانه ونسيان الاكل والشرب القضا لاغير ومن قال ان النسيان
لا يمكن في الجماع وهو مذهب الشافعي ومن تبعه فلا يجري فيه هذا الحكم ويكون حكمه كله عنده
حكم العمد فيلزمه القضا والكفارة واما قولنا هل ذلك لمن وقع منه في اليوم الواحد مرارا او ليس
الا لمن وقع ذلك منه مرة واحدة في اليوم الواحد اللفظ يقتضي العموم مهما وقع ذلك منه على وجه

النسيان

النسيان حقيقة فالعلة بعينها موجودة فالحكم كالحكم على حد واحد واما قولنا ذلك للعموم
ايضا يتناول كل انسان النسيان بتذكيره اذكان مستنكحا به ظاهر اللفظ يقتضي العموم
وما يعرف من قواعد الشرع من الاحكام خلاف ذلك لان الاحكام لمن ثاب الى على الغالب
من احوال الناس وعاداتهم الجارية والعادة من الناس في امر النسيان انما منذ من الشخص
مرات يسيرة واما الذي هو مستنكح به فنادر فينبغي ان يحتاط لذلك لان ذلك علة بنفسها
ولوجه اخر وهو ما عرف من فعله صلى الله عليه وسلم انه لما سحر وكان يظن انه فعل الشيء
ولم يكن فعله جعل يسأل اهله هل فعلت كذا ام لا فيعمل بحسب ما يقولون له في ذلك فدل
هذا ان هذا هو حكم الذي يستنكحه السهو فبين عليه السلام بما فعله هنا هذا الحكم كما بين عليه
السلام بقوله في الذي يتذكر عند السهو ولذلك قال القضا في الذي لا يمكن ان يعقل من طهارته
او صلاته شيأ يبني عليه لكثرة استيلاء السهو عليه انه يجعل على شاهدين عند تلبسه بالعبادة
ويعمل على حسب ما يقولان له واما قولنا هل هذا على وجه الندب او الوجوب فهذا موضع بحث
والخلاف محتمل فيه وفيه دليل على ان للمتكلم ينبغي له مراعاة من يفهم ومن فهم بطوء الكلام فايدة
المقصودة يوخذ ذلك من قوله عليه السلام اول الحديث من اكل وهو صائم ثم قال في اخره فانما
اطعمه الله وسقاه واللفظ بحكم الاكل والشرب حكم الشرب كله اكل ومما يبين ذلك ما روي في
الحديث انه كان صلى الله عليه وسلم اذا اكل طعاما وفرغ منه حمد الله وقال اللهم ابدلنا خيرا
منه واذا اكل لبنا وفرغ منه قال اللهم زدنا منه واللبن مما يشرب فسمي شربه اكلا لكن لما كان
الاكل يحمل على ظاهره فيما يوكل دون ما يشرب اتى في الحديث بقوله فانما اطعمه الله وسقاه
ولهذا وقع الخلاف بين العلما في الحديث الذي ذكر فيه انه اتي صلى الله عليه وسلم بصبي لياكل
الطعام فبال على ثوبه فقال بعضهم لم يكن شرب من لبن امه شيأ واتي به ليكون اول ما يدخل
جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم معنى لم ياكل الطعام انه كان يرضع اللبن
ولم ياكل الطعام الذي هو خلاف اللبن فاز ال عليه السلام بقوله فانما اطعمه الله وسقاه الخلاف

في ذلك حتى اجتمعوا في فهم الفائدة جميعا فسبحان من ايده بالفصاحة والبلاغة وهنا اساءة في النظر
في هذا الحديث وما هو في معناه وفي المعارض له وما يترتب على ذلك من الفائدة فتامل له فهم وعقل راجح
انظر كيف عذرنا بالنسيان في هذه العبادة العظمى وابقى لنا حكمها وما فيها من الخير والاجر مع وقوع المخالفة
منا بالفعل الذي هو ترك ما اذا تتبعت قواعد الشريعة تجدنا بفضل الله قد عذرنا في النسيان وما
عليه استكرهنا بمثل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي خطاها ونسيانها وما استكرهوا عليه
او كما قال عليه السلام وقال الله سبحانه في شان الايمان الذي هو اصل الدين الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان وهذا كله تجده في الامور التي بين العبد وبين مولاه واما المعارض لهذا فهو ما جاء
في عدم العذر بالنسيان في الامور التي بين العبد فتجدنا قد اخذنا فيها بالنسيان والخطا يشهد لذلك
قوله صلى الله عليه وسلم الخطا والعمد في اموال الناس سواء وما جعل في قتل الخطا من عدم العاقلة
دية المقتول وما جعل في جرح الخطا من عدم ارشاده بدلا من القصاص فيه وما جعل في الغيبة
من الاثم في الخطا والعمد سواء فلم نسامح في الحقوق التي بيننا كما سومحنا في الحقوق التي بيننا
وبين مولانا جل جلاله على ما فسرنا قبل ويترتب على ذلك من الفائدة المحافظة على الحقوق للغير
لان تبقى ذمته منها خلية فيكون القصاص هون عليه فان وافق مع ذلك التوفية حقوق مولاه تملك
الدرجة العليا وان نقصه منها شيئ على طريق النسيان او ما غلب عليه بالاستكراه فالعذر له
عند مولاه قايم فان كان ذلك بالقصد فالخروج منه يسير بفضل الله وهو وقوع التوبة ولو عند
اخر نفس بخلاف حقوق الغير فان الخلاص منها اذا ترتبت في الذمة عسير جدا اعاذنا الله من ذلك
بمنه وهذا كان اهم ما عند اهل السلوك التحفظ على براءة الذمة وحينئذ ياخذون في العبادة
والترقي والاعسر عليهم الامر من هذا الباب وفيما ذكرناه دليل على استغناء الله عز وجل عن عبادة
العابدين وتنزيهه عن الضرر بمعصية العاصي لانه لو كان محتاجا لشيئ من ذلك او ينضر بشيئ منه تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا لكان الامر بالعكس فيكون الذي بين العبد وربه الحكم فيه اشد من الذي
بين العباد بعضهم مع بعض فسبحان من بذاته تنزه عن الغير وبها جل وتعالى عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت فيه ما زلت اتنبه فيه بغاما مسلها فيه فخرج ضاره ظاهر

ظاهر الحديث يدل على ان الدباغ يطهر جلد الميتة ويجوز استعماله والانتفاع به والكلام عليه من
وجوه منها ان يقال هل هذا التطهير عام او في وجوه مخصوصة وهل الانتفاع به عام ايضا او
خاص اما قولنا هل الطهارة فيه عامة او خاصة ففيه خلاف بين العلماء وان كان اللفظ يحتملا
لذلك فمذهب مالك ومن تبعه انها خاصة ومذهب الشافعي ومن تبعه انها عامة ويقوي مذهبه
في ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عزة ايما اهاب دبغ فقد طهر واما قولنا هل الانتفاع
عام في كل الوجوه او خاص فقي ذلك خلاف فمذهب الشافعي ومن تبعه ان الانتفاع به عام في كل
الوجوه وبيعه جائز ومذهب مالك ومن تبعه ان الانتفاع به خاص في اليابسات ولا تستعمل
في المايعات الا في الماء وحده ومن اجل هذا الحديث وجعل قولها فتنبذ فيه مبينا ومخصصا
للوجه الذي يستعمل فيه وعند الشافعي كونهم استعملوه لان ينبذوا فيه يحكم الوفاق وان ذلك
لا يعتبر وفيه دليل على ان تملك المال واقتناء الماشية لا يخرج عن الزهد لان سيدنا صلى الله عليه وسلم
قد رآهم وقد كانت الشاة عندهم حتى ماتت حتف انفها وفيه رد على من يزعم ان الزهد انما هو الخروج
عن جميع ما يتملك وهذا حكم بغير دليل وقد بين صلى الله عليه وسلم هذا اتم بيان بقوله يزهدك
في ايدي الناس وان تكون بما في ايدي الله اوثق منك بما في يدك او كما قال عليه السلام الزهد
قلبي والاشارة في ذلك حتى لا يكون في القلب ميل الى الدنيا ولا الى حطامها وان كان في يدك
منها شيئ كما قيل في وصف القوم استوى بذرها ودهبها وفضتها وجميع متاعها اي انهم
لا ينالون بشيئ من ذلك وان تصرفوا فيها فبحسب امتثال الامر كما ذكر عن بعض السادة انه كان
له غنم وبقر فسمع بعض الناس عنه فاتى لزيارته فدخل عليه والغنم التي كانت له والبقر قد خرج بها
الرعاة وهو يشهد بجهل عجاجيل في بيت ويغلق عليه ومحل الغنم في بيت ويغلق عليها وهو يرى
لدجاج كانت عنده علفها فقال الشخص في نفسه هذا الذي يوصف بالزهد وهو يحرص على الدنيا
بمثل هذا الحرص فرفع اليه راسه وقال يا بني ليس هذا هو الحرص وانما انا ارفق بهؤلاء الضعاف
فان امهاتهم قد خرجوا وهم لا يطيقون المشي معهم وهؤلاء اعطيهم قوتهم فاني عنهم مسئول

واخبره باشياكانت في خاطره فاستحيا ذلك الشخص وحصل له حال صالح وانما هرب من
هرب من رؤية حطامها وتملكه لانه راي نفسه انه لايقدر ان يعرض عما في يده فتركه من اجل
ذلك العلة هذا حال غير المتمكنين واما من تركه وهو يظن ان ذلك من الزهد فليس الكلام عليه وقد
اقمنا عليه الحجة قبل وفيه دليل على ان من السنة تنمية المال يوخذ ذلك من اخذهم جلد الشاة ودبغه
ولم يقترحوا عنه مع كثرة كرمه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم اجمعين وقد جاء هذا نصا منه صلى الله عليه وسلم
بقوله ان الله نهاكم عن اضاعة المال وكثرة السوال والقيل والقال او كما قال عليه السلام وفيه دليل
على ان من السنة استعمال اثر الحكمة اذا قدر عليها يوخذ ذلك من قولها ننبذ فيه فان ذلك مما يوافق
هواهم فهذا استعمل اثر الحكمة وقد كان صلى الله عليه وسلم في وقت غير هذا يتعمد الشهر والشهرين
وليس لهم طعام الا السودين التمر والماء ويترتب على هذا الاثار المختلفة عنه عليه السلام في تطوير احواله
المباركة ان السنة اذا وجد العبد ما يفعل به اثر الحكمة ان يفعل من الاطعمة والاشربة ما يصلح به مزاجه
لان يكون ذلك عونا له على عبادته لان ذلك اقرب الى الله عز وجل وهو مع ذلك متبع للسنة واذا لم يجد
على ذلك قدرة لا يستعمل بطلب ذلك والاهتمام به الا انه يرضى بما تيسر له في الوقت من رخاء وشدة
ويوافق في ذلك القدر بالتسليم والرضى ويعلم ان القدرة قد تبلغه بغير اثر الحكمة اكثر مما
يبلغ به اثر في ذلك النوع بحسب ما جرت به العادة له او مثل ذلك او اقل لا يتوقف قدرة القادر
عن شيء او لعجز او لبخل وفي هذا دليل لاهل السلوك في اقتدائهم العجيب الذي لا يقدر
احد ان يضاهيهم فيه ومما يحكى في ذلك ان بعضهم مرض من انزال الدم فعجز عن محاولة امر نفسه
وكان له اخ في الله مبارك وكان قادرا على وقته فوقع له ان يمر اليه ويكون مرضه عند ذلك فلما
دخل عليه فرح به فاول طعام قدم له لحما بخل فقال في نفسه وكيف يوافق هذا المثل هذه الشكاية
من طريق اثر الحكمة ثم قال لنفسه القدر صالحة لما شئت وانت قد اتيت من اجل الله فلا ترد
عليه ولا تمتنع عما يسوق لك فهو ابصر فاكل ذلك الطعام وبقي اياما متواليات لا ياتيه الا بذلك الطعام
او ما هو مثله مما هو مخالف لشكايته كل يوم ينقص حتى برئ في اقرب زمان وحينئذ رفع عنه

اكل

اكل طعام الخل وفيه دليل على ان دوام اكل الطيب من الطعام اذا وجد وليس مناف الزهد
ولا العبادة يوخذ ذلك من قولها ما زلنا ننبذ فدل ذلك على دوامهم الانباذ وهو من اطيب شرابهم
بحسب اهوية بلادهم وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه كان ياكل الطيب من الطعام في وقته
والغليظ منه ولم يذم قط طعاما وفيه دليل على جواز تخصيص بعض الاوانين ببعض الاطعمة اذا راى
صاحبها في ذلك مصلحة يوخذ ذلك من قولها ما زلنا ننبذ فيه حتى صار ريسنا اي باليا فدل ذلك
على اتخاذهم ذلك الجلد للانتباذ وتخصيصه به بدوام ذلك حتى صار باليا وفيه دليل على جواز اضافة
الى الشخص باني ملابسته يوخذ ذلك من قولها شاة لنا وما زلنا ننبذ فيه بصيغة الجمع والشاة
انما كانت لصاحب البيت اولها فلما كان كل ما يكون في البيت وان كان الذي يملكه واحدا
لكن تعود المنفعة فيه على الكل حصل فيه بلازم جري العادة اشتراك ما فجاز ان يضيفه الشخص
الى نفسه مع الذي هو مالك له وفيه دليل على ان للصايب تصيب الرفيع والوضيع في المال
والنفس يوخذ ذلك من موت هذه الشاة وهي في ملك سيد الاولين فان ذلك اصابه في المال
وقد كان صلى الله عليه وسلم يصاب في بدنه باعتراض الامراض وهذا ترفع له في الدرجات
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض العفريت الذي لم يرد في بدنه وماله او كما قال
عليه السلام وقد قال الله عز وجل في كتابه ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو اخباركم وقال عز وجل الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فقد بانت فايدة الامتحان
في الاموال والابدان بالكتاب والسنة والحكمة في ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب وقد كان بعض
الرجال يقول يحب المرض لتكفير سياتي ويحب الموت من اجل لقاء ربي فانتبه الى حال القوم كيف
هي من حال الغفير يبين لك الخير ويتضح جعلنا الله ممن هداه في سرائه وضرائه الى الطريق المبلغ الى
رضاه بمنه وكرمه لا رب سواه عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن اخت
القوم منهم ومن انفسهم الحديث ظاهر الحديث يدل على ان ابن اخت القوم منهم وانه يضاف

السلام عليك ايها الناسخ والسبعون بعد المائتين

اليهم والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معنى منهم هل ذلك على العموم في كل من انقطع
عن نسب ابيه او ذلك في وجه خاص وما الحكمة في ان اتي بصيغة القوم وما اراد بها هل
القبيلة او غير ذلك من الرجال دون النساء وهل هذه النسبة امر لا يعقل معناه فيكون تعبدا
او لحكمة تعرف ما قولنا ما معنى منهم وهل ذلك على العموم او في امر خاص اللفظ محتمل وتخصصه
يوخذ من غير هذا الحديث ويتبين ايضا تخصيصه من قواعد الشريعة فقد قال صلى الله عليه وسلم
من انتسب الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حراما وكما قال عليه السلام فلا يكون على
عمومه حتى يقطع الابن من ابيه ونسبه واما تخصيصه من غير هذا الحديث فقد قال صلى
الله عليه وسلم الخال احد الابوين معناه فيما يجب من برة وتوقيره لانه اشترك هو والابوين في
ولاله معهما في ميراثه نصيب فكذلك ابن الاخت من القوم اي مثل بنيهم فهو كبنيتهم في
الشفقة عليه ولذلك قدم في الحضانة الام واهلها من بعدها على الاب واهله ويلزم الصبي من
البر لهم والاكرام مثل ما يلزم من جهة الاب وقد قال بعض العلما اذا اردت النصرة
فات العمومة والقبيلة فهم اشد في الحماية لك وان اردت الاكل والحاجة من جهة بذل المال
او ما في معناه فات الخول فهم احن عليك واشفق ومما يبين ما ذكرناه انه صلى الله عليه وسلم
دخل على عائشة رضي الله عنها وهي تبكي فقال لها ما يبكيك فقالت ليس لي بما اكني وعادت العرب
يكنون بالاكبر من بنيهم فقال لها انكني بابن اختها مثل ابنها واما قولنا ما ذا اراد بقوله القوم
هل الرجال دون النساء او الجميع فالجواب انه لما كان الحكم في هذا للرجال والنساء سواء وعادت
العرب اذا كان مذكر ومونث واراد وا جمعهما غلبوا الذكور وان كان هو الاقل وجمعوهما جمع المذكر
واما قولنا هل هذا تعبدا او لحكمة تعرف فالحكمة والله اعلم ظاهرة لان العرب كانوا لا يلتفتون لجهة
النساء ولا يعبؤن بهن وكانوا يقولون في ابن البنت الذي هو اقرب منه اعني من ابن الاخت
ابناءنا ابنائنا وابناء بناتنا ابناء الناس الاباعد فاراد صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث وما
في معناه نسخ احكام الجاهلية والالفة بين الاهل والاقارب والله اعلم وفيه دليل على جواز

المخاطبة

١٢٥

المخاطبة باللفظ العام والمراد منه الخصوص اذا علمت من فهم المخاطب انه فهم ما القي اليه يوخذ ذلك
من قوله عليه السلام ابن اخت القوم منهم والمقصود بقوله منهم ما اشرنا اليه باللفظ الخاص وفي هذا
دليل لمالك حيث يقول بالمعاني استعبدنا لا بالالفاظ اشارة منه الى هذا المعنى فالنسا حج في الالفاظ
وفي هذا دليل على فضل الصحابة رضي الله عنهم وتحريهم في النقل وفيه دليل لمن يقول في النقل يوخذ
ذلك من قول الراوي منهم او من انفسهم وهذا رايهم في النقل وفيه دليل لمن يقول ان الحديث انما ينقل
مثل القران بالواو والفا يوخذ ذلك من قولهم منهم او من انفسهم لان المعنى في اللفظ فلو لم يكن الامر
عندهم انه ينقل بالفا والواو وما فعل هذا وفيه دليل لمن يقول ان للعالم ان يعلم قبل ان يسال
يوخذ ذلك من كونه تكلم من غير سوال تقدم ولو تقدم سوال لذكره الراوي فان هذا هو المعروف
من عادتهم رضي الله عنهم وفيه دليل على ان لسيدنا صلى الله عليه وسلم ان يقول من الاحكام ما شاء
بغير وحي في ذلك يوخذ ذلك من انه عليه السلام اخبر بهذا الحديث ولم يذكر بانه بوحي وباي
طريق امرنا من هذين الوجهين يلزمنا العمل بذلك لقول الله عز وجل في كتابه لتحكم بين الناس
بما اريك الله وان كانت المسالة مختلف فيها لكن هذا هو الظاهر والذي عليه الجمهور وهو
المستقر ايضا من احكام الشريعة ممن تتبعها عالما عن سعد قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من ادعى الى غير ابيه فالجنة عليه حرام ظاهر الحديث المنع من ان
ينتسب احد الى غير ابيه وهو يعلم ذلك وان من فعل ذلك لا يدخل الجنة والكلام عليه من وجوه
منها ان يقال هل هو ممن يخلد في النار او كيف حاله وهل يلحق به الناسي والمكره او لا وهل الذي يفعله
غير مجد هل يلحق به ام لا وهل هذا تعبدا او لحكمة تعرف فهل يتعدى الحكم الى غير هذا ام لا اما قولنا
هل يخلد في النار مع الكفار فكيف يكون حاله اما ان مات على الايمان فلا يخلد في النار ويكون
معنى الحديث مثل ما قيل في معنى قوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم خالدا فيها
قال علما السنة معناه فجزاوه ان جازاه فيكون هذا كذلك لانه من حرمت عليه الجنة فالنار
ماواه لانه ليس بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار ويكون حكم هذا بمقتضى الشريعة

التخليد في النار فيكون من الذين يخرجهم الله تعالى بشفاعة الجليلة كما جاء في الحديث ان
الله عز وجل يقول بعد ما يشفع سيدنا صلى الله عليه وسلم ويرجع الى النار عن ثلاث مرات يقال له
في اول مرة اخرج من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي الثانية ادني ذرة من الايمان وفي الثالثة
ادني ادني ذرة من الايمان فلا يبقي في النار احد من حبسه القران فيقول الله جل جلاله شفعت
الانبيا والرسل وشفعت الملائكة وبقيت شفاعة ارحم الراحمين فيقبض الله قبضة من اهل النار
ممن حبسهم القران فيخرجهم بشفاعته الجليلة ويسمون عتقاء الله من النار والذين حبسهم
القران في النار هم على نوعين كفار وغير كفار فغير الكفار مثل صاحب هذا الذنب الذي في هذا الحديث
ومثل الذي في الاية وهو القاتل المؤمن عمدا ومثل المتلاقيين بسيفيهما وما في معناهم مما نص الكتاب
والسنة على تخليدهم في النار فيكون الجمع بين ذلك بان نقول ان الكفار لا يخرجون من النار
ابدا وذلك بنص الكتاب والسنة واجماع علماء المسلمين فتكون الشفاعة التي هي من قبل الله عز وجل
لهذا القسم الثاني ويصدق عليهم انهم من حبسهم القران حقيقة لانه ما اخبرت السنة فالكتاب
يخبر به لانه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى وقد تقدم اول الكتاب في هذا بيانا شافيا وما
اعدنا منه هذا الا لضرورة الموضح اليه واما قولنا هل تلحق بالعامد في هذا الحكم الناسي والمكره
اما بنص الحديث فيحتمل واما ما تقرر في الشريعة بقوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي خطاها
ونسيانها وما استكرهوا عليه وكما قال عليه السلام وذلك يعطي ان لا يلحقوا ابدا في وقوع الاثم والله
اعلم واما قولنا هل يلحق بهذا الذي يفعله غيره بحد لفظ الحديث يعطي العموم ويزيد ذلك تاكيدا
في حق اللاهي قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل يتكلم بالكلمة من الشر يكفي بها اهله لا يبالي بها
يهوي بها في النار سبعين خريفا وكما قال عليه السلام ولوجه اخر من جهة الفقه لانه يلعب
بدين الله ويهزؤ بقول الشارع عليه السلام وهذا اعظم الذنوب واما قولنا هل الذي يفعل
ذلك مع غيره اي ينسب غيره الى ابيه فهذا لا يدخل تحت هذا الحكم وهو من باب القذف وحكم القاذف
قد تقرر بحسب ما علم من الشريعة وهو بحيث لا يجهل فلا يحتاج الى بيان واما قولنا هل هذا

تعبد

تعبد لا يعقل له معنا ولحكمة نعرفها فان قلنا تعبد فلا بحث وان قلنا الحكمة فما هي فنقول والله
الموفق للصواب لما خالف هذا حكمة الله سبحانه وتعالى في عبيده ويترتب على ما فعله تحريم ما احله
الله وتحليل ما حرمه الله ترتب على هذا الوعيد العظيم لو اعتقد ان ذلك جائز لكان كافرا بيان ذلك
ان الله عز وجل يقول وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وحلل من النسب وحرم فيه ما شاء اعني
في التناكح بينهم بحسب ما يعرف ذلك من احكام الشريعة وقد تقرر الحكم به فلا يحتاج الى ذكره
فاذا انتسب هذا الى غير ابيه فقد احرم هذا النظام البديع وحرم على نفسه وعلى غيره نكاح من قد
احله الله له ولغيره وحلل لنفسه ما قد حرمه الله عليه وعلى غيره فانه يتزوج بتلك النسبة
الذي انتسبها ذوي محارمه الحقيقيين وهم عليه حرام ويحرم على نفسه وغيره ذوي محارمه
المزورين بحسب انتسابه فيكون حرم من ذلك ما احله الله تعالى واما قولنا هل تعدي الحكم
الى غير هذا ام لا فحيث وجدنا من خالف حكم الله تعالى مثل ما فعل هذا قلنا له الحكم فيه كالحكم
في هذا سواء فانه بواحدة مما فعل هذا يكون الخلود في النار اعني من حيث اعتقاد لقول الله تعالى افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم
القيمة يردون الى اشد العذاب وباجماع الائمة ان من جحد واحدة مما حرمه الله سبحانه او
حرم واحدة مما احله الله عامدا لذلك مستحيلا لذلك انه كافر يستتاب فان تاب والا قتل
كفرا وفيه اخر وهو سوء ادب العبودية مع المولية لان حكم العبودية اتباع كلما امرت به
المولية فالعبد اذا خالف حكم مولاه وجب ادبه ولذلك قال بعض اهل التوفيق اعظم الكرامات
الاتصاف باوصاف العبودية وامتثال امر الربوبية جعلنا الله من اهلها بمنه

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما
المبشرات قال الرويا الصالحة ظاهر الحديث يدل على انقطاع النبوة ولم يبق منها
الا المبشرات وهي الرويا الصالحة والكلام عليه من وجوه منها ان يقال كيف نفهم قوله لم يبق
وكيف نفهم ما معنى الصالحة وهل الذي ما بين هذه الرويا والنبوة من تضعيف الاجزاء والنسبة

الكلام على الحديث الرابع والسبعون بعد المائتين

هل نأخذه تعبدا او لنا طريق لمعرفة ذلك والتي ليست بصالحة ان كانت حقا فهل تكون من النبوة
امر لا وهل هذه المبشرات على عمومها كان الذي يراها كيف كان تقيا او غير ذلك وما الحكمة
في ان قال من النبوة ولم يقل من الرسالة اما قولنا كيف نفهم قوله عليه السلام لم يبق وهذا انما
يستعمل اعلم ان العرب تاتي بالماضي وتريد به المستقبل اذا كان في الكلام ما يدل عليه كقول الله
تبارك وتعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون
الله وهذا انما يكون يوم القيمة وقد بين صلى الله عليه وسلم في حديث غير فقال لا يبقى من بعدي
من النبوة الا المبشرات او كما قال عليه السلام واما قولنا ما معنى الصالحة فمعناها الحسنة كما قال
عز وجل في كتابه في قصة موسى عليه السلام مع شعيب عليه السلام ستجدني ان شاء الله من الصالحين
ولم يرد شعيب عليه السلام مدح نفسه بالخير وانما اراد به معنى الخير والاحسان لموسى عليه
السلام فما فيه خير لك يسوغ فيه ان يقال هذا صالح اي يصلح لك او يصلح به امرك او شانك
واما قولنا كيف النسبة بينهما وبين النبوة فاعلم ان النسبة بينها وطريق الجمع من وجهين
الواحد من طريق ان النبوة حق لا شك فيها فهذه حق لا شك فيها وقد نبه صلى الله عليه وسلم
على ذلك في الحديث بعد هذا بقوله عليه السلام وما كان من النبوة لا يكذب والوجه الاخر هو
انه لما كانت بداية نبوة عليه السلام قبل ان ياتيه الوحي بالرويا الصالحة كما هو مذكور اول
الكتاب فكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح فما كان بدؤها الا هو الذي بقي منها
اخرا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا واما قولنا هل التي ليست بصالحة ان كانت حقا هل
تكون من النبوة ام لا فان فهمنا من قوله صالحة الخير الذي فيه سرور للنفس وفرح به لا غير
فلا نحكم لها بانها من النبوة فعلى هذا فتنقسم الرويا على ثلاثة اقسام فما كان منها يسر فمن النبوة
وما كان حلها فهو من الشيطان وما كان منها بين ذلك وهو الذي ليس بحكم ويكره فهو محتمل
ان يكون حقا فتلحق بالنبوة لانه حق فجات النسبة ويحتمل ان يكون باطلا فتلحقه بالذي
هو من الشيطان وهي الهواجس والاحلام لكن هذا لا يعلم الحق منه من الباطل الا بحسبه

استقر به العاقبة وان قلنا ان معنى صالحة ما يصلح به حالك فان مما يصلح به الحال ان يبين
للمرأ ما يصلح به حاله من خير يبشر به او شر يحذر عنه فان بهذا اتت النبوة معلمة بطريق الخير ومحرضة
عليها ومبينة لطريق الشر ومحذرة عنها فتكون الرويا على هذا على نوعين ما يكون منها حق بحسب
دليل التعبير في ذلك فهي من النبوة وما كان منها مخوفا ولا يعلم له معنى من طريق دلالة العبارة فهي
من الشيطان ومما يبين ذلك انه اتى شخص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت في المنام
كان راسه قطع يتدحرج وهو يجري خلفه فزجره وقال هذا من الشيطان احد يقطع راسه ويبقى
حيا يمشي او كما قال عليه السلام والوجه الاول اظهر والله اعلم وما ذكرناه من التقسيم والتفسير
بين الحسن وضده يحتاج ذلك الى معرفة علم العبارة على مقتضى الكتاب والسنة وحينئذ يعرف
الفرق بينهما وان لم يكن بذلك علم فلا يحل لنا ان نتكلم في شيء من ذلك بغير علم فهو من باب الهزؤ
بالنبوة وهذا ممنوع واما قولنا هل هذه المبشرات على عمومها كان الذي يراها كيف كان تقيا او نحو
ذلك واما هذا الحديث فلا نفهم منه من ذلك شيئا وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم في حديث غير
بقوله عليه السلام يراها الرجل الصالح او ترى له لان الغالب من غير الصالح اما ان يكون من شياطين
الانس فكفى بها او يكون مستغرقا في دنياه فالغالب عليه حديث النفس وشهواتها فلم يبق مع هولاء
في هذا الباب كلام هو الغالب عليه وعليه تحمل الاحكام وما يندر من ذلك فالنادر لا حكم له واذا نظر
يعلل بوجوده وبحسب الحال والوقت وان كنا نبهنا على هذا فيما تقدم من الكتاب واما قولنا
ما الحكمة في ان قال صلى الله عليه وسلم من النبوة ولم يقل من الرسالة فاعلم ان هذا من اكبر
الدلائل على ما خصه الله عز وجل به من حسن البلاغة وسرعة الادراك لغوامض الفوايد على البديهة
وذلك ان الانبياء عليهم السلام منهم من هو برسول للغير ومنهم من تنبا وليس برسول فلما كانت الرويا
منها ما يكون فيما يخص المرأ في نفسه ومنها ما يراها لغيره كما ذكرنا عنه عليه السلام انقا بقوله عليه
السلام يراها الرجل الصالح او ترى له فلهذه النسبة ذكر عليه السلام النبوة ولم يذكر الرسالة وانما
هي حق مثل ما ان النبوة حق وبقي فيها احتمال هل تخص او تعم كما ان النبوة قد يكون معها

هل هذا على عمومه في حياته عليه السلام وبعد مماته او هذا كان في حياته عليه السلام ليس الا وهل
يتمثل بغيره من الانبيا والرسل صلوات الله عليه وعليهم اجمعين او هذا من الامور الخاصة به عليه السلا
وهل ذلك للكل من راه مطلقا او خاصا لمن فيه الاهلية والاتباع لسنته عليه السلام اما قولنا هل هو
على العموم في حياته عليه السلام وفي مماته او في حياته لا غير اللفظ يعطي العموم ومن يدعي الخصوص
فيه بغير مخصص منه صلى الله عليه وسلم فمتعسف وقد وقع في بعض الناس عدم التصديق بعمومه
وقال علي رضي ما اعطاه عقله وكيف يكون من هو في دار الفنا وفي هذا القول من الحدود وجهان
خطران احدهما انه قد يقع في عدم التصديق بعموم قول الصادق عليه السلام الذي لا ينطق عن الهوى
والثاني الجهل بقدرة القادر وتعجيزها كانه لم يسمع في سورة البقرة قصة البقرة وكيف قال الله
عز وجل فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى فضرب فبرئ الميت هو نفسه ببعض البقرة فقام حيا
سويا واخبرهم بقاتله وذلك بعد اربعين سنة على ما ذكره اهل العلم لان بني اسرائيل تاخر امرهم في طلب
البقرة على الصفة التي نعت لهم اربعين سنة وحينئذ وجدوها وكما اخبر ايضا في السورة نفسها
في قصة العزير وقصة ابراهيم عليه السلام في الاربع من الطير وكيف قص علينا في شانهما فالذي جعل
ضرب الميت ببعض البقرة سببا لحيوته وجعل دعا ابراهيم سببا لاحيا الطيور وتعجب العزير سببا لاحيا
واحيا حماره بعد بقائه مائة سنة ميتا قادر على ان يجعل رويته صلى الله عليه وسلم في النوم سببا
لرويته في اليقظة وقد ذكر بعض الصحابة واظنه ابن عباس رضي الله عنهما انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فتذكر هذا الحديث وبقي متفكرا فيه ثم دخل على بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم واظنها
ميمونة فقص عليها قصته فقامت واخرجت له جبة وسراويل وقالت له هذه جبته وهذه سراويله
صلى الله عليه وسلم قال رضي الله عنه فنظرت في المراة فرايت صورة النبي صلى الله عليه وسلم واذا
لنفسي صورة وقد ذكر عن السلف والخلف الى هلم جرا عن جماعة ممن كانوا راوه صلى الله عليه
وسلم في النوم وكانوا ممن يحملون هذا الحديث على ظاهره فراوه بعد ذلك في اليقظة
وسالوه عن اشيا، كانوا عنها متخوفين فاخبرهم بتفريجها ونص لهم الوجوه التي منها

الارسال فتكون عليه اولا يكون معها ارسال فتكون خاصة وفيه دليل على جواز مراجعة العالم اذا لم
يفهم كلامه يوخذ ذلك من قولهم وما المبشرات ويترتب على هذا من الفقه التثبت في العلوم الشرعية
حتى تعلم على تحقيق ويقين والبحث عن ذلك مع الرفيع والوضيع على حد سوا بالادب لان ذلك هو الطريق
اللايق بالعلم والافصاح يدعي زايغ عن طريق العلم وسيرة السلف الصالح من الصحابة واتباعهم باحسان
الى يوم الدين جعلنا الله من المتبعين لهم لمنه وفيه دليل على كثرة رحمته صلى الله عليه وسلم بامته
يوخذ ذلك من ادخاله عليه السلام السرور عليهم بتحقيق الرويا التي هي خير بوجه لا يبقى فيه شك وهو
كونه عليه السلام جعلها من النبوة فدخل بذلك السرور عليهم الى يوم القيمة ونفى عنهم ما يهتمون به
ويتخوفون من الحلم فجعله من الشيطان الذي ليس له قدرة غير التخويف والتهويل وعلمهم المخرج
من ذلك حسب ما تقدم ذكره في الكتاب وبحسب ما يذكر في الحديث بعده وترك لهم التي تدل على الشر
وليست بحكم من قبيل المحتمل او ما هو من قبيل المحتمل فليس يكون عند ذلك له خطر واذا تتبعت النظر
راي عظيم الرحمة من المولى الكريم الذي من علينا بهذا النبي الكريم هذه الشفقة علينا والرحمة لنا وقد
شهد الحق عز وجل له بذلك بقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
بالمومنين رؤوف رحيم ربنا نعمة علينا واجعلنا لها من الشاكرين ويترتب عليه من الفائدة ان ارذال
السرور على المومنين عامة وفيما تقدم انفا من استشهاد انا بقوله صلى الله عليه وسلم يراها الرجل الصالح او ترى
له تنبيه على ان الخير في هذه المبشرات انما هي للصالحين وكذلك في كل وجوه الخير في الدارين
هم المقصودون به وقد قال تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا والاخرة فيا عبد شهوته واخا غفلته
بعت كل خير بصفقة بخس فهلا حكمت حاكم العقل فحل لك عقدة بيعك البخس قبل تصرف يد المنايا
في جميع بضايع حسك ومعناك فلا تجد المحل محلا ولا وقتا عن ابي هريرة قال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول من راني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي
ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما انه من راه صلى الله عليه وسلم في المنام فسيراه في اليقظة
والثاني الاخبار بان الشيطان لا يتمثل به عليه السلام والكلام عليه من وجوه منها ان يقال

هل

يكون نزجهم فجاء الامر كذلك بالزيادة ولا نقص والمنكر لهذا لا يخلو ان يصدق بكرامات
الاولياء او يكذب بها فان كان ممن يكذب بها فقد سقط البحث معه فانه يكذب بما اثبتته
السنة بالدلايل الواضحة وقد تكلمنا على هذا اول الكتاب وبيناه بما فيه كفاية بفضل الله تعالى
وان كان مصدقا بها فهذا من ذلك القبيل لان الاولياء انكشف لهم بخرق العادة عن اشياء
في العالمين العلوي والسفلي عديدة فلا تنكر هذا مع التصديق بذلك واما قولنا هل جميع الانبياء
والرسل عليهم السلام مثله عليه السلام في ذلك لا يتمثل الشيطان على صورهم او هذا خاص به صلوات
الله عليه وعليهم اجمعين فليس في الحديث ما يدل على الخصوص قطعا ولا على العموم قطعا ولا هذه
الامور مما تؤخذ بالقياس ولا بالعقل وما يعلم من علو مكانتهم عند الله تعالى من ان العناية تعمهم
اجمعين لانهم صلوات الله عليهم اجمعين اتوا على ازالة الشيطان وخزيه فاشعر ذلك ان الشيطان
لا يتمثل بصورهم المباركة كما اخبر عليه السلام في كرامته وكرامتهم ان لحومهم على الارض حرام حتى يخرجهم
كما جعلوا فيها كذلك تساويهم في هذه الكرامة والله اعلم واما قولنا هل ذلك على عمومه لكل من راه عليه
السلام او خاص فاعلم ان الخير كله المقطوع به والمنصوص عليه والمشار اليه بادلة الشرع قواعدنا
هو لاهل التوفيق ويبقى في غيرهم على طريق الرجاء للجهل بعاقبتهم فلعلهم ممن قد سبقت لهم سعادة
في الازل فلا انقطع عليه عربا لياس من الخير لا سيما مع قوله عليه السلام ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة
حتى لم يبق بينه وبين الجنة الا شبر او ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار وان احدكم
ليعمل بعمل اهل النار حتى لم يبق بينه وبين النار الا شبر او ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة
لكن كيف يراه من لم يصدق بقوله هذا من طريق الادلة تعبد واما من فيه مخالفة لسنته عليه السلام
فاختلف العلماء في رويا له صلى الله عليه وسلم اذا ادعى انه راه هل هي حق ام لا وقد تقدم البحث على
هذا في الكتاب فكيف يكون الرويا مع عدم التسليم في رويا المنوم هذا فيه ما فيه وفي الحديث
اشارة وهي انه لما اخبر صلى الله عليه وسلم ان في اخر الزمان من امته من راه خرج عن اهله
وماله بان يكون راه التي لهم هذا التانيس العظيم بانه من راه في المنوم فسيراه في اليقظه

نطمعت

١٢٩

فطمعت نفوس المحبين الصادقين فرأوا ما به اخبروا وكما به اخبروا ولكن صاحب الشك لا يثبت له
في خير قدم واذا تتبعت احوال الذين روي عنهم انهم راوه صلى الله عليه وسلم تجدهم مع التصديق
بهذا الحديث محبين فيه صلى الله عليه وسلم حبا يزيدون فيه على غيرهم وقد صح عندي عن بعض الاشخاص
الذين ذكرتهم قبل في اول الكلام على الحديث انه صح عنده من طريق لا شك فيه انه لما راه في
بعض مراته اقبل عليه صلى الله عليه وسلم اقبالا عجيبا فقال له يا رسول الله بما استوجبت ناهذا فقال
له صلى الله عليه وسلم بحبك في فلم يجعل له سببا الى رفع منزلته غير حبه له وهنا اشارة لو عرفها المنكر
ما انكر وذلك ان المحب فيمن احبه فان قد اخرجه الاشتغال بمن احب عن هذه الدار واهلها والتنعم
بمشاهدتهم وكانت جنته في هذه الدار كظاهر القبر في الدنيا وباطنه في الاخرة لانه اول منزل
من منازل الاخرة وقد تلوح مرارا على ظاهر القبر علامات مما هو داخله من خير او غيره وهذا من
الشهرة بين الناس خلف عن سلف من حيث لا يحتاج ان يذكر له حكاية ولا غيرها وفيه دليل على عظم قدرة
الله تعالى كيف جعل للشيطان القدرة على ان يتصور في اي صورة شاء ويتشبه بمن شاء ويؤخذ ذلك من
قوله عليه السلام ولا يتمثل الشيطان بي فدل على ان يتمثل بغيره ومثل ذلك جاء عن الملائكة
عليهم السلام ان الله عز وجل اعطاهم التطوير يتمثلون على اي صورة شاؤا فانظر الى ما بين حالة
الملك وحالة الشيطان وقد اعطيا معا هذه الحالة فمن اجل هذا لم يلتفت اهل التوفيق الى الكرامات
بخرق العادات وطلبوا التوفيق لما به امروا ولطف الله بهم في الدنيا والاخرة لان خرق العادة
قد يكون للصديق والزنديق وهي للزنديق من طريق الابلاء والاغواء وانما تقع التفرقة بينهما
هو منها كرامة او بلاء واعنوا بالاتباع للكتاب والسنة وقد تقدم من الكلام في هذا الكتاب
ما فيه شفاء والحمد لله رب العالمين عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من راني
في المنام فقد راني فان الشيطان لا يتخيل بي ورويا المومن جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما انه من راه عليه السلام في المنوم فقد
راه حقا فان الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم والثاني ان رويا المومن جزء من ستة

الحديث بلفظ رأى فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي

واربعين جزوا من النبوة والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معنى جزؤ من ستة واربعين جزا
من النبوة وما الحكمة في ان قال في الحديث قبل ولا يتمثل الشيطان بي وقال هنا ولا يتخيل بي
على احد الروايتين اما قولنا ما معنى جزؤ من الستة واربعين جزوا من النبوة فقد قال بعض الناس
فيه انه اختلف في كم سنة اوحي اليه صلى الله عليه وسلم فقيل عشر بن سنة وقيل ثلاثة وعشرين
فعلى القول بانه اوحي اليه ثلاثا وعشرين فيجيء الجزؤ منها نصف سنة لان ثلاثا وعشرين اذا قسمت
على كل سنة منها على جزؤين جاءت ستة واربعين وهذا عندي ما لا تدل الفايدة ولا على هذا المعنى
تكلم صلوات الله عليه وسلامه الذي ايده الله بالفصاحة والبلاغة وانما المتكلم بهذا اراد ان يجعل
بين الرويا والنبوة نسبة ما بحسب ذلك المثال كانت له فايدة ام لا وهذا التوجيه الذي ذكر لا يجري
على الاطلاق في جميع الاحاديث التي جاءت في هذا النوع حتى انه روي عن بعض القائلين بهذا
انه جاء انها جزؤ من اثنين وسبعين وقد جاء انها جزؤ من خمسة واربعين وجاء انها جزؤ من اربع
واربعين وجاء انها جزؤ من اثنين واربعين وجاء انها جزؤ من اربعين وجاء انها جزؤ من سبع
وعشرين وجاء انها جزؤ من خمس وعشرين جزوا وقد قال بعض الناس ان هذا الاختلاف الذي جاء
في هذه الاخبار انما هو بحسب الراي لها وهذا نوع منه اخر وقد ذكرنا فيها اقاويل كلها متقاربة في
النوع الذي اشرنا اليه والذي يظهر لي والله الموفق للصواب ان السنة التي بينها وبين النبوة من
وجهين احدهما ان النبوة كلها جاءت بالامور البينة الواضحة ومن الامور ما يكون بعضها مجملا
ثم بينتها النبوة بعد حتى لم يبق في الشريعة شيء فيه اشكال كما اشرنا اليه في اول حديث من
الكتاب والمراي منها نص لا يحتاج فيه الى شيء ومنها اشياء مجملة فتلك الاشياء المجملة ما يفهم
منها الذي له معرفة بطريق العبارة من الحق الذي يخرج منها الا كما جاءت الاجزا منها وذلك
الجزؤ الذي فهمه وهو الحق جزؤ من النبوة فمرة يكثر ذلك الجزؤ ومرة يقل فيكون قرب الجزؤ من النبوة
او بحسب فهم المعبر عنها فاعلاهم يكون بينه وبين النبوة خمسا وعشرين جزوا واقلهم فيها يكون
بينه وبين النبوة اثنين وسبعين جزوا وما بين هذين الحديثين تفاوت فيه فهم الناس وما يبين هذا

الوجه ان شخصا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقص عليه رويا راها وابو بكر قاعد عنده فقال لدعني
يا رسول الله اعبرها فقال له افعل فلما عبرها قال يا رسول الله اصبت فيما قلت فقال له صلى الله
عليه وسلم اصبت بعضا واخطات بعضا فقال اخبرني يا رسول الله فيما اذا اصبت وفيما اذا اخطات
فلم يخبره او كما ورد وقد قال اهل العلم بالتعبير لا يطرا احد على حديثي في هذا الدار الا وهو يراه
في نومه علمه من علمه وجهله من جهله فهذا يقوي ما وجهناه بفضل الله تعالى والوجه الاخر هو ان
النبوة لها وجوه من الترفيعات والفوايد دنيا وية واخراوية فيما يخص ويعم منها ما نعرفه ومنها
ما لا نعرفه والرويا ما بينها وبين النبوة نسبة الما في كونها حق فهي وما دلت عليه حق كما ان ما دلت
عليه النبوة واخبرت به حق وبقي لمقام النبوة التفضيل بينها وبين الرويا بتلك الاجزا المذكورة
في الحديث ليعلم فضل النبوة اذ الجزؤ من ستة واربعين منها يخبر بالحق في الامور الاخرة والغايبة
ان الرويا منها ما يدل على ذلك الذي كانت فيه ومنها ما يدل على ما قد مضى ومنها ما يدل على ما يكون
وفي كل وجوه يدل على الحق وتخبر عنه على ما هو عليه ان كان او يكون فدل هذا على تعظيم مقام النبوة
وانه يسر لعقولنا قوة الى الوصول لذلك فيقوي بذلك ايماننا ويعظم به اجرنا لانه كلما زاد في النفوس
للانبياء عليهم السلام تعظيما زاد العبد بذلك لله عز وجل قربة لان الله عز وجل يقول في كتابه ذلك
ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب واي شعيرة لله فوق من تعظيم مقام انبياء الله عز وجل
ويكون الفرق بين الاحاديث التي ذكرنا في اختلاف اجزا التي هي من خمسة وعشرين جزوا
الى اثنين وسبعين جزوا بحسب ترفيع درجات الانبياء عليهم السلام بعضهم على بعض لان الانبيا
عليهم السلام منهم مرسلون وغير مرسلين وليس درجة من هو نبي غير مرسل والمرسلين منهم صلوات
الله عليهم اجمعين بعضهم اعلا من بعض وهنا بحث لا خفا فيه وكفى فيه قول الله عز وجل تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فنسبتها من اعلا
الانبيا والمرسلين لنسبة اثنين وسبعين ونسبتها من اقل النبيين غير المرسلين نسبة خمسة
وعشرين جزوا وما بقي بين هذين الحديثين بحسب تفاوت الانبيا والرسل عليهم السلام

في الدرجات بينهم ولذلك ذكر صلى الله عليه وسلم النبوة على العموم ولم يذكر واحدا منهم ولا ذكر
نفسه المباركة ولا اشار اليها واحتمل الوجهين وزيادة لمن زاده الله في ذلك فهما لانه
لا يكون كلامه صلوات الله عليه وسلامه الا وتحته من الفوايد ما يكثر مقدارها وقد تعجز الفهوم
عن احصائها فاقل مراتب الايمان ان يكون هذا اعتقاد الناظر في كلامه صلى الله عليه وسلم
ومفتاح له فيه من الفهم يقول الي هذا وصل فهمي ولا هذا هو المعنى الذي يدل عليه هذا الاثر
ويمنع الزيادة على ذا كل من فتح الله عليه في شيء من ذلك بفضله ومنه واما قولنا ما الحكمة في
ان قال في هذا الحديث على احدى الروايتين فان الشيطان لا يتخيل بي وفي الذي قبله
ولا يتمثل الشيطان بي فنقول والله الموفق للصواب وذلك ان مقتضى الحديثين يدل على ان
الشيطان له مع الذي يتراءاه في المنوم حالتان احداهما ان يتصور ويتطور ويتمثل بنفسه الذي
يتراءاه على الصورة التي يريد ما عدا صورة سيدنا صلى الله عليه وسلم وانه مرة اخرى توهم الذي يتراءا
له انه على صورة ما وفي ذاته على التي هو عليها لم يتغير عليها ومثل هذا يشاهده الناس من الذين يشتغلون
بالسحر في هذا العالم يري الناظرون اشياء على خلاف ما هي عليه واشياء في نفسه على ما هو عليه لم يتغير مثل
ما روي عن سحرة فرعون مع موسى عليه السلام انهم القوا بوقر ثلاثمائة جمل حبالا وعصيا فلما القوا حبالهم
وعصيهم ظهرت في عين موسى عليه السلام وجميع الناظرين ان الارض قد ملئت ثعابين وقال الله في
حقهم وجاءوا بسحر عظيم وتلك الحبال والعصي باقية على حالها لم تتغير اعيانها كما كانت عليه
يشهد لهذا انما ذكرناه في الحديث قبل في التي اتي النبي صلى الله عليه وسلم وقال له انه راي في المنوم
كان راسه قطع وهو يتدحرج وهو يجري خلفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من الشيطان
لا يقطع راس احد ويبقى يجري خلفه او كما قال عليه السلام فالشيطان لا يتمثل له في هذه الرويا بنفسه
على الصورة التي تقبلها العقول وانما يخيل له ذلك ليفزعه والحديث الذي نحن بسبيله يدل على
هذه التخيلات وفيه دليل على ما ذكرناه في الاحاديث قبل حتى اورد نا من السوال هل تتحقق بذلك
تشكله عليه السلام في خواطر المباركين واصحاب القلوب والخواطر امر لا فهذا يدل على انه

كما لا يتمثل على صورته عليه السلام كذلك لا يتخيل لا في كلام ولا في خاطر ولا في نوع من الانواع لانك اذا
نظرت ما تجد ما تخيل به المقسمين اما بالذات او بما يدل على الذات من كلام او اشارة او حديث في
السر وخاطر في القلب فقد دل الحديث الذي قبل هذا على منعه في التمثيل بصورته عليه السلام المباركة
وانه يتصور على صورة غيره ودل بهذا الحديث على انه لا يتخيل بشيء مما يدل عليه من جهة ما من
صفة من الصفات او لمحة من اللمحات او خطرة من الخطرات او اشارة من الاشارات وان الله
عز وجل قد منعه من هذا كله وانه في غير جهة سيدنا صلى الله عليه وسلم يعمل من ذلك كله ما شاء
وان الله عز وجل قد اعطاه ذلك وهذه بشارة عظيمة والبحث في هذا التعليل في حق غير سيدنا صلى
الله عليه وسلم من الانبياء عليهم السلام كالبحث في الحديث قبله وهذا كله بشرط يشترط فيه وهو ما قدمنا
ذكره فيما تقدم عن العلماء في ان كل ما يقع من الامر والنهي والزجر والمخاطبة وغير ذلك كله فانه يعرض
على سنته عليه السلام فما وافقها مما سمعه الراي فهو حق وما خالفنا فالخلل في سمع الراي فانه
صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فيكون
رويا الذات المباركة حقا ويكون الخلل وقع في سمع الراي وهو الحق الذي لا شك فيه فكذلك فيما نحن
بسبيله من تشكله عليه السلام للمباركين في اسرارهم ورويته عليه السلام في اليقظة ومخاطبته
عليه السلام والخواطر لهم من قلوبهم وما يقع من هواجس النفوس من قبله عليه السلام وما يقع من
التخيل والتمثيل عنه عليه السلام فكل ذلك يعرض يعرض على كتاب الله وسنته عليه السلام كما
تقدم والله الموفق للصواب وفيه دليل على عظم قدرة القادر سبحانه عليه السلام مثل ما تقدم
قبل وفيه بشارة للمحبين فيه عليه السلام المتبعين له فانه اذا كانت رويا عليه السلام فكل ما يكون
من اشارة او خطرة هو عليه السلام فيها او منه اتت فانها حق على الشرط المذكور فزادهم بها فرحا
الى فرح جعلنا الله منهم بمنه في الدارين في عافية لا رهب سواه عن ابن عمر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم اتيت بقدح من لبن فشربت منه حتى اني لارى
ظاهر الحديث يدل على فضل عمر رضي الله عنه وما خصه الله به من العلم والكلام عليه من وجوه

منها ان يقال ما معنى هذا العلم الذي خص به عمر رضي الله عنه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال انا
مدينة الشجاعة وعمر بابها وانا مدينة العلم وعلي بابها فهل بين هذين الحديثين تعارض وهل لهما
وجه يجتمعان به فاعلم وفقنا الله واياك ان هذين الحديثين ليس بينهما تعارض وان احدهما
يقوي الاخر وذلك ان العلم في الشريعة علمان احدهم العلم بقواعد الشريعة وفروعها واحكامها واستنباط
ذلك من الكتاب والسنة وفهم ذلك بالنور الذي يهبه الله من شاء من خلقه وهولاء هم ورثة الانبياء
عليهم السلام وهذا هو العلم الذي خص علي رضي الله عنه بالزيادة فيه على غيره من الخلفاء بحسب ما شهد
له به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول اعوذ بالله من معضلة
لا يحضرها علي وان كان الكل رضي الله عنهم بذلك عالما لكن خص علي رضي الله عنه بالزيادة فيه
والعلم الثاني هو العلم بالله وعظم قدرته وجلاله والعلم بانه الغالب على امره وهذا العلم لا يعلم
حقيقته حتى يكون العالم به حالا وهو القليل من الناس كما اخبر الله عز وجل في كتابه حيث يقول
والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون وان كان الصحابة والخلفاء رضي الله عنهم اجمعين
يعلمون ذلك حقيقة لكن اعطى الله عز وجل العمر رضي الله عنه في ذلك زيادة وتلك الزيادة هي التي اوجبت
له الشجاعة في الدين حتى يشهد له بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله انا مدينة الشجاعة
وعمر بابها ولم يعن صلى الله عليه وسلم الشجاعة التي هي في القتال في مقارعة الابطال فان
ما خص الله عز وجل به سيدنا صلى الله عليه وسلم في هذا لا يقدر احد ان يكون له بابا بانا كما روي عنه
عليه السلام في ذلك ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا اذا اشتد القتال التجاء منا الذي تبقى
به وتلك الزيادة التي اوجبت له ان يسمى فاروقا لان يوم اسلامه فرق الله كفيه بين الحق والباطل
وعبد الله جهرا واعلا الله به كلمة الحق ومناره كما هو الحديث المأثور في ذلك فظهر بما ابديناه كيفية
اجتماع الحديثين وتقوية احدهما الاخر وهنا بحث وهو ان يقال ما هي الحكمة بان تاول سيدنا صلى
الله عليه وسلم اللبن بالعلم الذي سرنا اليه قبل الجواب انه انما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بالاعتبار
بالذي بين له اول الامر فاخذ اللبن حين اتي بقدحين قدح خمر وقدح لبن فخير ان ياخذ ايها

١٤٢

شاء عند مولده عليه السلام فقال جبريل عليه السلام قبضت على الفطرة لو اخذت الخمر غوت امتك
يعني بالفطرة وفطرة الاسلام فطرة الله التي فطر الناس عليها وحقيقة الفطرة تقتضي المعرفة
بحقيقة الربوبية وحيلها وكمالها وانها الغالبة على امرها وما نقص من نقص من ذلك الا بالمجاورة
للغير كما قال الصادق صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه
او يمجسانه وفيه دليل على جواز ترتب الرويا لمن هو اقل علما من الراي يوخذ ذلك من ذكر سيدنا
صلى الله عليه وسلم رويا ه للصحابة رضي الله عنهم ويترتب على ذلك من الفقه القاء العالم المسايل
وسواله فيها لمن هو دونه في المرتبة وفيه دليل على ان من الادب في علم العبارة
اذا قص الرويا على من هو اعلم بها على من هو دونه ان يرد الامر في ذلك اليه وسئل عن معناها فانه يغلب
على الظن انما كان ذكره ذلك لمن دونه الا ان يسالوه فيعلمهم يوخذ ذلك من قول الصحابة رضي
الله عنهم لما قص سيدنا صلى الله عليه وسلم الرويا لانه عليه السلام ما اراد منهم ان يعلموه تاويلها
وانما كان قصده ان يسالوه فيعلمهم فلحسن ادبهم فهموا عنه فعلموا على ما يقتضيه الادب
فاستفادوا فافادوا وكذلك ينبغي الادب في جميع العلوم فان من سنة العلم الادب فيه ومع
اهله اذا كان لله وفيه دليل على ان علم سيدنا صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل وجلاله لا يبلغه فيه
غيره يوخذ ذلك من انه عليه السلام شرب كما اخبر حتى راي الري يخرج من اظفاره ثم اعطى
فضله عمر فانظر بنظرك اي الذي شرب فضله عليه السلام كيف كان قوة علمه الذي لم يقدر
احد من الخلفاء نائله فيه فكيف بغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم وكيف من بعد الصحابة
ثم انظر كيف يكون من شرب حتى راي الري يخرج من اظفاره لا يمكن ان يبلغ احد ذلك المقام
فجاء شربه صلى الله عليه وسلم وشرب عمر كما مثل صلى الله عليه وسلم بقوله انا مدينة الشجاعة
وعمر بابها فان ما شرب عليه السلام من ذلك اللبن والذي شرب به عمر كنسبة المدينة وسعها
من الباب وقد رسمته وقد رسعته فما احسن عبارته عليه السلام وما احلا اشارته
وفي تمثيله عليه السلام في اليقظة بالمدينة وبابها مثله في النوم بالشرب على ما هو مذكور

في الحديث وكيف النسبة بينهما على حدسواء وفيه دليل على ان كلامه عليه السلام كله بالله وعن الله
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفيه دليل على ما قدمناه في الحديث قبل ان من
الرويا ما يكون يدل على الحال وعلى الماضي فان هذا الذي راي سيدنا صلى الله عليه وسلم هو تمثيل
بامر قد وقع فان الذي اعطي عليه السلام من العلم بالله قد كان وكذلك عمر فكانت فايدة الرويا
ان عرف بقدر النسبة التي بين ما اعطي عليه السلام من العلم وما اعطي منه عمر وان كان عليه
السلام السبب فيه لعمر رضي الله عنه وعلى يديه الكريمتين كان ذلك الخير ولان يعرف به
الغير حتى يقدر كل احد قدره بحسب ما فتح الله عليه من الخير ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انزلوا
الناس منازلهم اي بقدرها جعل الله لهم ولا تبخسوا ولا تتعانوا واقيموا الوزن بالقسط في كل
الامور وكونوا عبيدا ولا تكونوا موالي عن ابي سعيد الخدري يقول قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا انا نائم رايت الناس يعرضون علي وعليهم قمص الحديث ظاهر الحديث
يدل على فضل عمر رضي الله عنه في الدين وعلو منزلته فيه والكلام عليه من وجوه منها ان يقال
ما معنى الناس المعروضون هل على العموم او على الخصوص وما معنى الدين هنا اما قولنا هل يعني
العموم او الخصوص فالظاهر به الخصوص لانه لا يمكن ان يكون المراد العموم لانه اذا كان ذلك دخل
تحته الكفار ولا يمكن ذلك لان كل من راه كانت عليهم قمص منها ما يبلغ الثدي وهو اقلهم
حتى الى الذي يجر قميصه وهو اعلاهم ثم تاوله عليه السلام بالدين والكفار لا يدخلون في هذه
الراية ليس لهم من الدين ما يبلغ الثدي ولا لغيره فهو لفظ عام والمعنى به الخصوص وهم اهل الايمان
والاسلام وبقي الاحتمال هل المراد بذلك جنس المومنين من امته عليه السلام وغيرهم والمراد
بذلك امته صلى الله عليه وسلم والمراد بذلك ناس من امته عليه السلام لا جميع الامة محتمل لكل ذلك
والاخر هو الاظهر والله اعلم واما قولنا ما معنى هنا بالدين فهو ما اخبر الله عز وجل في كتابه بقوله
تعالى ان الدين عند الله الاسلام الذي هو اتباع الامر واجتناب النهي وكان عمر رضي الله عنه
في ذلك كما هو المشهور عنه في علمه وزهده وفضله وفي هذا دليل على ما ذكرناه في كثير من

الاحاديث

الاحاديث قبل ان الطريق الى الله عز وجل باتباع امره واجتناب نهيه وبه يكون طريق السلوك
ورفعة الاحوال لاهل الاحوال وغير ذلك لا شيء وان ظهر لصاحبه شيء من خرق العادات
فذلك من طريق الاملاء والاستدراج وفيه دليل لما يقوله اهل علم العبارة ان الرويا اقلب تحد
يعني ان الامور التي تكون مكروهة في اليقظة اذا رؤيت في المنوم هي حسنة يعني في بعض المناكر
وبعض الاحوال يوخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم في قميص عمر الذي راه يجره ان تاويله فيه حسن
دينه وهذه الحالة في اليقظة محرمة لقوله صلى الله عليه وسلم ازرة المومن الى نصف ساقه فان زاد فالى
الكعبين وما تحت ذلك ففي النار ويترتب على تاويل سيدنا صلى الله عليه وسلم بان جعل القميص يدل
على الدين انه كلما يدي في المنوم من حسن او ضده في القميص يكون ذلك في دين لابسه فهذه قاعدة
في علم العبارة وكذلك كلما جاء عنه عليه السلام من تفسير رويا من الرؤيا ان ذلك قاعدة من قواعد
حسن العبارة لانه صلى الله عليه وسلم دليل الخير كله وفيه بحث وهو ان يقال ما معنى الحكمة في ان جعل
القميص دالا على الدين هل ذلك تعبد او لحكمة فتكون الفايدة بها اكثر فنقول والله الموفق للصواب
ان كل من اتصف بصفة ما فانما لازمته الشيء ما ويدعوي فيه فكانه البس نفسه تلك الصفة
وهو بضده ان يخرج منها ويتصف بغيرها وحواسه وذاته باقية على حالها فلهذا شبه عليه السلام
بالقميص فانك اذا لبست انت بالخيار في ان تبقيه على نفسك او تزيله عنك ولتلك النسبة
قال صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه انهم يطلبوا منك ان تخلع ثوبا كساكه الله فلا
تفعل اشارة منه عليه السلام الى ما طلبوا من عثمان رضي الله عنه من ان يخلع من الخلافة
التي اعطاها الله له وكان اهلا لها وذلك عند قتله رضي الله عنه فلما كان المسلمون ادعوا الاسلام
وقد لبسوا هذه الحالة ووجب عليهم بحسب دعواهم ان يكملوا تلك الصفة التي ادعوها فمن كملها
جاء ثوبه كاملا ومن اخل بشيء منها جاء ثوبه ناقصا وكان نقص الثوب بحسب ما نقص فيما ادعاه
من الايمان والدخول فيه وهنا اشارة لاهل المرقعة وهي ما حسنت تلك المرقعة على عمر رضي الله
عنه الذي كانت في ثوبه الا لحسن ذلك الثوب الذي كان تحتها حتى كان يجده بحسن ما فضل

من ذلك الثوب المبارك فعاد بها وهو وجاله عطي المرقعة فجات كلها حسنة ومما حكي في هذا
النوع ان احد الملوك بني بيتا واراد ان يجلب له من الدهانين من له المعرفة الجيدة لان يصور فيه
من النقاوير ابدع ما يكون فلما حضروا بين يديه افترقوا على فرقتين كل فرقة تدعي انها اعرف
من الاخري فقال لهم ناخذ الفرقة الواحدة جانبا من البيت تنفرد به لا تدخل الاخري معها والفرقة
الاخري الجانب الثاني على هذا الشرط فقالت الفرقة الواحدة بشرط ان تجعل بيننا حجاب
حتي لا يروا منا احدا ولا نري منهم احدا فاذا فرغنا ينظر الملك من هو قابل الحق منا فيما ادعاه
فامر الملك بذلك فكانت الفرقة الواحدة تطلب من انواع الادهان اشياء عديده ولا تبالي بمن
يدخل عليها لان يري ما يظهر من صنعتها وكانت الاخري لا تطلب من الادهان ولا انواع ما يصنع
به شيئا ولا تترك احدا يدخل عليها واشتغلت بصقالة الحيطان ودلكها فلما فرغ اهل الدهان
قيل للاخرين وانتم فرغتم قالوا نعم قيل لهم فازيلوا الستر من بينكم فقالوا لا نزيله الا بحضرة الملك
كما اشترطنا اولا فلما حضر الملك نظر الي حسن ما فعله اهل الدهان والصنع اعجبه فازالوا الستر
بينهم فلحسن صفا الحيطان وبياضها ولكثرة صقالتها انعكست تلك الصورة التي فعلت في الجانب
الثاني وتمثلت في هذا الجانب الاخر فاعجب ذلك الملك ومن كان معه واستحسنوه فسالهم
عن فعلهم ذلك فاشاروا اليه بان قالوا نحن مع النقاوة والصفا فاذا كان هذا في الجماد فكيف
يكون في الغير لكن بشرط ان يكون اهل المرقعة على طريقته رضي الله عنه حالا لا ادعوي ومن هذا
الباب وقع الفرق بين الناس واللبيب فطن تنبيه ثوب دينك فاجد وبياكر فاجعلها
ولا تعكس الامر فتنعكس فالزور فايدة في التوبيخ والخمول عن ابي هريرة يقول قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم اذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رويا المومن الحديث ظاهر الحديث
يدل على ثلاثة احكام احدها انها اذا اقترب الزمان لم تكد رويا المومن تكذب والثاني ان رويا
المومن جزؤ من ستة واربعين جزؤا من النبوة والثالث ما كان من النبوة فانه لا يكذب وان قلت
نسبته وضعف والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معني قرب الزمان واي زمان هو

وقوله

وقوله لم يكد يكذب هل قبل قرب الزمان يكون في رويا المومن ما يكذب وليس بحق وكيف يجتمع
ذلك مع قوله عليه السلام اخر الحديث وما كان من النبوة فانه لا يكذب وكيف نسبة هذه الستة
والاربعين من رويا المومن من اي وجه هي وما الفايدة في تكرار هذه الاحاديث في معني
نسبها من النبوة اما قولنا ما معني اقتراب الزمان واي زمان هو فاما اقتراب الزمان
فهو قريب لقول الله تعالي اقتربت الساعة ولذلك عرف بالالف واللام لقوله تعالي اقترب للناس
حسابهم اي زمان وقت حسابهم وهي الساعة واما قولنا هل يدل قوله صلي الله عليه وسلم لم تكد
رويا المومن على انها قبل اقتراب الزمان فيها ما يكذب المسالة فيها خلاف بين اهل الفقه على
المفهوم حجة ام لا فان لم نقل بالمفهوم فلا بحث وان قلنا بالمفهوم بمعني هذا يكون البحث في كيفية
جمع اول الحديث مع اخره فقد قدمنا في الحديث الذي قبل هذا بحديثين ان الرويا فيها ما هو
بين لا يخفي على احد من اهل العلم بعبارة الرويا وغيرهم ومنها ما لا يفهمه الا اهل الرويا العالم
بعبارة الرويا والذي يفهم منه قليل فقله فهمهم لمعني تلك الاشارات والامور المجملة لا مخرج لهم
من ذلك التعبير الذي يعبرونه بحسب فهومهم الا قليل فيصدق لغة ان يقال كذبت رويا فلان
وان كانت في نفسها حقا لانه ما هو من النبوة فليس بكذب بل هو حق لا شك فيه وانما جاء الكذب من
المعبر لها يشهد لهذا قول الله سبحانه في حق كتابه العزيز يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا والكتاب كله
في نفسه حق وهدي لكن لسوء فهم الضال الذي نظر فيه بغير هدي جاءه الضلال فنسب ضلاله الي الكتاب
لافترائه علي الكتاب بتاويله الفاسد والعرب تضيف الشيئ الي الشيئ بادني ملابسة ما او
شبهة ما اذا قربت الساعة لم يكن رويا المومن الا بالامور البينة والاشارات الواضحة حتي لا يبقي
فيها ولا في تعبيرها على احد وجه من وجوه الاشكالات فلا يقع تشبيه لاحد ممن تكلم فيها الاشكال
ولا الكذب فيصدق عليها انها لا تكذب فهذه الوجوه يصح الجمع بين اول الحديث واخره واما قولنا
كيف نسبة رويا المومن من النبوة ومن اي وجه يكون فالجواب على هذا قد تقدم في الحديث الذي قبل
هذا بحديثين حيث ذكرنا الاحاديث التي وردت في تنويع عدد الاجزاء التي اتت فيها بين رويا

للمومنين والنبوة وما يترتب على ذلك من التاويل لجميعها بحسب ما هو مذكور هناك وبقي هذا الحديث
الذي نحن بسبيله لم نذكره هناك وحديث اخر وهو قوله صلى الله عليه وسلم في الرويا انها من النبوة
ولم يذكر فيه جزوا من الاجزا قليلا ولا كثيرا فالجواب على الحديث الذي لم يذكر فيه جزوا من الاجزا
وجاء عاما ان اهل الحديث من عاداتهم اذا اتى حديث عام واخر مقيد جعلوا المقيد مفسرا للمجمل
فكيف اذا كانت للمقيدات والمجمل واحد من باب اخر لكن رددنا هنا لتلك التوجيهات التي وجهناها
هناك وجها اخر يقتضيه هذا الحديث وهو ان ذكره صلى الله عليه وسلم اختلاف تلك الاجزا من خمسة
وعشرين جزوا الى ثنتين وسبعين جزوا وقد جا اخر على ما يغلب على ظن ولا قطع به في الوقت بخمس
وسبعين جزوا ان اختلاف تلك الاجزا تكون بحسب صلاح الزمان وفساده فعند صلاح الزمان
وقوة ايمان اهله مثل الصحابة والذين من بعدهم وهم خير القرون كما اخبر صلى الله عليه وسلم
تكون نسبة الرويا من النبوة بعيدة مثل اثنين وسبعين او خمس وسبعين ان صح لانهم عاملون
على ما جاءت به النبوة لا يلتفتون الى شيء كما ذكر عن بعض اخوانه مكروبا من رويا
راها فقال الشيطان اراد ان يحزنك ثم انه وجد راقسيس من اقسة النصارى فقال له هل راى
احدكم احد منكم رويا تسره فقال له نعم فلان منا وهو كبير في ديننا روى رويا سرته فقال له الم
اقل لك انها من الشيطان ذهب ليحزنك وذهب لهذا ليثبته على ضلاله او كما قيل فانظر الى
قوة ايمانهم لا يعرجون على شيء بل هم مصدقون لما قيل لهم عاملون على ذلك بلا شيء يعارضهم وان
عارضهم لم يلتفتوا اليه ولا يعرجوا واذا كان اخر الزمان عند اقتراب الساعة وضعف الايمان
وقلة اهله قويت النسبة بين رويا المومن وبين النبوة بسبعة وعشرين جزوا او خمسة وعشرين جزوا
لان المومن في ذلك الوقت غريب كما قال صلى الله عليه وسلم فلا يكون المومن في ذلك الوقت انيس ولا معين
الا من طريق الرويا غالبا وما بين ذينك الحديثين تفاوت احوال الناس فيما بين الزمانين على الترتيب
وهنا بحث وهو ما الحكمة في هذا التاويل بحسب ما شهد له الصادق صلى الله عليه وسلم في الحديث
الذي نحن بسبيله بقوله لم تكد تكذب رويا المومن فاعلم وفقنا الله انه مما قد علم من حكمة الله تعالى

ان الله سبحانه ما كان يبعث الرسل الا بعد الفترات التي كانت تاتي بعد الرسل عليهم السلام وعلم
الحق عز وجل من عباده انه مع طول المدا بلا رسول بينهم يعلمهم ان الايمان ينقص واهله
يقلون واراد بفضله ان تبقى من هذه الامة عصابة على الحق الى يوم القيمة لا يضرهم من خالفهم الى
يوم القيمة وصح بنقل الرسل صلوات الله عليهم عنه جل جلاله كثرة لطفه بعباده ورحمته بهم
ورفقه بهم فجعل لهم من اثر النبوة سيا يتاسون به ويتقوي ايمانهم به ويجدون فيه شفا لبر
حالهم وعونا على مخالفيهم وهي الرويا الحسنة التي بدء بنبيهم صلى الله عليه وسلم بها كما جا في اول
الحديث من الكتاب كان لا يري رويا الا جاءت مثل فلق الصبح فبالذي بلا به هذا الخير به ختم
كما بدانا اول خلق نعيده وفي هذا دليل على فضيلة سيدنا صلى الله عليه وسلم وهو ان ابقى لامته
الذي اعطى اثره يهتدون به ويستريحون اليه حتى لا تخلي بركته ولا اثره الجليل عن امته ويبقى هدية
عليه السلام لهم في عالم المعنى بالرويا الحسنة وكل واحد منهما يصدق صاحبه فضلا من الله ونعمة
واما قولنا ما الحكمة في تكراره صلى الله عليه وسلم هذه الاحاديث العديدة في شان نسبة رويا المومن
من النبوة بذلك الوجه منها ان يحصل لها قوة ولو كان ذلك كله في حديث واحد لم يكن كذلك
ولا يظهر بكثرة ذكره عليه السلام لذلك لامته كثرة اعتنائه عليه السلام بالرويا والبحث عنها
لكونها من النبوة لانه كان من سنته صلى الله عليه وسلم اذا اهتم بالامر يكرره مرارا وفيه
من الحكمة ان الحكم اذا كان لا يظهر حقيقة الا بجمع الاثار التي وردت فيه فلا يعلم ذلك
الا قليل الا انه لا يعلم جميع تلك الاحاديث كثير من الناس حتى يكون الامر على ما ذكره عليه السلام
اول الكتاب بقوله انما انا قاسم والله يعطي وفيه من الحكمة انه من ظهر له في احدها شيء لا يقدح
ان يجر به في باقيها فذلك دال على ضعفه وان كان يمكن جريه في جميعها كان ذلك دالا على صلاحه
وحسنه لان كلامه صلى الله عليه وسلم كله لا يوجد فيه خلاف ولا يناقض الا مرقلة فهم الناظر
فيه ولا نكرارها وكل واحد منها الا بيان يوجد فيه معنى زايد على الاخر ما ظهرت بتوفيق الله تلك
التوجيهات التي وجهناها من الفهم في جمع جميع الاحاديث التي وردت فاذا نا ملتها تجدها

جملة عديدة ولوجوه من الحكمة عديدة اذا وقفت وتاملها جعلنا الله ممن اسعده بما وهبه بفضله

عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تحلم بحلم لم يره كلف ان يعقد

بين شعيرتين ولم يفعل الحديث ظاهر الحديث يدل على ثلاثة احكام احدها انه من قال

انه راى رويا وهو في ذلك كله كاذب كلف ان يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ومعناه انه يعذب

طول الزمان الذي لا يتصور ان يعقد بينهما وهو لا يفعل فعذابه دائم والثاني انه من استمع الى

حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه الانك يوم القيمة وهو الرصاص المذاب والثالث انه

من صور صورة عذب وكلف ان ينفخ فيها الروح زيادة وهو ليس بنافخ وقد جاء من طريق اخر وليس بناف

ابدا فدل على دوام عذابه مثل الاول والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما الحكمة في ان سماه عليه السلام

حلما وما معنى يعقد في هذا الموضع وما نسبة هذا مما فعله لمقتضى الحكمة لان باقي الحديث يدل

على ان عذاب كل واحد مناسب لذنبه ولم يجعل هذا من اعظم الذنوب لان من طال عذابه قاما

في النار فهو دال على عظم ذنبه فكيف استماع الحديث الذي يترتب عليه هذا العذاب الهول هل هو كيف

ما سمعه او على وجه خاص وكيف يكلف ان يعلم كراهيتهم بسمعه هل يطلب بذلك بحسب قرينة

الحال وبعلم قطعي وقوله صورة هل هي العموم او الخصوص اما قولنا ما الحكمة في ان سماه عليه

السلام حلما ولم يسمه رويا فلانه لما كان هذا الراي ادعى انه راها ولم ير شيئا فكانت كذبا

والكذب انما هو من الشيطان وقد قال صلى الله عليه وسلم في غير هذا الحديث ان الحلم من الشيطان

وهو غير حق فصبر عنه بحقيقة معناه لانه غير حق ولانه من الشيطان وفي هذا دليل لما قلناه في

الحديث قبله ان كلامه صلى الله عليه وسلم ليس فيه تناقض وانه يصدق بعضه بعضا واما قولنا

ما معنى يعقد بين شعيرتين فمعناه يصل احدهما بالاخرى وهذا لا يقدر عليه احد واما قولنا ما نسبة

ما كلف مما فعل بمقتضى الحكمة وذلك انه لما كذب على الله في خلقه لان الرويا خلق من خلق الله فادخل في

الوجود وصورة معنوية لم تقع كما فعل الذي صور الصورة الحسية لانه ادخل في الوجود في عالم الحس

صورة ليست بحقيقة لان حقيقة الصورة المقصود منها ما جعل فيها من الروح والحياة

فكلف

فكلف صاحب الصورة الكثيفة ان ينفخ فيها الروح وكلف صاحب الحلم الذي راى الصورة

اللطيفة امرا لطيفا وهو ان يعقد بين شعيرتين وفي هذا دليل على ان كل من هذا من الامور المعنوية

يكون الامر فيها في الاخرة حسيا غير انه يكون بينهما مناسبة تامة كما جاء في الحسنات والسيات ومنها

ما يكون معنى وكلها تكون في الاخرة حسيات لانها توزن في الميزان ولا يوزن في الميزان

المحسوس الا حسي لكن يبقى بينهما نسبة تامة وهي من وجهين الخفة والثقل بحسب قدرها كونه في

عالم الحس هناك قدرها ايضا واللون ايضا كذلك فجنس الحسنات انما نوري وجنس السيات

سواد وظلمة فلما ادعى هذا معنى لم يخلقه الله وهو تلك الرويا التي زعم قيل له سوى كما فعلت هناك

امرا لطيفا لم يخلقه الله فافعل هنا امرا لطيفا لم يشاه الله فان الله عز وجل قد شاء ان تكون هاتان

الشعيرتان منفصلتين فاختلفت بينهما اتصالا حتى يرجعا واحدة وهذا امر لطيف وهما لم تقدر

على هذا مع لطافته تعذب ولن تقدر على ذلك الامر مع رقته ولطافته ابدا وفي هذا دليل لاهل

السنة الذين يقولون الخلق كلهم لله فلو لم يكن كذلك لكان هذا يصل بينك الشعيرتين وقد تقدم

في الكتاب في هذا ما فيه كفاية فاغنى عن بسطه هنا واما قولنا ما الحكمة بان جعل هذا من اعظم

الذنوب فلانه نازع الحق جل جلاله في قدرته وخلقه اما قدرته فلانه ادعى بلسان حاله انه خالق

ومنازعته لله في ادعائه انه خلق خلقا يشبه خلق الله وليس الامر حقا في ذاته فامتحن بان يخلق اهون

الاشياء وهو العقد بين شعيرتين فعجز من ادعى ما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان والوجه الثاني

فلانه كذب على النبوة لان الرويا جزء من النبوة وقد قال صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا

فليتبوأ مقعده من النار فلجمعه بين هذين الامرين العظيمين عظم ذنبه وقوله صلى الله عليه وسلم

استمع الى حديث قوم وهم له كارهون هل هذا الاستماع على العموم على اي وجه كان او على الخصوص

الظاهر انه على الخصوص لانه لو كان على العموم لكان الاكثر منه من تكليف ما لا يطاق وانما كلفنا في العلم

بذلك بحسب قرائن الحال التي تدل على كراهيتهم بسمعنا الى حديثهم فالاستماع على وجه خاص وليس على

عمومه وذلك مثل قوم يتحدثون في منزلهم فان استمعت الى حديثهم فقد دخلت تحت هذا الحد

١٤٦

لانهم بقرينة حالهم وهو كونهم في منزلهم وقد اغلقوا دونك بابهم فدل ذلك على انهم انما ارادوا ان
ينفردوا بحديثهم دونك ودون غيرك ممن خلف بابهم ولذلك اذا تشاور شخص مع اخر ومع
جماعة دونك فقد كرهوا ان يسمعوك حديثهم فان استمعت اليهم دخلت هذا الحد ولذلك
نهي صلى الله عليه وسلم ان يتناجى اثنان دون واحد لما كان الواحد ممنوعا ان يستمع الى نجيهما
معا منعا ايضا ان يتناجيا دونه فيقع عنده بنهما ويظن بهما فمنعا من ذلك بقوله صلى الله عليه
وسلم لا يتناجى اثنان دون واحد واما ان كانوا يتحدثون اما مكبرا وان كان في قلوبهم
كراهية منك ان تسمع كلامهم فهذا لا يلزمك منه شيء ولا انت مطلوب بان تعلم كراهيتهم
لاستماعك حديثهم وفيما ذكرناه به كفاية في الجواب على المسالتين وقوله صلى الله عليه وسلم من صور
صورة هل هو على العموم في كل صورة من الصور او على الخصوص اللفظ محتمل وقرينة الحال التي بعد
تقتضي الخصوص وهي قوله صلى الله عليه وسلم كلف ان ينفخ فيها فانه لا ينفخ في صورة من الصور
الا صورة لها روح فتخصص بهذه القرينة انها كل صورة لها روح من اي انواع المخلوقات كانت
وقد جاء معنى هذا اظنه عن عبد الله بن عمر حين ساله شخص كان يتعانا هذا فقال له صور كل ما
ما ليس له روح مثل الشجر والفواكه ونحوها او كما قال رضي الله عنه واذا كان الامر كذلك فهذه
التصاوير التي تعمل من الجص والحلوا وغيرها فلا يجوز بيعها ولا شراؤها والمشتري اعظم في المنع لانه
معين للبايع على التصوير والوقوع في المخالفة لا سيما وان كان ممن له بال في دين او دنيا لان الناس عليه
اشد لاقتداء الناس به فيكون عليه اثم كل من اتبعه فيدخل في الايسين وقد تقدم ويجوز الانتفاع
بها بعد كسرها وتهشيمها والتغيير على فاعلها ما امكن من ضرب او غيره بحسب حاله حتى تعلم توبته
وفي الحديث بتضمنه اشارة لطيفة وهي انه من خرج عن وصف العبودية وجب عقابه بقدر خروجه
وفيه تنبيه على ان الجاهل لا يعذر بجهله يوخذ ذلك من كونه عليه السلام اخبر عن اصحاب هذه الذنوب
كيف عذابهم ولم يفرق فيه بين من يعلم تحريم ذلك وبين من لا يعلمه فالكل مواخذون بذنوبهم
جهلوها او علموها وفيه تنبيه على ان الذي يعمل على تاويل ليس على الوجه المامور به انه لا يعذر بذلك

التاويل وان كانت المسالة فيها خلاف بين العلماء تنبيه على انه من سئل في مسالة فافتى فيها
بغير علم وعمل عليه انه ليس له في ذلك عند الله عذر وانه يعذب على المخالفة التي وقعت منه ويوخذ
ذلك من عموم الاخبار من الصادق صلى الله عليه وسلم بعذاب هؤلاء ولم يستثن فيه نوعا من هذه
الانواع ولا اشارة اليه وقد جاء النص منه عليه السلام على هذه الاشارة التي اشرنا اليها بقوله عليه السلام
اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وفي مجموع هذا دليل على طلب علم
الكتاب والسنة لانه لا تعلم هذه وامثالها الا من هذا العلم المبارك الذي جعله الله عز وجل طريقا
الى معرفته ومعرفة احكامه وغيره ضلال وبطالة كما قال صلى الله عليه وسلم في علم الانساب علم لا ينفع
وجهالة لا تضر وفقنا الله الى علم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وجعلنا ممن سعد به لارب سواه
وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم عن ابي قتادة سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا
الحسنة من الله فاذا راى احدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا راى
ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن الشيطان الرجيم وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها
احدا فلا تضره ظاهر الحديث يدل على اربعة احكام احدها اخباره صلى الله عليه وسلم بان الرويا
الحسنة من الله الثاني الامر منه صلى الله عليه وسلم انه اذا راى احدنا ما يحب فلا يحدث به الا من يحب
والثالث امره صلى الله عليه وسلم لمن راى ما يكره ان يتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ويتفل ثلاثا
ولا يحدث بها احدا والرابع اعلامه صلى الله عليه وسلم انه من امتثل امره عليه السلام في الرويا التي
يكرهها وانها لا تضره والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معنى الحسنة وما الحكمة في نسبتها الى
الله سبحانه وما الحكمة في ان لا يحدث بالحسنة الا من يحب وكيفية التعوذ وصفة التفل وما الحكمة
ايضا في ان لا يحدث بالمكروهة احدا الا من يحب ولا غيره اما قولنا ما معنى الحسنة فمعناها كل ما يكون
لكل فيها خير ويحتاج ذلك الى العلم بالتعبير ان كانت ممن يحتاج الى تعبير لانه قد يكون ظاهرها خيرا
وهو غير ذلك وقد يكون الامر فيها بالعكس الا ان كانت بينة لا تحتاج الى تعبير فحينئذ يجري هذا
الحكم واما قولنا ما الحكمة في نسبتها الى الله تعالى فهذا جار على ادب العبودية وعلى ما جاء به

القران من قوله عز وجل ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ويشهد
لذلك ايضا قوله عليه السلام انها من النبوة كما في ذكر في الاحاديث قبل لان النبوة من الله اي من عند
الله وفيه اشارة الى ان الخير الذي من الله به على العبد من الرويا الحسنة واي نوع كان من انواع الخير
انه من عند الله اي بفضله ورحمته لا بحق لازم عليه لا من العباد كان العبد اي نوع كان من انواع عبيده
قال ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
واما قولنا ما الحكمة في ان لا يحدث بالحسنة الا من يحب فاعلم ان المحادثة على وجهين اما مع من تحبه
ويحبك واما مع من تحبه وهو لا يكرهك لانه لا بد في الذي تحبه وهو لا يبغضك ان يكون له اليك
ميل فهذان الشخصان هما اللذان تحدثهما برويا الحسنة واما قولنا ما الحكمة في منعك ان تحدث
بها من يبغضك او تبغضه اما من تبغضه انت فلا بد ان تجد لك بغضا ما لان الحكمة الالهية جرت
بان تكون بين القلوب مادة تجذب بعضها من بعض بحسب ما في هذا تجد الاخر منه نسبة ما
اما اقل واكثر هذا متعارف عند ارباب القلوب حتى ان من كلامهم في هذا النوع انظر الى فعالك
كما تجدنا بخدك يعنون كما تجد نافرة من حسن او قبيح كذلك بخدك وجاء هذا الحديث شاهدا لهم
وقد ذكر مما يقوي هذا النوع ان بعض التجار في مدينة مراكش كان يجلس عنده احد ابناء الدنيا
ممن له تعلق بالملك ويظهر له التودد فاذا انفصل عنه يقول لاصحابه هذا الرجل يعاملني بالبر واجد له
في نفسي كراهة فلما كان يوم عيد من الاعياد فذلك التاجر خارج الى الصلاة بزينة العيد وكان اثر
مطر وازيد لك الشخص خارج وهو راكب جوادا فلما قرب منه لوثت الدابة التي كان عليها ثياب ذلك
التاجر وشوهتها ورجع الى بيته على حالة مسكنة فقال لاصحابه ظهر لي موجب الكراهة التي كنت اجد
له فان البغض لكل امر بغض ظاهر واما باطن الغالب انه لا يقتصر عنك في ازاية ان قدر عليها فلعلك
ان فصصت عليه الرويا ان يعبرها لك على وجه مكروه وهي حسنة وقد جاء ان الرويا مثل الطائر
فاذا عبرت وقعت ولزمت ومما يقوي هذا قصة يوسف عليه السلام لما اتاه الشخصان قد ابدل
كل واحد منهما رويا صاحبه فلما عبرها يوسف عليه السلام ورأى الذي كانت رويا له دالة

١٤٨

على الخير وهو ابدلها مع صاحبه فقال لم يكن الذي رأى صاحبي هذا ولم تكن رويا لي الا الحسنة فقال لها يوسف
قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي بالتعبير قد وجب لكل واحد منكما ما عبر له فكان كذلك ولوجه
اخر وهو انه اذا كانت قد عبرت لكن بخير محتال عليك في ذلك الخير الذي بشرت به كيف يسوئ عليك
لعله يدفعه عنك فمن اجل هذين الامرين نهى صلى الله عليه وسلم ان تحدث برويا الخير الا من تحب
ولان الغالب ممن يحبك او يميل اليك بقلبه من اجل حبك اليه انه لا يحسدك ولا يريد لك الا خيرا ولذلك
منعه عليه السلام من ان يحدث بها من لا يحبه وان كان لا يبغضك خوف ان يحدث الشيطان
عنده بذلك حسدا او يتلفظ في تعبيرها بلفظ يلحق منه ازاية كما ذكر عن ابن سيرين الذي كان مشهورا
بعلم التعبير انه جاءه شخص برويا فلم يجده في الدار فقال له الخادم وما كنت تريد فقال له يعبر
لي رويا ي فقال وما هي فقال اني رايت كاني اشرب البحر فقال له الخادم ولم ينفتق بطنك فولى
عن الدار واذا بابن سيرين قد ذكر له الرويا فسأله هل ذكرها لاحد فقال له لخادمك وقال كيت
وكيت فقال احتفظ على نفسك فولى عنه واذا ببقرة شرودة قد فلتت لصاحبها وهو خلفها يجري
فتعرض لها فنطحته بقرنها فشقت بطنه او كما قال وفي هذا دليل على كثرة شفقته صلى الله عليه وسلم
على امته وفيه دليل على التحضيض على اتباع اثر الحكمة يوخذ ذلك من نهيه عن ان تحدث برويا ك
من لا تحب وهو عمل سبب من اثر الحكمة في رفع الضر عنك وان كان لا يرد من القدر المحتوم شيئا
لكن نحن بها مخاطبون فنفعلها امتثالا ونعلم مع ذلك انه ما ينفع منها الا ما وافق القدر من
ذلك والا القدر هو النافذ لذلك لا محالة ولذلك قال بعضهم واذا فررت من القدر فاينما توجهت
فنحوه تتوجه وهذه اجل الطرق لانها جمعت بين الحقيقة والشريعة ومن اجل ذلك نهى الله على
يعقوب عليه السلام وقال في حقه وانه لذو علم لما علمناه واما كيفية التعوذ وكيفية التفل فاعلم ان صفة
التعوذ قد جاء عنه صلى الله عليه وسلم في غير هذا الحديث وهو ان يقول اعوذ بالله من شر ما رايت
ان تضرني في ديني ودنياي والتعوذ من الشيطان معلوم واما صفة التفل فقد عبر عنه بعض
العلماء شبهك اذا القيت نوى الزبيب من فيك حين تاكله وهو وجه حسن من التمثيل وقد جاء

عنه صلى الله عليه وسلم في حديث غير هذا ان يتحول عن الجنب الذي رئيت فيه ما تكره الى
الجنب الثاني وقوله صلى الله عليه وسلم فليتعوذ بالله من شرها ومن الشيطان وليتفل ثلاثا
عطفه بالواو وتوجه بانها برات لاشيء عليك فيه واما قولنا ما الحكمة في ان لا تحدث
بالذي تكرهه لامن تحب ولا من لا تحب فان كان تعبدا فلا بحث وان كان لحكمة وهو الاظهر
فهاهي فاحتملت وجوها منها ان يكون عدم تحدثك بها حتى تلقيها عن قلبك فلا يبقى لك
منها حزن فيكون هذا من باب الشفقة واحتمل ان يكون هذا من اجل الغير فتحزن الذي يودك
بشيء لا يضرك وان كان ممن يبغضك فيسرها فلسروره تستجز من مسلم يكون ما تؤما
وتكون انت سببا لان تدخل على اخيك المسلم سوءا في عمله بشيء لا يضرك واحتمل ان يكون عليه
السلام جعل عدم ذكرك لها دال على تصديقه عليه السلام في الذي اخبرك به فتصديقك له صلى الله عليه
وسلم فامتثالك لامره عليه السلام هو الذي يدفع عنك ذلك الضرر الذي يلحقك منها واحتمل مجموع
التوجيهات كلها والاخر منها هو اظهرها والله اعلم ولذلك قال العلماء ان الرويا اذا كانت تدل
على شر ولم تكن حلما وامثل صاحبها السنة كما اخبر صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث انها
لا تضره ببركة اتباعه السنة وهو الحق الذي لا شك فيه لان الله عز وجل يقول وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وهذا لفظ عام فلا يقصر على جهة واحدة ولا معنى واحد بل يبقى على عمومه
لان ذلك فضل الله ومن وما كان من فضل الربوبية يعتقد فيه احتمل وجوه الخير لان ذلك هو اللائق
بجلاله سبحانه جعلنا الله ممن تمسك بالكتاب والسنة وتوفنا على ذلك مغفورا لنا بفضله
وصلى الله على محمد واله وسلم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من راى
من اميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فانه من فارق الجماعة قيد شبر فمات الا مات ميتة
الحديث ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما لمن راى من اميره شيئا يكرهه بالصبر على ذلك ولا ينكث في بيعته
والثاني اخباره صلى الله عليه وسلم انه من فارق جماعة المسلمين قيد شبر مات على سنة الجاهلية والكلام
عليه من وجوه منها الشيء الذي يكرهه من اميره هل هو على العموم في امور الدنيا والاخرة او هو

على الخصوص في امور الدنيا وما يتعلق بالامور النفسانية وما صفة هذه الجماعة هل هم الذين
تسموا باسم الاسلام كانوا على اي حالة كانوا عليها ومعناه الخصوص وكيفية هذه المفارقة
وما معنى تحذيرها بالشبر وما هو معنى ميتة جاهلية هل يكون معناه على الكفر المحض او على صفة
من صفات الجاهلية مع بقاء الايمان اما قولنا الشيء الذي يكرهه من اميره وامر بالصبر عليه
هل ذلك على العموم او على الخصوص اللفظ محتمل لكن بتخصيص الاحاديث المبينة لهذا العموم بانه ما
يتعلق بالامور الدنياوية والامور النفسانية تحفظا على امر الدين الذي هو طريق الاخرة فمنها
قوله عليه السلام اسمع واطع وان ضرب ظهرك واخذ المال وان كان اسود ذا اربتين منفوخ
الخيشوم وهذه كلها امور نفسانية ودنياوية او كما قال عليه السلام والحديث الاخر ذكر فيه
انهم قالوا ان ولي علينا امرا فسقا نقتلهم قال صلى الله عليه وسلم الا ما صلوا الا ما صلوا
ما صلوا او كما قال عليه السلام فدل بقوله الا ما صلوا انهم اذا لم يصلوا صلوا ولا سمع لهم ولا
سمع لهم ولا اطاعة وكذلك قال عمر رضي الله عنه على الدين حين يبعثه قال ما اطعت الله ورسوله
والا فلا سمع لي عليكم ولا طاعة او كما قال فدل بهذا ان الامور التي يكون فيها مخالفة في الدين
لا يطاع فيها امير ولا غيره لان ما جعلت الامارة ان ينقاد الناس لها الا من اجل ان لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق وقد قال علماء الدين انه شرط في ان يوجب احدا بقول امير حتى يعلم ان
ذلك حق عليه بامر الله واجب والاحاديث في هذا النوع كثيرة وفيما ذكرناه كفاية واما قولنا
ما صفة هذه الجماعة هل على العموم حق في الذين تسموا باسم الاسلام او ذلك على الخصوص
في المسلمين حقا البحث في هولاء والجواب عليهم كالجواب على الامير وحديث حذيفة الذي
بعد يبين الجماعة وهو شرح هذا الموضع حيث قال صلى الله عليه وسلم فاعتزل تلك الفرق كلها
وان تعض باصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك او كما قال عليه السلام واما قولنا
كيف صفة هذه المفارقة فمعناه ان تسعى في حل البيعة تلك التي للامير ولو بادنى شيء فعبر عليه
السلام عنه بمقدار الشبر لان الاخذ في حل تلك البيعة المخالف لجماعة المسلمين المنعقدين

ليس هو

عليها وهو مع ذلك امر يؤول الى سفك الدماء بغير حق وقد قال صلى الله عليه وسلم من شارك
في قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب على جبهته ايس من رحمة الله او كما قال عليه
السلام واما قولنا ما معنى قوله عليه السلام فمات الامات ميتة الجاهلية وايمانه باق اللفظ
محتمل وقد جاء ما يبينه من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه او كما قال عليه السلام
فشبهه عليه السلام المرتد عن الاسلام وهذا امر خطر اللهم عافنا من الخطر عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يتقارب سلام الزمان وينقص العمل ويبقى الشح وتظهر الفتن
ويكثر الهرج قالوا يا رسول الله ايم هو قال القتل ظاهر الحديث يدل على خمسة احكام الاول
الاخبار بتقارب الزمان والثاني نقص العمل والثالث ابقاء الشح والرابع ظهور الفتن والخامس
كثرة الهرج وهو القتل والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معنى تقارب الزمان وكيف يكون
نقص العمل وما معنى هذا الشح الذي هل هو على العموم او على الخصوص وما الفتن المشار اليها وما
صفة القتل الذي يكثر هل هو بحق او بغيره وما معنى الهرج اما قولنا ما معنى تقارب الزمان
فمعناه يقصر وقيل طوله وقد جاء في حديث غير هذا القوله صلى الله عليه وسلم تكون السنة كالشهر
فمعناه ان يقصر الى شهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالنفس او كما قال
عليه السلام ولا يخلو هذا القصر ان يكون المراد به معنويا او حسيا فاما المعنوي فقد ظهر وله
سنون عديدة يعرف ذلك اهل الاعمال ومن له فطنة ما من اهل الدنيا المشتغلين بالاسباب
فيها فانهم يجدون انفسهم لا يقدرون ان يبلغوا من عمل اسباب الدنيا قدر الذي كانوا يعملون
ويشكون ذلك ولا يذكرون العلة من اين هي وكذلك اهل اعمال الاخرة قد وجد وا نقص العمل ونقص تلك
المعاني الخاصة بالقلوب الحاملة على الاعمال فالعلة في ذلك والله اعلم ما دخل في الايمان من الضعف
من كثرة اظهار الامور المخالفة للسان العلم من وجوه عديدة من حيث لا يخفى على ذي بصيرة وما
دخل من اجلها في العمل من الشبه بل من الحرام المحض حتى ان كثيرا من الناس ما يتوقف في هذا الباب
عن شيء وكيف قدر ان يصل الى شيء فعل ولا يبالي فان البركة في الزمان والرزق او البدن

من

من طريق قوة الايمان واتباع الامر واجتناب النهي يشهد لذلك قوله جل جلاله ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض واما ان كان المقصود بتقارب الزمان
ان يكون حسا ظاهرا فهذا لم يظهر بعد ولعله من الامور التي تكون عند قرب الساعة ولعله عليه
السلام عنى ذلك الوجهين معا فيكون الواحد وهو المعنوي قد ظهر وبقي الاخر وهو الحسي حتى يصل
وقد مع باقي الشروط واما كيفية نقص العمل فعلى وجهين ان كان في الحسي الذي لم يظهر بعد
فهذا بين لا يحتاج فيه الى تعليل لان الزمان ظرف للاعمال فاذا نقص بعض الاعمال لا محالة واما
نقصه في المعنوي فمن وجهين احدهما ما اشرنا اليه انفا وهو من جهة المطعم وما دخل فيه من الخلل وقلة
الباعث الذي هو حامل على الاعمال ويحرض عليها وذلك من ضعف الايمان والثاني من قلة المساعد
على ذلك في الخارج والنفس من طبعها انها ميالة الى جنسها ولذلك قال تعالى وتعاونوا على
البر والتقوى ولكثرة شياطين الانس الذين هم اضر عليك من الشيطان الرجيم اللهم لا تكلنا لعصابة
التي سبحانه وتعالى بقاها على الحق لا يضرها من خالفها فهي محمولة بالقدرة واللطف الرباني وانما
جاءت الاخبار على الغالب من احوال الناس واما قولنا ما معنى الشح الذي يلتفت هل هو على العموم
او على الخصوص محتمل والظاهر العموم لان الشح الخاص المستعمل عند الناس فيما عدا الفرائض لا يعود
منه ذلك الضرر المخوف وانما الشح الذي يخاف منه ومن وباله الشح بالفرائض ومن شح بها فمن
باب اولى ان يشح بغيرها فيكون عاما والله اعلم يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تزداد الدنيا
الا ادبارا ولا الناس الا شحا او كما قال عليه السلام فجاء لفظ عام في حديثين معا ولا يسمى الفقها
شحيحا الا الذي يشح بالفرائض والناس يسمون الشحيح كل من لا يجود عليهم ولا ينظرون على
ادمي فرضه ام لا كما يزعمون ان الكنز هو ما جعل من المال تحت الارض والعلما يقولون
الكنز المال الذي لم تخرج زكاته كان على وجه الارض او في بطنها مدفونا واذا كان مدفونا
وهو يخرج زكاته فليس عندهم بكنز وامثال حقوق الاموال سبب الى ذهابها وقلة بركاتها وطرو
الحوايج عليها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا ينقص مال من صدقة او كما قال عليه السلام فحال

اهل العلم معناه ان المال الذي يخرج منه الزكاة لا يلحقه عاهة ولا يتلف ولا يلحقه شيء من الآفات التي تاتي على الاموال فينقص بها فان الزكاة تحرسه من ذلك ولذلك قال الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها وفي هذا اشارة لاهل الطريق الذي بنوا امرهم على الايثار لكي يسلموا من الشح على كلا الوجهين ولذلك لما القى الشافعي رحمه الله شيبان فساله عن الزكاة في الغنم في كم تجب فقال له اما عندكم ففي اربعين شاة وعندنا كلها زكاة فقال الامام لاصحابه وقف ما علمناه او كما قال واما قولنا ما الفتن التي قد عرفها بالالف واللام فهي والله اعلم التي قد بينها صلى الله عليه وسلم بقوله فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مومنا ويمسي كافرا ويمسي كافرا ويصبح مومنا يبيع دينه بعرض من الدنيا او كما قال عليه السلام لان كل فتنة يسلم فيها الدين فليست بفتنة محوفة اعاذنا الله من جميعها بمنه وفضله والهرج يحتمل معنيين احدهما الفتن التي تقع بين الناس ويخوض بعضهم في بعض والثاني القتل ولذلك استفهم الصحابة رضي الله عنهم سيدنا صلى الله عليه وسلم بقولهم ايم هو فازال عليه السلام الاحتمال الاول بقوله القتل ثم اكده ثانية لزوال الاحتمال الاول واما قولنا ما مضى كثرة القتل هل يكون ذلك لحقوق اللازمة او لغير ذلك فاعلم ان القتل الذي هو في الحقوق اللازمة شرعا رحمة للعباد والبلاد يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لان يقام حد من حدود الله في بقعة خير من ان تمطر السماء عليهم ثلاثين يوما وقيل اربعين يوما او كما قال عليه السلام فهذا في حد واحد فكيف اذا كثر القيام بالحدود وفشى امرها وتعددوا نما يكون القتل والله اعلم في الوجهين الذين قد ذكرهما صلى الله عليه وسلم في احاديث متفرقة منها قوله عليه السلام لا تقوم الساعة حتى لا يعرف المقتول فيم قتل ولا القاتل فيم قتل وكما قال عليه السلام ولا يكون ذلك الا لكثرة القتل بغير لسان العلم حتى لا يعرف قاتل ولا المقتول لم وقع ام ذلك الامر والوجه الاخر قوله عليه السلام لا تقوم الساعة حتى ينحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل عليه من كل مائة تسعة وتسعون او كما قال عليه السلام وهنا بحث وهو ما الفايدة بان اخبرنا بهذه الفتن فنقول والله الموفق لوجوه منها ان نستعيذ منها كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم ونعوذ بك من فتنة القبر

ونعوذ

ونعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات وهو صلى الله عليه وسلم معافا من جميعها لكن ذلك على طريق التعليم لنا وعلى جهة الادب منه عليه السلام مع الربوبية حتى يجعل نفسه المكرمة من جملة العبيد الذين يخافون الفتن ومنها لان يستعمل منا من راى منها شيا اللذ والذي قد علمناه وهو قوله صلى الله عليه وسلم لما سأله بعض الصحابة عند ذكره صلى الله عليه وسلم الفتن فقال له ما تامرني ان ادركني ذلك الزمان فقال صلى الله عليه وسلم الجوا الى الايمان والاعمال الصالحات فبين صلى الله عليه وسلم كيف العمل فيها وقد جاء من طريق اخر انه لا يسلم منها الا من يكون جليسا من الجالس بيته ومنها لان تتبين لنا الوجوه التي منها الفتن فنا خذ في سد تلك الطريق مستعينين بالله على ذلك ومنها لان تكون معجزاته صلى الله عليه وسلم متتابعة الى يوم القيمة لانه كلما اخرجت واحدة مما ذكر عليه السلام في هذا الحديث وغيره هي معجزة له صلى الله عليه وسلم في الوقت وفي ظهورها متتابعة الى يوم القيمة حق لله تعالى وقوله عليه السلام حق لامته فالحق الذي هو لله سبحانه وهو استصحاب ظهور حجته عز وجل على عباده لان ظهور معجزة الرسول عليه السلام حجة الله تعالى لقوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وحجة للرسل في تصديق ما جاؤا به وتصديق رسله حجة على عباده وزيادة قوة في ايمانهم واما الذي هو حق له صلى الله عليه وسلم فدوام معجزاته ودوام انذاره الى يوم القيمة بالطريقين العظيمين بالكتاب لقوله سبحانه وتعالى لانذركم به ومن بلغ فانذاره عليه السلام باق الى يوم القيمة باظهار معجزاته عليه السلام وهو ظهور كلما اخبر عليه السلام فان على ظهور كله واحدة منها علما بتصديقه عليه السلام مقولا لما جاء به وهذا مما خص به عليه السلام دون غيره من الانبياء عليهم السلام واما الذي هو حق لامته فهو ان يكون هذا الخبر الذي جاء به عليه السلام متساويا في امته من اولها الى اخرها من طريقين بالكتاب العزيز الذي حفظ عليهم ولم يوكلوا في ذلك الى انفسهم فكان يقع فيه التغيير والتبديل كما وقع في الكتب المتقدمة ومعجزاته عليه السلام التي هي من اول امته الى اخرها نوعين منها ما هي ظاهرة لاهل ذلك الزمان ومنها ما يصدقون به ولم يروها حتى يكون الشاهد منها يصدق الغايب وان

كانت كليها صدق لكن فاق الصحابة رضي الله عنهم غيرهم بزيادة الصحبة وعاينوا ما كان في وقتهم
وامنوا بما اخبر عليه السلام انه يكون بعده ومن جاء بعدهم من بالذي شاهد من الصحابة رضي
الله عنهم وبالتي اتت بعدهم ايمان تصديق فحصل لهم بها ايمان ومشاهدة والذين يؤمنون
في اخر الزمان يومنون بما تقدم منها تقليدا وبما في زمانهم معاينة فجاء هذا الخبر الذي جاء به صلى الله
عليه وسلم في امته من اولها الى اخرها وسبق هذا الخبر دائما اخبر صلى الله عليه وسلم انه لا تزال
طائفة من امته على الحق ظاهرين الى يوم القيمة او كما قال عليه السلام فان الخبر اذا بقي في الارض لابد
له من اهل له قائمين به وكذلك هي اشارته عليه السلام بقوله امتي مثل المطر لا يدري اخره انفع
اوله او اخره او كما قال عليه السلام فان الخبر اذا بقي في الارض لابد وهنا بحث وهو ان لا يكون
هذا الخبر الا الذين يعلمون علم الكتاب والسنة فانه لا يعلم ما اخبر صلى الله عليه وسلم به الا من سمع
الحديث واعتنى به فمن اشتغل بغير ذلك من العلوم فاته هذا الخير وبقيت الحجة عليه قائمة بتضييعه
لاثر النبوة التي بها اثر الخير بدا وعودا واصلا وفرعا ومنها ان يكون النفوس تراض على دفعها وكراهيتها
حتى ان ظهر منها شيئ تجد النفوس لها كراهية فاذا كرهها اولا ووقيت اولها كفيت فيما بقي منها
لقوله صلى الله عليه وسلم تعرض الفتن على القلب عودا عودا فاي قلب اشربها نكتت فيه نكتة سوداء
واي قلب انكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين على ابيض مثل الصفا فلا يضره فتنة
ما دامت السموات والارض والاخر اسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الا ما اشرب
من هواه والاسود المربد هو شدة البياض في السواد والكوز المجخي هو الكوز المنكوس ولذلك قيل
قلبك فاحفظه من الفتن والي الله فالجأ في ذلك وادم من عافانا الله منها اجمعين بفضله عن حذيفة
بن اليمان قال كان الناس يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت
اساله عن الشر مخافة ان يدركني الحديث ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما الاخبار بالحال
الواقع في الدين والثاني الامر بالتمسك به مع جماعة المسلمين واما مهم فان عدم ذلك فتبقى عليه وحدك
وتفارق كل من ليس على طريقة الاسلام الحقيقي وان ال الامر بك الى الخروج الى البرية منفردا وترك

الاهل

الاهل والمال والقرابة والعشيرة وجميع اهل الوقت من قريب وبعيد وان كان الامر يضيق عليك
في البرية حتى لا تجد ابين تاوي حتى تحصر الى اصل شجرة مع سلامة دينك فلتعض بها اي تشد عليها
حتى ياتيك وانت على ما امرت به من امر الله تعالى واجتناب نهيه ومنه قوله تعالى قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره
وقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون والكلام عليه من وجوه منها النظر في حكمة الله تعالى في عباده كيف
يعطي لكل شخص ما شاء ان يقيمه فيه يوخذ ذلك من انه عز وجل حبب لصحابة رضي الله عنهم سوالهم
له صلى الله عليه وسلم على وجوه الخير كي يقتسوها ويكونوا بابا لها وحبب لهذا السيد سوالة صلى
الله عليه وسلم عن وجوه الشر كي يحذرها ويكون سببا في سدها عمن قدر الله له النجاة منها ومنها
النظر والاعتبار فيما اعطى الله تعالى سيدنا صلى الله عليه وسلم من سعة الصدر والمعرفة بحكمة الحكيم
الذي يجاوب كل شخص عما سال ويعلم ان ذلك الذي شا الحكيم ان يقيمه فيه ويسره له ويدخل هذا تحت
تضمن قوله صلى الله عليه وسلم انما انا قاسم والله يعطي فهو صلى الله عليه وسلم الذي ارسل القسمة الامور
على ما اقتضتها الحكمة الربانية والله يقيم من شاء فيما شاء فهو عليه السلام المبين لوجوه الخير والشر
والله يعطي منها ما يشا لمن يشاء ويترتب على هذا من الحكمة والنظران الذي حبب الشخص هو الذي
يفوق فيه غيره يوخذ ذلك من حال حذيفة رضي الله عنه لانه لما حبب اليه معرفة وجوه الشر كي يجذره
ويحذر عنه غيره فضل فيه عشرة من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين ولما علم سيدنا صلى الله عليه وسلم
هذا الذي اشرنا اليه خصه بان اعلمه بان اعلمه باحوال جميع المنافقين لانه من هذا النوع الذي حبب
اليه حتى كان عمر رضي الله عنه وهو خليفة ياتيه ليلا ويناشده الله هل هو ممن سماه رسول الله صلى الله عليه
وسلم من المنافقين امر لا فيحلف له انه ليس منهم ورتب اهل الحكمة على هذا من الفايدة انك اذا كان
لك ابن او غلام ابن لك عليه كفالة واردت ان تشغله بشغل من الاشغال وعلم من العلوم لم تعرض
عليه انواع الاشغال اذا اردت ان تشغله او انواع العلوم ان اردت به طريق ذلك وكانت تلك

الانواع مما تجيزها الشريعة فالذي تراه يحبه ويعجبه من ذلك فيها اجعله فانه يفوق فيه اهل زمانه
لان الذي حبب اليه هو المراد به ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك واختبر واذلك بعلم التجربة فوجد
ولا ينكس ومن جمع الله له بين الفريقين فهو الحال الجليل وهو معرفة الخير والعمل عليه ومعرفة الشر
واتقائه ولذلك كان من دعاء علي رضي الله عنه اللهم اجعلني مفتاحا للخير ومغلاقا للشر طيبا
مباركا حيث كنت وكما قال رضي الله عنه وفيه دليل على ان كل ما كان يهدي الى الطريق الاخرة ويهدي
الى انواع الرشاد وكل ما يقرب الى الله سبحانه يسمى خيرا لغة وشرعا وان كل كفر وضلالة اي نوع كانت
كبري او صغري وكل ما دعي اليها يسمى شرا لغة وشرعا يوخذ ذلك من قول حذيفة كنا في جاهلية
وشر فجانا الله بهذا الخير وكرر ذلك في الحديث مرارا ووافقه علي ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم اما من طريق انه لغة فلانهم عرب واما من طريق انه شرع فلان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وافقه علي ذلك بان سلم له فيه وجاوبه عليه بان جعل فيه اسم الشر سوا الكفر والجاهلية التي
كانوا عليها وسوا الضلال الذي طرا في الاسلام بعده صلى الله عليه وسلم من الفتن والمعاصي
غير ان الفرق بينها من طريق النظر ان الاولي وهو الكفر كبري والذي بعده وفيها الخلل في
الدين من طريق المعاصي صغري وفيه دليل علي انه لا يطلق عليه اسم خير حتي يكون تاما لا عوج فيه ويستدل
بذلك علي انه لا يطلق عليه اسم مسلم الا علي المومن وان لا يكون ايمانه فيه دخن كما اخبر الصادق عليه السلام
بقوله وفيه دخن وفيه دليل علي ان كل هدي او علم مخترع بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب
والسنة فالذي يكون علي ذلك بلا زيادة ولا نقصان فهو طريق والمبلغ الى الله عز وجل وان لا يكون
من احد القسمين اما من القسم الذي فيه الدخن واما من اهل القسم الذين علي ابواب جهنم من اجابهم
اليها قذفوه فيها يوخذ ذلك من قوله عليه السلام وفيه دخن ثم فسر ذلك الدخن بكونهم يهدون بغير
هديه صلى الله عليه وسلم فاخذوا هدي قوم جعلوا الدين اصلا خلاف الكتاب والسنة وجعلوا الكتاب
والسنة له فرعا لقدعهم دخنهم الارض وطبقها حتي تناهي فيه قوم فوقعوا به علي باب جهنم
فمن اجابهم اليها قذفوه فيها وفيه دليل علي وجوب قبول الحق حيث كان وتحقيقه يوخذ ذلك

من

من قوله صلى الله عليه وسلم تعرف وتنكر وفيه دليل علي وجوب رد الباطل وكل ما خالف هديه صلى الله عليه
وسلم ولو قاله من كان رفيع او وضيع يوخذ ذلك من قوله عليه السلام تعرف منهم وتنكر وهنا
بحث وهو ما هو هذا الشر الذي اشار اليه صلى الله عليه وسلم وما هو هذا الخير الذي فيه الدخن فنقول
والله الموفق يحتمل ان يكون الشر الذي اشار اليه عليه السلام به في حديث اخر اعني بقتل العلما
فانه عليه السلام قال فيه يا ليت العلما تحاقوا وكما قال عليه السلام معناه لو ظهروا ذلك سلموا من
القتل واما الهدي الذي فيه الدخن فهو ما ظهر في الامة من التشيع والبدع يفسر ذلك قوله عليه السلام
افترقت بنو اسرائيل علي اثنين وسبعين فرقة وستفترق امتي علي ثلاث وسبعين فرقة كلها في
النار الا واحدة فكل من حصل له الاثنين والسبعين فرقة ولو ساله واحدة وان كان لا يعلم بها
فقد دخل في دينه دخن وبالحديث الاخر وهو قوله عليه السلام كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في
النار وبقوله عليه الصلاة والسلام كل من احدث من امرنا ما ليس منه فهو رد وكما قال عليه
السلام فكل من حصل علي بدعة من البدع فقد حصل في دينه وهديه دخن ولا يغره كثرة العمل
لتلك البدع وانتشارها فانها من جملة الدخن وقد قال صلى الله عليه وسلم في شان تجنب الفتي وعليك
بخويصة نفسك وكما قال عليه السلام ولا يغرك صاحب البدع وان كانت لديه علوم او اعمال صالحة
ونسك وتعبد او مجموعها فقد قال صلى الله عليه وسلم في القدرية تحقرون صلاتكم مع صلاتهم
وصيامكم مع صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يقرون القران لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما
يمرق السهم من الرمية تنظر في الفصل فلا ترى شيئا وتنظر في القدح فلا ترى شيئا وتتمارى في الفوق
او كما قال عليه السلام وقوله عليه السلام دعاة علي ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها اي
انهم يرشدون الى الطرق التي يدخل بها النار من الاعتقادات والاعمال المخالفة للسنة وهم يظهرون
انها المبلغة الى الله تعالى وهم الذين قال عليه السلام فيهم اتخذ الناس رووسا جهالا افسالوا فافتوا
بغير علم فضلوا واضلوا فمن صدقهم واتبعهم دخل النار وفي قوله عليه السلام من جلدتنا ويتكلمون
بالسنتنا دليل علي ان اهم شيا علي المرا في الدين نفسه يوخذ ذلك من قول حذيفة فما انا مرني ان ادركني

ذلك من قول حذيفة فما تامرني ان ادركني ذلك فما سال الا عن نفسه كيف يكون خلاصه ويترتب
على هذا من الفقه ان كل وجه يعمله الشخص من وجوه الخير كان يدركه او لا يدركه يعتقد فعله ان
ادركه فيكون على ذلك ماجورا واي وجه عمله من وجوه الشر يكون بحيث يلحقه يعتقد انه لا يفعله
وانه يتبع السنة في الاعمال والاسباب المنجية منه فان هذا هو طريق السنة ومن كان متمسكا
السنة فانه ماجور ويقوي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم نية المومن ابلغ من عمله لانه ينوي عملا من
اعمال الخير او ترك عمل من اعمال الشر وقد لا يدرك من ذلك شيئا لقصر عمره فكانت نيته اكثر
من عمله ولكونه صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ من فتنة الدجال وهو بالعلم القطعي عنده
انه لا يدركه وقد قال عليه السلام ان يخرج وانا فيكم فانا اكفيكموه فقد علم عليه السلام انه ان
لحقه فلا يضره بل هو عليه السلام يكفي المسلمين ضرره ومع ذلك كان عليه السلام يستعيذ من
فتنته فهذا من باب الارشاد لنا الى ما اشرنا اليه وقوله صلى الله عليه وسلم تلزم جماعة المسلمين
يعني الفرقة الناجية من الثلاثة والتسعين الذين هم ما هو عليه واصحابه صلوات الله عليه وعليهم
اجمعين جعلنا الله منهم ومعهم في الدارين بمنه وفضله وقوله وامامهم يعني الذين يعتقدون
به ويكون على تلك الطريقة المباركة ايضا وفيه دليل على ان من السنة ان لا يكون جماعة الا ولها امام
وقوله فان لم يكن لهم جماعة ولا امام لان هذه الامة لا تزال جماعة فيها باقية وكذلك ائمة الخير لا ينقطعون
منها لكن قد يقلون او يكونون في موضع من الارض دون غيره يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم
لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق الى قيام الساعة لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله
او كما قال عليه السلام وقوله عليه السلام في نزول عيسى بن مريم عليه السلام وامامكم منكم اي انه يكون
على طريق هدي متبع للكتاب والسنة وفيه بحث وهو انه ان كان واجدا لاحد الطريقين اما
جماعة على الخير ولا امام معهم او امام على خير ولا جماعة له فالبقاء مع احدهما خير من الانفراد لانه
اعون على الدين ولفظ الحديث يدل على ذلك فان الامر بان تتبع الجماعة والامام لا يبقى اذا لم يجد
الواحد منهما الا ان لا تتبعه غيرانه ياخذ اولا الاكمل فاذا كانا في موضع مجتمعين وكان في موضع

اخر

١٥٤

احزاحدهما فحيث جمعهما اولى فان لم يجد الا احدهما فهو خير من اصل السجرة فان تلك هي الغاية في
الهروب والاحتياط للدين وقد قال صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من
الجليس السوء فعند الموضع ان يكون صلاح الدين هو المعمول عليه ويكون الصلاح على مقتضى الكتاب
والسنة فان قدر على الاجتماع باخوانه المسلمين وبالامام او باحدهما ان امكنه ذلك مع الاقامة مع
الاهل فحسن وان لم يكن كذلك وامكنه الجلوس في العمارة منفردا فحسن ايضا والافالبرية على هذه
الحالة الموصوفة في الحديث يقوي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ابشر الفرارين بدينهم من قرية الى قرية ومن
شاهق الى شاهق انهم معي ومع ابراهيم في الجنة كهاتين واشار بالسبابة والوسطى وكما قال عليه السلام
فقدم عليه السلام الفرار من العمارة الى العمارة على الفرار من الى الجبال ويقويه ايضا من كتاب الله
عز وجل قوله تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وفي تسمية ما جاء به صلى الله عليه وسلم
خيرا دليل على ان ما سميناه به الكتاب الذي هذا شرحه جمع النهاية في بلوغ الخير وغايته ان ذلك
موافق بفضل الله عنه ووافقه عليه سيدنا صلى الله عليه وسلم فقوي عند ذلك رجائي في فضل الله
ان تكون كلما سلكت فيه وفي شرحه موافقا لما يرضي الله ورسوله وذا لاعلى الخيرات وابوابها وسدد
للشر وابوابه بفضله ورحمته عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا انزل الله بقوم اصاب الله بالعذاب من كان فيهم ثم بعثوا على اعمالهم
ظاهر الحديث يدل على ان العذاب اذا ارسل الى قوم عم الجميع ويبعثون في الاخرة على
قدر اعمالهم وعليها يجازون والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معنى قوم هل يكونون
مومنين او غير مومنين وما معنى من كان فيهم وما الحكمة بان يوخذ القوم ومن فيهم في هذه
الدار على حد سواء ثم عند البعث تقع الفرقة بينهم بحسب الاعمال هل هذا تعبد او الحكمة تعلم فيتحرز
من هذا الامر العظيم اما قولنا ما معنى قوم هل يكونون مومنين او غير مومنين اما المومنون
حقيقة فلا يرسل الله عليهم عذابا بل بهم يدفع الله العذاب كما جاء في ذلك في الدار وفي الاي بين ذلك
اما الاي فقوله تعالى وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وقوله تعالى وما كان الله معذبهم

وهم يستغفرون واما الاثار فمثل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحفظ الرجل الصالح في اهله وذويه
من جيرانه اوكما قال عليه السلام فقوله صلى الله عليه وسلم هنا على قوم يعم الكفار والعصاة وغيرهم
من هم على ما يشبه حال هؤلاء الذين يرسل عليهم العذاب واما قولنا ما معنى من كان فيهم
فالجواب ان معناه يكون معهم وليس على حالهم لانه لما خالف الجالس معهم الامر من كان الله عز وجل
يقول ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين
اولياء من دون المومنين وقال تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها
ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم وقال صلى الله عليه وسلم
من والى قوما فهو منهم اوكما قال عليه السلام والاي والاثار في هذا كثيرة وهذه سنة الله تعالى
ابدا في عباده وقد ذكر عن عيسى عليه السلام انه مر في سياحته على قرية واهلها صرعى موتى فقال
للحواريين لو كان موت هؤلاء من اخذ بلا لدفن بعضهم بعضا ثم ناداهم يا اهل القرية فلم يجبه منهم
احد عن ثلاث مرات ثم جاوبه واحد فقال له عيسى عليه السلام ما شانكم قال له كنا في عافية
فاصبحوا وهم في الهاوية فقال له ما بالك انت تكلمت واصحابك لم يتكلموا قال اني لم اكن
منهم واني مررت عليهم فبت عندهم فاخذ الامس عندهم فكل واحد منهم يلجم بلجام من نار
لا يقدر ان يتكلم وانا ليس مثلهم فتعجب هو والحواريون وتركوهم وتقربوا اوكما جرى ويترتب
على هذا من الفقه الهروب من بين الكفار ومن بين الظالمين لانفسهم بالمعاصي لان الجلوس
بينهم من القاء النفس الى التهلكة هذا اذا كان معهم ولم يعينهم على ما هم فيه او يرضى من افعالهم
شيئا فان وقع في واحد من ذلك فهو منهم وبالله العياذ ولذلك كان سيدنا صلى الله عليه وسلم
حين مروا اصحابه على حجر ثمود قال لهم اسرعوا في الخروج من هذه ولا تدخلوها الا وانتم باكون
اوكما قال عليه السلام ان لا ياكلوه ويطعموه البهائم وهذا منه صلى الله عليه وسلم خوفا من اجل
ان يعود عليهم من شوم تلك البقعة وبال وجميع ما ذكر كله خوف من القرب من اهل المخالفات
والمغضوب عليهم وان كانوا قد فنوا واما قولنا ما الحكمة في ان يوخذ في هذه الدار مع اهل

البلا

البلا من كان فيهم ثم في الاخرة يبعث على عمله كل منهم بحسب ما كان عليه فهذا حكم عدل يقتضيه
عليه الشريعة لان الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وقال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وقد مس النار لهم اذا ركنوا اليهم بقدر ركونهم
فلما لم يركن هؤلاء الذين ارسل عليهم العذاب الا بالجلوس معهم اصابهم من النار ما اخذوا
معهم وكانوا في البرزخ الذي هو ما بين موتهم الى حين بعثهم معهم في ذلك العذاب الذي
هم فيه ثم يبعثون عند البعث كل على ما كان عليه من خير او ضده فذلك ان قدر عذابهم
على ذلك الجزء اليسير وهي الاقامة معهم هو ان يوخذوا معهم وان يكونوا معهم على حالهم
المهلكة حتى الى وقت البعث فعند ذلك يرجع الى حاله المختص به اولا يوخذ ذلك من قوله
عليه السلام ثم يبعثوا على اعمالهم واحتمل البعث هنا ان يكون بعث سوال القبر لا ان حملنا
ثم على المهلة الطويلة فيكون بعثهم على اعمالهم عند بعث النفخ في الصور والله اعلم لان
سوال القبر مع الموت بسرعة ليس منها طول زمان وان حملنا ثم على المهلة القصيرة في
الزمان فيكون بعث سوال القبر لان ذلك هو الذي بعد الموت لا شيء اخر بينهما والله
اعلم ومما يقوي ما قلناه قوله صلى الله عليه وسلم في غير هذا الحديث يموت المرء على ما عاش
عليه ويبعث على ما مات عليه فهؤلاء اخذوا على ما كانوا عليه من مخالطة اهل العذاب
فماتوا على تلك الحالة ثم عند البعث لم يبعثوا معهم وبعثوا كلا منهم على حالته التي كان
عليها قبل ارسال العذاب وذلك كان قد عذابهم على مخالطتهم بالجلوس بينهم ولا
يكون هؤلاء الماخوذون مع اهل العذاب المرسل قد عذرهم الله عز وجل بقوله الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا لان من جعل
الله له عذرا فلا يواخذه على ما قد عذره فيه بفضله ورحمته تعالى هذا يكون لفظ الحديث
عاما فيما عدا اهل الاعذار الذين بين الله عز وجل عذرهم وتقول هو عام ومعناه الخصوص
فيمن لم يقدم الله وفيه تخويف عظيم بالضمن وهو ان ارسال العذاب على المخالفين

لامره سبحانه ونهيه باق متوقع كما كان فيمن تقدم ومما يقوي هذا قول عائشة رضي الله
عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث فيا الله
يا الله يا رباه اغثنا فقد كثر الخبث ولا مهرب لا اليك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد
واله وسلم عن سلمة بن الاكوع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من اسلم
اذن في قومك او في الناس يوم عاشوراء ان من اكل فليتم بقية يومه ومن لم
يكن اكل فليصم ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما ان صوم يوم عاشوراء يجزي لمن امسك
فيه عن الاكل والشرب وان لم يكن بيت صومه من الليل بخلاف غيره من الصوم لقوله صلى
الله عليه وسلم في غير عاشوراء لا صوم لمن لم يجمع في الليل وكما قال عليه السلام والحكم الثاني
ان حرمته ليست كحرمة غيره من النوافل بل هو مثل حرمة الفرض بل غيره من النوافل اذا
اكل احد فيه متعمدا لا يمسك بقية يومه والفرض اذا اكل احد فيه متعمدا يمسك بقية يومه
والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل هذا الحكم فيه مستصحب الى هلم جرا او ذلك
كان في ذلك اليوم لكونهم لم يكونوا يعلمون حرمته فليفوتهم ولا يكون ذلك بعد بلوغ الدعوة
العلم به واما صومه لمن لم يعلم به الا بعد طلوع الفجر او الشمس او علم ونسي ولم يبيت
صومه فالظاهر انه يجزيه صومه اذا امسك ولم ياكل ولم يشرب بعد والدليل عليه من
الحديث انه سماه صلى الله عليه وسلم صوما وقد قال بعضهم انما كان هو الفرض قبل فرض
رمضان واما الذي اكل وشرب وهو عالم هل يمسك ولا موضع خلاف ايضا لان منهم من قال
انما ذلك حين كان فرضا صومه فكان حكمه حكم الفرض فاما اليوم فلا واما هل يكون له
اجر صومه فكذلك ايضا موضع خلاف وليس في الحديث ما يدل عليه لان قوله صلى الله عليه
وسلم من اكل فليتم بقية يومه صائما او ممسكا عن الاكل فمن جعله صوما قال ليس له اجر
الصوم وعلى كلا الوجهين قد ثبتت له حرمة ليست لغيره لا سيما مع قوله صلى الله عليه وسلم
في صومه انه يكفر سنة ومنها اي يوم هو فقد اختلف العلما فيه فقيل اليوم التاسع وقيل

اليوم

١٥٦

اليوم العاشر فمن اراد الخروج من الخلاف جمع بين اليومين لكن ظاهر الحديث يدل على انه
اليوم العاشر وكذلك ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ان شاء الله في السنة الاتية
اصوم التاسع فانتقل الى كرامة ربه عز وجل قبل وصوله اليه صلى الله عليه وسلم واما قولنا ازن
في الناس او في قومك الشك هنا من الراوي وهذا ما قد تكرر الكلام عليه مرارا انه مما يدل
على صدقهم وتحريهم في النقل واذن بمعنى اعلم يوخذ منه الدليل على جواز النيابة في تبليغ العلم
لان سيدنا صلى الله عليه وسلم استناب هذا الرجل من اسلم ان يعلم الناس عنه يوخذ منه
ان من السنة ان يعظم ما عظم الله تعالى من اي المخلوقات كان جمادا او حيوانا او زمانا
اتباعا للحكمة الحكيم يوخذ ذلك من تعظيم سيدنا صلى الله عليه وسلم لهذا اليوم لانه عليه السلام لما دخل
المدينة وجد اليهود يصومونه فسالهم فاخبروه انه اليوم الذي نجا الله فيه موسى
عليه السلام واغرق فيه فرعون فقال عليه السلام نحن اولى باخي موسى فصامه وامر بصومه
وكان هو الفرض حتى فرض رمضان وفيه دليل على ان تعظيم ما عظمه الله تعالى من هذه الازمنة
او الاماكن انما هو بعمل الطاعات فيه لله تعالى بحسب ما تقتضيه الشريعة مع اقتدا الاتي به في غيره
من جنسه وفيه دليل لمن يقول من العلما ان لسيدنا صلى الله عليه وسلم ان يشرع من الاحكام
ما شاء وان ذلك حكم الله تعالى يجب العمل به وهو الحق يوخذ ذلك من امره عليه السلام بصوم
هذا اليوم ولم يذكر فيه عن الله شيئا لان الامور التي امر عليه السلام بها عن الله يخبرنا عن الله
وهذا مستقل من السنة وفي قوله عليه السلام نحن اولى باخي موسى دليل على ان شرع من قبلنا
شرع لنا ما لم يرد عليه نسخ من شريعتنا وعلى هذا جماعة من العلما ويقويه قوله تعالى اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده وفي ترفيع الله بعض الازمنة على بعض وكذلك الاماكن الى غير ذلك
دليل على رحمته عز وجل بعباده المومنين يوخذ ذلك من ارشاد الرسل عليهم السلام الى تعظيمها
والى اعمال البر فيها وزيادة الاجر في ذلك للعاملين وذلك مثل ما قال عليه السلام في صوم هذا
اليوم انه يكفر صوم السنة الاتية فظاهر ما قصد منها كثرة الاجور والخير تفضلا من

الله ونعمة لله على ذلك عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء
بنوح عليه السلام يوم القيمة الحديث ظاهر الحديث الاخبار بفضل هذا النبي صلى الله عليه وسلم
وفضل هذه الامة وانهم الشهود على من تقدمهم من الامم والكلام عليه من وجوه منها ان يقال
كيف يشهد متاخر على متقدم وما الحكمة في ذكر نوح عليه السلام من بين سائر الانبياء عليهم السلام
اجمعين وهل الامة كلها برها وفاجرها يشهدون او لا يشهد الا من هو لذلك اهل اما قولنا اهل
كيف يشهد متاخر على متقدم فقد جاء في حديث غير هذا ان هذه حجة قوم نوح عليه السلام يقولون
يا ربنا وكيف يشهدون علينا وهم اخر الامم فيقول الله عز وجل لهم كيف تشهدون عليهم وانتم
اخر الامم فيقولون ربنا انا وجدنا فيما انزلته في كتابك علينا ان نوحا عليه السلام بلغ امته
وفيه دليل على تساوي الاحكام فيما بين الناس على حد واحد القوي والضعيف والرفيع
والوضيع يوخذ ذلك من قوله عليه السلام يجاء بنوح عليه السلام اي انه يساق للحكم وهو حيث
هو في مكانة الرسالة ثم انه يطلب منه الشهود ولا يخلى عنه الا بعد قبول شهادتهم وقد جاء
ان اول ما يساق للحساب جبريل عليه السلام الذي للعرش على كاهله والوحي ينحدر على جبينه
فيقول الله عز وجل ما صنعت في عهدي فيقول يا رب بلغته الرسل فيوتى بالرسل فيقال لهم
صلوات الله على جميعهم هل بلغكم جبريل عهدي فيقولون نعم فحينئذ يخلى عن جبريل فاول
من يسال من الرسل نوح عليه السلام فيكون من قصته ما هو نص الحديث فلا يخلى عنه الا
بعد ويعارضنا هنا قوله عليه السلام اول من يحاسب من الامم انتم واول من يجوز من الامم
الصراط امتي او كما قال عليه السلام فالجواب انه ليس بينهما تعارض لان حساب الامم على
نوعين وبذلك يجتمع الحديثان ولا يبقى بينهما تعارض وهو ان النوع الاول ان تسال الامم
هل بلغت الرسل عن الله امرا فهذا الذي تقدم جميع الامم فيه على هذه الامة لانهم هم الشهود
عليهم فلا بد من حضورهم الى اخر الامم والنوع الاخر سوال الامم كل شخص منهم منفردا عن عمله
بمقتضى شريعته فهذا الذي يكون هذه الامة اول من تحاسب عليه وسيدنا صلى الله عليه وسلم

شاهد

شاهد عليهم واما قولنا ما الحكمة في ان ذكر نوحا عليه السلام دون غيره من الرسل صلوات الله
عليهم فيحتمل ان يكون انما ذكر نوحا عليه السلام لانه اول الرسل فانا كانت هذه الامة تشهد على
الاول من الانبياء فمن باب احرى غيره واستغني عن ذكر الغير صلوات الله عليه وعليهم اجمعين
بذكر الاول اخرا وهي عامة فهذا من الاختصار والبلاغة واما قولنا هل هذه الامة تشهد كلها
برها وفاجرها او لا يشهد الا من هو اهل لذلك لفظ الحديث محتمل لان العرب قد تسمي البعض
باسم الكل لكن التخصيص يظهر فيه من وجهين احدهما من الحديث الذي اوردناه شاهدا
في قولهم وجدنا في الكتاب انزلته فهذا لا يكون جوابا الا ممن يكون له علم بالكتاب وكثير من هذه
الامة لا يعلمون من الكتاب شيئا ومن طريق من يكون من هذه الامة ازاك في نوع من انواع
العذاب المتقدم ذكره في الاحاديث كيف يستشهدون بهم وكيف يقبل لهم شهادة والمتضمن الاية
ايضا بقوله وسطا اي خيارا فلا يشهد منها الا خيارها وكما لا يقبل هنا الا العدول الخيار كذلك
هناك لقوله تعالى ممن ترضون من الشهداء فلما كان هذا لا يوخذ الا المرضي الحال فلا يوخذ هناك
ضده هذا لاقتضاء الحكمة وفيه اشارة لطيفة وهي ان اعلامك بهذه المرتبة الرفيعة عناية
بك لتحافظ عليها لعلك تكون ممن يشهد ازاك لانه يرجى من فضل الكريم ان من قبلت
شهادته انه يسامحه ويتفضل عليه بالخلاص من ذلك الهول العظيم وفيه تنبيه الى ان الشهود وان
اختلف مراتبهم في الرفعة ازالم يخرجوا من دائرة العدالة قبلوا كلهم يوخذ ذلك من قول نوح عليه السلام
حين سئل عن شهوده فقال محمد وامته فجعله صلى الله عليه وسلم من جملة الشهود وبه صحت العدالة
لمتبعيه وفيه دليل على ان المخالف للسنة لا يكون ممن يشهد معه الا من تبعه بالاحسان اولئك
هم العدول يقوي ذلك قوله عليه السلام كلها في النار الا واحدة ما انا عليه واصحابي فمن يكون في
النار انجى له بالوسط من الامة والتعديل هذا في تخريجه اتم دليل تنبيه يا اخا البطالة
والتلويث انتبه فالحاكم قد ذاك وانت بما ارتكبت من قبيح الاوصاف تخرج نفسك وبذلك
تفرح فقد خضت بحر الهالك وعلى عقبك من الخير نكصت وفيه دليل على ان اقوى الادلة في

الاحكام كتاب الله تعالى يوخذ ذلك من قول سيدنا صلى الله عليه وسلم تمام الكلام الذي
ابداه واتى بالاية من الكتاب العزيز ومما يقوي ذلك قول معاذ له صلى الله عليه وسلم حين
وجهه الى اليمن قال له عليه السلام بما تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد قال اجتهد راي فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي
وفق رسول رسوله الى ما يحب الله ورسوله وكما ورد وفقنا الله في جميع الامور الى ذلك بمنه
واسعدنا به عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها
الا الله الحديث ظاهر الحديث يدل على ان هذه الخمسة المذكورة في الحديث الا الله والكلام
عليه من وجوه منها ان يقال ما الحكمة في ان استعار للغيب مفاتيح وما الحكمة في ان جعلها
خمسا وهل للغيب زيادة على تلك الخمس مفاتيح وما الحكمة في ان لم يذكر من امور الغيب الا تلك الخمسة
اما قولنا استعار للغيب مفاتيح فلوجوه منها الاقتداء بما نطق الكتاب في ذلك بقوله تعالى
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ومنها التقريب في الامور على المخاطب لان امور الغيب
لا يحصيها احد الا عالمها وكل شيء حيل بينك وبينه فهو غيب واقرب الاشياء في ذلك هي
الابواب ما قل منها يحبسها عن القبيح وايسرها فاذا كان ايسر الاشياء التي تعرف بها الغيب
لا يعرف احدها موضعا فكيف يقدر ان يعرف ما هو اكبر من ذلك هذا محال وهذا من ابلغ البيان
واحصره ومنها انها اراد بالغيب الذي لا يعلمه احد حقيقة لان الغيوب على ما هي عليه وان
كانت لبعض الغيوب اسبابا قد يستدل في بعض المراد بها عليه ان ذلك ليس بتحقيق في علم
تلك الغيوب واما حقيقتها فلا يعلمها الا الله تعالى يشهد لهذا التوجيه قوله صلى الله عليه وسلم كناية
عن الله سبحانه اصبح من عبادي مومن وكافر بي فاما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته
فذلك مومن بي كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب
فعلى هذا فالغيب على نوعين غيب سبحانه عنا بذاته وصفاته وغيب بل امور الجارية في مخلوقاته
فلما كانت تلك الامور غايبة عنا لا نقدر على العلم بها ولا الوصول اليها وهي محصورة

بالكتاب

بالكتاب بقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا
في كتاب مبين وبقوله تعالى فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا
ينسى فلما كان جميع الوجود محصورا في علم سبحانه نبهه عليه السلام بالمخازن وكل مخزن لا بد
له من باب وكل باب لا بد له من مفتاح فاستعار عليه السلام له المفاتيح ليشهد لهذا التوجيه
قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فاذا كانت الخزائن
عنده سبحانه والمفاتيح واحد لا يعلم المفاتيح الا هي فكيف يخبر بما في المخازن هذا لا يعقل
واذا كانت هذه التي قدرته سبحانه ولا يقدر احد ان يعلم منها شيئا الا ان يخبر سبحانه بها
كما قال تعالى في كتابه الا من ارتضى من رسول فكيف بقدرته جل جلاله او بصفة من صفاته
على ما هي عليه من الجلال والكمال فكيف بذاته التي ليس كمثلها شيء هذا ممنوع عقلا وشرعا
ومن تعاطى شيئا من المعرفة في شيء مما قسمنا من الغيوب او نوع من انواعه او تشبيه
او تمثيل او بدليل من الادلة محال دعواه وهو ضرب من الحمق واما قولنا ما الحكمة في ان
جعلها خمسا الكلام عليه مثل ما تقدم والكلام على قول عائشة رضي الله عنها كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن ما استطاع في شانه كله ثم قالت في طهوره وترجله
وتنعله فاتت من الفرائض باكدها وهو الطهور ومن السنة كذلك وهو الترجل والتنعل
كذلك وهو التنعل فحصرت بهذه الثلاثة جميع ما يتصرف فيه المرء وكذلك هذه الخمس حصرها
رسول الله صلى الله عليه وسلم العوالم فقوله صلى الله عليه وسلم ما تغيض الارحام دليل على ما في
النفوس وينقص وذكر منها الارحام لكونها للناس في ذلك عوايد يعرفونها وقد تقررت على ذلك
احكام شرعية فهذه اعلاها فاذا كانت هذه التي تقررت عليها الاحكام بحسب جري العادة
لا يعرف حقيقتها الا متى تزيد ولا متى تنقص فغيرها من باب احرى وقد قال تعالى وما تغيض
الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار فذل بهذا ان غيره سبحانه لا يعلم ذلك ومن هذا
الباب كلام العلماني عدة الحرة بثلاث حيض هل ذلك دلالة حقيقة على براءة الرحم وذلك

109

العبد بحسب ما هو مذكور في كتبهم ولذلك قال جل جلاله وفي انفسكم افلا تبصرون فاذا
كان الشيئ الذي هو فيك لا تعرفه فكيف غيره من باب حري ودل بقوله ولا يعلم
متى يأتي المطر احد الا الله على امور تجري العالم العلوي وذكر منها المطر لان لها اسبابا
قد تدل عليه وتجدها في بعض المراتب تجري فيها ما يغلب على الظن من جري العادة المتقدمة
في مثلها وهو ايضا كثير كما يتردد الينا وجعل لنا فيه وباثره بحسب مقتضى الحكمة الالهية رزق
وخير لا نعرفه حقيقة فكيف غيره من باب حري وكذلك جاء الحديث الذي قد ذكرناه وهو قوله
اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي وكان ابو هريرة رضي الله تعالى عنه اذا اصبح وقد مطر الناس
يقول مطرنا بنوء الفتح ثم يتلو هذه الاية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ودل بقوله وما
تدري نفس باي ارض تموت على الجهل بهذه الامور الارضيات وذكره موضع الموت منها لان
العادة قد جرت غالبا ان اكثر الناس موتهم بالارض التي هم بها والحكم في الامور يعطي في الغالب
واذا مات بها لا يدري حقيقة ضريحه منها ابن هو فاذا كان هذا المقدار مخصصة منها وان مات
بها لا يدري على قلته وتراته لا يعلمه فمن باب حري غيره من رزق وخير وضده ولذلك قال عز
وجل في كتابه وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير
ودل بقوله ولا يعلم ما في غد الا الله على انواع الزمان وما فيه من التقلبات والعوالم الطارئة
فيه والحوادث وخص منه غدا على غيره لانه اقرب الازمنة يوما ويوما فان ما تعرفه في يوم ما
بظهوره كان اوله واخره شيئ واحد لان عادة العرب ما تكون في ساعة واحدة او في بعضها
ينسبون ذلك الى يوم مثلي قولهم جاء زيد يوم الخميس ولم يكن مجيئه الا في ساعة منه وفي بعضها
وكذلك ايضا احكام الشريعة غالبا منها العدد ومنها الحيض اذا رات المراة الدم في اليوم
ولو دفعة واحدة حسبت ذلك اليوم دم فاذا كنت في اقرب الازمنة وهو لا تعرفه فمن باب
احري غيره ودل بقوله ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله على الاخرة باجمعها وذكر يوم
القيمة منها لانها اولها واقربها فاذا كانت لا تعلم اقرب الاشياء منها وهو يوم ظهورها

وولادتها من باب ولي غير ذلك وقد قال تعالى لا تاتيكم الا بغتة اي غفلة وقد قال تعالى ثقلت
في السموات لا تاتيكم اي عظم امرها على اهل السموات والارض والكل جاهلون بها ومما يشهد
لذلك قول سيدنا صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام حين سأله عنها ما المسئول عنها باعلم من
السائل ولكن اخبرك بشروطها ان تلد الامة ربتها فذلك من اشراطها وان ترى الحفاة
العراة الصم البكم الارض فذلك من اشراطها وان ترى رعاء البهم يتطاولون في البنيان
او كما قال عليه الصلاة والسلام فهذا من بديع الكلام وابلغه الذي حصر فيه جميع انواع
الغيوب وازال به جميع الدعاوي الفاسدة والادلة كلها ما عدا ادلة الشريعة على الحد
الذي جعلتها وعلى الوجه الذي بينتها ويتحقق به اهل الايمان ايمانهم وحسن اعتقادهم
بغير تيسير ولا تقسيم ولا تنو ولا تخيل ولا تحديد ولا تكييف ولا دعوى اعتراض ولا مقدمة ولا
نتيجة ولا هياكل ولا اعناصر ولا اعراض ولا جواهر ولا حكمة ولا اطباع الا بفضل كريم وهاب
عليم مدبر حكيم ليس كمثله شيئ وله كل شيئ وهو على كل شيئ قدير وهو اللطيف الخبير وفيه
لطريق اهل الفضل والسلوك وهو ترك الالتفات الى ما سواه عز وجل والاشتغال بما
له امروا والانتهاء عما عنه نهوا ولمريد عوام ما به من عليهم من الاحوال السنية والعلوم
الجليلة سيما هما دوام الفقر والافتقار وخوف العدل العظيم والتعلق بجانب الفضل
العميم ولا يرون خلاصا الا به سبحانه من الله سبحانه علينا بذلك لا رب سواه يشهد لطن يقهم
المبارك واعتقادهم الحسن الموافق للكتاب والسنة اما الكتاب فمعلوم في غير ما اية
واما السنة فقوله عليه الصلاة والسلام اخبارا عن ربه عز وجل يا عبادي كلكم ضال الا من
هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي
كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تخطؤن بالليل والنهار وانا
اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني
ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد

واحد وسالوني فاعطيت كل انسان مسالته ما نقص ذلك ما عندي الا كما ينقص المخيط
اذا ادخل البحر يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله
ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه او كما قال عليه الصلاة والسلام فتحقق بمقتضى
ما اوردناه اوصاف الربوبية وجلالها وفضل سيدنا صلى الله عليه وسلم وحسن هديه لامته
واوصاف العبودية ونقصها وحقارتها وعظم افتقارها للربوبية ودوام اضطرارها كما قال
الكليم عليه الصلاة والسلام رب اني لما انزلت الي من خير فقير جبر الله بغناه فقرنا وازال
بفضله جهلنا وتجاوز برحمته عنا لا رب سواه ولا مرجو الا اليه والحمد لله رب العالمين

عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله انا عند ظن عبدي بي وانا معه

ظاهر الحديث يدل على حكمين احدهما اخبار الصادق صلى الله عليه وسلم ان المولى سبحانه مع عبده على قدر ظنه
بمولاه والثاني الاخبار بانه معه بحسب معاملته وعبادته له والزيادة على ذلك بحسب التضعيف المذكور
في الحديث والكلام عليه من وجوه منها ان يقال هل هذا الظن على بابه اوهو بمعنى العلم القطعي وهل الذكر
هنا مجرد الذكر بالقلب او بالقلب واللسان وان كان لا يعلم من الاوامر والنهي الا ما ورد به الشرع
اما قولنا هل الظن هنا على بابه او هو بمعنى العلم القطعي والجواب انه لا يمكن ان يكون الظن هنا
على بابه بل معناه العلم الحقيقي كقوله تعالى وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه وهم قد يعلمونه علما
حقيقيا وان هذه الامور القلبية كلها ما نحن مطلوبون بتحقيق الاخلاص لقوله عز وجل وما
امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء والتصديق القطعي في كل ما به اخبرنا عن الاله
وما به انعم علينا من قبيل ما كلفنا من التعبدات والتحقيق بجزيل الثواب الذي وعدنا
والخوف مما به توعدنا لمن خالف امره عز وجل ذلك كله بلا شك ولا ريب وكذلك ما به من امور الاخرة
اخبرنا ولذلك قال تعالى في صفتهم ربنا انا سمعنا منادي ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا
الى قوله انك لا تخلف الميعاد قال تعالى وممن اوفى بعهده من الله فالاشارة هنا الى هذا بقرينة

الحال

الحديث انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني

الحال وهي ما ذكر بعد في باقي الحديث من قوله تعالى ان ذكرني الى قوله اتيته هرولة حتى يفهم ما
في تلك الالفاظ ويصدق بها حتى لا يدخل على المرء فيها شك ولا ريب فيعامل مولاه بحسد
وتحقيق ما وعده والتحقيق ان ذلك فضل سبحانه على عباده وهو الغني المستغني ولاجل هذا قال صلى
الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث تعليم الايمان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد روي في
الاسرائيليات ان اخوين كان احدهما عابدا مشهورا بالتعبد والاخر مشهورا بضده فمات معا
فاخبر موسى صلى الله عليه وسلم ان العابد منهما من اهل النار وان المسرف منهما من اهل الجنة فتعجب موسى
عليه الصلاة والسلام فبعث الى امرأة العابد فسالها عن حاله فقالت لا اعرف منه الا
ما تعرفون انتم غير انه كان اذا فرغ من تعبده ودخل فراشه قال افلحنا ان كان ما جاء
به موسى حقا فقال موسى عليه الصلاة والسلام من هنا اتي ثم سال زوجة المسرف فقالت
لا اعلم منه الا مثل عملكم ولكنه كان اذا افاق من نشوته مع اخر الليل يخرج الى ساحة
الدار ويقر لله بالوحدانية وبك بالرسالة ويبكي ويقول يا رب اي ذاوية من زوايا جهنم
بهذا الجسد الخبيث فقال موسى عليه الصلاة والسلام بهذا سعد او كما روي واما قولنا
هل يريد بالذكر اي ذكر كان او يريد بالذكر الاعمال اللفظ يحتمل لكن الذي تدل عليه الادلة
الشرعية ان الذكر على نوعين ذكر مقطوع للمذكرة بهذا الخبر الذي في الحديث الذي نحن بسبيله
وذكر لكن الادلة فيه متعارضة منها ما يدل على انه في جملة الذاكرين لقوله تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وادلة اخر تمنع ذلك كقول مولانا سبحانه وتعالى
لموسى عليه الصلاة والسلام قال الظالمين لا يذكروني فاني اليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته
فاذا ذكروني ذكرتهم بالغضب ولقول سيدنا صلى الله عليه وسلم في المصلي الذي لم تنهه صلاته
عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا فكيف بالذكر وحده ولم يجعل عز وجل الذكر في
كتابه الا بعد تحقيق الايمان بقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات

الى قوله عز وجل والذاكرين الله كثيرا والذاكرات فهذه مبينة لما نحن بسبيله ولما ذكره عز وجل
بالافعال فهو الافضل ولكن ذلك قول عمر رضي الله تعالى عنه ذكر الله عند امره ونهيه خير من ذكره
باللسان الا ان كان هذا العاصي ذكر مولاه بخوف وخجل مما هو فيه فيرجى له فضل المولا
مثل ما تقدم من ذكر احد الاخوين المسرف على نفسه منهما وبقول مولانا سبحانه وتعالى
اطلبوني عند المنكسرة قلوبهم من اجلي واما قولنا ساتاويل الصفات التي في الحديث من
قبل مولانا سبحانه وهذه من التي لها تاويل يخير ظاهرها ونحتاج ان نتكلم عليها واحدة
بعد واحدة اما قوله وانا معه اذا ذكرني فمعناه اذا ذكرني فانا معه بحسب ما قصد في
ذكره لي فان ذكرني بالتعظيم كنت معه بالانعام عليه والاحسان كقوله تعالى في كتابه
فاذكروني اذكركم اي ارحمكم اذا ذكرتموني وقد قال تعالى ولذكر الله اكبر اي هو اكبر العبادات
واذ ذكرته في خوف ذكرك بالرحمة لك والخلاص مما خفته لقوله عز وجل امن يجيب المضطر اذا
دعاه ولقوله تعالى من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين لان شغله
لان شغلك في خوفك واضطرارك عن مسالته سبحانه بذكره اوجب لك النجاة مما
تخافه وكذلك نفس في كل الامور بحذه لا ينعكس فاذا ذكرته عند وحشة انسك بذكره وقد
جاء عنه سبحانه وتعالى انه قال انا جليس من ذكرني وكذلك لما ان دخل علي بعض المباركين
وهو وحده وهو يذكر فقيل له وحدك فقال لهم لا ان انا وحدي لان هذه كلها دالة على
ما قلناه اولا من ان الظن يكون بمعنى العلم القطعي ومما يقويه انه سئل بعض المباركين
ما نلت من عبادتك قال الانس بالله تعالى فقال له السائل حسبك فلم تنل منه الانس
الا مع صدق وتصديقه بما قيل له ووعد به وقد قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب التي
من عليها سبحانه بالعلم والحضور لان صاحب القلب الغافل لسانه يذكر وقلبه بما هو
بسبيله يجول وكيف يجد هذا طمانينة وابى له ذلك وقد قال عليه الصلاة والسلام
ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وقوله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي

احتمل ان يكون هذا اشارة لفضيلة الذكر الخفي على الذكر لان ما ينفرد به المولى سبحانه وحده
بذاته الجليلة افضل مما سواه وقد جاء هذا نصا منه صلى الله عليه وسلم بانه قال الذكر الخفي
يفضل الجلي بسبعين درجة او كما قال واحتمل ان يحمل على ظاهره فيكون المعنى في الذي يذكر
الله في نفسه من جملة ما انعم الله عليه من اجل ان ذكره في نفسه ان مولاه سبحانه ذكره
في نفسه اعني الله سبحانه وتعالى بجازيه على ذكره الله تعالى بخير الثواب بحضرة الملا الاعلى
وشهادتهم وبنبه هنا بالاعلى مما من به على الاولين فان ما سوى ذلك من الحسنات والخير
هذا علامته وقوله فاذا ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه اي في العالم العلوي فدل بهذا
على تفضيل العالم العلوي على هذا العالم وسكت عما له من الاجر في ذلك لانه قد ثبت بالكتاب
والسنة ان ذكر المولى سبحانه وتعالى عبده رحمة له والاي فيه والاحاديث فيه كثيرة
في هذا اتم دليل جل جلاله ليس كمثله شيء يوخذ ذلك من قوله فذكرني في نفسه ذكرته
في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه بالقطع ان في الزمان الفرد بذكره جل
جلاله جميع كثيرة بالخبر لا يعلم قدرهم الا هو سبحانه وتعالى وهو عز وجل يذكر الجميع واحلا
واحدا بحسب ذكره له من سر او جهر مع ما هو سبحانه فيه من حال الوجود بقدرته وحكمته
على ما جرى فيهم سابق علمه هذا لا يحده العقول ولا تحكيه الاذهان ولا يحد ولا يوصف جل
جلاله وتقدست اسماوه ومن اجل الايمان بهذا وما يشبهه يستفتح عليه الصلاة والسلام الحديث
بقوله سبحانه وتعالى انا عند ظن عبدي بي واما قوله وان تقرب الي شبرا تقربت اليه
ذراعا الى اخر الحديث فهذا ليس على ظاهره فكيف في جانب من لا يحد ولا يكيف والا فاين
الموضع الذي تقرب فيه من مولاك شبرا او ذراعا او باعا او الى اي موضع تاتيه تمشي عز وجل
ليس له جهة محدودة فيقرب من تلك الجهة بحسب هذه التنويعات فما بقي الا التاويل
من الجهتين ويكون المعنى في ذلك انك مهما تقربت الى مولاك بوجه من وجوه القرب فهو
بفضله يجازيك على ذلك باكثر مما جئت به وقد بين عز وجل ذلك بقوله من جاء بالحسنة

فله عشر امثالها وقد جاء ان الحسنة بعشر وجاء بسبعين وجاء بسبعمائة وجاء باكثر من ذلك
لقوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم وهنا بحث في تبيين هذه الحالات
من السبب الى المسبب هل هذه الدرجات من جهة الاعمال المحسوسة او من جهة النيات او من
مجموعهما احتمل والاظهر المجموع بدليل قوله سبحانه على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام ما تقرب
الي المتقربون باحب مما افترضت عليهم ثم لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل وجاء قوله صلى
الله عليه وسلم اوقع الله اجره على قدر نيته فبان بهذا ان الاعمال في نفسها بعضها اقرب الى
الله تعالى من بعض ولذلك قال تعالى يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب وبان ان حسن النية
يزيد العمل رفعة وقربا الى الله سبحانه وتعالى ولذلك قال سبحانه ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه فما احصل لهم عز وجل عليهم من حسن نياتهم وجميل
قصدهم ويترتب على هذا من الفقه ان يكون للمرء اعتناء بوضع عمله بان ينظر الاعلى فالاعلى
في اعيان الاعمال وفي تحسين النية فيها ما امكنه ولا يخلي قلبه ومن ذكر مولاه واستغفاره بما يقرب
اليه لان هذه هي الفائدة التي تترتب على معرفة هذا الحديث مع قوة اليقين وخالصة الايمان
والصدق والتصديق الذي لا يخالطه شك ولا ريب والا كان الامر عليه لا له جعلنا الله من
هداه ووفقنا لما يقربه اليه ونفعه به بمنه عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الحديث

ظاهر الحديث يدل على ثلاثة احكام احدها الحض على قيام الليل والثاني ان استيقاظ
النائم انما هو بيد الله تعالى لا عمل فيه للخلق والثالث ان الجواب بالقدرة على حكمين لئيس
من طريق التكليف والقصد ان يكون الجواب على الحكمة بمقتضى الحكمة وعلى القدرة والكلام
عليه من وجوه منها جواز السير بالليل الى دور القرابة وذي الارحام يوخذ ذلك من قوله طرقه
وفاطمة ليلة لان كل ما ياتي بالليل يقال له طارق وكذلك بالنهار وكذلك كان من دعائه
صلى الله عليه وسلم انه كان يستعيذ من طارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير وفيه دليل

الحديث الثاني

على انه اذا تكلم العالم بمقتضى الحكمة وكان ذلك في غير واجب فله والجواب على ذلك بالقدرة ان
ذلك كاف في الجواب ويقطع البحث يوخذ ذلك من انه لما طالبهم سيدنا صلى الله عليه وسلم
بامر الحكمة وهو قيام الليل وجاوبه علي رضي الله تعالى عنه بامر القدرة وهو اخباره بقوله
انما انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبشر
وعلى صلوات الله عليه ورضي الله عنهم اجمعين فجاوبه علي رضي الله تعالى عنه وسلم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك بانصرافه من حينه لقيل له بيتا وفيه دليل على جواز محادثة الشخص
نفسه بامر لغير يوخذ ذلك من قول سيدنا صلى الله عليه وسلم بعدما ولى عنهم وهو وحده
وكان الانسان اكثر شيء جدلا وفيه دليل على جواز ضرب المرء بعض اعضائه ببعض على امر
يتعجب او يعلم به غيره اشعارا له انه سار اي منه لم يوافقه ولا يعجبه يوخذ ذلك من
ضربه صلى الله عليه وسلم فخذه لما ولى عنهم وكلامه ازاك بقوله وكان الانسان اكثر شيء
جدلا الا ان يعلمهم ان ذلك الجواب لم يرتضه منهم وهنا بحث وهو ان يقال لم يقال لهم
ذلك مشافهة فالجواب بالقدرة على الحكمة انه ليس من الحكمة فاحتمل ان يكون لهما عذر
يمنعهما من الصلاة واستحيا ان ينكره النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمكنه عدم الجواب له
فدفع الجهل عن نفسه وعن اهله بذكر القدرة وكذلك الاسكات ولي النبي صلى الله عليه وسلم
عنهم سرعا من اجل ان لا يشغلهم عن اخذ اهبة للصلاة واحتمل ان يكون ذلك من علي
رضي الله تعالى عنه استدعا جواب من النبي صلى الله عليه وسلم لا يزيده فايدة فكان ضرب
فخذه صلى الله عليه وسلم وهو مول وكلامه بما به تكلم جوابا لعلي رضي الله تعالى عنه
لان يحقق عنده الامر على ما هو وان العونية شانها ان لا تطلب لنفسها عذر مع الشريعة
ابدا الا الاعتراف بالتقصير والاخذ في الاستغفار والاعتذار وفيه دليل على رضي الله تعالى
عنه يوخذ ذلك من رويته لهذا الحديث وقد سبق لفهم من لا يعرف قدره ما يحتمل الحديث
من الذنب عليه وحاشاه من ذلك فلما كان الاخبار به مما يترتب عليه في الدين فوائد لم

يال بشيء من ذلك وفيه اشارة الى ان من حقيقة الصحبة والقرابة التذكار عند الغفلة
يوخذ ذلك من كون سيدنا صلى الله عليه وسلم يطرقهم ليلا ليذكرهم بالصلاة لان الليل
وقته غفلة وان كان حالهم جميعا يقتضي غفلة لكن بزمان الغفلة ينبغي ان يلتفت فيه الى القرابة
والاخوان وهذا من السنة وان كانت لا يغفلون غالبا ولكن ذلك لخوف ما غلبت عليه البشرية
وفيه اشارة الى الالتفات الى الاصل وان كان الظاهر خلافه لان الاصل منا الغفلة وايا ها
والتوفيق فضل ربانى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
المرأ نفسه واحبابه بتذكار الخير والعون عليه وان كان سبحانه قد من عليهم بذلك تحت
حد قوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى وكذلك كانت سنة سيدنا صلى الله عليه وسلم تفقد
الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالوعظ في بعض الايام وهم على ما هم عليه من قوة الايمان
وكانوا يودون ان لو كان ذلك كل يوم فقال لهم ما يمنعني من ذلك الا خوف السآمة والملل

فهذا هم اقتده جعلنا الله ممن اهتدي بهديهم بمنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احب عبدا نادي جبريل عليه السلام ان الله قد احب فلانا فاحبه الحديث ظاهر الحديث يدل على ان الله عز وجل اذا احب عبدا خلع عليه خلع العناية فيامر جبريل عليه السلام بان يحبه ثم ينادي جبريل في اهل السما يحب الله عبده ويامرهم بحب ذلك العبد المحبوب عند مولاه ويضع له في اهل الارض القبول والكلام عليه من وجوه منها ان يقال ما معنى حب الله تعالى للعبد وما حب جبريل عليه السلام له وحب الملائكة وما معنى القبول فاما قولنا ما معنى حب الله لعبده ليس كحب العبيد بعضهم لبعض بالركون له والانس به وميل القلب اليه وانما معناه رضاه حاله وما هو عليه وكثرة احسانه كقوله عز وجل يحبهم ويحبونه اي يحبهم فيحسن اليهم على جهلهم له وكثرة الاحسان منه عز وجل عبر عليه الصلاة والسلام عنه بالحب لانه مما عرفنا نبينا ان كثرة الاحسان منا للبعض انما نبساطه الحب من المحسن الذي اليه الاحسان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

حبك

حبك الشيء يعمي ويصم اي يعميك عما سواه فلا تكاد تري ولا تبصر او هو يعميك ايضا
عن عيوبه وهذه صفة المحدثين وهي في حق المولي جل جلاله مستحيلة وفي تعبيره عليه الصلاة
والسلام عن كثرة الاحسان فالحب تانيس للعباد وادخال مسرته عليهم لان العبد اذا سمع عن
مولاه انه يحبه هوا علا السرور عنده وتحقيق بكل خير ونعمة زايدة على ذلك وهذا الخطاب
انما هو لمن في طبعه عفة ومروة وفضيلة وخير وانابة ولذلك قال عز وجل وما يتذكر
الا من ينيب ومن نفسه شرهية ورغوبة وله شهوة عالية وسلم يشرع الله بالسلطان
ما لا يشرع بالقران لان السلطان هو الذي جعل له الوجل والتعذيب بالضرب والقتل
وغير ذلك واما قولنا ما معنى حب جبريل عليه السلام فهو يحتمل وجهين ان يكون حب
ونوع بالشخص يخلقه الله فيه عند امره وله يحب العبد ويكون من جملة فوايد حبه ان يكون
يواليه ويدعوله بالخير كما جا ان الملائكة تحب صاحب العلم الذي هو لله ويرغب في صحبته وندعوا
له وباجنحتها تمسحه وقد يحتمل ان يكون معنى حبه له لرفعته وتكرمته له لكونه عند الله تعالى
مكانة حسنة لان العبيد في الحب والبغض للولي متبعوه وكذلك في الغضب والرحمة للولي متبعوه
ايضا ولذلك جا في حق الزبانية فيتمرغون في ايديهم فيقولون لهم الا ترحمونا فنقول لهم ان
كان ارحم الراحمين لم يرحمكم فكيف نرحمكم نحن وكما ورد فالعبيد كلهم اهل العالم العلوي
والسفلي تابعون لما به يومرون اما بالمقال وبالوضع ولذلك لم يشتغل اهل العقول الوافرة
الا بالعمل على رضى مولاهم ولم يبالوا بغيره حتى ان من كلام بعضهم فيا ليت ما بيني وبينك
عامر وبيني وبين العالمين خراب ومثل الجواب عن حب جبريل عليه السلام الجواب على حب الملائكة
عليهم السلام بالسوا في تقديمهم الامر لجبريل عليه السلام قبل غيره من الملائكة اظهارا
لترفيع منزلته عند الله تعالى على غيره من الملائكة واما قولنا ما معنى القبول احتمل ان يكون
على ظاهره وهو معنى الترفيع له والاكرام يقال اقبل فلان على فلان اذا اكرمه ورحب به وقد جا
عن طريق اخري في حديث غير هذا ويوضع حبه على الماء فعلى هذا يكون جميع من في الارض

من انس وجن وملائكة وقد جاء ما من موضع شبر في الارض الا وملك واضع جبهته فيها
ساجد لله تعالى او كما ورد وما من حيوان على اختلافهم لا يقبل عليه وقد جاء ما يفسر هذا في
حق صاحب العلم الذي لله ان يستغفر له كل شيء في الارض حتى الطير في الهوى والحوت في
البحر وهوامه وجميع الانعام وحشرات الارض وشجرها ومدرها وكل ما فيها فانه اذا جمع ما يقبل
يجمع بلفظ من يعقل فقد يكون معنى ما ذكر في حق العلم الذي هو لله فان هذه المنزلة ارفع
المنازل عند الله تعالى لان هؤلاء السادة هم ورثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويكون
في غير العالم في اهل جنسه وهو تفسير القول الذي يوضع له في الارض وقد ذكر الامام عن ابن رزق
رحمه الله تعالى ان الله تعالى لا يزال لعبده الصالح حتى يحببه لعباده ويلقي خوفه في قلوبهم ويسهل
عليه طاعته ويرزقه حلاوتها ويشهد لقول هذا الامام هذا الحديث الذي نحن بسبيله مع قوله
صلى الله عليه وسلم من خاف الله خوف الله منه كل شيء فاذا جمع الله في قلوب عباده الحب والخوف
جاء ما قاله الامام سواء فلا يكون في هذه المنزلة الا وقد خف الطاعة وانس بها فيحصل
له من ميراث ٠ نسبة الصدق والاتباع والتصديق فيا مصر نشر رياح
المحبوبين عن اغصان ثمرة فوادك هل تجد من تلك الرياح نسمة تبعث بها سماع قلوب
المشتاقين ولو نسمة ما يرتاحون اليها كان بعض اهل الصدق والتصديق والتوفيق اذا كان
عند انشقاق الفجر وهو تحت السقف بين الجدران يقول لمن حضره قد طلع الفجر فيخرجون
فيبصرون الفجر قد انشق ٠ لانه جاء اذا كان عند السحر يرسل الله عز وجل من تحت
العرش ريحا عطرة تنور وجه كل من كان يقظان في طاعة الله ويوخذ بقوة الكلام من مفهوم
هذا الحديث الندب على توفية افعال البر على اختلاف انواعها من فرض وسنة وندب الى غير
ذلك من انواعه ازيد لكي يحصل العبد بفضل الله سبحانه هذه المنزلة الرفيعة ويفهم منه ايضا
كثرة الحذر وشدة النهي عن المعاصي والبدع التي بها يحرم العبد هذه المنزلة الجليلة فمن فهم
اتاب لما صفت القلوب تلمح روائح القرب واذا كشفت حجبت الجدران عن القلب بذكرهم

فالقلب

فالقلب لهم والله مشتاق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يقول الله تبارك وتعالى اذا اراد عبدي ان يعمل سيئة فلا تكتبوها
عليه حتى يعملها الحديث ظاهر الحديث يدل على ثلاثة احكام احدها امر الله سبحانه ملائكته
ان العبد من بني ادم اذا اراد ان يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فاذا عملها تكتبوها بمثلها
والحكم الثاني امره تعالى للملائكة ان العبد اذا اراد فعل سيئة فتركها من اجل الله تعالى تكتبوها
له بها حسنة والثالث امره تعالى للملائكة اذا اراد العبد ان يعمل الحسنة فلم يعملها تكتبوها
حسنة واحدة فان عملها تكتبوها بعشر امثالها حتى الى سبعمائة مثلها والكلام عليه من وجوه
منها ان يقال هل العبد على العموم في المومن وغيره ومن المامورون بذلك ومن اين تعلم الملائكة
ما في قلب هذا العبد وهذا من باب علم الغيب ولا يعلمه الا الله عز وجل وكيفية الترك من اجله سبحانه
وقوله فاكتبوها بعشر امثالها الى سبعمائة هل هذه التفرقة من الامور تعبد لا يعقل له معنى
او يعرف سره وهل يزاد على السبعمائة اولا اما قولنا هل هذا على العموم في جميع العباد
اللفظ يحتمل لكن يخصصه ما يعلم من قواعد الشريعة ان الله عز وجل يقول والعمل الصالح
يرفعه اي ان كلمة الاخلاص هي التي يرفع بها العمل الصالح ومن ليس من اهلها فلا يقبل منه
عمل هذا على قول من يقول انهم مخاطبون بفروع الشريعة فلا يدخلون تحت هذا الحد وقد جاء
في بعض الاثار عبدي المومن فانتفع بهذا النص الاحتمال الذي في اللفظ واما قولنا من المامورون
بالكتب فقد نص عليهم الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله عز وجل وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون واما السنة فقوله عليه الصلاة والسلام يتعاقبون
فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار يجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين
باتوا فيكم الحديث وفي هذا تنبيه لك لعلك تستحي من مباشرتهم ذلك وقعودهم معك
فتكف عما فيه هلاكك من سوء عملك وانت مع عملك بهذا معرض كانك لا تعلم ان هذا العلم
واما قولنا من اين تعلم الملائكة ما في قلب العبد فقد جاء ان الله عز وجل اجرى لهم عادة

بعد المائتين والتسعون والحديث الثاني

شاء ما شاء وذلك لسبب يعلمه ظاهر اللفظ محتمل لكن يظهر ذلك من غير هذا الموضع وهو قوله صلى
الله عليه وسلم او قع الله اجره على قدر نيته وقد يكون مع حسن النية زيادة اسباب معنى الخير
الحسنة نفسها توجب لصاحبها التضعيف في الاجور مثل ما جاء ان الذي يقرا القران وهو قائم
في الصلاة له بكل حرف مائة حسنة وان كان قاعدا خمسون وان كان في غير الصلاة وهو على
طهارة خمسة وعشرون وان كان على غير طهارة عشرا وكما ورد والله يوفق ما يشاء الى اسباب
الزيادة في اجور حسناته فضلا من الله ومنة واما قولنا هل السبع مائة هي الحد لا يزاد عليها
او لا لفظ الحديث ليس فيه ما يدل على الزيادة ولا يسعها لكن الكتاب خبر بالزيادة على ذلك
بقوله عز وجل مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء وبقوله عز وجل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
هل يدخل ذلك فيما تحده العقول ويترتب من الفائدة على العلم بهذا الحديث وجوه منها قوة
الرجاء في الله تعالى الذي قد بسط . بهذا القدر من اللطف واعطاه للبسيط
منا والمحسن وتضاعف الحب والتكريم لمن جعل لها وسيلة الى العلم بهذا الخير العميم صلى الله عليه وسلم
والنظر في الاسباب التي بها تزكوا اعمالنا والماخذ فيما به يكفر به خطايانا ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم ويل لمن غلبت احاده عشراته لان السيئة بواحدة كما نص الحديث واقل مراتب الحسنة عشر وويل
لغافل يقترف عشر سيئات ثم لا يقدر ان يعمل حسنة واحدة تكفر عنه تلك العشر سيات
والويل وادي جهنم تنبيه فان سمعته ولم تنتفع او علت ولم تعلم كنت كالحمار يحمل اسفارا
او ليتها اسفارا بل جبال تكبه في النار اعاذنا الله سبحانه من ذلك بفضله عن ابي هريرة رض
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي الحديث ظاهر الحديث
يدل على ان الله عز وجل مع عبده على قدر ظنه به جل جلاله والكلام عليه من وجوه منها ان يقال
هل هذا عام في جنس العبيد كلهم مومنهم وكافرهم وهو خاص بالمومنين الظاهر انه عام في كل
العبيد لان الكل عبيد الله عز وجل وهل الظن هنا على بابه او هو بمعنى العلم هذا يحتاج الى تقسيم

اذا اراد ان يعمل سيئة يخرج على فيه رائحة نتنة فيعلم الملك انه قد هم بسيئة فلا يكتبها حتى يفعلها
وان اراد ان يعمل حسنة يخرج على فيه رائحة حسنة فيعلم الملك انه اذا ان يعمل حسنة فيكتبها
له حسنة كما هو مذكور في الحديث او كما قال عليه الصلاة والسلام لا احيا الله اخا البطالة عطر
رياشه بالمسك والطيب وقد طبق المفاق نتن فمه وجوارحه هلا غيرت هذه الحالة بطيب وذي النفس
عن الهوى فاما كيفية الترك الذي هو لله فكيفيته ان لا يرده عن تلك السيئة التي اراد لا خوف
الله تعالى من اجل عقابه وحيا منه لانه اهل ان يستحيى منه او طمع في وعده الجميل وهو قوله
الحق وذي النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى كما ذكر عن اصحاب الغار وهو انه كان في غار
ثلاثة انفس فنزلت على بابه صخرة عظيمة سدته فقالوا ما ينجينا من هذه الا ان يدعو كل واحد
منا بخير عمل عمله خالصا لله تعالى فدعى كل واحد منهم وسمى عمله الذي اخلص فيه لله سبحانه وتعالى فتفرج
من تلك الصخرة بعضها ثم الثاني فعل مثل صاحبه فتفرج بدعائه من الصخرة مثل ما انفرج
بدعا صاحبه ثم الثالث قال في دعائه اللهم انك تعلم اني احببت امراة وراودتها عن نفسها
فابت حتى ارضع لها مائة دينار فلما رقعت لها المائة دينار وسكنتني من نفسها فلما قعدت
بين شعبها قالت لي اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فاستحييت منك وتركت لها
المائة دينار فان كنت تعلم اني فعلت ذلك خوفا منك ففرج عنا ما بقي علينا من هذه الصخرة
فانفرجت عنهم من جنبها وخرجوا من الغار وكما ورد وقد جاء ان الله عز وجل جعل ملك
اليمين يكتب الحسنات وملك الشمال يكتب السيات وان ملك اليمين مقدم على ذلك
الشمال وحاكم عليه فاذا فعل العبد سيئة واراد ملك الشمال ان يكتبها قال له ملك اليمين
اصبر عليه لعله يستغفر او يتوب فان تاب واستغفر لم يكتب عليه شيا وان فعل حسنة
خاصة منها بقدر السيئة وكتب باقي فان لم يفعل شيا من ذلك فحينئذ يكتبها
عليه كما فعل بغير زيادة على ذلك وفي هذا اتم دليل على عظم لطف المولى بعباده المومنين وكبير
رحمته لهم وقوله اكتبوها له بعشر امثالها الى سبعمائة هل هذا تحديد لم يعرف له معنى يعطي الله من

اما ان يكون يريد بالظن ما هو راجع الى العلم به جل جلاله او الى امور الاخرة وما فيها من رحمته
عز وجل وعنايته وما في معناه او الى امور هذه الدار وما اجرى عز وجل فيها من خيراته
واحسانه لعباده وما فيها ايضا من نقمه وابتلائه راجع الى ما كلف سبحانه عباده من طاعته
واتباع رسله صلوات الله عليهم وما وعدهم به الرسل عنه تعالى وما بشرهم به من السعاده
والالام والامور المخوفة بايسر شيء مثل الارشاد الى الثقة به عز وجل والتوكل عليه وكيف
حال من فعل ذلك وصدقه والارشاد الى الثقة به عز وجل والعامل عليه وما في معناه
فالوضع يدل على كل نوع من هذا وما في معناه بوجوه عديده اذا تتبعناها لكنها كلها مندرجة
تحت هذه التنويعات ليس يخرج عنها فالذي يجد راجع منها الى العلم به جل جلاله فيجري فيه
الوجهين او تكون بمعنى العلم وان يكون على بابه وهو الظن باهل العلم جل جلاله وهو معهم لكل
واحد منهم على قدر عمله به جل جلاله وهنا تقسيم التقسيمات التي تقدم ذكرها في الكتاب هذا
على علم العوام وعلم خواص الخواص وكلا منهم يجده سبحانه على قدر عمله به وقد تقدم في
ما فيه شفاء ومما قد ذكرنا فيه ان بعض من علمه جل جلاله باوصاف الجلال والكمال
ونفي الشبيه والمثال راي من امور الغيب ما اخجله وقال ان لي هذا فقيل له عملت
على الحق فاريت الحقيقة وعملوا على التاويل فعوملوا بحسب ما عملوا واما اهل الجحد له
والجهل بجلاله وتنزيهه وهم الكفار على اختلاف مراتبهم والمنافقون فليس يجدون نعم
هناك بل هم محجوبون عنه جل جلاله لقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وليس لهم مولى
حتى يجدون منه هناك رحمة ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى
لهم وهم كما قال الله تعالى الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم
ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا واما اهل الشك وهم اهل الظنون سبحانه
بلا قطع لاحد الجهات فهم من جنس الكفار لان الشك يجري مجرى الكفر وذلكم ظنكم
الذي ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين وان كان فيما هو راجع الى الاخرة

فان

١٦٦

فان كان من جهة التصديق بها وبما فيها فتمشي على تقسيم الايمان بها عز وجل التصديق
بالاخرة وبما فيها وذلك من اوصاف المومنين لقوله عز وجل وبالاخرة هم يوقنون فان كان على
الرجا في فضله عز وجل ان ينجيهم من عذابها ويمن عليهم فهناك يكون الظن بمعنى الرجا والخوف
لكن لا يخلوان يكون الخوف والرجا لها هناك مع الاعمال المامور بها او مع عدمها فان كان مع
عدمها فلا يسمى ذلك رجاء بل تسميه اهل العلم غرورا وذلك مظنة الهلاك وقد تقدم من البيان
فيه بفضل الله ما فيه شفاء وكفى في ذلك قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله وان كان مع امتثال الامر واجتناب النهي وذلك
الذي يدخل تحت معنى هذا الحديث وكل على قدر حاله العوام والخواص وخواص الخواص
لانه جل جلاله يقول ويزيدهم من فضله فدرجهم عز وجل الى الطمع فيه وفي فضله على غير
عوض فظن كل واحد هنا على قدر عمله لله سبحانه فان كان راجعا الى هذه الدار وما
فيها من نعمه سبحانه وارزاقه فهنا يجده حيث املا اذا كان وان كان
من غير المومنين لانه جل جلاله قال محاورا الخليل عليه الصلاة والسلام حين قال رب
اجعل هذا البلد امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قال جل جلاله
ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار فهنا ارزق من امن وارزق من كفر ثم
الكافر اسوقه الى النار وقد ذكروا ان ناسا سافروا في برية ليس يوجد ما فيها الا قليلا
فلحقهم العطش حتى مات اكثرهم وكان فيهم ذمي وكان البحر المالح قريبا منه فاتى الى البحر
ورفع طرفه الى السماء فقال ان كنت لا ترضى بريني فانك تعلم اضطراري فلا تهلكني
وغرف ماء البحر فوجده عذبا فشرب حتى روي وان كان ممن لا يعرفه فهو سبحانه
ينعم عليه بمقتضى قوله ومن كفر فان كان من المومنين فهنا تتسع الدائرة فان مقاصد
المومنين في هذه الدار وما فيها كل على حسب همته وحاله من عوام وخواص ولذلك قال
اهل التحقيق عدد الطرق الى الله عز وجل على عدد انفاس الخلائق معناه ان لكل

واحد منهم طريقا يخصه زيد عن عمرو وبكر عن خالد حكمة حكيم وان كان الظن
هنا راجعا الي ما كلفوا من عبادته عز وجل واتباع رسله وبما به وعدتهم الرسل صلوات
الله وسلامه عليهم وما بشرتهم عن مولاهم من وجوه الخير علي نحو ما تقدم ذكره
في الاحاديث المتقدمة وفي الكتاب والسنة ومثل ما حد لهم في بعض الاشيا من الشفاعة
من الامور المهولة والمهلكة مثله ما تقدم في احاديث الكتاب الذي نحن بسبيله
ومثل ارشادهم الي التوكل علي مولاهم وقوة الثقة به سبحانه وما في معناه فهذا خاص بالمؤمنين
وهم في ذلك كل علي قدر هممهم وقوة ايمانهم وحسن تصديقهم وعلي ظنهم الجميل بمولاهم والنظر
الي قوله تعالي وهو اصدق القائلين ومن اصدق من الله قيلا ومن اصدق من الله حديثا
ومن اوفي بعهده من الله فاي حديث بعد الله وايات يؤمنون وقوة عزمهم علي حمل
النفوس علي العمل بالصدق والتصديق وكذلك قال اهل العلم والعمل من صدق وصدق قرب
لا محالة والضعفا منهم علي حالهم كل منهم علي قدر ضعفه وتلونه وكثرة ويله وترجيح العادة
علي القدرة ويجعل ذلك بتاويله شرعا كل علي قدر حاله واذا نظرت الي ما قدمناه من الكلام
تجد كل نوع من هولاء قد بيناه والحمد لله بما فيه كفاية لمن نظره وهدي الي العمل بحسب الطريق
الراجحة منه ففي بعض هذه الامور يكون النظر بمعني العلم لان ذلك من كمال الايمان
وما هو منها مثل البشائر وما خطر لهم من التشفا من الامور المخوفة والمهلكة بالاشيا
اليسيرة فذلك وما في معناه راجع الي ان يكون الظن فيه علي بابه فمتي كان ظنه هناك قويا وحد
كما قيل له فزيادة ومتي كان ظنه ضعيفا فبحسب حاله في ذلك تجده ومن وقع له بذلك تكذيب
قد لك يلحق بالكافرين الي ان يتوب ويرجع كما قال جل جلاله وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا لان الظالم لنفسه هو المكذب به او الشاك
فيه والذي يفعل شيا من ذلك علي تجربة يعود ذلك كله علي صاحبه بالخسارة وقد بينا ذلك
فيما تقدم من الكتاب وذكرنا في بعض المواضع فعل ابن عباس حين يطلع له الدرياميل

ويطليها

ويطليها بالعسل ويتلو الاية في ذلك او كما ورد وقوله صلي الله عليه وسلم في الذي سقاه
العسل صدق الله وكذب بطن اخيك وفعل ابن عمر حين كان يريد ان يكتحل بالعسل
ايضا ويتلو الاية او كما ورد وما كان من بعض المشايخ في السعوط وغيره والكلام عليه في حديثه المختص
به من الكتاب بفضل الله وبقي في هذا الحديث ان ينظر ما فيه من ايجاز لفظة واحدة جاءت
جامعة لمعاني السنة كلها اعني في الاعتقاد فيما يقع له في كل عمل فما من عمل الا والسنة
مستحبة عليه كانت النية حسنة او رديئة فالله تعالي يجازيه بحسب نيته في عمله وذلك هو
الظاهر المراد في الحديث ويدل ايضا علي عظمة الله تعالي وعظم قدرته وعلي جلاله وصفاته
يوخذ ذلك من قوله انا عند ظن عبدي بي فاذا كان مع جميع العبيد مع كثرتهم
مع كل واحد واحد منفردا بحسب ظنه به في الزمن الفرد وهذا جار علي ممر الدهور والاباد
وكذلك الانفاس لان قلب ابن ادم اشد تقلبا من القدر اذا اجتمعت
من تقلبات قلوب الجميع هو عز وجل معهم علي ما يكونون عليه هذا يدل علي انه تعالي ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير واذا تاملت معني ما اشرنا اليه هنا بتوفيق الله سبحانه وتعالي
يتجمع لك الحقيقة والشريعة وحسن العقيدة وصالح الايمان وجميع خير الدنيا والاخرة
بكل من خالف ما ذكرنا جعلنا الله ممن فهمه ذلك وجعله من اهله بفضله لا رب سواه
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله سبحانه
وتعالي يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك يا ربنا وسعديك
الحديث ظاهر الحديث يدل علي ان افضل نعيم الاخرة دوام رضي المولي سبحانه
عن عبيده المومنين اهل دار كرامته والكلام عليه من وجوه منها اثبات كلام الله سبحانه
وتعالي لقوله ذلك بقوله سبحانه انه عز وجل المخاطب لهم ثم بقرينة اخري وهو بقول
اهل الجنة بقولهم لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك وبقولهم ايضا وما لنا لا نرضي
يا رب وقولهم وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك وبقوله سبحانه الا اعطيكم

افضل من ذلك وبقولهم واي شيئ افضل من ذلك وبقوله سبحانه احل عليكم رضواني
فلا اسخط عليكم بعده ابدا فهذه كلها دلائل على انه عز وجل هو المتكلم معهم بذاته الجليلة
وفيه دليل على ما تقدم من مذهب اهل السنة في كتابه العزيز انه كلامه القديم الازلي ليس
بلغة العرب وان النظر في الكيفية في ذلك ممنوع ولا نقول بالحلول في المحدث التي هي الحروف
والاصوات ولا نقول انه دال عليه وليس بوجود بل الايمان بانه منزل حق ميسر باللغة العربية
صدق يشهد لذلك هنا خطاب مولانا جل جلاله لاهل الجنة وكيف يسر لهم سماع كلامه القديم
الازلي بلغة العرب لان الالفاظ التي في الحديث هي على مقتضى اللغة العربية ولذلك نرجح
انه كلام اهل الجنة بلغة العرب فيسر لهم عز وجل سمع كلامه القديم القائم بذاته الجليلة
لان الصفة الجليلة لا تفارق الموصوف فاسمعهم اياه بالنوع الذي هو لغتهم ليفهموا
عنه سبحانه ما اراده لهم بفضله ولا يمكن لاحد ان يتعرض للكيفية فلما لا يمكن هنا
ذلك فكذلك الحكم في كتابه العزيز لان هذا كلامه الجليل وهذا كلامه الجليل فالحجة قائمة
السنة والحمد لله قائمة وفيه دليل على اضافة المنزل لساكنه وان لم يكن في الاصل له يوخذ ذلك
من قوله يا اهل الجنة والجنة لله عز وجل في الحقيقة وهنا بحث وهو ان يقال لم ذكر جل
جلاله لهم دوام رضاه لهم بعد استقرارهم في الجنة ولم يكن ذلك عند اول دخولهم فالجواب
والله الموفق انه جل جلاله لو اخبرهم بفضله ولا قبل سكناهم والتمتع بما هنالك لما كان
ذلك اخبارا بما تقدم عندهم من علم اليقين وعين اليقين بلغ فلما حصل لهم عين اليقين
مما راوا وما راوا فيها مما لا يقدر احدنا ينكره بعقل ولا نقل ولا فهم ولا دليل اعني حقيقة
تلك الاعيان اخبرهم بذلك دليل قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وقول مولانا سبحانه لما وصف فرش الجنة قال بطائنها من استبرق لانه ليس في هذه
الدار ما يشبه الموجود ولما كانت العادة عند اهل هذه الدار ان يبين بطائن الفرش
وجوهها نوعا عظيما عبر لهم ان البطائن هناك من استبرق لانه ليس في هذه الدار ما يشبه

الوجوه ازهى واعظم الملبوسات في هذه الدار ولو كان عندنا شيئ منه يشهد به فدل على
عظم قدر الموجود وحقيقة ذواتها لا تعرف كيف صفتها فلما عرفوا ما هنالك عيانا اخبرهم
بما من عليهم بفضله من اخرته كيف يعرف له قدر هذا من وجه وهو طريق التحديد لانا
لا نعرف قدر الاشياء الا اذا كانت محدودة واما من جهة اخرى وهي حقيقة رضاه فلا
نقدر على معرفته ولا يشبهه غير ان بالاثر الدال عليه نعرف انه عز وجل عظيم في ذاته
الجليلة بلا تكيف فجعل حسن الدار التي هي من اثر قدرته سبحانه وتعالى دال على
عظمة فضله وجلاله جعلنا الله بحرمته من اهله في الدارين بالمحنة لا رب سواه
ويترتب على هذا من الحكمة ان لا يخاطب احد بشيئ حتى يكون عنده ثم يستدل عليه او على
بعضه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم خاطبوا الناس على قدر عقولهم اتحبون ان يكذب الله
ورسوله اي على قدر ما تفهمون ولذلك ينبغي وفيه دليل على انه ليس في الجنة دار الا
الجنة والنار يوخذ ذلك من قولهم وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك وقد
جاء هذا عنه صلى الله عليه وسلم لقوله ليس بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار او كما
قال عليه الصلاة والسلام وفيه دليل على ان من له حقيقة ما خوطب به فانه يسال يا رب يوخذ
ذلك من قوله عز وجل لا اسخط عليكم بعده ابدا فلو لم يكن دليل على عدم الانتفاع
ما كانوا يخبرون انه افضل مما فيه وفيه دليل على ان طبع البشرية انما تنظر وقتها
يوخذ ذلك من فرح اهل الجنة بما هم فيه ونسوا ما بدوا من اهوال القيامة قبل ذلك وفيه
دليل على ان الخير كله انما هو في رضى المولى سبحانه وتعالى وانما دونه من نعيم على اختلاف
انواعه في كلا الدارين وانما هو في رضى المولى سبحانه وتعالى وانما دونه من نعيم على اختلاف
انواعه وانما هو من اثر ذلك الخير وهو النعيم الحقيقي وفيه دليل لاهل الطريق العارفين
لانهم لم يعملوا على نعيم الجنان وانما عملوا على طلب رضا الرحمن ومما يدل على ذلك من
كلامهم وهل نعيم في الخلد انتهى من الرضا والقرب ومن اجل التحقيق لهذه المراجعة

العجيبة طاشت قلوب المحبين وتعاموا في نعيم الدارين فضلا عن نعيم هذه الدار وبالجهل
به عميت بصائر اهل الدنيا حتى تفانوا عليها ولم يحصلوا منها وحصلوا على صفقة خاسرة
خسروا الدنيا والاخرة ولتصديق اهل التوفيق بهذه الاخبار الجليلة وتنعموا بتلك الروايح
العطرة بقلوب زكية ونفوس ابية وفيه دليل على رضى اهل الجنة كل منهم بحاله مع
اختلاف منازلهم يوخذ من كون جوابهم الكل على حد واحد بقولهم وقد اعطيتنا
ما لم نعط احدا من خلقك تنبيه وعند بسط جناح الرحمة واظهار خلع القرب والاسباط
تساوي الرفيع في النعيم والدني يوخذ ذلك من قوله سبحانه يا اهل الجنة عموما للرفيع المتر
وغيره على حدسواء فاجهد نفسك لعل ان يكون لك في القوم نسبة ما لعلك تدخل في ضمن
الخطاب الجليل لاسماع خطاب المولى الجليل بهذا الخير العميم اعلا النعيم اشارة
وتنبيه يحق ان يسمى كلما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم خيرا لانها
اسباب الى البلوغ الى هذا الخير العظيم وكلما يوصل الى الشيء الا به فهو منه كقول العلماء
ما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب. اللهم دعوتك وانت اكرم
كما منت علينا بالاسباب المبلغة الى هذا الخير العميم وعرفتنا بدايته ونهايته
ورزقتنا التصديق بفضلك بما به اخبرتنا ان تتم بفضلك ما به من التصديق رزقتنا
بان تعيننا على ما فيه رضاك ودوامه في الدارين علينا بلا محنة والتوسل اليك بجاه
من على رسلك اصطفيته والمقام المحمود الذي وعدته ان تنعم بما فيه رغبتنا وان تنعم
بالشكر بما به نعمائك خولتنا وان تجعلها رحمة لنا ولوالدينا ولمعلمنا ولمن تعلم منا
ولمن استمع لما به فتحت علينا ولمن اقتناه ابتغاء مرضاتك وتصديقا لما به عن
الصادق الكريم اخبرتنا وتعرفنا جميعا بركته في الدارين بركة وان تحشرنا
بحرمتك في زمرة عبادك المتقين مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين برحمتك يا ارحم الراحمين وتجعل كلما فتح به في هذا الكتاب

في

١٦٩

وفي اصله علي عبدك الفقير المضطر الي نوالك وعفوانك وجودك واحسانك يا علي
يا عظيم يا ارحم الراحمين خالصا لوجهك الكريم مقبولا بفضلك العميم قبولا لا يعقبه
خزي ولا تبديل وتجعل ذلك سنة فيمن قراه او سمعه او عمل به او اقتناه انك ولي حميد
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى اله وسلم وشرف وكرم ورحم الله من سمعه
او قراه فامن واخلص في التامين آمين آمين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
واله وسلم ووالي وارفع اللهم انت منت علي بهذا الشرح واخرتني في النوم
انك اخرت به ادم عليه السلام قبل موته فاجعله لي توفي الدنيا والاخرة واجعله لي
حجة ولا تجعله حجة علي واجعل لي نوره تاما الي يوم القيمة واجعله لمن قراه او سمعه
او تملكه نورا تاما الي يوم القيمة ولي مسلمهم ومن كذب به فلا تملكه اياه واحرمه
بركته ومن ملكه ولم يعمل به ولا ببعضه فاجعله عليه حجة واجعله لنا دليلا واماما
للحق وقايدا اليه ومونسا لنا في قبورنا ومنورا لقلوبنا وارنا فضله في الدنيا والاخرة
برحمتك يا ارحم الراحمين. وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما وهذا
الدعاء الاخر يامرمن مولانا سبحانه للعبد الفقير بعد ما فرغ من الكتاب وامره
ان يختم به الكتاب بعد ما وعده بفضله من الخير الجزيل عليه وعلي من قراه وعمل به
او ببعضه او تملكه حسب ما هو مذكور في الرويا التي رايتها في خبر هذا الشرح وقد
جعلت لذلك كتابا خاصا جعلها الله نعمة تامة بمنه وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم

ثم جميع الديوان المسمى بهجة النفوس وتجليها بمعرفة ما لها وما
عليها شرح مختصر البخاري المسمى بجمع النهاية في بدء الخير
والعناية مما عني بجمعه الشيخ الامام العلامة ابو محمد
عبد الله بن سعيد بن ابي جمرة الازدي
الاندلسي رضي الله عنه ورضي
عنا به امين